



مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَبَنَّا



مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

العدد الثامن عشر

(1443هـ/2021م)



مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا

العدد السابع عشر
(1442هـ / 2020م)



مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لَبَّيْنَا

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

العدد الثامن عشر

(1443هـ / 2021م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿...رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾

(سورة البقرة - من الآية 126)

مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

المشرف العام: أ. د. عبد الحميد عبد الله الهرامة

رئيس المجمع

مدير التحرير: أ. عمار محمد جحيدر

أمين عام المجمع

هيئة التحرير

أ. د. محمد مصطفى بن الحاج

أ. د. نجيب المحجوب الحصادي

أ. د. عمر خليفة بن إدريس

أغراض المجلة:

- مجلة المجمع، مجلة دورية محكمة تعنى بنشر دراسات في اللغة العربية وآدابها، والتعريب وترجمة ألفاظ الحضارة ومصطلحاتها، وتحقيق المخطوطات والأبحاث المتعلقة بها.

قواعد النشر بالمجلة:

- ألا تكون البحوث مسئلة من أطروحة جامعية، وألا تكون منشورة من قبل.
- تنشر المجلة البحوث التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم.
- يفضل ألا يقل البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة.
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات علمية وفنية.
- البحوث التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه.
- تُدرج الحواشي بأرقام مستقلة في كل صفحة على حدة.
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ.....
- ترسل البحوث إلى المجلة على العنوان التالي:

العنوان البريدي: شارع البلدية ص. ب: 551 بريد ميدان الجزائر طرابلس ليبيا

هاتف: 00218-21-4440126

البريد الإلكتروني: Lugha_arabiya@yahoo.com

المحتوى

تقديم 9

لغويات

1 أ.د. رمضان سعد القماطي 13

تصريف معاني الفعل ضرب في القرآن الكريم.

2 أ.د. محمد مصطفى بن الحاج 25

لغتنا العربية العريقة- الدكتور محمود علي التائب ونصّان له عن اللغة العربية.

3 د.ناصر فرج عبد السلام العرفي 67

الدلالات الوظيفية بين الوضع والاستعمال دراسة تحليلية لدلالات (إنما).

4 د. محمد خليل الزروق 117

متي قيل : (قاموس) ومتى قيل : (معجم) لكتاب اللغة المرتب؟.

5 أ.د.أحمد فتح الله اسماعيل 125

مسائل من الاستدراكات البلاغية للعلامة الطاهر بن عاشور.

6 د.أحمد فرج علي فرحات الخزعلي 149

تدقيقات صرفية في بعض قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

7 د.إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد 167

«تبادلات الأفعال الإنجازية ودلالاتها في قصيدة : الخروج من سلاسل مؤاب عبد الله رضوان دراسة صرفية دلالية».

8 د. عبد العالم محمد القريدي 225

من عثرات ترجمة المصطلح.

9 أ.د. خليفة أبوبكر الأسود 239

في التخطيط المصطلحي: مقترح تحرى آلية ترقية المصطلح العلمي.

10 د.مبروكة الهاشمي علي البوعيشي.....289

نقاشات نحوية عن دلالات الفعل الزمنية.

11 أ. د. أيمن الطيب بن نجي307

النسق في الصناعة المعجمية : الوسيط أنموذجاً.

أدبيات

1 أ. علي الهادي شونة.....339

الوحدات الوزنية في العروض العربي.

2 د. عبد المجيد الشتيوي علي شتل.....421

الصورة الشعرية في شعر العنبري.

3 د. خديجة البدوي.....441

عن المديح النبوي في الشعر الليبي.

أعلام وتاريخ ثقافي

1 أ. عمار محمد جحيدر557

مكتبة الأوقاف بمدينة طرابلس: الأصول الوقفية / والتأسيس / والتحوّلات (1316-1404هـ / 1898-1984م).

تقديم

أ. د. عبد الحميد عبد الله الهرامة

(رئيس المجمع)

حين تدخل بلدان العالم المتحضر تشعر بالخصوصيات الثقافية لبلدانهم من خطواتك الأولى في مطاراتها، تسمعها لغةً على ألسنة الناس، وكتابةً على لوحات الإعلانات، وأسماءً للمحال والمؤسسات والشوارع والميادين، وهي لغةٌ أغلب الصحف والمجلات، ولسانُ الإذاعات المسموعة والمرئية، وهي الغالبة في عناوين الكتب في المكتبات العامة والخاصة، إنها تعبيرٌ ناطقٌ بهويتهم وذاتهم الثقافية وشخصيتهم المحلية والعالمية. فماذا عن بلادنا؟ إنَّ المتجول في مدنها وشوارعنا يُصدِّمُ بأنواع اللُّغات الأجنبية التي يراها تعلو إعلانات الشركات الخاصة، وأسماء المحال، والمقاهي، والمطاعم، بالإنجليزية والإيطالية والفرنسية في فوضى لغوية لا نظير لها في العالم المتحضر، حيث يُخاطب الشعبُ بغير لغته التي يقرأ بها ويتواصل عن طريقها، وهي بذلك تقدِّم صورةً للتلوث اللغوي الذي يمسُّ أهمَّ مقومات هوية الشخصية الليبية المتمثلة في لغتها الجامعة ولسان قرآنها الكريم وتراثها الإسلامي الأصيل.

ولا شكَّ في أنَّ أيَّ شعبٍ يحترمُ ذاته وخصوصياته الثقافية لا يسمحُ بهذه الظواهر السلبية التي تنتقصُ من قيمة لغته المحلية وآدابها وقيمتها التواصلية، وتحطُّ من معنوياته وانتماؤه الحضاري وحقه العالمي في الذاتية المستقلة والخصوصية الثقافية المميزة لبلاده.

وتزداد قيمة هذا الانتماء قوة واعتزازًا حين يكون منتسباً إلى لغة القرآن الكريم التي كانت اللغة العلمية الأولى في العالم لمدة طويلة، وظلَّت كتبها الطبية تُدرس في العالم حتى القرن الثامن عشر. وقد مكَّنها ذلك من احتواء العديد من المصطلحات العلمية التي يمكن أن تُترجمَ كثيرًا من المصطلحات العلمية المعاصرة، وهو الأمر الذي يجعلها قادرةً

على التعبير عن العلوم المتنوعة بفاعلية وجدارة.

لقد استشعر المجمعُ خطورةَ ظاهرة التلوث اللغوي في مدننا الليبية، واستمد قوة علاجها من قوة انتماء الشعب إلى لغته، ثم من القانون رقم (24) لسنة 2002 بشأن حماية اللغة العربية، وخاطب لذلك الجهات المعنية في الدولة، وعلى رأسها رئاسة مجلس الوزراء، ووزارة الحكم المحلي ووزارة التعليم، ووزارة الاقتصاد لعلاج مشكلات الضعف اللغوي في الوثائق والتسميات والمقررات التعليمية، مع مقترحات عملية للمطالبة بتغيير التسميات الأجنبية في تراخيص الممنوحة في أيّ نشاط عام أو خاص.

ونحن نستنهض الهمم في مؤسسات الدولة والجامعات والمواطنين أن يستشعروا أهمية الدِّفاع عن اللغة العربية، بوصفها واحدة من أبرز مقومات هويتنا الأصيلة، فهي لغة ديننا الإسلامي العزيز، واللغة الجامعة لكل فئات شعبنا الليبي المسلم.

ومعلوم أنَّ المجمع مع خدمته للغة العربية الشريفة وتراثها الخالد يحترم اللغات المحليّة الأخرى لمكونات المجتمع الليبي، ويعتبر تراثها ثروة وطنية وثراء لخصوصيات البلاد وعطائها الفكري، مع الاحتفاظ للغة العربية بصفة اللغة الجامعة ولغة التواصل والتعليم المشترك.

والمجمع إذ يُقدّم للقراء العدد (الثامن عشر) من مجلته الحولية ليسعد بتقديم مجموعة من البحوث الجادة في اللغة وآدابها، ومصطلحاته، مع التذكير بأنّ المجلة غير مقتصرة على هذا التخصص، فهي لسان حال المجمع الذي يمثل هيئة علمية متعددة التخصصات العلمية والثقافية، وتجمعها خدمة اللغة العربية بتقديم المصطلحات والمعاجم والدراسات التي تخدم مختلف العلوم العربية والمعرّبة والمترجمة.

نسأل الله أن يسدّد خطى العالين إنه ولي التوفيق؛



لغويات

تصريف معاني الفعل ضرب في القرآن الكريم

أ. د. رمضان سعد القماطي

(كلية اللغات، جامعة طرابلس)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

من معاني الفعل ضرب في اللغة العربية

عند استقراء مصادر اللغة نجد أنَّ الفعل ضرب له معاني متعدّدة، ليس بينها علاقة إلاَّ كونها اشتقت من تعبير واحد دلَّ عليه الفعل ضرب، وهذا دليل على أنَّ ألفاظ اللغة العربية تستنبط معانيها وتحدّد من خلال التراكيب اللغوية.

فهذا الفعل الثلاثي الذي إذا ذكر منفصلاً عن الجملة ليس له إلاَّ دلالة واحدة، وهي الضرب المعروف⁽¹⁾ المقرون بالألم والوجع. ثم يتطور المعنى فيأخذ أبعاداً مختلفة وفق السياق، منها: ضَرَبَ الدرهم طبعه، وَضَرَبَ الأرض خرج فيها غازياً أو وتاجراً، وضرب بمعنى نهض، وضربه على يده، منعه من فعل الشيء، وتقول العرب: «ضرب الحاكم على يد الرّعية؛ إذا منعهم من الفساد، والضَّرْبُ المطر الخفيف، وَضَرَبْتُ الشيء بالشيء خلطته⁽²⁾، والضَّرْبُ من بيت الشعر آخره»، وسمي بهذا الاسم لأنه من الضرب الذي هو المِثْل، ومن ذلك

(1) لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، مادة ضرب.

(2) لسان العرب، لابن منظور، مادة ضرب.

قول الشاعر (تمردًا) في بيت الشعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردًا⁽¹⁾

هذه تعابير ومعانٍ نحصل عليها من الفعل ضرب، وفي القرآن الكريم صور من هذا النوع فيها جمال وبهاء، وقبل الولوج في عالم النص القرآني الذي ورد فيه الفعل ضرب بصيغ مختلفة نقرأ قوله تعالى:

﴿وَضُرِيتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿ضُرِيتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾⁽⁶⁾.

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾⁽⁷⁾.

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ.

وقال تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾⁽⁸⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾⁽⁹⁾.

(1) المعيار في أوزان الأشعار، لأبي بكر الشنتريني الأندلسي، تحقيق وشرح محمد رضوان الداية، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، ط3، 1979، ص9.

(2) البقرة: 61.

(3) البقرة: 273.

(4) آل عمران: 112.

(5) النساء: 94.

(6) الأنفال: 50.

(7) الرعد: 17.

(8) الكهف: 11.

(9) النور: 31.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ يَا رَجُلَيْهِنَّ لِعَلَّمَنَ مَا يُخْفِيَتَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلِ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (3).

وقال تعالى: ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ﴾ (5).

هذه نماذج من الآيات القرآنية التي ورد فيها الفعل ضرب بتصاريف مختلفة، منها الماضي، والمضارع، والأمر، والمصدر، وغيرها من الصور، ولكي تتضح تلك المعاني يتم التناول على النحو الآتي:

(1)

الضرب بمعنى الإيلام، والوجع، أو الإفساد، أو التنبيه

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (6).

الضرب في الآية يفيد المعنى الحقيقي، واختيار الوجه مكان للضرب فيه إذلال ومهانة للمضروب، وأما ضرب الأدبار ففيه إشارة إلى الملائكة تلاحق الكفار الهاربين من ميدان المعركة، وتوجعهم ضرباً على أقفائهم.

ويزداد المعنى وضوحاً في قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (7)، حيث تشير الآية إلى أن الملائكة تستل من الكافرين أرواحهم في معركة بدر بقطع الأعناق،

(1) النور: 31.

(2) الفرقان: 39.

(3) الصافات: 93.

(4) الزخرف: 5.

(5) الحديد: 13.

(6) الأنفال: 50.

(7) الأنفال: 12.

أو بتر كل بنانة، وهذان الموضعان المضروبان يشيران إلى أماكن الاستعلاء وأفعال الشر، ولا يتأتى إلحاق الأذى بالمضروب إلا من خلال شدة الضرب.

ومن أنواع الضرب المادي المذكور في القرآن كريم قوله تعالى مخاطباً سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَام ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾⁽¹⁾، فالضرب في الآية بمعنى الشدة والقوة التي تجعل البحر ينفلق إلى فرقين، كل فرق كالجلل العظيم، والضرب العنيف بعصاة يجعل الماء يتفجر من الصخر الأصم، إذا المضروب هو الصخر.

والأداة عصاة من خشب، والضارب هو موسى عَلَيْهِ السَّلَام الذي يتمتع بقوة بدنية تمكنه من التأثير في الصخر عند الضرب، ذلك ما أكدّه المولى - سبحانه - واصفاً تمتعه بهذه الخاصية: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَى اسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾⁽²⁾، كما عبر القرآن الكريم عن تلك القوة بقوله: ﴿وَأِذْ﴾⁽³⁾، والفائدة المرجوة من هذه الآية تتضح في قول القرطبي «وقد كان تعالى قادراً على تفجير الماء، وفلق الحجر من غير ضرب؛ لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراء»⁽⁴⁾.

ونجد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾⁽⁵⁾، إنه ضرب حقيقيّ مقرون بالشدة والقوة التي تمكن سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام من تحطيم أصنام الكفار، وجعلها جذاذاً فتاتاً⁽⁶⁾، ورسم القرآن الكريم صورة بديعة لكيفية الضرب؛ فلا يكون إلا باليد اليمنى باعتبارها أقوى والضرب بها أشد، وعند الشروع في هذا الفعل يتخذ الجسد وضعاً مائلاً حيث عبر القرآن عن ذلك عندما قال المولى سبحانه ﴿فَرَاغَ﴾⁽⁷⁾ أي مال⁽⁸⁾.

(1) الشعراء: 63.

(2) القصص: 26.

(3) البقرة: 59.

(4) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان، ج1، ص419.

(5) الصافات: 93.

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص94.

(7) الصافات: 91.

(8) لسان العرب لابن منظور، مادة روع.

ومن أنواع الضرب أيضاً الضرب بالرجل، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِعِطَمٍ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾⁽¹⁾، والمراد وضع الرجلين على الأرض بقوة عند المشي لكي يحدث الخلخال أو نحوه وسوسة تفصح عما ترتديه المرأة من زينة فتثير في قلوب السامعين من الرجال شهوة.

إنّ النماذج القرآنية السابقة بيّنت الضرب المصحوب بالشدة والقوة، لغرض إحداث أثر في المضروب، أو تحقيق غرض ما، وفي المقابل نجد نوعاً آخر من الضرب فيه رقة وحنان لأنّ المراد منه التأديب والتوجيه، نلمس ذلك في قوله تعالى مخاطباً سيّدنا أيوب عليه السلام ﴿وَحَذِّبْكَ ضِعْثًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾⁽²⁾، فهذا النوع من الضرب غير مُبرّح لأنّه لا يكسر عظماً، ولا يُشين جارحة⁽³⁾، وقد أشار بعض العلماء إلى أنّ أداة الضرب المشار إليها في هذه الآية؛ هي مجموعة من العيدان مضغوطة تساوي عدد اليمين الذي حدّده سيّدنا أيوب عليه السلام⁽⁴⁾.

وقيل حزمة حشيش أو مئة عود من الإذخر⁽⁵⁾، ومن هذا النوع أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُوتُ نُشُوزَهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾⁽⁶⁾ فالضرب هنا يأتي بعد مراحل من التعامل القائم بين الزوج والزوجة. وكلها في إطار المبادئ الإنسانية، وإصلاح ذات البين، واللجوء إلى الضرب هنا ليس بمعنى إيذاء البدن، وكسر العظم، ولا يكون تعذيباً من أجل الانتقام والإذلال والتحقيق، وإنّما القصد من ورائه ضرب تأديب مصحوب بعاطفة المؤدب المربي⁽⁷⁾، فالضرب إذا زاوله الأب مع أبنائه، أو المربي

(1) النور: 31.

(2) ص: 44.

(3) ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 3، ص 127.

(4) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 30.

(5) ينظر تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، ص 62، 92، 123، والإذخر حشيش طيب الريح واحده إذخرة، لسان العرب، مادة ذخر.

(6) النساء: 34.

(7) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 2/ 652.

المعلم مع تلاميذه، أو الزوج مع زوجته يكون ضرب حنان وشفقة، وليس الضرب لذات الضرب.

(2)

ضَرَبَ بمعنى سار وذهب

من أجل قضاء مآرب متعدّدة لا تكون إلا في الخير

ومن ذلك التجارة، وطلب العلم، أو الجهاد في سبيل الله، هذا ما أكّده المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كتابه الكريم عندما قال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾⁽¹⁾، فالضارب في الأرض من أجل الخير له رخصة في قصر الصلاة⁽²⁾، ويرى بعض المفسرين أنّ الضرب في الأرض يعدل نصف الصلاة⁽³⁾.

لقد تردّد هذا المعنى في العديد من سور القرآن الكريم. من ذلك قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، وقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ﴾⁽⁶⁾.

لقد اتضح أنّ جميع الشواهد القرآنية السابقة تؤكد أنّ الضرب في الأرض يعني السَّيْر⁽⁷⁾، في أنحائها وأرجائها لطلب أمر مباح، والتعبير بالضرب يدل على أنّ طلب الرزق لا

(1) النساء: 101.

(2) في قصر صلاة السفر المباح أو الحرام خلاف بين المذاهب، ينظر الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، دار الحديث القاهرة، سنة 2004م، 1 / 368.

(3) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 2 / 747.

(4) البقرة: 273.

(5) النساء: 94.

(6) المزمل: 20.

(7) وقيل السَّفَر، ينظر تفسير الجلالين، ص 62، 92، 123.

يتيسر إلا بالضرب بقوة في مناكب الأرض، وقد مرّ بنا أنّ حصول الماء من الصّخر يتطلب الضرب بقوة، وكذلك الحال عند طلب الرزق المباح.

(3)

الضرب بمعنى دوام الشيء

يلتقي مع هذا المعنى التعبير اللغوي في قولهم الليل الضارب، أي «الذي ذهب ظلمته يميناً وشمالاً، وملاّت الدنيا»⁽¹⁾، وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي يُستنبط منها هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾⁽²⁾، «أي لا زمتهم الذِّلَّةُ والمسكنة فلم تغادرهم بسبب عصيانهم، وعدوانهم، وكفرهم بالله، وقيل: فُرِضَتْ وَجُعِلَتْ»⁽³⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾⁽⁴⁾، فالضرب في الآية يشير إلى دوام منع السمع، والقرآن الكريم عبر بالضرب على الآذان عوضاً عن كلمة أُنْمِئَتْهُمْ، والمعروف أنّ النائم لا يسمع إذا نام، وإذا سمع انتبه⁽⁵⁾، وقد يأتي الفعل ضرب بمعنى المنع والإبعاد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾⁽⁶⁾.

وفي جميع ما تقدم من شواهد دليل على أنّ كلمة الضرب تفيد المنع الذي يعني استمرار بقاء الشيء على حالة واحدة⁽⁷⁾، ويتأكد هذا المعنى في كتب اللغة حيث يقال

(1) لسان العرب لابن منظور، مادة ضرب.

(2) البقرة: 61.

(3) ينظر: معاني القرآن، تفسير لغوي موجز، تأليف إبراهيم رفيعة وآخرين طبع جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط، سنة 1986م، ص 46.

(4) الكهف: 11.

(5) لسان العرب لابن منظور، مادة ضرب.

(6) الزخرف: 5.

(7) وقيل: بمعنى نترككم، ينظر القرآن الكريم المفسر الميسر، مختصر تفسير الطبري، مطابع الشروق، طبعة خاصة لإذاعة القرآن الكريم، سنة 1984م، ص 554.

في المثل: ضَرَبَ على يده، أي كَفَّه ومنعه عن فعل الشيء، ويقال: ضربت فلاناً عن فلان، أي منعتَه وكففتَه عنه⁽¹⁾.

(4)

ضرب بمعنى مزج أو خلط بين شيئين

لهذا المعنى حضور في القرآن الكريم، وهذا دليل على أنَّ اللفظ الواحد قد ينصرف إلى عدة معانٍ، والذي يفيد المعنى ليس اللفظ، بل السياق وتجاور الكلمات، وعند تدبر قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾⁽²⁾.

في الآية نجد أنَّ كلمة يضرب تشير إلى أن الحق يختلط بالباطل أحياناً، ويصعب التمييز بين الاثنين في مفهوم بعض الناس، وهذه الحالة تشبه نزول الماء من السماء صافياً، وفي أوديته يختلط بغثاء يطفو على وجهه في صورة زبد حتى ليحجب الزبد الماء، ولكن بعد حين يخفّي الزبد، ويبقى الماء الذي يحوي كل شيء، هذه الحالة مشابهة لتداخل الحق بالباطل، ولكن الذي يبقى هو الحق الذي ينفع الناس⁽³⁾.

ويقال في كتب اللغة: "ضربتُ الشيء بالشيء؛ وضربتُهُ خلطتُهُ؛ والضَّريب من اللبن الذي يُحْلَب من عِدَّة لِقَاحٍ في إناء واحد، ولا يقال ضريب لأقل من لبن ثلاث أَثْنِيقٍ"⁽⁴⁾، ومن ذلك أيضاً الزيت المضروب، أي المخلوط بالماء لِيُنْتَقَى ويصير صافياً، وقد يكون الضرب بمعنى الفصل، قال تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورِلَهُ﴾⁽⁵⁾، تشير الآية إلى الفصل بين المؤمنين والمؤمنات، وبين المنافقين والمنافقات يوم القيامة بعد أن كانوا في الدنيا مختلطين⁽⁶⁾.

(1) لسان العرب، لابن منظور، مادة ضرب.

(2) الرعد: 17.

(3) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب: 4 / 2054.

(4) لسان العرب، لابن منظور، مادة ضرب.

(5) الحديد: 13.

(6) ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب 6 / 3466.

(5)

ضرب بمعنى ذكر، أو بين، أو أخبر

صورة من صور تصريف الفعل ضرب، فيها دليل على أنَّ كلمات اللغة العربية تكتسب المرونة، والانزياح الشيء الكثير، وخاصة ما ورد منها في القرآن الكريم، فعندما نتتبع هذا الفعل في بعض سور القرآن الكريم نجد في إطار هذا المعنى المصرح به في العنوان أنَّ ضرب الأمثال نوعان، النوع الأول الأمثال الإلهية التي تتميز بقوة الدلالة وإحكام النسيج، والله المثل الأعلى، يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (1)، فالمقصد من ضرب الأمثال هو إبراز شيء معنوي يكون غائباً عن أذهان الناس، ويصعب فهمه وإدراك دلالاته من غير تقريب الصورة الحسية، نجد ذلك واضحاً في الموازنة بين الكلمة الطيبة، والكلمة الخبيثة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿٢﴾ يَقُولُ الْمَوْلَى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (3).

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا ﴿٤﴾﴾.

ويقول أيضاً: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا تَجَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٦﴾﴾ (5).

في الآيتين من سورة النحل صنفان من البشر يمثلان العجز وعدم المقدرة،

(1) إبراهيم: 25.

(2) إبراهيم: 24.

(3) إبراهيم: 26.

(4) النحل: 75.

(5) النحل: 76.

أحدهما مملوك ضعيف الحال لا يقدر على شيء، والآخر أبكم لا يسمع ولا يتكلم، وفي المقابل رجل غني قادر على الإنفاق في السر والعلن، وآخر سليم الحواس لا ينطق إلا بالعدل، فضرب المثل هنا بمعنى ذكر وبين نجده صورة حسيّة منتزعة من حياة الناس، وفيها مواظ وعبر لا حدود لها، والذي أفاد هذه المعاني المعمّقة الفعل ضرب، ونظرًا إلى أهمية المثل الذي يسوقه المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كتابه الكريم أمرنا بالاستماع الذي يسبق التدبر والاتعاظ حيث قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾⁽¹⁾، والمراد أنّ كل مثل يسوقه، أو يذكره المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فمن الواجب على الناس عمومًا الاستماع إليه، والاتعاظ بما ورد فيه.

وأما النوع الثاني الأمثال الإنسيّة، وهي مرفوضة من قبل المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حيث قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، فضرب المثل عند عامة الناس، ومن المشركين على وجه الخصوص مخالف لمقاصد الأمثال التي يذكرها المولى- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- اقرأ قول الحق جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾⁽⁴⁾.

فالمفعول به في جملة ضربوه يعود إلى المثل الذي ساقه كفار قريش، وفحواه جدال عقيم لا صحة له، ولا قياس.

هكذا يتبين للقارئ الفرق الواضح بين ضرب الأمثال الربانية التي فيها نفع كبير لكافة الناس بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم، وبين ضرب الأمثال عند البشر، فهي مهما علت تظل ناقصة لا مزية لها ولا فضل إذا قورنت بالأمثال التي تخص المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(1) الحج: 73.

(2) النحل: 74.

(3) الإسراء: 48.

(4) الزخرف: 58.

وخاتمة القول:

إنّ الذي أفاد هذا التوسع في التحليل والاستنباط هو الفعل (ضرب) الذي ورد بصيغة واحدة في معظم حالاته، ثم انداحت من حوله معانٍ لا حدود لها، وفي مقدور كل قارئ متمكن التوصل إلى أعمق ممّا ذكر، وهذا يعود - بطبيعة الحال - إلى الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.



المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 2 - تفسير الجلالين، مطبعة الأنوار المحمدية القاهرة، بدون تاريخ.
- 3 - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.
- 4 - الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، دار الحديث القاهرة، 2004م.
- 5 - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق بيروت، ط10، 1982م.
- 6 - القرآن الكريم المفسر الميسر، مختصر تفسير القرطبي، مطابع الشروق، بيروت، بدون تاريخ.
- 7 - لسان العرب لابن منظور، دار اللسان بيروت - لبنان، بدون تاريخ.
- 8 - معاني القرآن الكريم تفسير لغوي موجز، تأليف إبراهيم رفيدة وآخرين، طبع جمعية الدعوة الإسلامية، 1986م.
- 9 - المعيار في أوزان الأشعار لأبي بكر الشنتريني الأندلسي، تحقيق وشرح محمد رضوان الداية، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، 1979م.

الدكتور محمود علي التائب (1920 - 2004م)

ونصّان له عن اللغة العربية⁽¹⁾

أ. د. محمد مصطفى بن الحاج

(نائب رئيس المجمع)

من هو الدكتور محمود علي التائب؟

عرفت بلادنا في تاريخها الحديث والمعاصر رجالات أفضاء، تكونوا علمياً وثقافياً؛ بمساعي عصامية وعزائم قوية. وعلى الرغم من الظروف العامة والخاصة لكل منهم، استطاعوا أن يتميزوا عن معاصريهم، وأن يعطوا بسخاء في مجالات إبداعهم، وأن يتركوا بعد رحيلهم إلى الآخرة آثاراً تخلد ذكراهم، وتذكّر بإسهاماتهم، وتحفز الأجيال القادمة للاقتداء بهم، وتستجلب الدعوات الصالحة لهم للفوز بثواب الله ورضوانه كفاء ما قدّموه. وكان الدكتور محمود علي التائب (1920 - 2004م) أحد هؤلاء الأعلام البارزين.

ولئن حظي كثير من أولئك النخبة المعروفين باهتمام وسائل الإعلام، وربما باهتمام بعض كبار المسؤولين في الدولة، واهتمام المواطنين، فإن الدكتور التائب مضى إلى ربه في جنازة متواضعة جداً، لا تصل خمسين مُشيّعاً على الأكثر، في مقبرة (بوكر) بجي الظهرة من طرابلس!!، ولم تقم أية وسيلة إعلامية بذكر وفاته وتعريف المجتمع بمكانته وعطاءه للثقافة وللوطن. هذا في حين تتكرر بين الفينة والأخرى مرّات الإعلان والتعريف والإشادة بكثير من نجوم الملاعب والغناء وغيره من الفنون!!.

(1) تجمع الهوامش في هذه الدراسة (اللغوية / التوثيقية) بين: حواشي الدكتور محمد علي التائب - رحمه الله تعالى - (صاحب النصّين)، وحواشي الأستاذ الدكتور محمد مصطفى بن الحاج (الدارس / المحرّر) الذي وضع المقدمة الإضافية في التعريف من خلال عنايته الموسّعة بدراسة (حركة الترجمة في ليبيا) وتوثيق أعمالها، وقد أضاف إلى الحواشي الأصلية عدداً من الحواشي الإيضاحية المزیدة، لذا أثرت (هيئة التحرير) إدراجها بين معقوفين، مسبوقة بنجمة فارقة * [...] بعد رقم الحاشية المسلسل؛ تمييزاً لها عن حواشي الأصل.

كان الدكتور التائب شخصية مخضرمة، عاصر أربع مراحل تاريخية هي: مرحلة الاحتلال الإيطالي، ومرحلة الإدارة البريطانية، ومرحلة الاستقلال، ومرحلة الجماهيرية (1969 - 2011م)، وتفاعل مع ظروفها المختلفة؛ فاكسب تجارب وعلومًا وألوانًا من الثقافتين العربية الإسلامية، والغربية الكنسية والمدنية. وقد تمثل كل هذا فيما قدمه من جهود فكرية وعلمية واجتماعية متنوعة. ونقدم خلال عرضنا هنا تعريفًا موجزًا بالسيرة الذاتية للدكتور التائب، ثم سرّدًا لما تركه من آثار منشورة أو لم تنشر، شارك بها في مجالات التأليف والترجمة عن الإيطالية والإنجليزية، والمحاضرات العامة والمشاركات في الملتقيات من ندوات ومؤتمرات في داخل البلاد وخارجها.

السيرة الذاتية⁽¹⁾:

ولد الدكتور التائب في منطقة سلوق في (8 / 1 / 1920م)، وعاصر في طفولته أحداث الجهاد الذي حركته وتابعته الحركة السنوسية في الجبل الأخضر. وعابن وهو طفل صغير المشهد المروّع، وهو شق المجاهد الخالد عمر المختار في سلوق. وترعرع بين نبعين فوّارين هما الأدب الشعبي بسلطانه المتمكن آنذاك، ولغة القرآن الكريم، انطلاقًا من الكتابات إلى دخول الأزهر الشريف والتخرج فيه. وعبر سنوات الدراسة وبحكم ظروف الأحوال السياسية في ليبيا، استطاع تحصيل اللغتين الإيطالية والإنجليزية، فتمكن بهما من الانفتاح على آفاق واسعة من العلوم والثقافات.

وعندما نذكر أعلامنا الرواد الذين نبغوا في اللغة الإيطالية وثقفوا من خلالها، وترجموا عنها، نضع الدكتور التائب بجوار الراحلين الكبار: فؤاد الكعبازي، وخليفة التليسي، وعلي الصادق حسنين، وشمس الدين بن عمران، ووهبي البوري وأضرابهم. وقد توجّ مساره الدراسي بالحصول على درجة التخصص الدقيق (الدكتوراه) في العلوم الإنسانية،

(1) [استخلصت هذه اللمحة من سيرة ذاتية كتبها الدكتور التائب مرتين: الأولى في 1 / 11 / 1996م، والثانية في 10 / 10 / 2000م، كما استندت إلى ما عرفته منه شخصياً خلال زيارات له في بيته بجي زاوية الدهماني بمدينة طرابلس، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وجمعنا في رحمته ورضوانه، آمين].

فرع التاريخ المعاصر (على حد تعبيره). ومن هنا أعطى قدراً كبيراً من اهتماماته وكتاباته لقضايا الأقليات الإسلامية المعاصرة، والجمعيات اليهودية السرية، ولكثير من القضايا التاريخية الأخرى.

وخلال مسيرته الوظيفية الطويلة، عمل مدرساً للغة العربية والدين في المدارس الثانوية سنة 1946م، ثم عين أمين سرّ لمكتب رئيس البرلمان البرقاوي، فأميناً برئاسة البعثة العسكرية العراقية المنتدبة سنة 1954م لتدريب الجيش الليبي، فأميناً إدارياً لوزارة الاقتصاد، ونائباً عن وكيلها في لجنة شؤون موظفي الدولة. ثم عين ملحقا ثقافيا بسفارتنا الليبية في ألمانيا، ثم مديراً عاما لإدارة التعليم الحر.

وفي أثناء تلك المسيرة، ظل يزاول نشاطات متعددة في مجالات كثيرة. فهو المؤسس للجنة الوطنية لرعاية المعاقين بوزارة (أمانة) الشؤون الاجتماعية، ومثل بلده في (12) مؤتمراً دولياً خاصاً بالمعاقين حتى أواخر سنة 2000م. وفي ديسمبر 1975م، عين عضواً بلجنة الهلال الأحمر فرع طرابلس، وفي فبراير 1992م، صار عضواً ممثلاً لجمعية الهلال الأحمر الليبية في فريق من خبراء «الاتحاد الدولي لجمعيات الهلال الأحمر وجمعيات الصليب الأحمر» ومقره روما.

أمّا في مجال مكافحة المخدرات بجميع أنواعها، فقد بدأ اهتمامه بها دراسة وتطبيقاً منذ 1958م، وعمل عضواً مستشاراً في مختلف اللجان الأهلية المكافحة للمخدرات في القطاعين الوقائي والرعاي، كما عمل أستاذاً محاضراً في مادة المخدرات بمعهد تدريب الشرطة في طرابلس. وظل الدكتور التائب متابعاً للمنتديات الثقافية ومشاركاً فيها بمحاضراته ومناقشاته، حتى أقعده المرض وتوفاه الله في طرابلس في 16 / 7 / 2004م، ودفن بمقبرة الظهرة في طرابلس.

ولقد تنوعت ثقافة الدكتور التائب وتعددت آثاره العلمية نتيجة تنوع قراءاته التراثية والحديثة باللغات العربية والإيطالية والإنجليزية. وهذا عرض موجز لتلك الآثار العلمية:

أولاً: الكتب المؤلفة:

- 1 - كتاب «ألبانيا عبر القرن العشرين»، من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس ليبيا.
 - 2 - كتاب «الجمعية اليهودية السرية في مختلف صورها»، من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية دار اقرأ، طرابلس ليبيا.
 - 3 - كتاب «معسكرات الاعتقال الإيطالية الثمانية المعتقل فيها 108 آلاف لبي من فبراير 1930م حتى إبريل 1932م؛ هلك فيها أكثر من ثلثهم»، وهو مخطوط.
 - 4 - كتاب «الرق في العالم» يتناول الرق عند غير المسلمين وعند المسلمين، مجلدان مخطوطان.
 - 5 - كتاب «الإعاقة والمعاقون»، مخطوط.
 - 6 - كتاب «مشكلات مغيبات العقل ومخبلاته، من بداية التعاطي حتى مرحلة الإدمان».
- وباستثناء الكتابين الأول والثاني اللذين طبعوا في حياة المؤلف، لم أقف حتى كتابة هذه الدراسة، فيما تحصلت عليه من آثار تركها لورثته؛ على أي من هذه الكتب المهمة، علما بأنه ذكرها في سيرته الذاتية التي تركها رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

ثانياً: الكتب المترجمة:

- 1 - ترجم عن الإيطالية المجلد الثاني من كتاب «الإيطاليون في ليبيا»، تأليف أنجيلو ديلبوكا، وهو من منشورات مركز الجهاد، طرابلس 1995م.
- 2 - ترجم عن الإنجليزية كتاب «أجزاء بايونيكية (إلكترونية) بدائل للجسد البشري»، تأليف الكاتبة الأمريكية غلوريا إسكورزينسكي، وقد تعذر نشره، كما قال المترجم، لارتفاع المبلغ المالي مقابل الإذن بترجمته.

- 3 - ترجم عن الإيطالية كتاب «البرقيات المتبادلة بين قادة الجيش الغازي الإيطالي، ورئاسة الأركان في وزارة الحرب في روما»، وهو أثر علمي لم تكتمل ترجمته، وبقي مبتورا.
- 4 - ترجم عن الإيطالية «مجموعة قصص خيالية للأطفال منتقاة من الآداب العالمية»، بتكليف من مدير دار ناصر للثقافة سابقا، والمجموعة مجهول مصيرها.
- 5 - ترجم عن الإيطالية كتاب «أتالو بالبو»، تأليف جيوردانو برونو جويري، والكتاب مجهول مصيره.

- 6 - ترجم عن الإنجليزية كتاب «المخدرات» الصادر عن مكتب مراقبة الأغذية والأدوية والعقاقير المؤثرة على العقل، التابع لوزارة العدل بالولايات المتحدة الأمريكية.
- 7 - ترجم عن الإيطالية كتاب «الساحة المقدسة برأس المنفاخ في صبراتة»، تأليف لويديجي تابوريلي، وذلك بتكليف من مصلحة الآثار في طرابلس، والترجمة مصيرها مجهول.
- وباستثناء الكتاب الأول من هذه المجموعة المتنوعة، لم أجد شيئا فيما حصلت عليه من تركة المؤلف، من الأعمال الستة الأخرى.

ثالثاً: ترجمة الدراسات والأبحاث والمقالات العلمية:

وهي نصوص مهمة، تقارب العشرين نصّاً، يتناول معظمها موضوعات تتعلق بالآثار الليبية والتاريخ الليبي القديم والحديث، كما يتناول بعضها موضوعات متنوعة عن الهويات الإسلامية والطرق الصوفية، وعن الرق، و«محمد والمحمدية»، وعن عقوبة الإعدام، وقانون القصاص، والأسلحة النووية، وميثاق الشباب ... إلخ. وقد نشر أكثرها في عدة مجلات مُحَكَّمة؛ منها: مجلة آثار العرب، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس، وبقي بعضها الآخر دون نشر.

رابعاً: مراجعاته العلمية:

- 1 - مراجعة كتاب عن الماسونية قديماً وحديثاً، للأستاذ إبراهيم حسونة.

- 2 - مراجعة كتاب «أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية» للدكتور عبد الحميد الصيد الزنتاني.
- 3 - مراجعة كتاب «الفكر الاستشراقي» للدكتور محمد الدسوقي.
- 4 - مراجعة كتاب «الإسلام والمسلمون» للأستاذ محمد خليفة.
- 5 - مراجعة كتاب «الإسلام الحق» بالإيطالية للدكتور محمود محمد فرحات الزاوي.
- 6 - مراجعة ترجمة الأستاذ عبد الرحمن العجيلي لكتاب «ليبيا أرض الميعاد» لمؤلفه الإيطالي مالتيزي.

خامساً: دراسات ومقالات متنوعة ومحاضرات عامة:

وهي نصوص علمية تناولت موضوعات مهمة في مجالات السياسة والتاريخ، والأوبئة، والمخدرات والإدمان، وحقوق الطفل، والأقليات الإسلامية، واللغة العربية، وتزييف العملة، ومصادر المياه، وشهداء الصحابة، وبعض الإشارات العلمية في القرآن، وغيرها.

وقد نشرت بعض هذه النصوص في عدة مجلات وصحف محلية، منها: مجلة آثار العرب الصادرة عن مصلحة الآثار، ومجلة البحوث التاريخية في مركز الجهاد، ومجلة الشورى، ومجلة الطفولة، ومجلة الإخاء، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية، ومجلة «لا»، ومجلة الجمارك، وصحيفة الفجر الجديد، وصحيفة الطالب. وشارك ببعضها الآخر في ملتقيات علمية في طرابلس، وأوسلو في النرويج، والقاهرة، وبقي عدد منها مرقونا دون نشر.

هذا وقد ألقى الدكتور التائب محضرات عامة حول تلك الموضوعات في كثير من المناسبات والمنتديات المحلية والخارجية. كذلك فقد شارك في عدة ندوات، منها ندوة صحيفة الشمس التي كانت تصدر عن المؤسسة العامة للصحافة في طرابلس. ففي هذه

الندوة التي عقدت يوم الخميس (27 من فبراير 1997م) تم تقديم الدكتور التائب والتعريف بمؤلفاته وأهم أبحاثه، وأبرز ترجماته ومراجعاته، ثم بدأ الحوار بينه وبين عدد من المهتمين الحاضرين، وردّ على أسئلتهم المتنوعة.

وهذه طائفة من تلك الدراسات والمقالات العلمية:

1 - بحث تحليلي للتنافس التركي الإيراني الحاد على مد النفوذ السياسي والمذهبي والاقتصادي في الجمهوريات الآسيوية الست.

2 - بحث يتناول بطلان دعوى اكتشاف كولومبس لأمریکا.

3 - بحث عن مكافحة التزيف للعملات في العالم، يتناول تاريخ نشأة منظمة الشرطة الدولية (الانتربول) وتطور واجباتها.

4 - بحث اشتمل على ردود على محاضرة ألقاها د. جيو فاني زيقليير حول (الإشارات العلمية في القرآن الكريم).

5 - بحث عن أنماط من كيفية تعليم التاريخ.

6 - بحث عن معسكرات الاعتقال الإيطالية في ليبيا.

7 - بحث عن مشكلة الأقلية المسلمة في بلغاريا.

8 - بحث عن مشكلة الأقلية المسلمة في اليونان.

9 - بحث عن الجهاد البحري على مدى الفترة من أبريل 1751م إلى يناير 1752م، تناول الفرق بين القرصنة واللصوصية البحرية.

10 - بحث عن العرب في كتابات الغربيين.

11 - بحث شامل عن المخدرات والمؤثرات العقلية تحت عنوان «العالم يعلن الحرب على المخدرات»، نشرت في مجلة الهلال الأحمر (الإخاء).

12 - بحث عن الأطفال الذين يولدون مدمني عقاقير مخدرة ومغيبة للعقل.

وختاماً:

فهذه لمحة سريعة نعرّف بها للأجيال الحاضرة والقادمة علما مرموقاً، كان له حضور فاعل، ومشاركات متنوعة جادة، وكان رَحْمَةُ اللَّهِ تعالى واسع الأفق، غزير الثقافة، دؤوبا على البحث والمشاركات العلمية المتنوعة، هادئ الحوار، سمحاً، ودائم الابتسام والبشاشة. كان نموذجاً للمثقف الجامع بين الأصالة والمعاصرة، المعتز بوطنه وأمته، الحريص على هويتها وعلاج أدوائها والنهوض بها.

(1)

أبرز المجالات التي عني بها وقضاياها الفكرية

لا شك في أن التكوين العقلي والنفسي عند الدكتور التائب، وما مر به من ظروف وحوادث ومواقف في حياته، وما وقف عليه في مختلف البيئات الليبية والعربية والأوروبية من مشاهد وتجارب، وما كانت له من علاقات في سنوات الدراسة والعمل والسفر والسياحة والمهام الرسمية والملتقيات العلمية، وكذلك علاقاته بكثير من الشخصيات الدولية والعربية والمحلية؛ لا شك في أنّ ذلك كله هو المكوّن العام لشخصيته وما كان لها من عطاء في مراحل حياته.

واستناداً إلى ما تجمع عندي من آثار خلّفها المرحوم التائب، وجدت أنّه يمكن تصنيف هذه الآثار ونسبتها إلى المجالات الآتية:

- قضايا الأقليات الإسلامية، ولاسيما في مناطق البلقان، وقضايا المسلمين في إفريقيا.

- تعاطي المخدرات والعقاقير المغيبة للعقل.

- الإعاقة البدنية والأمراض.

- الجمعيات اليهودية السرية (الماسونية).
- الاستشراق والتنصير.
- التاريخ الإسلامي بعامّة؛ والليبي بخاصّة.
- الآثار الحضارية.
- قضايا الشباب.
- التربية وحقوق الطفل والمرأة.
- موضوعات أخرى منها اللغة العربية.

(2)

اهتمامه باللغة العربية وغيرته عليها

يعود اهتمام الدكتور التائب باللغة العربية إلى تكوينه العلمي الذي انطلق من كتاتيب القرآن الكريم وتدرّجه في التعليم حتى تتوج بتخرجه في جامعة الأزهر، وما تخلل تلك السنوات من قراءات حرة، وجلوس في حلقات العلم، وحضور للقاءات الأدبية والفكرية المتنوعة في مصر. فتأصل في نفسه عشق البيان العربي، وتذوق جمال أساليبه، وقويت لديه الغيرة على لغته الفصحى والاعتزاز بها، فأضحى لا يصادف مناسبة تتناول اللغة إلا انتهزها مستعرضاً معرفته الواسعة للحديث عن اللغة العربية، وما تواجهه من تحديات داخلية وخارجية، ومدافعاً بجرارة عنها.

ومن بين ما ترك الدكتور التائب بعد وفاته من تركة علمية، وقفت على ورقتين تناولتا جوانب من قضايا لغتنا الفصحى، ألقاهما ضمن ما ألقى من محاضرات ثقافية، شارك بهما في الحركة الثقافية التي عاصرها في بلادنا.

الأولى بعنوان «لغتنا العربية العريقة» (وهو النص الأول المنشور هنا)، وقد ألقاها بتاريخ 12 فبراير 1997م، ثم أعادها في مكان آخر بتاريخ 19 فبراير 1997م. والثانية بعنوان

«أسماء الأعلام المفردة والمركبة عند العرب الأقدمين والمحدثين»، وألقاها بتاريخ 19 سبتمبر 1997م، (وهو النص الثاني المنشور هنا).

وتقديرًا لصلة هاتين الورقتين أو هذين النصين بمشاغل مجمع اللغة العربية وتعلقهما بأهمية هذه اللغة وتاريخها وكثير من المسائل المتفرعة عنها، وتعريفًا للمهتمين بها بشخصية أحد أعلام الحركة الثقافية في بلادنا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهو الدكتور التائب، مُعدّ المحاضرتين، حرصنا على نشرهما في هذه المجلة محققتين قدر الاستطاعة.

وقد ساعدنا وجود نسختين من النص الأول، فاخترنا منهج الجمع بينهما، وأثبتنا الضروري من الفروق بينهما، وقد جعلنا النص في فقرات مستقلة بعد أن كان متواصلًا دون تقسيم، وأخضعنا النص للغربة اللغوية بأنواعها، تحاشياً لما به من مخالقات لغوية هي من قبيل الشائع المتفشي في الكتابة العربية المعاصرة بتأثير لغة الإعلام بمختلف وسائله المعروفة. أمّا النص الآخر، فلم نملك إلا إثباته كما هو، مع تقسيمه فقرات مستقلة، وغربلته لغوياً، وتوضيح بعض معلوماته في الهوامش.

ملاحظات عامة على النصين (الورقتين):

- النص الأول أطول حجماً، وأغزر معلومات، وأكثر تنوعاً في المسائل المعروضة.
- النص الأول امتاز بإسناد معظم معلوماته إلى هوامش توثق مصادرها أو مراجعها؛ وهو الأمر الذي نفتقده في الورقة الأخرى.
- تداخل المسائل العلمية في النص الأول وعدم انتظامها في ترتيب واضح، وهو ما حال دون تبويبها تحت عناوين جزئية، تعين المطالع على متابعة تسلسل الأفكار الرئيسية وفهمها. وواضح أنّ الكاتب المحاضر لم يرتب أفكاره قبل الكتابة، وإنّما كان يسردها بحسب ما يعين على خاطره خلال استرساله في الكتابة.
- الغالب على هذا الكاتب فيما يبدو في معظم كتاباته عدم مراجعة ما يكتب بغرض تنسيق أفكاره وتحاشي تكرارها، أو اكتشاف سهوٍ وقع منه عن غير قصد. وأوضح

مثال على هذا ما نبّهنا إليه في هامش (هـ) من هوامش الورقة (النص / المحاضرة) الأولى؛ إذ خلط الكاتب فيها أي المحاضر بين مؤلفة كتاب باللغة الإنجليزية هي تحية عبد السلام إسماعيل، فقدمها بأنّها «الأستاذ» هكذا، وبين عارض كتابها ودارسه، وهو يحيى الكيلاني مؤلف الكتاب الذي وقف عليه المحاضر واستشهد بكلامه. وهو خلط اضطررنا إلى إصلاحه في متن النص وليس في الهامش، خشية ألا يتنبه إليه المطالع المتعجل، فلا يفهم المقصود من السياق، أو يفهمه على غير سياقه الأصلي الصحيح.

- جنوح الكاتب عن سياق الموضوع وخروجه إلى استطرادات، تؤدي، على الرغم من طرافتها وقيمتها العلمية، إلى شرود ذهن المتلقي عن صلب الموضوع وسياقه الطبيعي.
- ميل الكاتب أحياناً إلى الأسلوب الإنشائي الذاتي، وهو ما شوّش على السياق الموضوعي المحايد للأفكار.

- سوق بيانات أحياناً دون عزو إلى مرجعياتها.
- وجود تغييرات وزيادات بين نص المحاضرتين (النص الأول)، قمنا بإثباتها في هوامش التحقيق والتوضيح.

- اضطررنا إلى استخدام الأرقام العربية الهندية في الإحالة إلى هوامش التحقيق والتوضيح في النص الأول، تمييزاً لها عن أرقام هوامش النص التي أثبتتها الكاتب نفسه، وهي الأرقام العربية الغبارية.



النص الأول

لغتنا العربية العريقة

محاضرة⁽¹⁾

للدكتور محمود علي التائب

منذ مخالطة العرب لمن دخل الإسلام من غير الناطقين بالعربية، وتبينهم لما لحق باللسان العربي من تشويه، عملوا على وضع قواعد تقوّم ما اعوجّج من نطق من لم يرث اللسان العربي من أهله، وأسماوا العلم الشامل لتلك القواعد بالنحو. ولم يمض زمن طويل حتى شاعت علوم اللغة الأخرى من منطق وبيان وبديع. واجتهد من تابع من النحاة أبا الأسود الدؤلي في تفعيد قواعد علم النحو في التنبيه على ما يشوب اللفظ العربي من لبس قد يوجه ذهن السامع إلى فهم مخالف لما يريده المتكلم، وشدّدوا على حتمية تجنب ما يسبّب اللبس، حرصاً منهم على سلامة وصول المعنى المقصود إلى السامع، وتنزيهاً للناطق عن الخطأ والخلط، فنادوا بأنّ اللبس محذور.

وعندما نتعرض في هذه المحاضرة إلى مضار اللبس، فليس ذلك تطلعاً إلى الترف اللغوي الذي عالج أمره أبو هلال العسكري مبيناً في كتابه (الفروق في اللغة) بين التوبة والاعتذار وبين الندم والتوبة وبين التأسف والندم، وكثير غيرها من المفردات المتباينة المعاني التي يعيب العسكري خطأ استخدامها للتعبير عن معنى واحد.

أمّا اللبس وإن تعرضت له أمهات كتب علوم اللغة، فإنّ أفضل من طرح قضيته - في رأبي - هو الحافظ جلال الدين السيوطي في الفصل الذي عقده في كتابه

(1) [محاضرة ألقاها الدكتور محمود علي التائب بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية يوم (19-02-1997م). وورد في نسخة أخرى من هذه المحاضرة أنها أُلقيت في مكان آخر يوم (12 . 2 . 1997م). وتلاحظ بين النسختين فروق يسيرة في الصياغة في مواضع قليلة. وقد روجع نص المحاضرة لغوياً قبل نشره في مجلة المجمع هذه، واقتضى الأمر تجاهل بعض الفروق التي لا تغيّر المعنى المقصود منها، والتصرف الطفيف لغوياً في بعض الألفاظ .]

(الأشباه والنظائر) بعنوان «اللبس محذور»؛ لأنّ اللغة هي الأداة التي يتم بها التفاهم بين الناس في جميع شؤون حياتهم الفكرية والثقافية والمعيشية، وأي لبس يشوب ذلك التفاهم يعيب فصاحة العربية التي تتميز بها، ويسيء إلى عراققتها، إذ تُعدّ من أقدم اللغات التي لا تزال وسيلة للتخاطب بين ملايين البشر، كما أنّها الوعاء العظيم لجميع علوم الحضارة العربية الإسلامية.

والعربية هي لغة علماء تلك الحضارة العرب عرقاً ولساناً وثقافة، كما هي لغة عربي الثقافة من علمائها غير العرب المسلمين منهم وغير المسلمين، وهي لغة تنسب تعسفاً إلى ما أسموه اصطناعاً «أسرة اللغات السامية»⁽¹⁾، التي ضمّنها السومرية والآشورية والبابلية والسُريانية والآرامية والعبرية والحمرية والحبشية والعربية بلهجتها الكنعانية التي سُمّيت بالفينيقية تمييزاً للناطقين بها في الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية. هذه اللغات المختلفة فيما بينها اختلافاً بيّناً من حيث الفصاحة والرقى ودقّة التعبير، انبثقت في عصور متباعدة متتالية من لغة أم واحدة؛ أقدمها السومرية التي ترجع إلى أوائل الألف الثالث ق.م.

أمّا العربية التي بلغت من الإحكام منزلة عالية في القرن الثالث بعده، فالراجح أنّه لم يعرف حتى الآن تاريخٌ محدّد لقيامها لغة مستقلة؛ لعدم توفر وثائق خطية أو نقشية توثق ذلك. فأقدم ما بأيدينا من وثائق تمثل تسجيل وقائع حرب قامت فيما بين سنتي 745 / 727 ق.م. بين ملك أشور وحلف الاثني عشر ملكاً، أحدهم جُنديبو ملك عربيّ أي: جُنْدب ملك العرب، إذ عثر لأول مرة على لفظ (عربي) أو (عرب) أو (عربي)⁽²⁾ في هذه الوثيقة التسجيلية التاريخية، لكن المرحوم جواد علي يقول: «إنّ أول إشارة إلى العرب

(1) ما من أصلٍ تاريخيٍّ موثّق علمياً لتسمية اللغة العربية وأخواتها باللغات السامية، بل هي أسطورة توراتية، اقتبسها العالم اللغوي الألماني «شلوسير Schloser»؛ فكان أول من وضع هذا المصطلح وأول من استعمله في بحث له نشره سنة 1781م. وعلى الرغم من عدم وجود أساسٍ علميٍّ لمصطلحات: سامي وحامي ويافني (آري)، شاع إطلاق الأول على شعوب أثبت البحث العلمي تقارب أصول لغاتهم قرابة لا شك فيها.

(2) Musil, Deserta p.477 Musil Hegaz p.287

وردت صراحة في وثيقة نصوص تتحدث عن معركة قَرَّرَ التي وقعت حوالي سنة 853 «ق.م»⁽¹⁾، أي أقدم من الحرب بين آشور والحلف المعادي له (كذا) ب108 سنين».

ويسود المؤرخين اعتقادٌ مؤدَّاه أنَّ حرماننا من الوثائق يرجع إلى تقاعسنا عن تنقيبٍ جادٍّ عنها، أمَّا أقدم نصوص عربية معروفة تتحدث عن تاريخ نشأة لغتنا اليوم، فقد أرجعها علماء الآثار إلى الحقب الممتدة من أوائل القرن الميلادي الثالث إلى ظهور الإسلام. وهي نصوص عرفناها باسم الحكم والأمثال الجاهلية مبلورة في شعر جاهلي حفظ لنا لغة عرب تلك الحقب، اتَّخذت معياراً لبلاغة شعرنا العربي، ويُستشهد بها على سلامة لغتنا نحويًّا منذ زمن الدُولي حتى اليوم. وأجمع مدققو تلك النصوص الجاهلية على أنَّ العربية هي لغة نصوص كاملة مهذَّبة، ذات نحو متسقٍ وصرفٍ منتظمٍ وقواعدَ عروضيةٍ شعريةٍ راقية. وقد مرَّت اللغة العربية بأطوارٍ استغرقت قرونًا تَمَّ خلالها استوائُها حتى أضحت لها الريادة بين لغات العالم بوصفها اللغة الوحيدة التي احتفظت ولا تزال تحتفظ بمعظم صيغها اللفظية والتركيبية، ووصلت إلى الكمال الذي نجده في الشعر الجاهلي. وهو تطور سهَّل على العرب فهم القرآن المنزل بلسانٍ عربي، تحدَّى مُنزلُه تعالى فصحاء العرب أن يأتوا بمثله، ولا يزال تحديه قائماً منذ أربعة عشر قرناً، بل صار القرآن هو الحافظ لتماسك اللغة العربية ضدَّ رياح التغيير الطبيعية والرياح التي يصطنعها من يسوؤهم خلودُها.

واللسان العربي في مجموعه ينشطر إلى لغةٍ جنوبية يتكلمها سكان اليمن وما حوله⁽²⁾، ولغةٍ شمالية يتكلمها قاطنو شبه الجزيرة العربية، من شمال اليمن حتى الهلال الخطيب⁽³⁾، إلا أنَّ اللغة العربية المتكلمة في اليمن وما حوله انتقلت - فيما يقول بعض المؤرخين⁽⁴⁾ إلى

(1) طلس، د. محمد أسعد طلس : «تاريخ العرب» المجلد الأول ص 46.

(2) Dizionario di Cognizioni Utili. P.126

(3) المصدر نفسه.

(4) سعدي، عثمان: «عروبة الجزائر عبر التاريخ»، دراسة له في الأصول العربية لبربر الشمال الإفريقي، تناولت قضية اللغة البربرية وأصولها العربية، مستشهداً بأقوال مشاهير علماء اللغات.

كامل الشمال الإفريقي مع حملة جيشٍ يمني يقوده «إفريقش صيغري»⁽¹⁾ أحد ملوك تبّع، أنزلها على ساحل المنطقة الواقعة إلى الغرب من مصر، وواصل زحفه حتى المغرب، دعمتها في القرون التالية هجرات يمنية مَعِينِيَّة، انتقلت عن طريق آكسوم متجهة نحو ليبيا في الشمال. وامتزج أفراد ذلك الجيش ومن لحق بهم من اليمنيين بالسكان المحليين، ونتج عن معاشرتهم لإفريقيات شمال القارة زواجاً وتسرياً واسترقاقاً، أجيالٌ يمنية إفريقية اختلطت في شرايين أفرادها دماء يمنية بدماء السكان الأصليين حتى تعذر بمرور القرون تمييز ابن البلد القديم من ابن البلد الجديد. وفي ليبيا بالذات أدّى تمازج قدماء الليبيين من أبناء قبائل التمحو والتحنو والريبو (أو الليبو) والبيكالي والأسخيزي والمشواش والنيسامون والمكاي والقرمانت باليمنيين الحاليين بينهم إلى نشوء أجيالٍ مختلطة غلبت عروبته دماء ولغة وعادات على ما كان لهم منها قبل وصول جيش «إفريقش». فلما قدم الكنعانيون المتسمّون بالفينيقيين من لبنان وجدوا سلاطات عربية من بقايا ذريات اليمنيين، فامتزجوا سريعاً بهم لسهولة التفاهم اللغوي بين القادم والمقيم، إذ إنّ جذور لهجة السابقين من اليمنيين وجذور لهجة التجار الفينيقيين القادمين واحدة. وكان ذلك التمازج من العوامل التي سهّلت نشر اللهجة العربية التي يتكلمها فينيقيو سواحل الشمال الإفريقي المنبثّون من الحافة الشرقية لصحراء غرب وادي النيل حتى بحر الظلمات غرباً. وكان امتزاج العرب اليمنيين والكنعانيين بأبناء الشمال الإفريقي الأصليين من القوة بحيث أثمر أجيالاً اختلطت دماؤها ولهجاتها وسحناتها؛ حتى أسماهم معاصروهم من مؤرخي الإغريق بـ«الليبوفينيقيين». وأكبر شاهد على انتشار اللهجة الفينيقية تسميتهم لما أنشأوه من مدن في الشمال الإفريقي بأسماء: حضر موت (سوسه الحالية بتونس) وجبيل وصور وصيدا، وكثير غيرها من المدن التي محاها الإهمال فطواها الزمن.

(1) يذكر قدماء المؤرخين أنّ اسم قارة إفريقيا مأخوذ من اسم هذا الملك اليمني التَّبَعِي الذي غزا شمال تلك القارة، ولا زالت سلاطات جيشه العربي التي عرفها الرومان باسم Berberi تعيش فيه منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة. وهذه التسمية الرومانية لا علاقة لها بصفة Barbaro وإن أشبهتها حروفاً، وتعني باللاتينية «متوحشاً». (المحاضر).

اللغة العربية الجنوبية عرّفها اللغويون من طريق العديد من النقوش المكتوبة بلهجتيها اليمنية والسبئية التي وجدوها في وثائق أحفورية عديدة، اشتهرت بتسجيلات (مينيو Mineo وسيبو Sebeo)⁽¹⁾. وينتمي أحدث تلك التسجيلات إلى القرن الميلادي السادس. ومع الفتح الإسلامي حلّت اللغة العربية الشمالية محل اللغة العربية الجنوبية المشتهرة تاريخياً باليمنية⁽²⁾ حتى لم يعد يوجد في جنوب الجزيرة العربية من يتكلم اليمنية والسبئية إلا من استوطن أطراف اليمن أو جزره كجزيرة سقطرى، وأرخبيل حنيش، أو في مناطق بعيدة عنه، كالشمال الإفريقي، من منخفض العلمين غرب الإسكندرية حتى المحيط، وسنقصر حديثنا على مناطق (ليبيا) التي لا يزال بعض مواطنيها يتحدثون اللغة الأمازيغية، وأشهر مناطقهم في جنوبها الشرقي واحة أوجلة الليبية، واحة سيوة المصرية اللتان استقبلتا الجاليات المعينة القادمة من طريق الحبشة في أواخر القرن التاسع ق.م. ومن أقوى الأدلة على استيطان قبائل يمنية شرق ليبيا قبل الفتح الإسلامي وبعده، إطلاقهم أسماء مدن ومواقع يمنية على ما يشبهها في برقة، من أشهرها القيقب وخولان والعزيات والمخيلي وسلوق، بل سمّوا صبراتة - المدينة الساحلية في شمال غرب ليبيا - ب «سابراتو Sabratho»، وهو أحد أسماء مدينة شبوة اليمنية⁽³⁾، ولا يزال سكان أوجلة وسيوة يتكلمون اللهجة الأمازيغية نفسها التي تتكلمها السلالات المتحدّرة من جيش «إفريقش» اليميني في غرب (ليبيا). ولا تزال لهجة بادية المناطق الشرقية فيها، الغربية المصرية أقرب إلى لهجة سكان مناطق «المهرة والشحر» وجزيرة «سقطرى» وباقي الجزر اليمنية⁽⁴⁾. أمّا مناطق غرب ليبيا التي يتكلم بعض قاطنيها الأمازيغية، فتبتدئ من زوارة شمالاً وتمتدّ جنوباً

(1) Dizionario Cognizioni Utilip.268

(2) المصدر نفسه، ص 126.

(3) طلس د. أسعد طلس، نفس المصدر، م1، ص 64.

(4) * [ورد في النسخة الأولى للملقة يوم 12 . 02 . 1997م زيادة لم ترد في النسخة الأخرى، ونصها: «وتشد لهجة أولئك البوادي عن لهجة اليمنيين في نطق الجيم». فبينما ينطقه بعض اليمنيين نطق سكان القاهرة له، فإنه في شرق ليبيا والصحراء الغربية المصرية ينطقونه جيما معظشة، أما القاف فينطقه عرب ليبيا واليمن كما ينطق في الصعيد ولا ينطقونه همزة .]

حتى واحة غدامس⁽¹⁾، إلا أنّ ما حدث لَلاتينية عندما تفرّعت عنها لهجاتٌ صارت لغاتٍ، حدث للآمازيغية القديمة فتفرّعت عنها لهجاتٌ أخذت تبتعد عن الآمازيغية الأم بما دخلها من ألفاظ من لغات من اختلطوا بالمتكلمين بها من أعراقٍ عربية وزنجية وأوربية، حتى تكاد تصير لغات مستقلة كالقبائلية في المغرب، والشاوية في الجزائر، والتفيناغية المتكلمة في سوكنة، التي يعيدها بعضهم إلى الجرمانتية. والطوارقية التي يتكلمها الطوارق الرحل المستوطنون للمناطق الممتدة من جنوب موريتانيا غرباً حتى منطقة واو الناموس في جنوب غرب ليبيا شرقاً. وعلمت من الأستاذ عمورة محمد الباروني⁽²⁾ أنّه اشترى قاموساً أيتروسكياً إيطالياً، فوجد أنّ الكلمات الأيتروسكية ليست غريبة تماماً عن أذنه، وسأل عنها أحد معارفه المجيدين للآمازيغية، فلما ترجم له معاني بعض ألفاظ القاموس الأيتروسكية فوجئ بأنّ معانيها مطابقة لمعانيها في النص الإيطالي الوارد في ذلك القاموس، فاستنتج أنّ أيتروسكي إيطاليا ما هم إلا مهاجرون من الشمال الإفريقي، علماً بأنّ الأيتروسكيين هم سكان جزء الشاطيء الإيطالي فيما بين روما وجينوا قبل اللاتين، وقد نجد سنداً لهذا الاستنتاج في بحثٍ بعنوان «السطور الأولى في التاريخ» لأستاذ اللغات القديمة سيلفانو دانييلي الذي ذكر أنّ الأيتروسكيين يكتبون من اليمن إلى الشمال على خلاف ما يكتب الغربيون. ويقول أستاذنا د. فؤاد الكعباري: إنّ الأبجدية المنقوشة على دواة حبر تظهر صورتها ضمن بحث الأستاذ دانييلي، هي حروف أبجدية أيتروسكية دون شك، غير أنّ تكور الدواة لم يمكن من القطع باتجاه كتابتها من اليمين إلى الشمال أم لا، وبالمناسبة لا يفوتني أن أذكر مستمعي بجهود الدكتور علي فهمي خشيم في بحوثه الثرة حول الآمازيغية⁽³⁾.

(1) [عبارة النسخة الأولى هي: «امتد حتى جنوب الجبل الغربي»].

(2) [هكذا في النسخة الأخيرة بتاريخ 19. 2. 1997م، ويبدو أنه سهو، وصوابه: عمر محمد الباروني (1919 - 1999م) أحد أعلام الترجمة عن الإيطالية، وقد كان له إسهام متميز فيما نشره (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية) من آثار مترجمة].

(3) [فقرة «وعلمت من الأستاذ عمورة حول الآمازيغية» هي زيادة أضافها المحاضر إلى النسخة الأخيرة، ولا توجد في النسخة الأولى].

والمطلع على تاريخ نشأة اللغات لا يشك أبداً في أنَّ العربية الفصحى هي من أقدم اللغات المتكلمة اليوم، إن لم تكن أقدمها، فقد تحدّث الأستاذ «يحيى الكيلاني» في كتابه «اللغة العربية الفصحى»⁽¹⁾، عن كتابٍ لباحثة «عربية» هي الدكتورة تحية عبد العزيز إسماعيل، لم يذكر اسمها⁽²⁾، قضت عشر سنين في تأليفه، جمعت فيه العديد من مفردات انكليزية قريبة من مفرداتٍ عربية وتحرّرت فيه أصولها. ويقول الأستاذ يحيى الكيلاني في عرض له للكتاب: إنّ الباحثة توصلت إلى أنَّ اللغة العربية هي (جدة) اللغة «الهندية الأوروبية»، وأنّها أصل الكلام⁽³⁾. وعن اللغة العربية يقول مؤرخ اللغات المستشرق الإيطالي إيتالو بيتسي: إنّها اللغة الأقوى إحكاماً والأكثر ثراءً بالمفردات؛ حتى إنّ لا يوجد قاموس واحد مهما كان حجمه يستطيع أن يباهي باشماله على جميع ألفاظ اللغة العربية. ويقول «بيتسي» أنّ العربية احتفظت بالصيغ النحوية الأشدّ قدماً بين أنواع نحو اللغات. ويقول عنها عند ترجمته للغزالي: إنّهُ عالمٌ فارسي ألف بالعربية لغة العلم والعلماء في المشرق آنذاك⁽⁴⁾. أمّا جوفيليه كاستيلو فقال: «قبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون على مشعل

(1) تحية، أ. عبد العزيز إسماعيل، «اللغة العربية الفصحى هي (جدة) اللغات الهند / أوروبية وهي أصل الكلام». ونص اسم الكتاب بالإنكليزية هو Classic Arabic: The Ancestors of Indo-European Languages, and Origin of Speech.

(2) * [النص في النسختين هو: «فقد تحدّث الأستاذ تحية عبد العزيز إسماعيل في كتابه اللغة العربية الفصحى عن مؤلف لباحثة إنكليزية لم يذكر اسمها». وخشية أن يقرأ هذا النصّ المضطرب قارئ دون أن يستأنس بهذا الهامش المهم، اضطررنا إلى تصحيح المتن، ليستقيم المعنى ويتضح الصواب. والحق أنّ الكتاب المشار إليه في هذا السياق هو كتاب «اللغة العربية الفصحى جدة (أم) اللغات الهندية الأوروبية وأصل الكلام»، لمؤلفة عربية مسلمة هي الدكتورة تحية عبد العزيز إسماعيل، متخصصة في العلوم اللغوية والألمانية القديمة، وكان من منشورات دار ثقيف سنة 1993م. ويمكن لمن أراد الاستزادة عنه مراجعة عدة مواقع على الانترنت. أمّا كتاب «اللغة العربية الفصحى»، الذي رجع إليه المحاضر واستشهد به هنا، فهو لمؤلفه يحيى الكيلاني، وقد ذكره بعد عدة أسطر من السياق المشار إليه.

(3) الكيلاني، يحيى: عرض وتحليل الكتاب المذكور في الهامش السابق.

(4) pizza مستشرق وعالم لغات إيطالي، شهد بأنّ العربية الفصحى هي أكثر اللغات مفردات وأقواها إحكاماً، وألف في أواخر القرن الماضي [التاسع عشر] كتاب (الإسلاميات)، وأردفه سنة 1903 بكتاب (تاريخ الأدب العربي)، كما أفادني الأستاذ فؤاد الكعبازي الذي لم أجد من نبأ عن عالم التاريخ هذا إلا عنده.

النور العقلي وتمثلوا - في لغة عربية سلسلة - جميع المعارف البشرية القائمة على التجريب في الكيمياء والفلك والطب والعلوم الروحية، فأصبحوا سادة فكر مبدعين ومخترعين، لا بالمعنى المتعارف عليه بين سطحي الثقافة⁽¹⁾، بل بما أحرزوه من أساليب العلم التي استخدموها بقرينة وقادة⁽²⁾.

وعرف علماء اللغات تاريخ اللغة العربية الشمالية في مراحلها القديمة عبر دراسة تسجيلاتٍ نقشية (جرافيتية) عُثر عليها بين دمشق والحجاز، وهي تسجيلاتٌ آرامية الحروف، تندرج كلها تحت ثلاثة أنواعٍ من النقوش: سَنَطي، وليبياني، وشمودي. وأقدم تلك النقوش هو ما عثر عليه قرب دمشق، إذ تعود إلى الثلث الأول من القرن الرابع الميلادي، وبعضها يرجع بالتحديد إلى سنة 328 منه، تلتها الفترة المعروفة بفترة اللهجة العربية الشمالية ذات الثراء الشعري المعروفة تاريخياً بفترة الجاهلية، أو بفترة المعلّقات، ويعرفها المؤرخون الإسلاميون بـ «الفترة اللغوية السائدة قبيل ظهور الإسلام» التي بلغت فيها اللهجة الشمالية درجة سامية جداً من الثراء اللفظي ومن الرقة والعذوبة ودقة الأداء. ومن العوامل التي جعلت اللغة العربية الشمالية تصبح إحدى أكثر لغات العالم ذيوعاً بين الناس إنزاله جَلَّ وَعَلَا القرآن الكريم باللغة العربية، ووصفه تعالى لها بقوله «وهذا لسان عربي مبين». وبعد الفتح دفع هذا اللسان باللغات المُتَكَمِّمة فيما فتح المسلمون من أراضٍ إلى ما وراء حدود تلك الأراضي، وحلّت اللغة العربية بالتدريج محلّ اللغات الأخرى في الهلال الخصيب والشمال الإفريقي بما فيه مصر، إذ أخذ لسان الفاتحين العرب يشيع بين جميع سكان الأراضي المفتوحة محوّلًا لغاتهم إلى لغاتٍ مركّبةٍ من كلماتٍ عربيةٍ محرّفةٍ النطق تشتمل على مفرداتٍ من لغات التخاطب المتوارثة بين أولئك السكان، بعد أن كثرت فيها المفردات العربية إلى حدٍّ يجعلها غير مفهومة لو حذفت منها تلك المفردات. وبمرور الزمن صارت اللغة العربية الشمالية ولهجاتها هي اللغة الغالبة على ألسنة الأجيال المتعاقبة

(1) * [في النسخة الأولى: «لا بالمعنى المعروف» فقط].

(2) السني، علي صالح، محاضرة بعنوان «العربية لغة القرآن».

في الأراضي الإسلامية الممتدة من طنجة إلى جبال طوروس، ومن نبال السودان إلى مصب النيل⁽¹⁾. ومع الزمن صارت عامياتها لغات الأكثرية المطلقة للسكان كما هو الحال في زماننا، وبقيت العربية الفصحى لغة للمثقفين، أتقنها الكثير منهم إلى درجة الإبداع فيها نثراً وشعراً. وتكرّر ذلك فيما فتحه المسلمون من البلاد الإفريقية والآسيوية والأوروبية⁽²⁾، فحلّت العربية محل السريانية في سوريا والقبطية في مصر، مع أنّ تينك اللغتين كانتا لغتي العبادات والدواوين في كلا البلدين، كما حلّت في الأندلس والبرتغال وأجزاء من فرنسا وفي كبريات جزر البحر المتوسط محل ما كان سائداً فيها من لغات⁽³⁾، ولكن لم تحلل العربية في أرض فارس محل الفارسية حلولاً كاملاً، بل لم تزد الألفاظ العربية فيها عن ثلاثين في المئة من كلماتها المتكلم بها اليوم. أمّا نسبتها في اللغات الإفريقية فتصل في الحوصا (الهاوسا) إلى 80% وإن أخفت رداءة النطق بعضها⁽⁴⁾، وفي الفولفولدي والسواحيلي والفولاني والأمهري والصومالي والأريتري إلى ما يربو عن الثلث على تفاوتٍ في نسبتها في كل لغةٍ منها. أمّا في التركية فقد جاوزت العربية ثلثي ألفاظها، وإن شوّه النطق الأعجمي بعضها، أمّا استبدال الكمالين⁽⁵⁾ بعضاً آخر منها بألفاظ فرنسية وألمانية منذ سنة 1928، فقد حدّ قليلاً من غلبة الألفاظ العربية على الألفاظ التركية الطورانية. وتكثر الألفاظ العربية في (الأوردية)، ومعظمها ألفاظٌ فقهية إسلامية يخالط نطقها عجمة موروثة. أمّا نسبتها في لغات قبائل المناطق الإفريقية التي صعب الوصول إليها على التجار العرب - وهم حملة اللغة العربية والعقيدة الإسلامية سلماً إلى الإفريقيين - فيرتفع منسوبها في لغات بعضها كالكاميروني

(1) * [لم ترد عبارة «الممتدة من طنجة إلى جبال طوروس، ومن نبال السودان إلى مصب النيل» في النسخة الأولى من المحاضرة].

(2) * [لم ترد كلمة «والأوروبية» في النسخة الأولى من المحاضرة].

(3) * [لم ترد عبارة «كما حلّت في الأندلس والبرتغال وأجزاء من فرنسا وفي كبريات جزر البحر المتوسط محل ما كان سائداً فيها من لغات»، في النسخة الأولى من المحاضرة].

(4) مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية ص 53 العدد 11 لسنة 1994.

(5) هم أتباع مصطفى كمال الشهير بأتاتوك الذي ألغى الخلافة سنة 1924، وفصل الدين عن الدولة، وفي سنة 1928 استبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية، فأقام بذلك حاجزاً بين التركي الحديث وتراثه الإسلامي القديم.

والولوف والبمبرا إلى ما يقارب الثلث، على تفاوتٍ أيضاً في ذلك المنسوب، وقد يقتصر في بعض الآخر على كلماتٍ متناثرة كما هو الحال في لغات الأشانتي والإيبو والسانقو واللنقلا والقوران والكُونانبو والصولا وغيرها من القبائل التي يقلُّ عدد المسلمين بين متكلميها⁽¹⁾.

لا مشاحة في أنّ التعليم هو أساس كل نهضة، ولن نتعلم تعليماً مفيداً يصلح لحياتنا اليومية إلا بلغتنا القومية. ونحن وإن دعونا إلى تعليم الفصحى المسهلة قليلاً للحن في كتابة وقراءة من لم يُحيط بجانبٍ معقولٍ من النحو بخاصة وعلوم اللغة بعامة، فإننا باقون على يقيننا من أنّ التمكّن من ناصية العربية الفصحى والاستعمال السليم لها هما اللذان سيمكّننا من الوصول بشبابنا إلى مستوى جيّد من فهم فصيح اللغة، فهماً يقيهم تقبُّل المضلّ من الأفكار الوافدة، ولن يكون تعلُّمنا العلم باللغات الأجنبية (على أهميته البالغة) - إذ هو الوسيلة الفريدة لاطلاعنا على ما يستجدُّ من تقدُّمهم العلمي⁽²⁾ - سوى رافدٍ لثقافتنا العربية، أمّا الاقتصار على الثقافة الأجنبية لغةً ومضموناً كعلوم التقنية العالية مثلاً، فلن تفيد صاحبها إلا في مجالات تخصصه لبعدها عن اهتمام الكثرة من المواطنين التي لن تستفيد من أيّة تقنيةٍ إلا إذا نُقلت إلى لغة الأمة، مع تسليمنا بأنّ الاستفادة من ترجمة التقنية إلى العربية تتطلب خلفيّة ثقافية شعبية عميقة لا أدعي أنّها احتلت مساحةً واسعة من الوطن العربي الكبير، وما بلُغتنا القومية من قصور، بل القصور في طريقة تعلُّمنا لها؛ حيث يجتهد بعضنا في تجميدها في قوالب مّيّنة، ويقلّد بعضنا الآخر - دون وعيٍ بما يفعل - أعداء الفصحى الذين عمدوا إلى استجاشة العبث بمفاهيمها الموروثة سعيّاً منهم إلى تغيير مدلولات ألفاظها لينحرفوا بها عما قصده العرب من ورائها من معانٍ، طمعاً منهم في أن تتقبّل الأجيال القادمة ما أدخلوا على معاني الكلمات العربية من تحريف. وقد اجتهدوا - تحقيقاً لهذه الغاية - في نشر محرّفاتهم مستغلين وسائل الإعلام الحديث، ولكن خاب

(1) التائب، د. محمود علي: «الرق عند غير المسلمين والرق عند المسلمين»، مخطوط.

(2) * [لم ترد عبارة «إذ هو الوسيلة الفريدة لاطلاعنا على ما يستجدُّ من تقدُّمهم العلمي» في النسخة الأولى من المحاضرة].

فألهم، فالعربية لها دورٌ مستمر التنامي منذ أن تُكَلِّم بها منذ آلاف السنين، وكانت لغة أوائل أجداد الأمة العربية الذين عاشوا قبل ما يزيد على أربعة آلاف سنة، واشتهر أولئك الأجداد عند مؤرخي مختلف العصور بالعرب العاربة، مبتدعي اللسان العربي الذي كان أساس نشوء أمة العرب، وهم أمة لم يُعرف لهم اسم غير «اسم عرب»، كما لم يُعرف اسم لشبه جزيرتهم التي سكنوها منذ خُلقت وخُلِقوا غير اسم «الجزيرة العربية»، ولغتها العربية هي اللسان الذي استمر لساناً لجميع قبائل أمة العرب العاربة؛ ومنها عاد وثمود ومعين وسبأ والعمالقة وطسم وجديس وأميم وعبيل وجُرهم وحضورا. وعنها يقول ابن خلدون: «لما كان (العرب العاربة) - فيما يعلم - هم أقدم الأمم جيلاً، كانت اللغة العربية فيهم بالأصالة⁽¹⁾ فتسمّوا بهذا الاسم المشتق من الإبانة»، وورث جيل العرب العاربة جيل المستعربة وهم القبائل اليمنية من (حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم) الذين صاروا عرباً لغة، وكان جيل قحطان أب اليمن كلها أول جيلٍ من أجيالهم تكلم العربية⁽²⁾، بعد أن أخذها عن العرب العاربة، أي أن المستعربة صاروا عربيي اللغة باتخاذهم لغة العرب لغة قومية لهم، ولم يكن ذلك بالصعب عليهم لما بين قحطاني اليمن من صلة نسبٍ قوية بالمصريين سكان المناطق الواقعة إلى الشمال من اليمن. وعلى الرغم من دور هذه القرابة، فابن خلدون يرى أنَّ اللغة العربية هي الأساس في انتساب القحطانيين إلى أمة العرب، كما يرى أنَّ ذرية إسماعيل ويسمّيهم «العرب التابعة للعرب»⁽³⁾ يشكلون الجيل الثالث، لأنَّ إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك ابنه إسماعيل وأمه بجوار الحجر فترَبَّى رضيعاً في قبيلة جُرهم وتكلم لغتهم العربية فصار إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عربي اللسان، وتزوج جُرهميّة وتكاثر نسلهما حتى صار جيلاً منفرداً لحمته وسداه من «ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعك ونزار وعدنان وسائر ولد إسماعيل».

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2 ص 46 وص 47.

(2) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص 79 وص 80.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 2 ص 26 وص 311.

ويترسم ابن خلدون حُطَى الجاحظ في أخذه بالمفهوم الإسلامي القائل بأنّ اللغة العربية هي أساس العروبة، وهي نظرة إسلامية الأصل مستمدّة من القرآن والسنة، إذ يقول الله تعالى (وهذا لسان عربي مبين)، وجاء في الحديث «أيها الناس: إنّ الربّ واحدٌ والأبّ واحدٌ، وليست العربية بأحدكم من أبٍّ وأمٍّ؛ وإنما العربية للسان، فمن تكلم العربية فهو عربي»⁽¹⁾. ومن الحق أن نقول إنّّه في محاذاة العربية الفصحى، لغة التخاطب اليومي بين العرب، ووسيلة التفاخر والتكاثر بينهم ولغة⁽²⁾، قرص الشعر ونظم الحدا، وُجِدَت لهجات عدّة في كل حي، وكل منها فصيح عند أهله⁽³⁾، ولكل منها مميزات خاصّة اشتهرت بها، كعننة تميم، وتلتلة بهراء، وكسكسة ربيعة، وكشكشة هوازن⁽⁴⁾ وغيرها لهجات كثر⁽⁵⁾، لا نعلم عنها إلا القليل⁽⁶⁾.

أمّا لهجات مختلف القبائل والأقاليم العربية والإسلامية التي صاحبت الفصحى منذ تكاثر العجم في الدولة العباسية، فلا نعلم عنها شيئاً يذكر. ومع ذلك فتلك اللهجات هي أمّهات أو جدّات ما يُتكلّم به اليوم من لهجاتٍ عربية في مختلف الأقطار العربية المعاصرة. ويرجع ضمور تلك اللهجات وقصورها الفاضح وفقرها في المفردات، إلى انحدار مستوى الحضارة العربية وانتشار الأمية الألفبائية والأمية التقنية بين أبناء الأمة. وهما أُميتان أغنتا العرب عن تجشم مشقة ابتكار أسماء جديدة بعد أن كفّوا عن الاختراع؛ فخفّ ازدحام الأفكار العلمية في أدمغتهم حتى تلاشي، وانعدمت حاجتهم إلى وضع أسماء لمخترعاتٍ لم تعد لهم على بال، وجزى الله الشاعر حافظ إبراهيم عن اللغة العربية الفصحى خير الجزاء. وهكذا فاللغة العربية التي أقام مبتدعوها دولة كانت بدّعا في تاريخ البشرية،

(1) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ص 189.

(2) * [لم ترد عبارة «اليومي بين العرب، ووسيلة التفاخر والتكاثر بينهم ولغة» في النسخة الأولى من المحاضرة].

(3) * [لم ترد عبارة «وكل منها فصيح عند أهله» في النسخة الأخيرة من المحاضرة].

(4) السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها ج 1 ص 211.

(5) الجندي، د. أحمد علم الدين، «اللهجات العربية في التراث».

(6) * [لم ترد عبارة «لا نعلم عنها إلا القليل» في النسخة الأخيرة من المحاضرة].

إلى أن عمل على تقويضها متعصبو محوس الفرس، وتسابق على الإجهاز عليها الصليبيون من الغرب والتتار من الشرق، وأعلن قرب موتها احتضار الحضارة العربية على أيدي بنيتها بعد أن أدّى بهم الخمول إلى إهمال كنوز اللغة والمكتبة العربية حتى جهلوا أنّ أمة اللغة العربية ظلّت تحمل وحدها في العالم عبء الحضارة والثقافة والفكر طيلة عشرة قرون.

هل من سبيلٍ إلى عودة لغةٍ عربيةٍ سليمةٍ تعين المسلمين على استرداد ما كان لأجدادهم من ثقافة وحضارة أهلّتهم لتسنّم مجدٍ مؤثّلٍ هم له أهل؟ وهل من صالحنا حضارياً وثقافياً؟ بعد أن أجمع من يُعتدُّ بقولهم من علماء الاجتماع على أنّ اللغة الأصلية هي العامل الأول في تكوين قومية أيّة مجموعة بشر يشتركون لغة ومصيراً، أن نهجر لغة كتاب الله إلى لغة تعابيرها وكلماتها عامية، هي أقصى ما يحسنه الراطن أو الكاتب بها؟⁽¹⁾.

من هذا نتبين أنّ اللغة عامل بالغ القوة، ما لم يرض أبنائها بتمكين أعدائها من إضعاف ما صلّب من عودها، فإن فعلوا فستكون عاقبة استهانتهم بسلامة لغتهم التردّي الفكري والتخلف الحضاري، وهما ما يعانيه معظم أفراد أمة لغة «العين» اليوم، بعد أن عصفت بهم أيام القحط الثقافي، وخيّم عليهم أزمنة الخواء المعرفي. أترانا نسينا أم جهلنا أنّ اللغة هي وعاء الفكر، فيستقيم الفكر ما استقامت اللغة، وبالطبع يَوجُّ الفكر بالطبع ما اعوجت اللغة؟ وهل حقاً سنهجر لغتنا العربية الأصيلة التي وضعها أجدادنا، وطوّرها من توارثها من آبائنا بعدهم حتى صارت لغة راقية؛ تيسّر التفاهم بين قلوب أهلها وعقولهم وأفكارهم، إلى لغةٍ خلاسيةٍ لا تتصل بلغات؟ صحيح أنّ اللغة ملكة وصناعة، وملكة اللغة العربية خصوصيتها المرتبطة بها، ولكن لصناعتها أساليب يستغلها المصلح فيرتفع بالفصحى إلى آفاقٍ تسمو على آفاق غيرها من اللغات، يعينه على السمو بها أنّها لغة الواقع القريبة من ذوي الفطرة السليمة، لا يغيب عن محبيها أنّ التواصل بين المبدع فيها

(1) * [وردت عبارة «أن نجاوز لغة كتاب الله إلى لغة تعابيرها وكلماتها عامية، مهما بدت جميلة في نظر الراطن أو الكاتب بها» في سياق النسخة الأخيرة متأخرة عن العبارة السابقة عليها، ووردت في النسخة الأولى متقدمة على العبارة المقصودة].

والمتلقي لإبداعه، لن يتمّ إلا إذا راعى المبدع مستوى إدراك ذلك المتلقي للفصحى؛ إذ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة»⁽¹⁾، ويستغله المفسد فينحط به إلى درك رطانةٍ يسمّيها بعضهم لهجة عربية، لا يفقه العرب من غير الراطنين بها معظم ألفاظها لصيرورتها غريبة في آذان حفدة مبدعي الفصحى. ولما كانت قوة اللغة مستمدةً من قوة قومها وهيبتها من هيبتهم، فقد كانت العربية لغة قوية مهابة عندما لم تكن مجرد لغة عبادات، وإنّما كانت لغة حكام ولغة جيوش منتصرة، ولغة الدواوين الإسلامية منذ أن عُرِّبَت الدواوين والحسابات سنة 75 هـ⁽²⁾.

فمتى تستعيد العربية مكانتها عند بنينا؟ ومتى تقرّبنا اللغة التي نتحدثها إلى الحياة التي نعيشها؛ ليضمن لنا ذلك التقريب، فنحقق نوعاً من التوازن بين الفكر والسلوك، وعندها فقط سننتشي بأغاني العربية الفصحى وبموسيقاها، وسيتولد فينا شعورٌ زهوٍ بما في فُصحانا من جمالٍ وعدويةٍ وقدرةٍ على بقاء ملائم لحياتنا. وعندها أيضاً لن تكون هناك فجوة بين لغتنا وحياتنا مثل الفجوة القائمة بين حياتنا المعيش فيها، وبين ما نهمهم به همهمة نسميها غناء، وهو غناء لا غناء لنا فيه. أذكر من ذلك الغناء أغنية مستوحاة من «البترول»، كانت تذاع في أوائل الستينيات وكانت خالية من الشكل والمضمون، إذ أيّ مضمونٍ عاطفي يوحى به لون النفط ورائحته؟ فأنا مؤمن بأنّه لا مضمون من غير شكل، ولا قيمة لأيّ شكلٍ لا مضمون له، ولا أعني بحديثي عن الشكل والمضمون الأدب العربي شعره ونثره وفنونه في جميع عصوره المزدهرة والمصوّحة⁽³⁾، فالمجال يضيق دون إيفائه حقه من الحديث. ولنأخذ مثلاً على ذلك أدب المتعة وكيف أخذ في الذبول، مع أنّه أدبٌ لا رونق له ما لم تُنتق ألفاظه من بين أرق الكلمات وأبعدها عن وحشي اللفظ. فأدب المتعة - وإن احتواه ظاهرياً فرعاً الأدب الإنشائي والوصفي - فهو كل أدب اصطلاح علماء الآدب على أنّه

(1) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الجامع، تحت رقم 11808 والألباني تحت رقم 502.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، ص 294.

(3) * [هنا استطراد في النسخة الأولى، ونصه «الشعر منه بخاصة؛ فالمجال يضيق دون إيفائه حقه من الحديث، وسأخصه بمحاضرة مستقلة إن شاء الله، باعتبار أن الشعر قديمة وحديثه من أهم فروع آداب اللغة العربية»].

خارج عن المعروف من أبواب الأدب الجاهلي الشاملة للنثر والشعر من مديح وهجاء وفخر ورثاء وغزل، إذ لا يندرج تحت أدب المتعة إلا الملح والطُرف المستثيرة للخلجات المشاعر أمام جمال مظاهر الطبيعة، وروعة فنون الإنسان الملهم.

لنعد إلى لغتنا العربية نثراً وشعراً، فهي كائنٌ حيٌّ يتعين علينا أن نلبي حاجتها إلى توجيه تطورها بما يوائم السياق وينسجم مع أصولها الضاربة في القدم⁽¹⁾؛ لنحول دون تلوث لغتنا بما ينتحله أعداؤها لمعاني ألفاظها من تحريف، وما يقحمه فيها الجهلة من أبنائها من تراكيب فجّة غير عربية؛ حتى لا تفقد سلاستها بما يضيفه بعض المترجمين إليها من حراشيف لغوية أجنبية باسم التجديد، مع أنّ لهم في فصيح العامية سعة، وذلك بأن نبعث فيها نوعاً من الحياة بتوظيفها توظيفاً علمياً سليماً في مطبوعاتنا ومختلف وسائل إعلامنا المسموعة والمرئية؛ لتيقننا من أنّها تستطيع أن تعرّف بإنجازاتها وتدفع بها إلى الأمام، ولنحبط أيضاً ما يريده دعاة استبدال العامية بالفصحى من سوء. فالمنادي باستعمال العامية مخاطباً وكتابة هو عميل للثقافة الغازية، يعمل على تحطيم الشخصية الحضارية العربية بكل مقوماتها اللغوية والتراثية بتشيده النكير على العربية الفصحى، الوسيلة الوحيدة لربط المسلم بقرآنه، وأداته الفعالة لفهمه للعريق من تراث أسلافه الأدبي والقومي. وإنّ أسهل وسيلة لقطع الصلة بين العربي وماضي أصوله العربية، تتركز في جعله يهجر الفصحى إلى العامية، وهو ما يفعله (المستلسنون أجنبياً) الذين يهجون فصيح اللفظ إلى عاميٍّ مجوّج مغرّق في عجمته، قاصر في أدائه، وهو ما يجعل (المستلسنين) يضطرون إلى اللجوء إلى ألفاظ أجنبية يسدّون بها ثلّم كلامهم العربي إظهاراً لتفردهم. وقد يخطئ بعضهم في استعمال لفظٍ عربي فصيح في غير ما وضع له، ويصرّ على فعلته متحججاً بأنّ خطأ مشهوراً خيرٌ من صوابٍ مهجور، ويظن أنّه نجح في الإقناع بحجته الواهية، وهو لم ينجح إلا في إفساد لغته العربية بتحميلها معاني لم تفهم منها في ماضيها؛ لخروجها عن

(1) * [هنا أيضاً استطراد في النسخة الأولى، ونصه «مع عدم التقاعس عن تطبيق ما وضعه علماء اللغة العربية من علوم لغة ونحو وصرف (كذا)، تطبيقاً أميناً لقواعد كل علم منها»].

المألوف من المسمّيات عند بقية الأمة العربية، ولم ينتبه ذلك المتحذلق إلى أنّه يعارك في غير معترك، وأنّه أراد أن يُعرب فأعجم.

لقد ربط العلماء بين «علوم اللغويات والحواس الخفية»، بعد أن كثر التساؤل عن أسباب احمرار الوجه حياءً لمجرد سماع كلمة بذينة، وعن سبب استثارة كلمة لرضا سامعها، واستثارة الكلمة نفسها لغضب غيره إذا أساء فهمها، وظهور علامات عضوية للرضا والغضب، كالابتسام سروراً أو احتباسه غضباً. وهذه كلها أدلة ملموسة على شدة ارتباط مفردات اللغة بأحاسيس الإنسان الخفية التي لم يشتهر منها بعد، سوى الحاسة السادسة الغامضة التعريف، إذ إنّ جميع الحواس الخفية تقع خارج نطاق الحواس الخمس المعروفة، ويهتّمنا هنا منها حاسة خفية مرتبطة بالسمع، أي بالوسيط المعتاد لسماع كلمات أي متكلم، وظائفها مجهولة عند غير أهل التخصص الدقيق، منها وظيفة الإطراب عند سماع النغم المطرب، والإحزان عند سماع النغم الحزين، والحذر المبالغ فيه إلى حد العدوانية عند سماع صوتٍ ينذر بخاطرٍ حقيقي أو متوهّم على الحياة.

ومنها حاسة التآزر العضلي المنظمة للتوافق الحركي لأعضاء الإنسان التي يؤثر في كفايتها تعاطي مغيبات العقل؛ من مسكرات ومخدّرات ومنبهات. ويعدّ نقص الكفاية الحلقية لتلك الحاسة، إعاقة تؤثر على القدرات اللغوية. ونخلص من كل هذا إلى أنّ تأثير اللغة السليمة في سامعها لا يتوقف فقط على سلامة الحبال الصوتية والحلق والشفيتين وجهاز التنفس كله، بل يتوقف أيضاً على النطق السليم بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، الأمر الذي لا يتأتّى للسكران بخمر، وللمسطول بمغيّب عقل، كما لا يتأتّى لمحدود الثروة اللفظية عند المتكلم، وبخاصة إذا كان من المقتصرين على التكلم بالعامية العاجزة عملياً عن الوفاء بما يريد بيانه، وعن تقبل وفهم وتنمية ما لدى الآخرين من فكر⁽¹⁾. فالفصحى - على النقيض من العامية - توفر للمثقف امتلاك مدّخر لغويّ فصيح يجعل كلامه

(1) * [استطرد آخر في النسخة الأولى، ونصه «إذ لو جردنا العامية من الألفاظ الفصيحة والأعجمية لانكشف قصورها الفاضح كوسيلة تبين ما يريد المتكلم بها أن يبلغه للناس»].

مفهوماً عند سامعه، لتمييز الفصحى عن العامية بسهولة التكاثر المتمثل في الاشتقاق المسهل للإبداع الثقافي الخلاق، بقطع النظر عن عِرْق المثقف ولغة ذويه الأصلية. فكثير من أولئك المثقفين لم تكن أرومتهم عربية، ومع ذلك مكَّنتهم تضلُّعهم في فصْحى العربية من بلوغ مكانةٍ سامقةٍ بين علماء العرب أنفسهم، فصار منهم أئمة في النحو وعلوم اللغة وفي التفسير والتوحيد والفقه والحديث والكثير جداً من العلوم الأخرى. وهي علوم لا يمكن أن يبرز فيها إلا من أحكم إِتْقانه للفصحى وعلومها، وبلغت به الدراية بأسرارها أن تفاعل معها وهضمها وصار يفكر بل يحلم بها. أمّا من عجز عن إِتْقان الفصحى، أو أتقنها ليعمل على تخريبها والانحراف بمعاني مفرداتها عما وضعت له أصلاً - كما فعل المستشرقان مارجليوث الإنكليزي وماسينيون الفرنسي - توطئة لإظهار ما يضرمانه من رغبةٍ في الدعوة إلى استعمال العامية تخاطباً وكتابةً، لعلمهما علم اليقين أنّ اللهجات العامية هي أشد هزالاً من أن تنازع العربية الفصحى البقاء، نفس يقينهما بأنّ الاندفاع الذاتي لتلك الفصحى مصدره القدرة المستمرة لحيوية اللفظ الفصيح على البقاء على الشفاه قروناً وقروناً، على حين يسرع عدم أصالة العامية باللفظ العامي إلى الذبول والتَّصوُّح، وما فعله مارجليوث وماسينيون إن هو إلا تنفيذ لمخططٍ قديمٍ يستهدف إحلال لغات الدول الاستعمارية السبع وفي مقدمتها الإنكليزية والفرنسية محل اللغة العربية وعاميتها كليهما، وهو ما حدث في بعض المناطق العربية، ولن نستعيد معرفتنا للسان العربي الفصيح إلا برتق ما أحدثه الجهال في فصيح لغتنا من فروج، بحجة التساهل في التعامل مع اللغة العربية وما يدعونه من صعوبة تطبيق نحوها⁽¹⁾.

من المسلّم به أنّ اللغة هي ظاهرة اجتماعية تنعكس عليها ومن خلالها جميع الظواهر التي يتصف بها المجتمع من نهضةٍ أو انحطاطٍ ومن تقدُّمٍ أو تأخر. فما من لغةٍ متقدمة في شعبٍ متأخر، وما من شعبٍ متطورٍ حضارياً وصناعياً لغته القومية منحلة أو حتى متأخرة، إذ أنّ اللغة هي محتوى ومضمون كل حضارة وثقافة، سواء أكانتا متقدمتين

(1) * [عبارة «مع اللغة العربية وما يدعونه من صعوبة تطبيق نحوها» وردت فقط في النسخة الأولى].

أم متخلفتين، ولنا في تجربة العرب المسلمين الأوائل أسوة حسنة، فهم، ما أن شرعوا في الفتح، حتى ازدادت لغة العرب بنهوضهم ثراء واتساع آفاق، وبخاصة بعد أن أصبحت لغة الحكم والدين والعلم، فلم تمض ست عشرة سنة على وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى شرع العرب في إثراء لغتهم بما ترجموه من علوم الشعوب الأخرى وتقنياتهم. كذلك ما نقله المسلمون غير العرب إلى العربية من علوم عرفوها في بلادهم بلغاتهم الوطنية. ولم يلبث العلماء المسلمون عرباً وغير عرب أن بهروا العالم قاطبة بما ظهر بينهم من عقولٍ خلّاقة للعلوم، مبتكرة لما لم يكن بها للعالم كلّ من علم، كعلم الموسيقى الذي ابتكره الفراهيدي، واكتشاف القيمة المكانية في خانة معيّنة للرقم العددي بفضل إدخال العرب للصفر في علم الحساب، وما طوّره الزهراوي من علوم الجراحة وأدواتها، وسهّلت مرونة العربية الفصحى وسعّتها على أولئك العلماء الترجمة والنقل منها وإليها، فاللغة العربية هي الحضارة الإسلامية معنى وجوهرًا ومظهرًا، وهو ما صيّر لها لغةً للعلم والعلماء في جميع الأقطار الإسلامية، إضافة إلى كونها اللغة الشاعرة كما أسماها العقاد رَحْمَةُ اللَّهِ، إذ إنّ في ثناياها جمالياتٍ لا تُحَدُّ، بل إنّ في كنوزها من أسماء موروثاتنا التراثية الدّالة على أدق مدلولات شؤون الحياة الشيء الكثير، وهو ما يغنينا عن الدخيل من الألفاظ الثقيلة على أسماعنا وألسنتنا⁽¹⁾.

ولعل حرمان بعض شبّان وشابات العرب من ذلك الحصن، هو ما جعلهم يتخلون عن ثقافتهم العربية التي نشأوا عليها حتى أصبحت أذواقهم: قيافة وطعاماً وشراباً، وترويجهم عن أنفسهم: غناء ورقصاً وأشرطة خيالة، وتخطابهم: تحايا وشتائم وتعايير وتراكيب جمل

(1) * [هناك استطراد ورد في هذا السياق من النسخة الأولى، ولم يورده المحاضر في النسخة الأخيرة، وهو قوله «ويجب ألا يعزب عن البال أنّ من أسباب التلاحي اللغوي المفرق للجماعات، إصرار كل فرد على أن مفهومه الذاتي للغة، هو أصح من مفهوم غيره، وينسى أن الثقافة اللغوية تصير مع الممارسة سلوكاً طبيعياً أصيلاً عند صاحبها يعتز به ويجعله حصناً يواجه به ثقافة المجتمعات المغايرة؛ وبخاصة غير العلمية من الثقافات الغازية للوطن العربي؛ سعياً وراء صبغ أهله بالصبغة الثقافية للغزاة»].

وإشارات بقسمات الوجه وبالأصابع والأكف «غربيين» كما يتصورون هم الغربيين⁽¹⁾. لا ريب أنَّ المتناقضات في الأمة العربية كثيرة وخطيرة، إلا أنَّ أخطرهما في رأي الأمناء على العربية الفصحى، هو تناقض مواقف مختلف شرائح الأمة العربية من لغتنا القومية الفصحى تناقضاً هو جماع المتناقضات كلها كما يقول د. محمد كامل حسين في مقدمة كتبه (اللغة العربية المعاصرة). ويقول أيضاً إنَّ ذلك التناقض في اللغة يفسد أمر التعليم عاجلاً أو آجلاً، وشرُّه ما يكون آجلاً؛ لأنَّ الناس لا يدركون خطورته إلا بعد أن يتفاقم خطبُه. ومع أنَّ الدعوة إلى العامية لا ينتج عنها إلا استبدال رافدٍ بنهر، فإنَّها في الوقت ذاته هي أحد أسلحة أعداء الفصحى، المدركين لما يريدون⁽²⁾، المتحرّكين وفق مخططٍ هدفه قطع الصلة بين العرب وماضي موروثهم الضخم، وبين العرب ولغتهم الفصحى وما اشتملت عليه من تراثٍ عظيم، حفظته لهم⁽³⁾، وما فتئت تنقله إلى الوجدان العربي الواعي عبر مراحل التاريخ. أمَّا أقوى⁽⁴⁾ دليل على ضعف العامية فيتمثل في أنَّ الساعين إلى إحلالها محل الفصحى لم تمدّهم عاميتهم الكسيحة بالحجج التي تقنع خصومهم، فلجأوا إلى الاستعانة بالفصحى لتبيان تلك الحجج محققين فيهم مقولة «من فمك أدينك يا مغالط»، وما نرى في أيٍّ ممن يستخدم لفظاً عامياً لغير ضرورة، إلا جندياً في جيش أعداء الفصحى نطلب له الهداية⁽⁵⁾. والحقيقة أنَّ العاملين على مسخ الفصحى، يتعيّن على من يغار عليها فضح أساليبهم في التعتيم على جهود علماء القرون الإسلامية الأولى، لإدراك ثاقب فكرهم دور الفصحى في ربط حياة العالم الإسلامي برباطٍ لغويٍّ موحدٍ متين. ومن هنا جاءت محاربتهم لدور أئمة النحو في تعميق جذور علم المعاني في التراث العربي طيلة فترات ازدهار علوم اللغة،

(1) * [استطرد آخر في هذا الموضع من النسخة الأولى، ولم يذكره في النسخة الأخيرة، ونصه: «وتطور أمرهم نحو الأسوأ حتى وصل ببعضهم إلى الشعور بالخل عند التكلم بما يلفظ به من عربية عامية مشوّهة؛ لشعوره بتخلف المتكلمين بها»].

(2) * [عبارة «المدركين لما يريدون» زيادة في النسخة الأولى].

(3) * [قوله «حفظته لهم» زيادة لم ترد في النسخة الأخيرة].

(4) * [في النسخة الأخيرة «أوهمي»، وهو سهو واضح، يتناقض مع المعنى المقصود الذي يريد به المحاضر].

(5) * [عبارة «وما نرى في أيٍّ ممن يستخدم نطلب له الهداية» زيادة لم ترد في النسخة الأخيرة].

فعملوا اليوم على سلخ علم المعاني عن النحو، تحدياً منهم لقول النحاة «إنَّ الإعراب فرع عن المعنى». وآمل ألا يُفهم من كلامي هذا أنني أعارض تطوير اللغة العربية، لأنني على ثقةٍ من أنَّها أكثر اللغات المتكلمة مرونةً، وأقدرها على قبول اللفظ الدخيل ومنحه جرساً عربياً كما فعلت بدرهم ودينار، مع أنَّ الأول يوناني والثاني روماني، وإِنِّي إِنَّمَا أَسْعَى لَأَنْ يصحح المتكلم ما يشوب استعماله لبعض الألفاظ من تصحيفٍ بعد أن شاعت إساءة استخدام بعضهم للكثير من الألفاظ منها: فشل وتواجد، ونشاطات وأنشطة، وقَلَّ أن يُنْتَبَهَ إلى خطأ جمع لفظ مدير على مدراء، وقد يعلم أو لا يعلم أنَّ صوابه مديرون، وأنَّ حكم القاضي على المدان يكون بالسَّجن بفتح السين وليس بالسَّجن بكسر السين⁽⁶⁾، أو إلى خطأ استعمال جملة تفييد الشك، فيأتي بها في معرض التوكيد ويقول: «إن دَلَّ هذا على شيء...»، ولا أدري ماذا سيكون جوابه لو سُئِلَ: «وإن لم يدل هذا على شيء...؟». وهناك من يخطئ إطلاق حقبة على زمن يقلُّ عن ألف شهر، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾⁽⁷⁾، وإنكاراً منه لتعبير بعضهم بلفظ حقبة عن السنة وما دونها، يتساءل: هل عقاب من استحق أن يُدخل جهنم غمسه فيها لزمن قصير؟، ويحتج بأنَّ لفظ حقبة يُطلق على الزمن غير المحدد. دعونا من خطأ من يعبر بلفظ برهة عن لحظة زمن بالغة القصر، على حين تقول القواميس إنَّها لا تطلق إلا على الزمن الطويل، ودعونا ممن يقول: أنا لا يمكن أن أفعل، وهو يريد أن يقول: «أنا لا يمكنني أن أفعل..»، ومن يقول: «أنا قلت كذا يعني...»، وهو يريد أن يقول: «أنا قلت كذا أعني...».

أيها السادة شكراً لكم على حسن استماعكم. والسلام عليكم.



(6) * [عبارة «وأنَّ حكم القاضي على المدان يكون بالسَّجن بفتح السين وليس بالسَّجن بكسر السين» لم ترد في النسخة الأولى. ولكن المعاجم تفيدنا أن السجن بكسر السين، هو المحبس أي مكان الحبس، أما السَّجن بفتح السين، فهو مصدر الفعل. لذلك فكلاهما صواب].

(7) النبأ: 23.

النص الثاني

بحث في أسماء الأعلام المفردة والمركبة

عند العرب الأقدمين والمحدثين

أشهر الأسماء في اللغة العربية هي أسماء الله الحسنى، ويتميز لفظ الجلالة «الله» بأنه الاسم الفريد في اللغة العربية غير قابل للتأنيث ولا للثنية ولا للجمع ولا للتصغير ولا للنحت، إذا لا يجري عليه ما يجري لغةً على أسماء المخلوقات، فهو اسم فرد، حرفاً الألف واللام في أوله هما حرفان من جذره، وليساً ألفاً ولا ماً للتعريف.

والمسلم لا يلتفت إلى ما يُكرَّر من سفسطة حول لفظ آلهيم العبري، ولا إلى ما يُدعى من أن لفظ الجلالة «الله» مأخوذ من ذلك اللفظ لمجرد تشابه حروف كلا اللفظين. وتنزهت أسماء الله الحسنى عن عبث العابثين، بل العكس هو الأقرب إلى الصحة والعقل، أي أن اليهود هم الذين نحتوا اسماً لمعبودهم من الاسم العبري لإله الناس كلهم «الله».

والمنصفون من المؤرخين يقررون أن العرب وُجدوا عرباً في الجزيرة العربية منذ ما يقرب من خمسة آلاف سنة، وكانت لهم لغتهم العربية الجدة الأولى للغة العربية المتكلمة في عصرنا، وكانوا بدواً رُحَّلاً يجوبون شبه جزيرتهم بالطول والعرض، ومن أهم قبائلهم الكنعانيون الذي استقروا في شمالها امتداداً من جبال طوروس إلى خليج العقبة. فالكنعانيون هم الأصول التي انحدر منهم العرب الذين سكنوا الجزء الجنوبي من أرض كنعان، المصائب لضفتي نهر الأردن والمحاذي لشاطئ البحر المعروف في زماننا بفلسطين قبل أن يهاجر إليها اليهود من جنوب شرق العراق ومن مصر بمئات السنين. وكان أجداد العبريين قبائل بدو رُحَّل أيضاً، لا اسم ولا دين معروفان لهم، يتجولون طلباً للمرعى حيث تنزل الأمطار فيما بين أطراف سواد العراق الشمالية وجنوب الشام القديم، أي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن المعاصرة، حتى عبروا النهر؛ فسموا باسم عبير وعبريين وعبرانيين، وجميعها مشتقة

من لفظ العبور. ومن جذر عَبَرَ اشتق اسم عبرية للغتهم، واسم وصفة عبري لكل ما ينسب للعبرانيين، إذ لم تتأكد قط معرفة اسم لجنسهم قبل تسميتهم بالعبرانيين⁽¹⁾.

ويضيق المجال أمام تفنيدينا لمقولة إنَّهم كلهم ساميون، فأبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ المسمى بإسرائيل، ذابوا في غيرهم من الشعوب خلال سني الشتات، عقب هدم تيتوس للهيكل⁽²⁾، ومن الدجل والاستغفال محاولة إقناع أحد بأنَّ اليهودي الفلاشا⁽³⁾، الحبشي الأسود هو ابن عم لليهودي الخزري الروسي. ويظهر أنَّ العبرانيين كانوا في تلك المرحلة من تاريخهم ملحدون أميين، يمرون بفترة بين رسولين ممن أرسل الله إليهم من رسل كثير، وبقوا على إلحادهم وجهلهم حتى أرسل إليهم موسى وهارون، ولم يُرسل - فيما يعرف من تاريخ الرسل - رسولان أخوان معا لغيرهم من الأمم. ولكن العرب ومنهم رسول الله إدريس وهود وصالح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عرفوا «الله» من رسالات من أرسلوا إليهم.

ومن هنا يعتقد مؤرخو تلك الأحقاب أنَّ اليهود نحتوا لفظي «آلوهيم» و«يَهْوَه» من لفظ الجلالة «الله» الذي التقطوه من أفواه العرب، وهم يدعونه ويحلفون باسمه. لذلك فإنَّ المنصف الباحث عن الحقيقة لا يلتفت إلى تخرُّصات من همُّهم الأكبر هو تشكيك المسلمين في كل ما ورثوه عن أسلافهم، كما لا يلتفت إلى تبريرات المنساقين وراء أقوال ذوي الغرض من المستشرقين الذين يدَّعون إلى التسليم المطلق بتلك التخرصات لمجرد صدورها عن مستشرقين، مرتدين زوراً ثياب الاستشراق بعامة وثياب الاستعراب بخاصة. ولفظ الجلالة تَلَفَّظ به بدو صحراء الجزيرة اسماً لله جَلَّ وعلا قبل أن يعرفوا أيّاً من اليهود أو الفرس أو الروم أو قدماء سكان وادي النيل. ويقول المؤرخ المرحوم جواد

(1) * [عبريون أو عبرانيون اسم أطلق على اليهود قديماً عندما كانوا رُحَلًا قبل استقرارهم في الحضر. وقد سمّوا بذلك نسبة إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه؛ لأنه عبر نهر الفرات، وقيل إنَّهم سمّوا بذلك نسبة إلى (عبر) الجد الخامس لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهناك أقوال أخرى غير هذين القولين].

(2) * [تيتوس هو قائد روماني هدم هيكل الرب بأورشليم القدس عام 70 م].

(3) * [اليهود الفلاشا أو «بيتا إسرائيل» بالعبرية، وهو اسم يطلق على يهود إثيوبيا، ومعنى الفلاشا أو الفالاشا باللغة الأبهريّة المنفيون أو الغرياء].

علي: إن لفظة «الله» وُجدت في أشعار تواترت رواية أبياتها بلغة بدوٍ بائدين من سلالة يعرب الأقدمين، «أي أنها لفظة كانت متداولة قبل أن يختلط أولئك البدو اختلاط تعارف واقتباس بمن يمر ببلادهم من تجار ومسافرين وبمن جاورهم من شعوب».

أمّا البشر فإنّ ارتباط المرء منهم بلقبه أو بكنيته أو باسمه أو باسم الشهرة الذي عُرف به من يعيش بينهم، هو ارتباط عاطفي لا يسهل عليه التخلي عنه دون أن يشعر بمرارة فراقه له، كما أنّه شعور بالأسى لا يختلف كثيراً عن شعور من يقرر الطبيب ضرورة بتر عضو من أعضائه طلباً لسلامة بقية بدنه، كما لا يستطيع عارفوه فصل اسمه عنه؛ لأنّه هو سمّته التي يعرفونه بها.

سجّل هذه الحقائق علماء النفس الذين درسوا تأثير إرغام الحكومة البلغارية لما يقارب المليون وربع المليون من ذوي الأصول التركية من مواطنيهم المسلمين على نبد الأسماء والألقاب الإسلامية التركية والعربية، وشدّدت على ضرورة التسمّي والتلقّب بأسماء وألقاب بلغارية، وأنزلت بمن لم ينفذ تلك الأوامر الجائرة عقوبات صارمة؛ أخفّها طرُد الرافضين لتغيير أسمائهم وألقابهم من ممتلكاتهم بيوتاً وأراضي، ومصادرة حيواناتهم ومنقولاتهم وترحيلهم قسراً إلى تركيا.

وعلى الرغم من صعوبة فراق الوطن وأسى التخلي عن الثابت والمنقول من الأموال، فقد تمسك معظمهم بأسمائهم وألقابهم، مضحين بكل ما يملكون في سبيل الحفاظ عليها. وإلى مثل ذلك سبق كمال أتاتورك⁽¹⁾ البلغار، عندما أصدر أمراً إلى إدارة تسجيل النفوس بأن لا يسجلوا مولوداً جديداً ما لم يُسمَّ باسم طوراني، كما أصدر قانوناً يحتم على كل أسرة أن تتخذ لها لقباً طورانياً، وطبّق القانون بصرامة بالنسبة لمن وُلد بعد صدور تلك الأوامر. أمّا الكبار من الناس فقد استمروا ينادون بعضهم بعضاً بما عُرف لهم من أسماء وألقاب؛ وإن حرصوا على أن لا يدونها في كتاباتهم لبعضهم البعض خوفاً من أن تتخذ دليلاً مادياً

(1) مصطفى كمال أتاتورك أي أبو الأتراك (1881 - 1938م) هو الذي أنهى الخلافة الإسلامية في استانبول، وأسس تركيا الحديثة.

على مخالفتهم للأوامر المذكورة. أمّا من ابتدّع بدعة تغيير الأسماء - فيما يُعرف - فكان عباس حلمي الثاني⁽¹⁾، ثالث وآخر خديوي حكم مصر حتى قيام الحرب العالمية الأولى، لاستهجانه تسمي معظم المصريين المسلمين بأسماء وليدة البيئة الريفية الزراعية الرعوية التي طبعت بطابعها مئات متعاقبة من أجيال المصريين. من تلك الأسماء «مدبولي والخولي والبنّاء والراعي والعتريس وأبو شادوف». وأمر الخديوي بأن يتسمى المصريون بأسماء تركية، أمّا من يسمون بأسماء عربية، فيجب أن تصاغ أسماؤهم صياغة تركية، فالأسماء المشتقة من الجذر «حمد» كأحمد وحامد صارت «حمدي»، وصار عبد الحليم «حلمي»، وعبد العزيز «عزت» وهلم جرّاً. ولا زال الكثير من تلك الأسماء المُتركة شائعة في مصر حتى اليوم، وأخذت تنتشر في بلادنا بالمخالطة والتقليد. وأمّا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان يغيّر الاسم المتضمن عبودية لغير الله تعالى كعبد العزّي وعبد مناة، والقبيح من الأسماء، كما كان يقال «خير الأسماء ما حمّد وعُبد»⁽²⁾.

والمتأمل في أسماء العرب المسلمين اليوم يجدها تدرج في مجموعات، أولاها أسماء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولا يختص بالتسمي بها عرق من أعراق المسلمين، أو بلد من بلدانهم؛ بل تشيع في جميع المجتمعات الإسلامية، بقطع النظر عن المذاهب والشيّع التي يتبعونها. أمّا أسماء رسل الله عليهم الصلاة والسلام التي وردت في القرآن الكريم فتشيع التسمية بالكثير منها بين عامة المسلمين، منها آدم وإدريس ونوح وصالح ويونس وإبراهيم وإسماعيل ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، وتندر التسمية بأسماء اليسع وإلياس ولوط في معظم بلاد الشمال الإفريقي حتى تكاد تنعدم.

أمّا تسمية قبيلة كبرى في شرق البلاد (ليبيا) باسم «اللواطي»، فلا صلة لها باسم لوط، وإنّما هو تحريف لاسم قبيلة عربية بربرية، تنتشر في غرب الشمال الإفريقي، وكانت

(1) * [الخديوي عباس حلمي الثاني (1874 1944م)، وهو سابع حكام مصر من أسرة محمد علي باشا].
(2) * [ورد في نص المحاضرة أنّه حديث نبوي، وهو غير صحيح ولا تجوز نسبته إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والحديث الصحيح هو قوله «أحب الأسماء إلى الله، عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام»].

ولا زالت تدعى «لواته»⁽¹⁾. وهي قبيلة ثنائية اللغة مثل سائر قبائل العرب البربر؛ إذ تتكلم العربية والأمازيغية. ومن مفردات الأخيرة بالطبع أسماء أعلام مثل سيفاو ويغمراسن⁽²⁾. وتقل التسمية بالأسماء التوراتية للرسل من غير من ذكرنا.

وبما أنه لم توجد قط أقلية مسيحية عربية ليبية أصيلة منذ أواخر القرن الميلادي الثامن، كما لم توجد قط أقلية ليبية يهودية أصل أفرادها عرب تهودوا، لذلك لم يعرف بين الليبيين التسمي بأسماء مسيحية أو يهودية صرفة، وإن جدت أسماء قليلة مشتركة بين أتباع الديانات الموحدة الثلاثة اختص المسلمون والمسيحيون بالتشارك في التسمي؛ منها أسماء عبد الله ومريم وعيسى. وهناك بين الليبيين من يُسمى باسم ميلاد وباسم مولود، وهما اسمان لا يُسمى بأي منهما أي مسلم مصري الأصل. أمّا اليهود فيشاركون المسلمين والمسيحيين في التسمي بأسماء منها صالح وهارون وموسى وإسحاق. أمّا العرب المسيحيون في البلاد ذات الأقليات المسيحية، فيشيع بينهم التسمي بالأسماء التوراتية للرسل، وبأسماء مسيحية صرفة؛ كعبد المسيح وعبد الصليب.

ومنذ أن استعمرت أوربا معظم البلاد العربية، شاع بين السكان غير المسلمين - وأعني اليهود بخاصة - التسمي بالأسماء الأوروبية، مضيفين إلى ذلك ترجمة أسمائهم العبرية أو العربية إلى لغة الحاكم، فرَحِّين تصبح بالإيطالية «كَلِمِينْتِي Clemente»، و«خموس تصبح بالإنكليزية كوينتين Quintin»، وبراخا العبرية (مبارك العربية) أصبحت بالانكليزية بينيديك Benedict. بل إنهم يغيرون نطق أسمائهم كلما ذهب مستعمر ولغته وحلَّ محلّه مستعمر جديد ذو لغة تختلف عن لغة سابقه. فمن يتسمى بالإيطالية أرتورو، نادوه بآرثر وفق النطق الإنكليزي، وساروا في تغيير طريقة نطق أسمائهم على هذا النسق.

(1) * [قبيلة لواته هي من قبائل البربر الكبرى في شمال أفريقيا. قال العلماء إن لواته هم بنو (لُو) والألف والتاء زيادة تدل على الجمع، كما يذكر ابن خلدون].

(2) * [يغمراس هو يغمراس بن زيان بن ثابت بن محمد (603 680هـ) كان حاكما لمدينة تلمسان في الجزائر على عهد الموحدين. وهذا يعني أنَّ هذا اسم أمازيغي قديم كان متداولاً في غربي شمال أفريقيا].

وواضح أنّ ما أتينا أو سنأتي به من أسماء في هذا البحث، إن هي إلا على سبيل التمثيل لا الحصر، مع مراعاة ظروف استعمالها في الشمال الإفريقي بخاصة وفي العالم العربي بعامّة. ومن أكثر الأسماء شيوعاً بين العرب المسلمين تسمية عبد مضافة إلى لفظ الجلالة «الله»، أو إلى أي اسم من أسمائه الحسنى، كما يكثر بينهم التسمي بأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، وبالحسن والحسين، وبما يسهل عليهم نطقه من أسماء الصحابة، وكذلك التسمي باسم من يُتبرّك به من أولياء وصالحين وشهداء.

ومن مجموعات الأسماء التي تشيع بين المواطنين المسلمين من العرب أسماء مشاهير علماء العلوم الدينية وغيرها. منها أسماء أئمة المذاهب السنية الأربعة، كما تطلق ألقاب حافظ ومحدث وفقه ومفتي على المبرزين في جانب أو أكثر من تلك العلوم؛ فيطلق لقب الحافظ على من أتقن حفظ القرآن الكريم وأجاد قراءاته وألم بتفسيره، ولقب المحدث على راوي الحديث وشارحه، ولقب الفقيه على من أجاد الفقه الإسلامي وعلوم الدين من تفسير وتوحيد، ولقب المفتي على العالم المتبحر في علوم الدين الإسلامي الذي تعتمده الدولة ليفتي الناس فيما يشكل عليهم من أمور دينهم. أمّا الإمام والمؤذن والخطيب فهي واضحة بذاتها، ومن الأسماء ما يرجع إلى الوظائف كالقاضي والمعلم والكتّاب والترجمان والضابط والجندي والعسكري، ومنها مجموعة الأسماء العائدة إلى الحرف كالزّراع والفلاح والحراث والراعي والصيّاد والحوّات والبحري والتاجر والدلال والكيّال والوزّان والمهندس والبنّاء والحدّاد والنجار. ومما تسمى به البشر أسماء مقتبسة من أسماء الأجرام السماوية من أشهرها أسماء: شمس وهلال وقمر وبدر وكوكب ونجم وسُها وسُهيل وثرثا ورُهرة. ومن مجموعات تلك الأسماء المجموعة المشتقة من العدد كرابعة والمُثْنَى وعاشور وخميس والثلاثي وأبي ستة.

ومع أنّ الباري جلّ وعلا نهى عن التنازع بالألقاب المكروهة عند صاحبها، فإنّ الناس درجوا على التلقب بمجموعة ألقاب مأخوذة من العيوب البدنية منها: الأعْمى والأعمش والأعور والأشتر وأبو عوينة والأطرش وأبو أذينة والأفطس والأبكم والأشرم وأبو لسين وأبو سنية وأبو حنيك وأبو رقية وأبو ذراع وأبو يديّة (تصغير يد) والأقطع

(الأكتع) والمصدور وأبو بطينة وأبو ظهير والأحذب وأبو ركبة وأبو ساق والأعرج. وقد أحصينا منها ستة وثلاثين لقباً دون أن نتعرض لما يطلق على الإناث منها ومن غيرها من الألقاب البغيضة.

وهذه عيّنات مما يتسمّى به الناس من أسماء بعضها يعود إلى عالم النبات، والبعض الآخر يعود إلى عالم الجماد. فمما يعود إلى أسماء الأشجار والثمار والأعشاب: أبو خرّوبة والزيتوني وأبو نخيلة وأبو عود وأبو سدر، وتفاحة ووردة وزهرة ونوارة وفلة وياسمينه وريحانة وأبو خرشوفة وزعيتر.

أمّا الأسماء المقتبسة من أسماء الحيوانات فكثيرة وبعض المألوف منها: من أسماء الطيور أبو نعامة والصقر والباز وحبّاري والعقاب والزرزور واليمامة والديك وأبو دجاجة، ومن الحيوانات المستأنسة: الجمل والقعود والفيل وأبو نعيجة والجدي. ومن أسماء الوحوش السبع والنمر والفهد والذئب والضبع، ومن أسماء القوارض والزواحف: الفار والجربوع والقنفذ والصل والحنش، ومن أسماء الحشرات أبو جوازي وقراد وعقيرب والجعراني والشعراني نسبة إلى (الشعرانة) ذبابة الخيل التي تحط أيضاً على البغال والحمير والبقر والإبل. ومما تُسمّى به النساء من أسماء الجماد: ذهب وفضة وفجرة وزمردة ولؤلؤة ومرجانة، ومنها ما يسمى به الذكور: جوهر وياقوت وأبو حديد والنحاشي. ومن أسماء الحجارة صخر وصوان وأبو حجر ومرمر. ومن أسماء الألوان ما يُسمّى أو يُلقَّب به بعض الناس كالأبيض والأحمر والأخضر والأسود والأصفر والأشهب وزريق والأكحل، ومع الزمن قد يصير اسم اللون لقباً للأسرة.

الأسماء التركية:

ونعود إلى ما تعارف العرب على التسمي به من أسماء مركّبة، ومشكلتها مع الحاسوب. وهي المشكلة التي أوحّت إلينا بكتابة هذا البحث، فقد درج الناس - كما أوضحنا على تسمية فرد منهم باسم مُركَّب أي مكون من اسمين يكتبان منفصلين، من أشهرها اسم

عبد إذا أضيف إلى أحد أسماء الله الحسنى، وألفاظ أب كذا وأم كذا - في غير كنية - وذو كذا وثلاثتها بمعنى صاحب كذا أو من كذا: كقولهم أبو هريرة أي صاحب الهريرة، وأبو رأس أي ذو الجمجمة الكبيرة، وذو نواس أي صاحب سؤالف أو ذوائب شعر، وهو أيضاً اسم علم لأحد ملوك التبابعة⁽¹⁾. وكلا طرفي الاسم مركّب، فيكونان اسماً علماً على مفرد مذكر، وأم كلثوم، وذات النطاقين، وذات الصواري؛ كل منها اسم مركّب، علم على مفرد مؤنث. والأسماء الأعلام للذكور من الأسماء المركبة من (ذي) وما أضيف إليه أكثر شيوعاً في اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية، على الخلاف من أسماء الإناث المركبة من (ذات) وما أضيف إليها، فيشيع انتشارها بين جميع عرب الجزيرة. أمّا التسمية باسم مركّب من غير ما أضيف إلى (عبد) و(أب) و(أم) و(ذو) و(ذات)، فلم يشع كاسم علم في الجاهلية وما قبلها، غير أنّه قد يتصف فرد بصفتين مركبتين فتتحولان بمرور الزمن إلى اسم علم على صاحبها؛ تُنسي الناس اسمه الأصلي. من أشهرها اسم «تأبط شراً»⁽²⁾. وكذلك لم يشع في صدر الإسلام استعمال الاسم المركب سوى (عبد) وما يضاف إليه، و(أب وأم وذو) وما يضاف إلى كل منها حتى كثر عدد المسلمين من غير العرب، زيادة على الأسرى والأرقاء غير العرب؛ سواء أسلموا أو بقوا على دينهم.

ولما كان اسم العلم المركّب يشيع في اللغات التاتارية لذلك الزمان، فإنهم لمّا أسلموا تسمّى بعضهم بأسماء عربية مركّبة. والظاهر أنّ أول اسم علم مركب منها شاع بين المسلمين هو ما رُكّب من اسمي محمد وعلي؛ فصار صاحبه ينادي بيا «حمد علي». وهذه التسمية مازالت شائعة بين المسلمين حتى اليوم.

وباختلاط أبناء المدن الليبية بالأتراك اقتبسوا منهم عادة التسمي بالأسماء المركّبة، فشاع التسمي بأسماء محمد الفاتح، وعلي غالب، وأحمد المنتصر، وبهجت فيضي، وشكري غانم، وما ماثلها. ويقول بعض مؤرخي عهد الانتصارات العثمانية إنّّه قد مرّت فترة فيما

(1) * [التبابعة أو قوم تُبّع في اليمن القديم، وهم عشيرة ملك مُحمّرِي يدعى تبع أسعد أبو كريب الحميري].

(2) * [تأبط شراً هو ثابت بن جابر (توفي نحو 607م)، شاعر جاهلي معروف من قبيلة فهم].

بين أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن الثامن عشر ندر خلالها أن تجد تركيًّا اسمه محمد مجرداً من اسم مركّب معه، مع أن الأتراك ينطقون اسم محمد «مَهْمَيْتْ»، وعنهم أخذ الأوربيون هذا النطق، وصار الإيطاليون يكتبونه وينطقونه «مأوميتو Maometto»، واشتق غلاة المستشرقين منه اسماً للديانة الإسلامية ورسموها ونطقوها «ماوميتانا Maomettana» باللغات ذات الأصل اللاتيني، و«موهاميدانا Mohamedana» بلغات أوربية أخرى، وعربها اليهودي موسى بن ميمون⁽¹⁾ إلى محمدية. ولعله أول من استعمل صيغة محمدية بهذا المعنى، وقلّده في استعمالها حديثاً بعض المتحذلقين؛ إذ فاتهم أن أولئك الغلاة الحاقدين من المستشرقين من مسيحيين ويهود ساءهم أن يكون للدين الإسلامي اسم لا ينتسب إلى بشر كالموسوية والمسيحية، فأردوا أن يُضفوا على الإسلام وكتابه القرآن صفة بشرية تساويه بتلكما الديانتين السماويتين اللتين سبقته. فالموسوية وهي الدين الذي أرسل به موسى وأخوه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لم يعرف باليهودية إلا بعد مرور ما ينيف عن 300 سنة على وفاة دينك الرسولين، والمسيحية لم تُعرف عالمياً إلا بعد وفاة عيسى ورفعها بما يقارب القرن من الزمان، أمّا الإسلام وكتابه القرآن فقد عُرفا عالمياً منذ أن نزل على رسول الله محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾، وكان نزول هذه الآية قبل تسع عشرة سنة من وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الآية الرابعة والتسعون من سورة الحجر.

أمّا مشكلة الأسماء المركبة الآتية، فتتلخص في أن الحاسوب لا يستطيع حتى اليوم أن يتعامل مع الاسم المركّب إلا على أساس أنه اسم إنسان ووالده، فتقانة الحاسوب تجعله يقرن كل اسم مفرد بإنسان، ولم يتوصل خبراءها بعد إلى حل لهذه المعضلة التي لا يعانها الاسم العربي المركّب وحده، بل إن كتابة الأسماء الإسبانية والبرتغالية التي قد تصل إلى أربعة أسماء مركبة يستعملونها اسماً علماً على شخص واحد، وكذلك الحال مع الكثير من اللغات

(1) * [موسى بن ميمون القرطبي (1185 1204م)، وهو طبيب وفيلسوف يهودي مشهور من أهل الأندلس].

(2) الحجر: 94.

الأوربية، دعنا من سلسلة ألقاب النبالة التي تزيد الأمر تعقيداً. أمّا الإيطاليون فمشكلتهم أقل من غيرهم نسبياً؛ لأنّهم درجوا على كتابة معظم أسمائهم المركّبة متصلة، فتبدو للحاسوب كأنّها كلمة واحدة. وآخر ما نشرته المجلات التي تعنى بعلوم تقانات الحاسوب عن معضلة الاسم المركّب معه أنّه لا يُتوقع التوصل إلى حل لها في زمن قريب. وهي مشكلة لا تتضح أبعادها إلا لكل من يعرف دور الحاسوب في التدوين واختزان المعلومات، وفي حل أدق وأعقد العمليات الحسابية بسرعة لم يسبق أن تصورها أحد قط. لذلك لم يعد استخدام الحاسوب ترفاً ثقافياً، بل هو وسيلة مسايرة للمستجدات العلمية مسايرة لا مناص منها لمن يريد أن يساير ركب الحضارة فضلاً عن أن يسابقه.

الباحث المحاضر

الدكتور محمود علي التائب

طرابلس في ١٩ / ٠٩ / ١٩٩٧م.

الدلالات الوظيفية للأدوات بين الوضع والاستعمال دراسة تحليلية لدلالات (إنما)

د. ناصِر فَرج عَبْدُ السَّلام العرفي

(كُلِّيَّة الآداب - جامعة بنغازي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

- فسبب اختيار البحث وهدفه:

يحاول هذا البحث تتبع الدلالات الوظيفية للأدوات بين الوضع والاستعمال، وذلك بتحليل دلالات (إنما) مبالغة وقصراً وحصراً، ومن أين جاء اختلاف أبي حيان مع عدد من النحاة في دلالة (إنما) على الحصر وضعاً؟ وكذلك محاولة فهم كلام عبد القاهر الجرجاني في تميز (إنما) - بالتعريض دون التصريح نفيًا لما سوى المذكور - عن (ما-إلا)، وبيان المقابلة بين الوضع والاستعمال، والمنطوق والمفهوم، والموافقة والمخالفة، وفحوى الخطاب ودليل الخطاب، وتفرع تقابل القصر والحصر عليهما، وكذلك الإثبات والتفني، والتعريض والتصريح، والخصوص والعموم من وجه، والتقييد والإطلاق، والحقيقة والمجاز، والتأصيل والزيادة، والتأسيس والتوكيد، كل ذلك في دلالة (إنما) في كثير من الآيات القرآنية، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أو «إنما الأعمال بالنيات»، وقد كان الخلاف بين الدكتور محمد أبو موسى والدكتور إبراهيم أنيس حول دلالة

(إِنَّمَا) مؤكداً لدوافعي، حيث وجدت أَنَّ الأوَّل أَهْمَل أبا حيان فلم يشر إلى موقفه ، والثاني لم يفصح عن علاقة الجرجاني بأصول الفقه وتأثيرها العميق في منهجه، إنه صورة من صراع الترادف، فكان هذا البحث ليناقد كل ما سبق من مسائل تحت عنوان: الدلالات الوظيفية للأدوات بين الوضع والاستعمال: دراسة تحليلية لدلالات (إنما).

- منهج البحث:

ستكون البداية من بيان الفرق بين القصر والحرص وعلاقة كل واحد منهما بالإثبات والنفي، وذلك في مبحث التأصيل المعجمي والنحوي، ثم بعد ذلك بيان الفرق بين (إِنَّمَا)، و(مَا-إِلَّا) عبر مستويات التعريض والتصريح وعلاقة المستويات بالخصوص والعموم، والتقييد والإطلاق، والحقيقة والمجاز، وذلك في مبحث التأصيل البلاغي والأصولي، فهو منهج استقرائي وصفي تحليلي تكاملي.

- خطة البحث:

سيكون هذا البحث من توطئة، ومبحثين، وخاتمة، وتوصية، على النحو الآتي:

1 - توطئة عن الخلاف حول دلالة (إِنَّمَا).

2 - مبحث التأصيل المعجمي والنحوي.

3 - مبحث التأصيل البلاغي والأصولي.

4 - خاتمة.

5 - توصية.

(1)

التَّوْطئة

لقد بدأ الخلاف حول دلالة (إنَّما) مُبَكِّراً جدًّا، ولكن البدايات فيما أعلم كانت عندما وردت روايات عن الفراء⁽¹⁾، وأبي علي الفارسي⁽²⁾، والزَّجاج⁽³⁾، تقول: إن (إنَّما). تكون بمعنى (ما- إلّا) وهذا الأمر لم يُشر إليه سيبويه في الكتاب⁽⁴⁾، وهناك من فهم هذه الروايات على معنى التَّماهي والترادف بين (إنَّما) و(ما- إلّا)، فانبرى عبد القاهر⁽⁵⁾، الجرجاني في دلائل الإعجاز يبين الفرق بين هاتين الأداتين من أدوات المعاني، وتجدّد الخلاف بعد ذلك على يد أبي حيان في تفسيره مع الزمخشري وغيره⁽⁶⁾، وكان هذا الخلاف محل نقاش واسع بين الأصوليين⁽⁷⁾، في دلالات الألفاظ وأدوات المعاني خاصة، ثم تجدّد هذا الخلاف في عصرنا بين الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة) والدكتور محمد أبو موسى في كتابه (دلالات التراكيب)، ويتجدّد الأمر أيضاً في دلالة (إنَّما) على الحصر والقصر، وذلك في عدد كبير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ومسائل فقهيّة، وقواعد عامّة، منها قاعدة (الأمر بمقاصدها)⁽⁸⁾ التي كان عمدتها حديث «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى....»، فلما كانت (إنَّما) من أدوات المعاني كان لا يمكن بيان دلالتها إلّا بالمنهج التكاملي بين المعجمات والنحو والبلاغة والأصول.

(1) دلائل الإعجاز: 328، البحر المحيط في أصول الفقه: 3 : 247 وما بعده.

(2) دلائل الإعجاز: 328.

(3) دلائل الإعجاز: 328.

(4) الكتاب: 3 : 129.

(5) دلائل الإعجاز: 328 وما بعده.

(6) البحر المحيط: 1 : 191.

(7) البحر المحيط في أصول الفقه: 3 : 247، التعيين في شرح الأربعين: 33.

(8) العدة في شرح العدة في أحاديث الأحكام: 1: 41، منهجية التفكير العلمي في ضوء القواعد الأصولية:

(2)

المُبْحَثُ الأول: التَّأْصِيلُ الْمُعْجَمِيُّ والنَّحْوِيُّ

نحن بحاجة للكشف عن مادة القصر والحصر، ومعلوم أن هذه المواد من معاني التوكيد والاختصاص عموماً، ولو رتبنا أساليب التوكيد وأدواته العديدة ترتيباً تصاعدياً لكان الحصر أصرحها في نفي ما سوى المذكور، نقول: إِنَّ زَيْداً قائم، إنما زَيْدٌ قائم، مَا زَيْدٌ إِلَّا قائمٌ، ولا يخفى أنه لكل توكيد المقام الأبلغ والأنسب به، ولذلك قلت: لو رتبنا؛ لكنني أردت إبراز الإنجاز والإيجاز في القصر والحصر وأن منبعه هو دائرة التوكيد.

تَأْصِيلُ مَادَّةٍ: وَكَدَ.

تدل هذه المادة في المعجمات (على شِدِّ وإحكام. وَأَوْكَيْدٌ عَقْدَكَ، أي: شُدَّة. وَالْوَكَاذُ: حبل تُشَدُّ به البقرة عند الحلب. ويقولون وَكَدَ وَكَدَهُ، إِذَا أَمَّهُ وَعُنِيَ بِهِ)⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾⁽²⁾، (وَكَّدْتَ القول والعقد، وأكدت: أحكمته)⁽³⁾، (فالمعنى المحوري شد الشيء بشيء شداً متيناً يحقق به ارتباطهما فلا يتسبب، كما يفعل بالوكائد)⁽⁴⁾، ومعلوم أن الذي يمثل التوكيد في أداة القصر (إنَّما) هو (إِنَّ)، ونلاحظ أن صورتها وافق معناها فالشَّدُّ والإحكام يظهر في مخرج الهمزة، ثم تشديد التَّوْنِ مع الغنة وكأنَّها نون التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ زيد عليها ثقل الهمزة لتدلَّ على هذا الحبل والسَّيْرِ الذي تُشَدُّ به الجملة عند إدارة توكيد معناها، وفي الواقع النَّحْوِيُّ هذا ما تفعله (إِنَّ) عندما تدخل على الجملة الاسمية وتؤكد النسبة بين طرفيها، والتوكيد من المعاني والمصطلحات الواضحة في كتب النَّحْوِ والعربية عموماً.

(1) مَقَابِيسُ اللَّغَةِ: وكدا: 138.

(2) النحل: 91.

(3) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: وكد: 882.

(4) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: 4 : 1876.

-تأصيل مادة: قَصَرَ.

(المعنى المحوري: حبس عن الانتشار طويلاً أو عرضاً كالفرس القصير أي: مقربة لا تترك أن تروداً لنفاستها، والقصير من الشعر، وحبس الشيء في البيت والقصر خلاف الطول. فمن القصر خلاف الطول (قَصَرَ الشعر: كَفَّ منه وعَصَّ حَتَّى قَصُر، وقَصَره: حذف منه شيئاً) فيصير قصيراً) ولم يستأصله ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾⁽¹⁾، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁽²⁾، و(أَقْصَرَ عَنِ الشَّيْءِ: نَزَعَ عنه وهو يَقْدِرُ عَلَيْهِ (تَحْبُسُ) وتوقَّف عن الاسترسال)، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾⁽³⁾ لا يتوبون ولا يرجعون ، واقتصر على هذا: لا تجاوزة) (احتبس).

ومن الأصل (القَصْر - بالفتح) (البناء المعروف بيت عظيم خاص)، قال لأنه تُقْصَرُ فيه الحرم وتُحبس داخله ﴿وَقَصَرَ مَشِيدٍ﴾⁽⁴⁾ وجمعه قصور. ﴿تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾⁽⁵⁾. و(قصر الطرف حبسه عن النَّظَر) والنَّظَر امتداد. قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾⁽⁶⁾، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصَرْتُ الظَّرْفِ﴾⁽⁷⁾ حابساته على أزواجهن لا تنظرن إلى غيرهم. ومن ملحظ عدم الانتشار هذا ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾⁽⁸⁾ مصونات لأزواجهن. وقولهم (قَصْرَكَ - بالفتح - أن تفعل كذا وكذلك قُصَارُكَ وقصاراك - كغراب وحبارى: أي: حَسْبُكَ أي: يكفيك ذلك). ويلزم من منع الانتشار طويلاً التداخل والكثافة أو العظم (تَقْوَصَرُ الرَّجُلُ: تداخل، وقَصَرُ الظَّلام - بالفتح: اختلاطه (فيكشف)، والقَصْر - محركة

(1) الفتح: 27.

(2) النساء: 101.

(3) الأعراف: 202.

(4) الحج: 45.

(5) الأعراف: 74.

(6) الحجر: 88.

(7) الصافات: 48.

(8) الرحمن: 72.

(تعب): يُبْسُ في العنق (تداخل وغلظ وتماسك)، وَالْقَصْرَةُ - محركة: القطعة من الخشب التي يَدُقُّ بها الْقَصَارُ الثِّيَابَ، وأصل العنق، وأصل الشَّجَرَة والتَّخْلَة العظيمتين، وسَنْدَان الحَدَاد (الأربعة من الغلظ والعظم - وهو لازم عن حبس الانتشار طويلاً). وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ۖ﴾⁽¹⁾ قالوا كالحصون والمدائن في الْعِظَم وقرئ كَالْقَصْرِ - محركة أي: كأصول الشجر والنخل العظام).

فالمعاني الَّتِي تدلُّ عليها مادَّة قصر هي الحبس، والقِصْرُ خِلَافُ الطُّولِ، واقتصرَ عَلَى هَذَا، أي: احتبس، والمصدر الاحتباس والاقْتِصَار، والقُصُورُ: البناء المعروف، والاختلاط، والقِصْرُ والقَصْرَةُ آلة لِقَصَارِ الثِّيَابِ، والكُفِّ.

وعندما تعود إلى كتاب سيبويه⁽²⁾ -رحمة الله- نجده كان يستخدم لفظ الاقتصار في مقابل المتعدي كثيراً من ذلك قوله: (فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول، وإن شئت تعدى إلى الثاني)⁽³⁾، و(ليس لك أن تقصر على أحد المفعولين دون الآخر)⁽⁴⁾، و(قد تقول ظننت فتقصر)⁽⁵⁾ و(لأنَّ إنَّ وأخواتها لا يقتصر فيها على الاسم الذي يقع بعدها لأنها إنما دخلت على مبتدأٍ ومبنيٍّ على مبتدأٍ)⁽⁶⁾.

أعود فأقول صوتياً: (قصر) تعبرُ الراء عن استرسال، ويعبرُ التركيب عن منع الانتشار طويلاً كأن القطع وقع على ما من شأنه الاسترسال فلم يسترسل⁽⁷⁾. فهو قص الاسترسال. كل هذه المعاني التي كان محورها الحبس في المعجمات، وكان لُبُّها الاقتصار عند سيبويه هي التي عملتها (ما) عندما دخلت على (إنَّ) فكفتها وجعلتها

(1) الرسائل: 32.

(2) الكتاب: 1: 37، 39، 40، 41، 42، 45، 46، 126، 429، 2-368.

(3) الكتاب: 1: 37.

(4) الكتاب: 39: 40.

(5) الكتاب: 1: 40، 46.

(6) الكتاب: 2: 368.

(7) المعجم الاشتقاقي المؤصل: 4: 1780.

مقتصرة على معنى التوكيد دون عملها من النَّصب، فالمعنى في الاقتصار والقصر هو منع الانتشار لعمل (إِنَّ)، وكذلك منع انتشار المعاني والصفات وحبسها وقصرها على الصِّفة المذكورة، يقول ابن السِّيد (قال نحاة البصرة: معناها الاقتصار كقولك: إنما زيد شجاع، لمن ادَّعى له غير ذلك من الصِّفات، والتحقيق كقولك: إنما وهبت درهماً، لمن يزعم أنَّه وهب أكثر من ذلك، هذا راجع إلى الاقتصار. وقد يستعمل في ردِّ النَّفي إلى حقيقته إذا وصف بما لا يليق به كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾⁽¹⁾، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾⁽²⁾، وهو راجع للأوَّل (أي: الإِقتصار)⁽³⁾. فهو اقتصار وقصر لما هو مذكور، إما من اقتصار حركة النصب، أو من قصر إثبات نسبة الخبر للمبتدأ، أو من رد النفي عبر الاقتصار على الصِّفة المذكورة المقابلة للصفات المردود عليها، فإنما هي قوصرة ترد وتمنع الصِّفات من غير الصِّفة المذكورة المقابلة لتلك الصفات في السِّياق والمقام والحال والبساط، (إنه عدم المجاوزة إلى الغير)⁽⁴⁾ ولا يبعد أن السكاكي لما وجد سيبويه⁽⁵⁾ تحدَّر على (إنَّما) من باب (إِنَّ) الذي تكلم فيه عن الاقتصار، بل إن مصطلح الاقتصار منتشر في الكتاب للكف وعدم عمل النصب، ووجد عبد القاهر الجرجاني⁽⁶⁾ هذا حذو سيبويه في التحدُّر من باب (إِنَّ)، والقصر في المعجمات الاقتصار فما كان من السكاكي إلَّا أن سمَّاهُ باب القصر في مفتاح العلوم⁽⁷⁾، فجذور المصطلح مقتبسة من الكتاب، ولم أرَ من أشار إلى ذلك. والله أعلم.

(1) النساء: 171.

(2) الكهف: 110.

(3) الاقتضاب: 17-18 نقلاً عن البحر المحيط للزُّركشي: 3: 237، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 1: 588.

(4) مواهب الفتاح لليعقوبي وحاشية الدسوقي: 2: 166، نقلاً عن أساليب القصر: 19.

(5) الكتاب: 3: 129، وفي معنى القصر: 2: 310.

(6) دلائل الإعجاز: 214.

(7) مفتاح العلوم: 156.

- تأصيل مادة حصر:

(تعبّر الرّاء عن الاسترسال ويعبّر التركيب عن امتداد (= استرسال) الشّدّ والشّدّة كما في الحصر والحصير)⁽¹⁾، ولعلي بدأت بالمستوى الصوتي في تأصيل مادّة حصر، لأنّه هو المستوى الذي يظهر فيه الفرق الدّقيق مع مادّة قَصَرَ، حيث قلنا عن القصر (تعبّر الرّاء عن استرسال، ويعبّر التركيب عن منع الانتشار طويلاً كأنّ القطع وقع على ما من شأنه الاسترسال فلم يسترسل)⁽²⁾ فلاحظ أنّ حَصَرَ امتداد الشّدّ والشّدّة، وأمّا قصر: منع الانتشار طويلاً، وهذا فرق مهمّ جداً سينطلق منه نوعاً دلالة (إنّما)، حيث سيكون الحصر ممثلاً للنفي العام الممتد الذي يشمل كل ما سوى المذكور، بخلاف القصر الذي يقتصر على الرد والنفي للمقابل للمذكور فهو النفي الخاصّ، ويصعب أن تجد هذا الفرق بين قصر وحصر بهذا الوضوح في عموم المادّة كما سنرى، ولكنّ المستوى الصّوتيّ هو الفيصل في اختصاص كل مادّة بنوع من أنواع دلالة (إنّما) في نظري.

المعنى المحوريّ: (أن يحتبس في الشّيء ما من شأنه التّسيّب كالمائع فلا يتسيّب ولا ينطلق. كامتسك عيدان التّبّات في الحَصِيرِ بالخيط، والدّرّ والكلام والبّداء في مخرجها فلا تخرُجُ أو تتحرّك. وقد سَمَوْا وَجّه الأرض حَصِيرًا كأنّهم لحظوا تماسكه وثباته مقابل الماء. ومن ذلك (رجل حَصِر- ككتف: كتوم للسّر لا يبوح به، وكذا ممسك ضيق بخيل كالحصير والحصور من الإبل. (والحصور من الرجال الذي لا إربة له في النساء) (ممسك على مائه). ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾⁽³⁾ (والحصور منهن: الرّقاء (محصورة أو محصور عنها). والحصير: الملك (يمسك الرعية)، والمحبس ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾⁽⁴⁾. وحصره وأحصره المرض ونحوه حبسه أو منعه من السّفر (الحركة تسيّب - ﴿وَحَدُّهُمْ وَأَحْصُرُهُمْ﴾⁽⁵⁾

(1) المعجم الاشتقاقي: 1: 438.

(2) المعجم الاشتقاقي: 1: 1780.

(3) آل عمران: 39.

(4) الإسراء: 8.

(5) التوبة: 5.

(قَيِّدُوهُمْ وَاَمْنَعُوهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْبِلَادِ، وَقِيلَ: اسْتَرْقُوهُمْ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: حَاصِرُوهُمْ إِنْ تَحَصَّنُوا..) ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْهُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾⁽¹⁾، الإحصار هُوَ الْمَنْعُ بِأَيِّ عَذْرٍ كَانَ مِنْ مَرِيضٍ أَوْ عَدُوٍّ أَوْ جُورِ سُلْطَانٍ (أَي: مَنْعْتُمْ مِنْ إِتْمَامِ الْحَجِّ بَعْدَ أَدَائِكُمْ بَعْضَ مَنَاسِكِهِ) ﴿أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽²⁾، حَبَسُوا وَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي مَعَاشِهِمْ خَوْفَ الْعَدُوِّ.. لَكُنِ الْبِلَادُ كُلُّهَا كَفَرًا مُطَبَّقًا وَحَصَرَ، صَدْرُهُ (تَعَبَ): ضَاقَ (كَأَنَّمَا التَّحَمَّ وَلَمْ يَقْبَلِ) ﴿حَصَرْتَ صُدُورَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾.

- لقد لاحظت أن الفرق بين المادتين معجمياً دقيق جداً، ويتجلى في المستوى الصوتي في علاقة انتشار الراء مع (قص) ومع (حص)، حيث القصر والاقتصار: منع الانتشار طويلاً، والحصر: امتداد الشدَّة والشدَّة، فالأمر بينهما مترادف في المعنى العام، وتباين في هذا المعنى الخاص الذي يتجلى في المعنى المعجمي صوتياً، وقد كانت (إنَّما) مُجْمَعاً لهذا التَّكَاثُلِ وَالتَّقَابِلِ مِنْ حَيْثُ الْقَصْرُ وَالْاِقْتِصَارُ وَضَعًا وَتَصْرِيحًا، وَمِنْ حَيْثُ الْحَصْرُ اسْتِعْمَالًا وَتَعْرِيزًا، وَكَمْ وَدَدْتُ الْعَثُورَ عَلَى كِتَابِ تَقِي الدِّينِ السَّبْكِ «الِاقْتِنَاصُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ». لَأَعْلَمَ هَلْ فَرْقٌ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالْحَصْرِ؟. مَعَ أَنَّ الْعُنْوَانَ يُوجِي بِالْفَرْقِ، فَالِاخْتِصَاصُ يُطْلَقُ عَلَى الْقَصْرِ، فَالْخِلَاصَةُ الْقَصْرُ مَنَعَ لِعَمَلِ (إِنْ) وَمَنَعَ لظُهُورِ النْفِي فِي الْفَرْقِ، وَالْحَصْرُ امْتِدَادُ لظُهُورِ النْفِي فِي الْفَرْقِ.

- (مَا) بَيْنَ التَّوَكُّيدِ وَالنَّفْيِ⁽⁵⁾:

يقول سيبويه رَحِمَهُ اللهُ (هذا باب إنَّما وأنَّما، اعلم أنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ تَقَعُ فِيهِ (أَنَّ) تَقَعُ فِيهِ (أَنَّمَا)، وَمَا ابْتَدَأَ بَعْدَهَا صِلَةٌ لَهَا كَمَا أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ بَعْدَ (الَّذِي) صِلَةٌ لَهُ، وَلَا تَكُونُ هِيَ

(1) البقرة: 196.

(2) البقرة: 273.

(3) النساء: 90.

(4) المعجم الاشتقاقي: 1: 438.

(5) المغني: 308-309، الإتيقان: 2: 49-50، التفسير الكبير: 16: 105.

عاملة فيما بعدها كما لا يكون (الذي) عاملاً فيما بعده.

فمن ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكِبِ إِلَهُ وَحْدٌ﴾⁽¹⁾.

وقال الشاعر ابن الإطنابة:

أبلغ الحارث بن ظالم المو عِدَ والتَّادَرَ التَّدَوَّرَ عَلَيَّا
أَنَّمَا تقتل التَّيَامَ ولا تَقُتْ لُ يَقْظَانِ ذَا سِلَاحٍ كَمِيَّا

فإنَّما وقعت (أَنَّمَا) ههنا لأنَّكَ لو قلت: أَنْ إِلَهُكُمْ إِلَهُ واحد، وأُنْكَ تقتل التَّيَامَ كان حسناً. وإن شئت قُلْتَ: إِنَّمَا تقتل التَّيَامَ، على الابتداء. زعم ذلك الخليل. فأما (إنَّما) فلا تكون اسماً، وإنَّما هي فيما زعم الخليل بمنزلة فعل ملغى، مثل: أشهد لزيد خير منك، لأنَّها لا تعمل فيما بعدها ولا تكون إلاَّ مبتدأة بمنزلة إذا، لا تعمل في شيء⁽²⁾، واضح أنه يقارن (أَنَّمَا) بـ (أَنَّ) و(الذي) ويقارن (إنَّما) بالفعل الملغى (أشهد)، ثُمَّ يقول في السياق السابق نفسه أيضاً (واعلم أَنَّ الموضع الذي لا يجوز فيه (أَنَّ) لا تكون فيه (إنَّما) إلاَّ مبتدأة وذلك قولك: وجدَّكَ إِنَّمَا أَنْتَ صَاحِبُ كُلِّ خَنِيٍّ، لم يجوز ذلك لأنَّكَ إذا قلت أرى أَنَّهُ منطلقٌ فإنَّما وقع الرَّأْيُ على شيء لا يكون الكاف التي في (وجدتك) ونحوها من الاسماء فمن ثم لم يَجُزْ ذَلِكَ، لأنَّكَ لو قُلْتَ: وجدَّكَ أَنْكَ صَاحِبُ كُلِّ خَنِيٍّ، رأيتك أَنْكَ منطلق، فإنَّما أدخلت (إنَّما) على كلام مبتدأ، كأنَّكَ قلت: وجدَّكَ أَنْتَ صَاحِبُ كُلِّ خَنِيٍّ، ثم أدخلت (إنَّما) على هذا الكلام، فصار كقولك: إِنَّمَا أَنْتَ صَاحِبُ كُلِّ خَنِيٍّ، لأنَّكَ أدخلتها على كلام قد عمل بعضه في بعض. ولم تضع إنَّما في موضع ذاك إذا قلت وجدَّكَ ذاك، لأنَّ ذاك هو الأوَّل.

وأَنَّمَا وَأَنَّ إِنَّمَا يصيِّران الكلام شأناً وحديثاً، فلا يكون الخبر ولا الحديث الرَّجُلَ ولا زيداً، ولا أشباه ذلك من الاسماء. وقال كُثَيِّرٌ:

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ إِنَّمَا أُوَاحِي مِنَ الْأَقْوَامِ كُلِّ بَخِيلٍ

(1) الكهف: 110.

(2) الكتاب: 3: 129 وشرح كتاب سيبويه للسيرافي: 3: 349.

لأنه لو قال: (أني) ههنا كان غير جائز لما ذكرنا، (فإنَّما) ههنا بمنزلتها في قولك: زيدٌ إنما يواخي كل بخيل، وهو كلام مبتدأ، و(إنَّما) في موضع خبره، كما أنك إذا قلت: كان زيدٌ أبوه منطلق، فهو مبتدأ وهو في موضع خبره، وتقول: وجدت خبره أنما يجالس أهل الخبث، لأنك تقول: أرى أمره أنَّه يجالس أهل الخبث، فحسنت (أنه) ها هنا لأنَّ الآخر هو الأوَّل⁽¹⁾.

كل هذا امتداد للمقارنة ب (أن) و(الفعل الملقى باللام أشهد)، وفي نص آخر يتَّضح فيه أنَّ اللَّام تمنع العَمَل وتؤكد معنى الفعل وتجعله يقيناً - وهذا هو عمل (إنَّما)، يقول (ومن ذلك: قد علمتُ لعبد الله خيرٌ منك- فهذه اللَّام تمنع العَمَل، كما يمنع ألف الاستفهام لأنها إنما هي لام الابتداء، وإنما أدخلت عليه علمتُ لتؤكد وتجعله يقيناً قد علمته ولا تُحيل على علم غيرك....)⁽²⁾ وفي هذا النص أمران:

الأول: أنَّ (ما) في (إنَّما) تعمل عمل اللام، فهي تمنع (إنَّ) عن العمل، حيث تجعلها بمعنى فعل أشهد، وعلمت، الذي يدل على اليقين والتوكيد وعدم الإحالة على علم غيرك فهو فعل مضارع للمتكلم ممنوع من العمل، هذا كُله أدخلته (ما) معها على (إنَّ).

الثاني: أنها عندما تكون تقع في كل شيء تقع فيه (أنَّ) فهذا يدلُّ على أن (إنَّما) لا تدلُّ على الحصر⁽³⁾ لأنَّ (أنَّ) لا تدل على الحصر، وهذا ما قاله نصُّ الزركشي يقول: ((.... نعم رأيت في كتاب سيبويه (ما يدل على أنها لا تقتضي الحصر، فإنه قال في باب (إنَّما) واعلم أن كل شيء يقع فيه (أنَّ) يقع فيه (أنَّما) وما بعدها صلتها كما في (الذي) ولا تكون هي عاملة فيما بعدها كما لا يكون (الذي) عاملاً فيما بعد، فمن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِدٌ﴾⁽⁴⁾ فإنما وقعت (أنما) ها هنا؛ لأنك لو قلت: أنَّ إلهكم

(1) الكتاب: 3: 129.

(2) الكتاب: 1: 236.

(3) ينظر: الهمع: 1: 144، الإتيقان: 2: 49، التصريح: 1: 225، المسائل النحوية في كتاب التوضيح لشرح

الجامع الصحيح: 184.

(4) الكهف: 110.

إِلَهٌ وَاحِدٌ كَانَ حَسَنًا⁽¹⁾.

فيحصل من الأمرين أن (ما) هنا مبالغة في التوكيد، مانعة للعمل أي: كAFFة تفيد الاقتصار والقصر فقط، ف (إِنَّ) فعل دال على اليقين والتوكيد، وجاء بصيغة أشهد وهي صيغة لها دلالة في اليقين والعلم والتوكيد مع اللام، فالفعل = (إِنَّ) و(اللام) = (ما)، وزيادة (ما) هي مصدر المبالغة والاقتصار والقصر الإضافي السياقي، وفهما عدم الحصر من الفعل (أشهد) ولام الابتداء، فالحصر هو ما اجتمع فيه الإثبات والنفي ملفوظا ظاهرا مثل (ما - إلا)، وليس هذا في (إنما)، ولذلك جاء القول بأن (ما) نافية حتى يسوغوا دعوى الحصر في لفظها، ولكن سيبيوه لم يقل ذلك، ويتعزز ذلك بأبي حيان في البحر المحيط في مواضع كثيرة، من ذلك:

1 - قوله: (إِنَّمَا) (ما) صلة لِإِنَّ وتكفها عن العمل فإن وليتها جملة فعلية كانت مهية، وفي ألفاظ المتأخرين من التحويين⁽²⁾ وبعض أهل الأصول أنها للحصر، وكونها مركبة من (ما) النافية دخل عليها (إِنَّ) التي للإثبات فأفادت الحصر قول ريك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو، والذي نذهب إليه أنها لا تدل على الحصر بالوضع، كما أن الحصر لا يفهم من أخواتها التي كُفَّتْ بما، فلا فرق بين لعل زيدا قائم، ولعل ما زيدا قائم، فكذلك إن زيدا قائم وإنما زيدا قائم، وإذا فهم حصر فإنما يفهم من سياق الكلام، لا أن (إِنَّمَا) دلت عليه، وبهذا الذي قرناه يزول الإشكال الذي أوردوه في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾⁽³⁾، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾⁽⁴⁾، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّحْشَاهَا﴾⁽⁵⁾، وإعمال إنما قد زعم بعضهم أنه مسموع من لسان العرب، والذي عليه أصحابنا أنه غير مسموع⁽⁶⁾.

(1) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 248.

(2) حاشية الصَّبَّان: 1: 283.

(3) الرعد: 7.

(4) الكهف: 110.

(5) النازعات: 45.

(6) البحر المحيط: 1: 191.

في هذا النص يقرّر أبو حيان بوضوح أنّ (إنّما) لا تفيد الحصر بالوضع، فهو لا ينفيه عنها مطلقاً كما توهم كثيرون وظنوا أنه مضطرب فيها⁽¹⁾، بل يقول هي تدل على الحصر من جهة السياق وليس من جهة وضعها، عندما نجعل (ما) نافية، ولكن (ما) مؤكدة مثل (إنّ)، فليست (إنّ) للإثبات بل هي لتوكيد الإثبات أو توكيد النفي، حسب النسبة في الجملة، ولذلك دخلت (ما) فهي صلة وزائدة للتوكيد كقافّة أو مهيّة، فهي توكيد لتوكيد النسبة، وهذا هو القصر، أي: مبالغة في توكيد النسبة، ثم ذكر موضعاً ينتفي فيه الحصر تماماً، وهو عندما تكون (إنّما) عاملة، نحو: (إنما محمداً حاضراً) فقال هذا عند أصحابنا غير مسموع، كل هذا ليقرر أنها مبالغة في التوكيد أي: قصر في نظري وليست حصراً من جهة الوضع، ولا يعني هذا أنها لا تدل على الحصر من جهة السياق والبساط والمقام والحال، المهم هنا هو أنه عندما علم أن مدخل الحصر في وضعها من جهة كون (ما) نافية، أغلق الباب ويّين بوضوح أن من يقول ذلك ليس عارفاً بالتخو.

2 - (... ولفظة (إنّما) إن كانت وضعت للحصر، فالحصر مستفاد من لفظها، وإن كانت لم توضع للحصر، فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط الحكم بالوصف يقتضي التعليل به، والتعليل بالشيء يقتضي الاقتصار عليه، والظاهر أن مصرف الصدقات هؤلاء الأصناف)⁽²⁾، هنا يسلك مسلكاً أصولياً في تعليل دلالتها على الحصر أي: الحصر الحقيقي التّحقيقي الذي هو نفي كل ما سوى المذكور المستفاد من الأوصاف.

3 - (وليست (إنّما) للحصر إنما هي للمبالغة في التوكيد)⁽³⁾، و(إنّما) هنا ليست للحصر، لا وضعاً ولا استعمالاً، لأنه ضرب للحياة الدنيا أمثالاً غير هذا)⁽⁴⁾، ولاحظ قوله: (هنا)، (لا وضعاً ولا استعمالاً) فهو يتتبع السياقات، ويحكم على كلّ واحدٍ، إمّا بالوضع أو

(1) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 1: 588، معاني النحو: 1: 330، أساليب القصر: 213.

(2) البحر المحيط: 5: 58.

(3) البحر المحيط: 5: 92.

(4) البحر المحيط: 5: 144.

بالاستعمال أو بنفيهما معاً، وهنا واضح أنه يقصد نفي الحصر الحقيقي الذي ينفي كل ما سوى المذكور، بدليل قوله: (لأنه ضرب الحياة الدنيا أمثالاً غير هذا)، فهو عندما ينفي الحصر فإنما ينفي النوع الذي ينفي كل ما سوى المذكور، أي الحصر الحقيقي التحقيقي العام، فالمبالغة في التوكيد عنده هي القصر وليست الحصر، أو هي النوع الإضافي والمقيد منهما الذي ينفي المقابل للمذكور، وليس النافي لكل ما سوى المذكور ولو خارج السياق .

4 - (وجاء لفظ (إنّما) مشعراً بالحصر، كأنّه قال ليس ذلك إلا تسكيراً للأبصار،...) ⁽¹⁾ واضح هنا اعتماداً على ما قرره في أول تفسيره، وفي المواضع السابقة لهذا الموضع، أن الإشعار بالحصر هنا جاء من جهة سياق الآيات، ولذلك فسرّه ب(ليس وإلا)، ومثله قوله (واستلزم النهي عن اتخاذ آلهة أخبر تعالى أنه إله واحد، كما قال: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ ⁽²⁾ بأداة الحصر وبالتأكيد بالوحدة، ثم أمرهم بأن يَرْهَبُوهُ،...) ⁽³⁾ إنه هنا يؤكد أنه لا ينفي الحصر المقيد أي: القصر الإضافي أو الحصر المقيد فقد سمّي (إنّما) أداة الحصر، فلنسمّه (الحصر السياقي)، وعندما جاء يريد أن يبيّن أن السياق هنا في آية الوجدانية هو سياق الحصر العام التحقيقي الذي ينفي كل ما سوى المذكور قال (وبالتأكيد بالوحدّة) فهي لم تدل أي: الأداة على الحصر المطلق السياقي بنفسها، وإنّما بالاستعانة بالتأكيد بالوحدة، فالحصر هنا سياقيّ .

5 - في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ⁽⁴⁾ يقول أبو حيان ثم ردّ تعالى قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ ⁽⁵⁾ بقوله ((إنما يفتري الكذب)) أي: إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن، لأنه لا يترقب عقاباً عليه، ولما كان في كلامهم (إنّما)

(1) البحر المحيط: 5: 436.

(2) البقرة: 163.

(3) البحر المحيط: 5: 485.

(4) النحل: 105.

(5) النحل: 101.

وهو يقتضي الحصر عند بعضهم جاء الردُّ عليهم ب (إنَّما) أيضاً، وجاء بلفظ (يفتري) الذي يقتضي التَّجْدُد⁽¹⁾ واضح هنا أنَّه كان حذرًا في الحصر السِّيَاقِي الحَقِيقِي التَّحْقِيقِي العامَّ فقال: عند بعضهم، لأنه يؤدي إلى أن كل من يكذب فهو كافر أي: ما يكذب إلا كافر، فهو أراد أن يكون حذرًا من هذا الالتزام الذي يكفر بالكبيرة، فقال (ولما كان في كلامهم (إنَّما) وهو يقتضي الحصر عند بعضهم جاء الردُّ عليهم ب (إنَّما) أيضاً، فأراد أن يبيِّن سياقه وهو الردُّ على الكافرين؛ لأنَّهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر والعقاب والحساب، فأراد أن يبيِّن سياق الكذب والكاذب حيث هو كافر من كافر يتجدد منه هذا الافتراء، فالحصر الحقيقي في (إنَّما) سياقه للرد على كافر معين عند أبي حيان، واحتراس (ببعضهم) لعله يشير إلى أن الكفار كانوا يسمون النبي بالصادق الأمين فهم في قولهم ((إنما أنت مفتر)) في سياق الوحي فقط، فهو عنده قصر إضافي مقيد وضعي.

6 - ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾، وقال الزمخشري: (إنَّما) تقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم كقوله (إنَّما زيد قائم) و(إنما يقوم زيد) وقد اجتمع المثلان في هذه الآية، لأن ((إنَّما يوحى إِيَّيَّ)) مع فاعله بمنزلة (إنما يقوم زيد) و((أَنْتُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)) بمنزلة (إنما زيد قائم) وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أنَّ الوحي إلى الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم مقصور على استثثار الله الوحداية انتهى. وأما ما ذكره في (إنَّما) أنَّها لقصر ما ذكر فهو مبني على أنَّ إنَّما للحصر، وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وإنما مع (إنَّ) كهي مع (كأن) ومع (لعل) فكما أنَّها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في التَّرجِي فكذلك لا تفيده مع إنَّ، وأما جعله إنَّما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها يدل على القصر فلا نعلم الخلاف إلا في إنَّما بالكسر، وأما الفتح فحرف مصدري ينسبك منه مع ما بعدها مصدر، فالجملة بعدها ليس جملة مستقلة ولو كانت (إنَّما) دالة على الحصر

(1) البحر المحيط: 5: 520.

(2) الأنبياء: 108.

لزم أن يقال إنَّه لم يوح إليه شيء إلاَّ التوحيد، وذلك لا يصحُّ الحُصْرُ فيه إذ قد أوحى له أشياء غير التوحيد وفي الآية دليل على تظافر المنقول للمعقول، وأن النقل أحدُ طريقي التوحيد، ويجوز في (ما) من (إنَّما) أن تكون موصولة⁽¹⁾.

هذه الآية هي نفسها استشهد بها سيبويه في الكتاب⁽²⁾ وقد فَرَّقَ سيبويه بين (أَنما) و(إنَّما) حيث المكسورة لا تكون اسماً، تكون مبتدأة، وهي بمنزلة فعل ملغى، وبمنزلة (الذي)، وقد ذكرت سابقاً أن معنى الحُصْرُ أي: الحصر الحقيقي التحقيقي الذي ينفي كل ما سوى المذكور ولو من خارج السياق لا يفهم وضعاً من كلام سيبويه، وقد فهمنا هذا مما أشار إليه الزركشي⁽³⁾ وهو ما ينفيه أبو حيان في تحليله النصوص السابقة، وفي رده هنا على الزمخشري دليل واضح أنه يفرق بين مصطلح القصر والحصر، فهو يرفض القصر وضعاً إذا فسر بمعنى الحصر الحقيقي التحقيقي الذي ينفي كل ما سوى المذكور ولو خارج السياق، بدليل قوله: (ولو كانت (إنَّما) دالة على الحصر لزم أن يقال إنَّه لم يوح إليه شيء إلاَّ التوحيد، وذلك لا يصحُّ الحُصْرُ فيه إذ قد أوحى له أشياء غير التوحيد)، والزمخشري لم يقصد هذا الحصر، ولكن أبا حيان هو الذي أوَّل كلامه بذلك، فهل يقول الزمخشري بالحصر الذي ينفيه أبو حيان؟ هذا يحتاج إلى استقراء تفسير الكشاف.

فالزمخشري يرى أنَّ اجتماع (إنَّما) و(أَنما) هذا التنوع الصوتي هو الَّذِي سمح بالتوكيد بالابتداء ثم بالمصدرية، فهذا التكرار هو الذي جلب تقرير الحصر في السياق مع أن الزمخشري عبر بلفظ القصر، كأني به يريد أن يصل به إلى أعلى درجة في القصر، ولكن لا تصل إلى الحصر الذي يريد نفيه أبو حيان فلا يصل إلى معنى (لم يوح إليه شيء إلاَّ

(1) البحر المحيط: 6: 318.

(2) الكتاب: 3: 129.

(3) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 248.

التوحيد، وذلك لا يصح الحصر فيه إذ قد أوجي له أشياء غير التوحيد⁽¹⁾، فهو وإن وصل إلى الحصر فهو يرجع إلى الردّ والمجاز وخصوصية سياق الخصم وعناده، وليس المقصود الحصر الحقيقي التحقيقي التقريري العام.

وقد انتصر ابن عاشور للزمخشري مع تأكيده على انكار النفي في (ما)، ولكنه لم يناقش قضية نوع القصر والحصر من حيث الوضع والسياق يقول: و(أئما) مفتوحة الهمزة، وهي أخت (إئما) المكسورة، وإنما تفتح همزتها إذا وقعت معمولة لما قبلها، ولم تكن في الابتداء، كما تفتح همزة (أنّ) وتكسر همزة (إنّ) لأن (إئما) أو (أئما) مركبان من (إنّ) أو (أنّ) مع (ما) الكافة الزائدة للدلالة على معنى (ما) و(إلا) حتى ذهب وهلّ بعضهم أنّ (ما) التي معها هي النافية اغتراراً بأنّ معنى القصر إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، مثل (ما) و(إلا) ولا ينبغي التردد في كون (أئما) المفتوحة الهمزة مفيدة القصر، مثل أختها المكسورة الهمزة، وبذلك جزم الزمخشري في تفسير سورة الأنبياء، وماردّه أبو حيان عليه إنما هو مجازفة⁽²⁾.

وفي نظري أنّ القصر الذي أثبتته الزمخشري ليس هو الحصر الذي نفاه أبو حيان، فهما لا يتواردان على محلّ واحد، فأبو حيان مهموم بما يلزم عن القول بالقصر والحصر من لوازم وأحكام، وهذا ملمح أصوليّ استنباطيّ قائم على المقابلة بين العموم والخصوص في النصوص، في حين أن الزمخشري بلاغي أعمق في الالتصاق بالبيان ومجازاته.

لقد كان أبو حيان مهموماً بمعرفة من أين جاء الحصر الحقيقي التحقيقي العام المطلق؟ وهذا توجهٌ نحوي أصيل في تحديد وظائف كل أفراد التركيب، إن تفرقة أبي حيان في (إئما) بين كونها في أصل الوضع لمبالغة التوكيد الذي يُسمّى أحياناً القصر الإضافي أو الخاص أو الحصر المقيّد، وبين كونها دالة على الحصر الحقيقي التحقيقي

(1) البحر المحيط: 6: 318.

(2) التحرير والتنوير: 11: 237. وينظر: القضايا اللغوية في تفسير التحرير والتنوير: 131، 132.

العام المطلق من جهة الاستعمال والسَّياق والمجاز هي التفرقة التي عبر عنها أصحاب معاني النحو وعلى رأسهم الجرجاني بالتصريح والتعريض في النفي كما سيأتي، فأبو حيان يعتبر أهم من أغلق الباب حول شبهة أنه يلزم من كون (إنّما) للحصر بالاستعمال والسياق أن تَكُون (ما) نافيةً، وكما قال ابن عاشور ((اغتراراً بأن معنى القصر إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، مثل (ما) و(إلا))⁽¹⁾ كأنهم عندما رأوا (نفيه عما عداه) فظنوا أنّ (ما) للنفي، فأبو حيان يقول هذا النفي لما عدا المذكور سواء كان للصفات المقابلة له في سياقه الخاص، أو كل ما سوى المذكور في السياق وخارجه عموماً، هذا النفي العام المجازي يحدده السَّياق والاستعمال والقصدية للكمال في النفي، وليس نابعا من (إنّما) من جهة الوضع أو من كون (ما) نافية .

ونأتي بنص ابن هشام الذي يبين بوضوح سبب الوهم في دلالة إنّما الحصر بسبب (ما) النافية، ويبين فيه سوء الفهم عن النحاة فيقول: (وزعم جماعة من الأصوليين والبيانين أن (ما) الكافة التي مع إنّ نافية وأن ذلك سبب إفادتها للحصر قالوا لأنّ إنّّ للإثبات وما للنفي فلا يجوز أن يتوجها معاً إلى شيء واحد لأنّه تناقض ولا أن يحكم بتوجه النفي للمذكور بعدها لأنّه خلاف الواقع باتّفاق فتعين صرفه لغير المذكور وصرف الإثبات للمذكور فجاء الحصر، وهذا البحث مبني على مقدمتين باطلتين بإجماع النحويين إذ ليست إنّّ للإثبات وإنّما هي لتوكيد الكلام إثباتاً كان مثل إنّّ زيداً قائم أو نفياً مثل إنّّ زيداً ليس بقائم ومنه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾⁽²⁾ وليست ما للنفي بل هي بمنزلتها في أخواتها ليتما ولعلما ولكنما وكأنّما وبعضهم ينسب القول بأنها نافية للفراسي في كتاب الشيرازيات ولم يقل ذلك الفراسي لا في الشيرازيات ولا في غيرها ولا قاله نحويّ غيره وإنّما قال الفراسي في الشيرازيات إنّ العرب عاملوا إنّّما معاملة النفي وإلا في فصل الضمير كقول الفرزدق:

(1) التحرير والتنوير: 11: 237، وينظر القضايا اللغوية في تفسير التحرير والتنوير: 131، 132.

(2) يونس: 44.

(وإنما... يُدافعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي) فهذا كقول الآخر (قد علمت سَلَمَى وَجَارَاتُهَا... مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا) وقول أبي حيان لا يجوز فصل الضمير المحصور بإنما وإن الفصل في البيت الأول ضرورة واستدلاله بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً﴾⁽¹⁾، ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾⁽²⁾، ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾⁽³⁾ وهم لأن الحصر فيهن في جانب الظرف لا الفاعل ألا ترى أن المعنى ما أعظكم إلا بواحدة وكذلك الباقي⁽⁴⁾ في هذا ينفي بوضوح ابن هشام كونها نافية، ثم هناك مسألة يُصِرُّ عليها وهي أَنَّ العرب عاملوا إنما معاملة النفي وإلا في فصل الضمير، أي ليس الأمر فيها عامًّا حيثما وَرَدَتْ وإِنَّمَا في فصل الضمير خاصّة، وقد اعتبر أبو حيان أن الأمر ضرورة شعريّة فهو مازال مُصِرًّا على نفي الحصر من جهة وَضْعِهَا، ولكن ابن هشام قال هذا منه وَهُمْ وناقش شواهد وأنها وبيت الفرزدق لا يتواردان عَلَى مُحَلٍّ وَاحِدٍ، فَالْبَيْتُ عَلَى الْفَاعِلِ، وَهِيَ عَلَى الظَّرْفِ وَالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ فلا مانع من الحصر، ولكن في نظري ما كان لابن هشام أن يقول (ألا ترى أن المعنى ما أعظكم إلا بواحدة)، فكأن أبا حيان يقول له بل المعنى: إنما أعظكم بواحدة لا مثني ولا ثلاث ولا رباع، أي: بتقدير النفي بالعطف، وليس بإظهاره ب(ما-إلا)، وهذه المسألة التي رويت عن أبي عليّ الفارسي بأن (إنما) بمعنى النفي وإلا، هل هي تنطبق على (إنما) في كل موضع واستعمال وسياق أم هي لها سياقاتها مثل فصل الضمير كما يرى ابن هشام، وأنَّ هناك وضعاً لها لا يقبل الحصر أو القصر العام المطلق الذي ينفي عن المذكور كل ما سواه حتى من خارج سياقه؟ وهل كلام أبي عليّ الفارسي يعني التماهي مع (ما-إلا) سيكون هذا النقاش محور دلائل الإعجاز⁽⁵⁾.

(1) سبأ: 46.

(2) يوسف: 86.

(3) آل عمران: 185.

(4) مُعْنَى اللَّيْبِ: 1: 407. وينظر: معاني النحو: 1: 330.

(5) دلائل الإعجاز: 253-255.

(3)

المُبْحَثُ الثَّانِي: التَّأْصِيلُ الْبَلَاغِيُّ الْأَصُولِيُّ

سيعود بنا عبد القاهر إلى أجواء سيبويه الذي لم يَقْرُنْ (إِنَّمَا) في أصل وضعها بالتَّفْيِ وإِلَّا بل بـ (أشهد لزيد قائم) و(أَنْ) كما مر سابقاً، وسيرفرض عبد القاهر التَّمَاهِي بينهما بكل وضوح، فهو في نظري المؤسس البلاغي للترقية بين الوضع والاستعمال التي فصلها أبوحيان نحويًا، والتي حصرها ابن هشام في حالة فصل الضمير، فعنده بَيَّتَ الْفَرْزَدَقُ لَا يَصِحُّ مَعْنَاهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا إِذَا فَصَلْتَ الضَّمِيرَ كَمَا تَفْصِلُهُ مَعَ التَّفْيِ إِذَا أَحَقَّتْ مَعَهُ (إِلَّا) حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى، وهكذا كُلُّ السِّيَاقَاتِ الَّتِي قَاسَهَا أَصْحَابُهَا عَلَى حالة فصل الضمير، وهذا الحمل على المعنى ليس هو الأصل والوضع، فكلام عبد القاهر سيكون أيضًا من أجل إثبات الفرق بلاغيًا، وأنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما -إِلَّا) يصلح فيه (إِنَّمَا)، فالتوكيد بها مستويات منها ما يصل إلى درجة (ما -إِلَّا) ومنها ما لا يصل إلى ذلك .

- تَأْصِيلُ الْفَرْقِ بَيْنَ (إِنَّمَا) وَ(مَا -إِلَّا):

يقول الجرجاني: فصل في مسائل (إِنَّمَا): قال الشيخ أبو علي في الشِّيرَازِيَّاتِ: يقول نَاسٌ مِنَ التَّحَوِّيِّينَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (1) إِنَّ الْمَعْنَى: مَا حَرَّمَ رَبِّي إِلَّا الْفَوَاحِشَ. قال: وَأَصَبْتُ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ فِي هَذَا، وَهُوَ قَوْلُ الْفَرْزَدَقِ:

أَنَا الدَّائِدُ الْحَامِي الدَّمَارَ، وَإِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي (2)

فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون مُوجِبًا أَوْ مَنفِيًّا. فلو كان المراد به الإيجاب لم يستقم، ألا ترى أنك لا تقول: (يدافع أنا) و(لا يقاتل أنا)،

(1) الأعراف: 33.

(2) ديوانه.

وإنما تقول: (أدافع) و(أقاتل) إلا أنَّ المعنى لما كان: (ما يدافع إلا أنا)، فصلت الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه (إلا) حملاً على المعنى. وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾⁽¹⁾، التَّصَبُّبُ في الميتة هو القراءة، ويجوز: (إِنَّمَا ويجوز: ((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)). قال أبو إسحاق: والذي أختره أن تكون (ما) هي التي تمنع (إن) من العمل، ويكون المعنى: ((ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمَيْتَةَ)) لأن (إِنَّمَا) تأتي إثباتاً لما يُذكر بعدها، ونفيًا لما سواه، وقول الشاعر.

وإنَّما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي =

المعنى: ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي. (انتهى كلام أبي علي⁽²⁾). يقول الجرجاني نافيًا التماهي المعنوي بين الأدوات، وإنما هو تَدْخُلُ وَحَلُّ وليس ترادفًا: (اعلم أنَّهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبه لك، فإنهم لم يَعْنُوا بذلك أنَّ المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل اللَّفْظَيْنِ يوضعان لمعنى واحد. وفرقٌ بَيْنَ أن يكونَ في الشيء معنى الشيء، وبين أن يكونَ الشيءُ الشيءَ على الإطلاق.

يبين لك أنهما لا يكونان سواءً، أنه ليس كلُّ كلام يصلح فيه (ما) و(إلا)، يصلح فيه (إنَّما). ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽³⁾، ولا في نحو قولنا: (ما أحدٌ إلا وهو يقول ذاك)، قلت ما لا يكون له معنى.

فإن قلت: إنَّ سببَ ذلك أن (أحدًا) لا يقع إلا في النفي وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام، وأن (مِنْ) المزیدة في ((مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ))، كذلك لا تكون إلا في النفي. قيل: ففي هذا كفاية، فإنه اعترافٌ بأن ليسا سواءً، لأنَّهما لو كانا سواءً لكان ينبغي أن يكون في (إنَّما) من النفي مثل ما يكون في (ما) و(إلا) = وكما وجدت (إنَّما) لا تصلح فيما ذكرنا،

(1) البقرة: 173.

(2) دلائل الإعجاز: 238.

(3) آل عمران: 62.

كذلك تجد (ما) و(إِلَّا) لا تصلح في ضرب من الكلام قد صَلَحَتْ فيه (إِنَّمَا)، وذلك في مثل قولك: (إِنَّمَا هُوَ ذُرْهَمٌ لَا دِينَارٌ)، لو قلت: (ما هو إِلَّا درهم لا دينار)، لم يكن شيئاً. وَإِذْ قَدْ بَانَ بهذه الجملة أنهم حين جعلوا (إِنَّمَا) في معنى (ما) و(إِلَّا)، لم يعنوا أَنَّ المعنى فيهما واحدٌ على الإطلاق، وَأَنْ يُسْقِطُوا الفرق = فَإِنِّي أَبَيِّنُ لَكَ أَمْرَهُمَا، وما هو أصل في كل واحدٍ منهما، بعون الله وتوفيقه⁽¹⁾.

من البداية انطلق الجرجاني يبين الفرق التَّابع من الوضع والاستعمال الذي أصله سيبويه، وفهمه عنهما وطبقه أبوحيان في تفسيره كما سبقت الإشارة، فأشار لمستويات التوكيد بالتَّفْئِ والإيجاب، فذكر أداة وكلمة تختص بالدخول على النفي وهما (مِنْ)، (وَأَحَدٌ)، وذكر قرينة العطف (بَلَا) النافية وهي تختص بالإيجاب ب (إِنَّمَا)، ولاحظ أن التقابل الذي عقده الجرجاني لذكر ما يميز (إِنَّمَا) عن (مَا-إِلَّا) هي قرائن تتعلّق بالنفي وأدواته (مِنْ، أَحَدٌ، لَا)، وهذا يؤكّد أنها في تركيبها مؤكّدة سواء (إِنَّ) أو (مَا)، فالجرجاني حريص على أَنْ يُبَيِّنَهَا بضدّها، ثم إِنَّ عطف (مَا-إِلَّا) على (لَا) هو تكرار حيث تقول (ما) النافية التي سينتقض نفيها (بِإِلَّا)، ثم تعود فتأتي بالنفي المنقوض فهذا تكرار يسبب في نوع من اللبس والضعف في أسلوب التوكيد ودقته، في حين أن العطف (بَلَا) على (إِنَّمَا) يقوِّيها ويرفع من درجة التوكيد والقصر والحصَر فيها.

وهو بتقييده للعطف ب (لَا) التَّافِيَةِ يحدّد أَنَّ (إِنَّمَا) نعرف درجة توكيدها وقصرها وحصَرها بعطفها على (لَا) التَّافِيَةِ، بخلاف (مَا-إِلَّا) التي العطف عليها ب (لَا) يؤدي إلى اللبس ولم يكن شيئاً، وهذا يشير إلى أن النفي في (إِنَّمَا) أقل درجة من حيث الوضع. وهناك أمرٌ مُهمٌ وهو أن الجرجاني عندما جاء يحدّد ما يميّز (مَا-إِلَّا) عن (إِنَّمَا) مَيِّزَهَا

(1) دلائل الاعجاز: 328.

بقرائن ملازمة للنفي⁽¹⁾ والعموم، بل إنَّ (من) هي نصُّ في العموم⁽²⁾ ومؤكِّدة للعموم، وهذا الأمر عندما نجمعه مع كون النفي ب (لا) هو الموضح لدرجة نفي (إنَّما)، وأنه لا يصلح مع (ما- إلا) لأنها أقوى منه في النفي وأعمُّ منه في العموم، وأن العطف ب (لا) بعدها (لم يكن شيئاً) هكذا عبارة الجرجاني، فخلاصته أن (ما - إلا) مثل النكرة في سياق النفي تفيد العموم مطلقاً، وأن (إنَّما) مثل النكرة أيضاً في سياق الإثبات فهي تفيد العموم بحسب سياقها لا مطلقاً.

هذا الفرق الذي بدَّاه الجرجاني هو الفيصل الأساس، والمفصل في (إنَّما) ومواقعها، من حيث درجة العموم ودرجة النفي، ف (إنَّما) في أصل وضعها هي أقل نفيّاً وأقل عموماً من (ما-إلا)، وهذا ما جعل أبا حيان ومن وافقه دائماً يجعلونها في مرتبة أقل من (ما-إلا)، فعندما تكون (ما-إلا) للحرص ف (إنَّما) للقصر، وعندما تكون (ما-إلا) للقصر تكون (إنَّما) مبالغة في التوكيد، لقد كان هذا الإدراك يفك الارتباط بينها وبين (ما-إلا) ويرفض الترادف التام بينهما، وهذا ما يدعوني لتعزيز التفرقة بين مصطلحي القصر والحرص، وسببين الجرجاني الفرق بينهما على هذا المنوال من حيث درجة النفي، وعمومه وخصوصه، وإجماله وتفصيله، وتصريحه وتعريضه، وسيحدّد القرائن السياقية والمقامية والحالية والقصدية التي تعزز هذا الفرق الوضعي⁽³⁾.

1 - يقول الجرجاني مبيناً أحد هذه المقامات: (اعلم أنَّ موضوع (إنَّما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنزَّل هذه المنزلة.

تفسير ذلك أنَّك تقول للرجل: (إنما هو أخوك) و(إنما هو صاحبك القديم): لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويُقربُه، إلَّا أنَّك تريد أن تُنبِّهه للذي يجب

(1) البحر المحيط في أصول الفقه: 4: 150.

(2) البحر المحيط في أصول الفقه: 4: 150.

(3) دلائل الإعجاز: 330، 331 وينظر: دلالات التراكيب: 138 وما بعدها، ومعاني النحو: 1: 330 وما بعدها.

عليه من حَقِّ الأخ وحُرْمَةِ الصَّاحِب....

ومثاله من التَّنْزِيلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾⁽¹⁾، وقوله عزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾⁽³⁾، كل ذلك تذكيرٌ بأمر ثابت معلوم. وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا مِمَّنْ يَسْمَعُ ويعْقِلُ ما يقال ويُدْعَى إليه، وأن من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب (....)⁽⁴⁾.

هذا المقام هو الَّذي عبَّر عنه أبو حيان بالمبالغة في التَّوكِيدِ⁽⁵⁾ حيث لا نفي ولا عموم في اللفظ، وإنَّما تعريض وإشارة وتذكير، فالقصر هنا قوته في الإثبات حتى محال النفي لا يحتاج للتلفظ به لبدايته، فعندما تقول: (إنما هو أسد) و(إنما هو نار)، و(إنَّما هو سيف صارم)، إذا أدخلوا (إنَّما) جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا ينكر ولا يُدْفَعُ وَلَا يَخْفَى⁽⁶⁾ فهذه كلها قضايا معلومة معروفة فدخل (إنَّما) هنا للمبالغة في التَّأْكِيدِ، وهذه المبالغة المقصود منها التعريض والتنبيه والتحريك، كأنَّ ذلك المخاطب أصيب بالبلاهة والبلادة لدرجة لم يعد يحس ويشعر فيها باليديهيات والواضحات والضروريات حقيقة أو ينزل منزلة الحقيقة مجازًا.

2 - قد يكون المثبت بدرجة أَقْلَ فيحتاج إلى قرينة من النفي والعموم هي أقل من (ما - إلا) توضحه بحيث تكون في الدرجة الوسطى ولكن لا تصل إلى (ما - إلا) يقول الجرجاني مبيناً ذلك (فصل: إن قيل: قد مضيت في كلامك كلَّه على أَنَّ (إنَّما) للخبر لا يجمله المخاطب، ولا يكون ذكرك له لأن تفيده إيَّاه، وإنَّما لنراها في كثير من الكلام، والقصدُ

(1) الأنعام: 36.

(2) يس: 11.

(3) النازعات: 45.

(4) دلائل الإعجاز: 330، 331.

(5) البحر المحيط: 5: 92.

(6) دلائل الإعجاز: 332.

بالخبر بعدها أن تُعْلِمَ السَّامِعَ أمراً قد غَلَطَ فيه بالحقيقة، واحتاج إلى معرفته، كمثّل ما ذكرت في أول الفصل الثاني من قولك: (إِنَّمَا جَاءَنِي زَيْدٌ لَاعْمُرُو)، وتراها كذلك تدور في الكتب للكشف عن معانٍ غير معلومة، ودلالة المتعلّم منها على ما لا يعلم.

قيل: أمّا ما يجيئ في الكلام من نحو: (إنما جاء زيدٌ لاعمرو)، فإنه وإن كان يكون إعلماً لأمر لا يعلمه السامع، فإنه لا بُدَّ مع ذلك من أن يُدْعَى هناك فَضْلُ انكشافٍ وظهورٍ في أن الأمر كالذي ذُكِرَ. وقد قسمتُ في أول الأمر ما افتتحتُ

القول فيها فقلتُ: (إنما تجي للخبر لا يجهله السامع ولا ينكر صحته، ولما يُنَزَّلُ هذه المنزلة)⁽¹⁾. هنا ألحقه بما افتتح به لأنه تصحيح خطأ جزئي فهو يوجد فيه جزء انكشاف وظهور، هذا الفضل هو درجة من العلم الذي لا يكون الأمر فيه بحاجة لنفي وعموم من درجة (ما-إلا) بل من مستوى (لا).

3 - ثم ذكر درجة أخرى من المعلوم وهو الذي وقع العلم بموجبه بأسبابه ومقتضياته وبشيء يدل عليه أي: لازماً من لوازمه يقول: (وأما ما ذكرت من أنها تجيئ في الكتب لدلالة المتعلّم على ما لم يعلمه، فإنك إذا تأملت مواقعها وجدتها في الأمر الأكثر قد جاءتْ لأمرٍ قد وقع العلم بموجبه وبشيء يدل عليه مثال ذلك: أن / صاحب الكتاب قال في باب (كان):

(إِذَا قُلْتَ: كان زيدٌ، فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك، وإنما ينتظر الخبر. فإذا قلت: (حليماً)، فقد أعلمته مثل ما علمت. وإذا قلت: (كان حليماً)، فإنما ينتظر أن تُعرِّفه صاحب الصفة).

وذلك أنّه إذا كان معلوماً أنه لا يكون مبتدأ من غير خبر، ولا خبر من غير مبتدأ، كان معلوماً أنك إذا قلت: (كان زيدٌ) فالمخاطب ينتظر الخبر، وإذا قلت: (كان حليماً)، أنه ينتظر الاسم، فلم يقع إذن بعد (إنّما) إلا شيء كان معلوماً للسامع من

(1) دلائل الإعجاز: 351.

قبل أن ينتهي إليه⁽¹⁾.

هنا بكل وضوح استعان الجرجاني بقرينة الإسناد وعلاقة الالتزام بينهما، فالمبتدأ والخبر هو قالب معروف من مسند ومسند إليه، فالوضوح هنا نابع من قالب المعنى، من قوة الالتزام والارتباط بين المسند والمسند إليه فهي قرينة عقلية آثارها واضحة جداً في الألفاظ وبينه ارتباطها، فالوضوح والعلم الذي جعلها تلحق بالمعلوم الواضح نابع من وضوح الارتباط والالتزام في بنية العبارة والجملة والإسناد.

وهنا عقد مقارنة بين (كان) و(إنما) وسيزيد مثلاً ب (قُلْتُ) حيث الجملة المفيدة أي: علاقة الإسناد التي هي قَالِبٌ ثَابِتٌ قال: (ومما الأمر فيه بَيِّنٌ، قوله في باب (طننت): (إنما/ تحكي بَعْدَ (قُلْتُ) ما كَانَ كلاماً لا قولاً) = وذلك أَنَّهُ معلومٌ أَنَّكَ لا تحكي بعد (قُلْتُ)، إذا كنت تَنحُو نَحْوَ المعنى، إلَّا ما كان جملةً مفيدةً، فلا تقول: (قال فلانٌ زَيْدٌ) وتَسْكُتُ، اللَّهُمَّ إلَّا أن تريد أَنَّهُ نطق بالاسم على هذه الهيئَةِ، كَأَنَّكَ تُريدُ أَنَّهُ ذَكَرَهُ مَرْفُوعاً⁽²⁾. هكذا كُلُّها بعدها مبتدأ وخبر: كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقاً، قُلْتُ: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، إِنَّمَا زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ هَذَا كُلُّهُ معلوم القَالِبِ واضح، ثم ذكر قاعدته التَّحْوِيَّةَ الَّتِي تجمع هذا النوع من الحذف وتضبطه فقال: (ومثل ذلك قولهم: (إِنَّمَا يُحْذَفُ الشَّيْءُ إذا كان في الكلام دليل عليه)، إلى أشباه ذلك مِمَّا لا يُحْصَى، فَإِنْ رَأَيْتَهَا قَدْ دَخَلَتْ على كلام هو ابتداءٌ إعلام بشيء لم يعلمه السَّامِعُ، فَلَأَنَّ الدَّلِيلَ عليه حاضرٌ معه، والشَّيْءُ بحيث يَقَعُ العِلْمُ به عن كَثَبٍ واعلم أَنَّهُ ليس يَكَادُ يَنْتَهِي ما يعرضُ بسبب هذا الحرف من الدَّقَائِقِ⁽³⁾).

قوله (الدليل حاضر معه ...) فهو إمَّا للمعنى والموضوع، أو لأسبابه ومقتضياته ولوازمه الجلية، كان الإسناد من أوضح هذه الأدلة الواضحة الجلية، ومثَّل للعلاقة بين (إنما) وجمليتها ب (كان)، و(قلت)، وجمليتهما، وذكر قاعدة كل ما دَلَّ عليه دليل يجوز حذفه

(1) دلائل الإعجاز: 352.

(2) دلائل الإعجاز: 352.

(3) دلائل الإعجاز: 353.

وتقديره، والمقدّر كالموجود، فعندما تكون أدلته وأسبابه ومقتضياته والتزاماته قويّة ظاهرة فهو أيضاً واضح معلوم، وفي ذلك إشارة إلى لوازم جملتها ودلالاتها، والكلام السابق هو عن (إنّما) بعد الجملة الاسميّة.

4 - ثم عاد الجرجاني يبين مُحدّداتُ المعلوم بها وعلاقته بالنفي، وهذه المرّة مع الجُملة الفعليّة.

فقال: (ومِمّا يجب أن يُعلَمَ: أنه إذا كان الفعل بعدها فعلاً لا يصحُّ إلاّ من المذكور ولا يكون من غيره، كالذكر الذي يُعلَم أنه لا يكون إلاّ من أولي الألباب = لم يحسن العطف (بلا) فيه، كما يحسن فيما لا يختصُّ بالمذكور ويصحُّ من غيره.

تفسير هذا: أنّه لا يحسن أن تقول: (إنّما يتذكر أولو الألباب لا الجهال)، كما يحسن / أن تقول: (إنّما يبيّء زيدٌ لا عمرو) ⁽¹⁾.

هنا يبين درجات المعلوم ب (إنّما)، وأن المحددات درجات في الوضوح، فالأوّل أن الفعل لا يصح إلاّ من المذكور ولا يكون من غيره، فهذه قرينة عقلية، تعود لدلالة الفعل وواقع سياقه بأنه لا يصح إلاّ من المذكور، أما المحدّد الثاني فهو (لا) العاطفة النافية التي حدّدها من أول الفصل لبيان الدرجة الوسطى، فهناك حدّد (أحد) و(من) التي لا تكون إلاّ للنفي والعموم فهي أقصى درجة في الحصر، وهنا حدّد الدرجة العليا للمعلوم الواضح الذي لا يحتاج النفي حيث يكون الفعل بعده لا يصح إلاّ من المذكور ولا يكون من غيره، أمّا الدرجة الثانية التي تحتاج نفيّاً ليقوّي توكيدها ومبالغتها فقال نحدّده بضدّه وهو دخول (لا) العاطفة التي تختص بالدخول معطوفة على جملة (إنّما)، وهذا الاختصاص هو الذي يجعلها في درجة أقلّ من درجّة (ما-إلاّ) في قوة النفي.

5 - ثم ذكر مُحدّدًا آخر قرينته لفظيّة هي التّقييد والتّأخير فقال: (ثمّ إنّ التّقي فيما نحن فيه، النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى، فمثال التأخير ما تراه في قولك: (إنّما [جاءني]

(1) دلائل الإعجاز: 353.

زيد لا عمرو)، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝﴾ (1) وكقول
لييد:

..... إِنَّمَا يَجْزِي الْفَقَى لَيْسَ الْجَمْلُ (2)

1 - هو في ديوانه، في طويلته اللامية الساكنة، وصدرة:

..... فإذا جوزيت قرضاً فاجزه

2 - العرب تقول (الفتى)، وتعني به اللبيب الفطن، وتقول: (الجل)، وتعني به الجاهل
يقول: إِنَّمَا يَجْزِي اللَّيِّبُ لَا الْجَاهِلُ مُحَقِّقُهُ.

ومثال التّقديم قولك: (ما جاءني زيدٌ) و(إنما جاءني عمرو)، وهذا ممّا أَنْتَ تَعْلَمُ
به مكانَ الفائدةِ فيها، وذلك أنك تعلم ضرورةً أنك لو لم تُدخلها وقلت: (ما جاءني زيدٌ
وجاءني عمرو)، لكان الكلامُ مع مَنْ ظَنُّ أَنَّهُمَا جاءاك جميعاً، وأنَّ الْمَعْنَى الآن مع دخولها،
أَنَّ الكلامَ مع مَنْ غَلِطَ فِي عَيْنِ الْجَائِي، فَظَنَّ أَنَّهُ كَانَ زَيْدًا لَا عَمْرًا (3).

هذا تفصيل لجملة (إِنَّمَا) التي تعطف ب (لا) وهذه درجة ثانية في محددات المعلوم
فهنا تكلّم عن مكان الفائدة وأنه بالتّقديم والتّأخير يظهر، ثم إن الكلام مع مَنْ غَلِطَ فِي
عَيْنِ الْجَائِي، وهو تمحضها لِلْقَلْبِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَصْرِ، فَلَيْسَتْ لِلتَّعْيِينِ وَلَا الْإِفْرَادِ.

وهنا نلاحظ أَنَّهُ نَوَّعَ فِي أَلْفَاظِ النَّفْيِ الَّتِي تَتَقَدَّمُ أَوْ تَتَأَخَّرُ (إِنَّمَا)، فذكر (ليس)، (ما)،
وكذلك نَوَّعَ مَعَهَا الْعُطْفَ، فمع (ليس) كان عطف البيان، ومع (ما) كان العطف بالواو،
وهذا كله ليبين محدد القلب حيث العلاقة بين النفي والتوكيد والإثبات مع (إِنَّمَا) تكون

(1) الغاشية: 21 - 22.

(2) البيت للييد بن أبي ربيعة العامري في ديوانه (145) من طويلته اللامية الساكنة في رثاء أخيه
وصدرة:

فإذا جوزيت قرضاً فاجزه ومطلع القصيدة:

إن تقوى ربنا خير نفل* ويأذن الله ريئي وعجل أحمد الله فلا ندّ له* بيديه الخير ما شاء فعل الجمل: عنى
به الجاهل.

(3) دلائل الإنجاز: 354.

بين الجملة السابقة واللاحقة، وليس مثل ((ما-إلا)) في التركيب نفسه، (فإنَّما) جملة تؤكِّد نقيض ما سبقها أو يلحقها من النفي المذكور في سياقها وسباقها ولحاقها من مقالها ومقامها وحالها، وكون النفي والعطف عليه ب (لا) أو (ليس) أو (ما) هو أخص خصوصيات (إنما) عن (ما-إلا) كما حدّد ذلك في أول الفصل.

6 - ثم يشير الجرجاني في نظري إشارة في غاية الذكاء، وهي المقابلة بين (ما) النافية و(ما) الكافة المؤكدة الصّلة، حيث (ما) المؤكدة عندما تدخل على (إنَّ) فهي تقوي توكيدها في مقابل ذلك النفي المقدم أو المؤخر لجملة (إنَّ)، فهي ليست كافة فقط بل مؤكدة لأنَّ ومعناها، وكأنَّ (إنَّ) دخلت على (ما) وامتزجت بها وغيّرت معناها ومحتته تماماً، كما أنَّ (ما) غيرت عملها وإعمالها ومحتته تماماً وأصبحت (إنَّما) مركب وأداة نقيض للنفي وضد له ورَدَّ عليه مقدماً ومؤخراً، يقول الجرجاني: (وَأَمْرٌ آخَرُ، وَهُوَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ: أَنَّ يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي انْضِمَامِ (ما) إِلَى (إنَّ) فَائِدَةٌ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهَا تُبْطِلُ عملها، حتى ترى النحويين لا يزيدون في أكثر كلامهم على أنها (كافة)، ومكانها ههنا يزيل هذا الظنَّ ويُبْطِلُهُ. وذلك أنك ترى أنك لو/قلت: (ما جاءني زيدٌ، وإنَّ عمرًا جاءني)، لم يُعْقَلْ منه أنك أردت أن الجائي (عمرٌ) لا (زَيْدٌ)، بل يكون دخول (إنَّ) كالشيء الذي لا يُحْتَاجُ إليه، ووجدت المعنى ينبو عنه⁽¹⁾.

في نظري إن الجرجاني لم يقل بكون (ما) نافية لأنه يريد أن يحافظ على التّقابل بين جملة (إنَّما) المؤكدة وبين جملة النفي، وأن (إنَّ) تحتاج توكيدا وصلة لها لتقوى على مقابلة جملة النفي وقلبها، وهذا ما أسسه النحاة البصريون وجمهور النحاة، لأنَّ في ذلك توضيح لمعاني (إنَّما) الدقيقة، وما تميّز به عن (ما-إلا) التي للنفي ونقضه في العبارة نفسها، أما (إنَّما) فالنفي ونقضه في سياقها سباقاً أو لحاقاً أو بساطاً، لا في وضعها ولفظها.

7 - ثم يختتم عبد القاهر الكلام عن (إنَّما) بالتنويه بذلك المقام الذي يكون فيه ما دخلت عليه لا يجهله المخاطب ولا يكون ذكره له لأن تفيده إياه، وهو أيضاً لا

(1) دلائل الإعجاز: 354.

يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة ولكن المقصود التّعريض بنفي المحمول أو الخبر أو المسند المذكور ولوازمه عن المقابل للموضوع أو المبتدأ أو المسند إليه في ذلك السّياق يَقُولُ الْجُرْجَانِيُّ: (ثم اعلم أنك إذا استقرّيت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يَرَادُ بالكلام بعدها نَفْسُ معناه، ولكن التعريض بأمرٍ هو مقتضاه، نحو أَنَّا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩)، أن يعلم السّامعون ظاهر معناه، ولكن أن يَدَمَّ الكفّار، وأن يُقَالَ إِنَّهُمْ من قَرِطِ العناد ومن غَلَبَةِ الهوى عليهم، في حُكْم من ليس بذي عَقْلٍ، وإنكم إن طِمَعْتُمْ منهم في أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طَمِعَ في ذلك من غير أولى الألباب. وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا﴾ (٤٥)، وقوله عَزَّ اسْمُهُ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ (٣)، المعنى على أن من لم تكن له هذه الحشية، فهو كأنه ليس له أَدُنُّ تَسْمَعُ وَقَلْبٌ يَعْقِلُ، فالإنذارُ معه كلا إنذار) (٤).

ثم أكّد على التّقابل بين الإثبات والنّفي في التّعريض، وتضمّن (إنّما) للكلام معنى النّفي من بعد الإثبات، وأن الأصل وضعاً عدم ذكره مالم يوجب السّياق كما في العطف ب(لا)، ثم قال: ((ثم إنّ العجب في أنّ هذا التّعريض الذي ذكرت لك، لا يَحْصُلُ من دون (إنّما) فلو قلت: (يتذكر أولو الألباب)، لم يدلّ ما دلّ عليه في الآية، وإن كان الكلام لم يتغيّر في نفسه، وليس إلاّ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ (إنّما)).

والسّبب في ذلك أنّ هذا التّعريض، إنّما وقع بأن كان من شأن (إنّما) أن تضمّن الكلام معنى النّفي من بعد الإثبات، والتّصريح بامتناع التّذكّر من لا يَعْقِلُ. وإذا أَسْقِطْتَ من الكلام فقيل: (يتذكر أولو الألباب) كان مجرّد وَصِفٍ لأولى الألباب بأنهم يتذكّرون، ولم يكن فيه معنى نفي للتذكّر عمّن ليس منهم. ومُحَالٌّ أن يقع تعريض لشيء ليس له

(1) الرعد: 19.

(2) النازعات: 45.

(3) فاطر: 18.

(4) دلائل الإعجاز: 357.

في الكلام ذِكْرٌ، ولا فيه دليل عليه. فالتعريض بمثل هذا = أعني بأن تقول: (يتذكر أولو الألباب) بإسقاط (إنّما)، يَقَعُ إِذْنُ إِنْ وَقَعَ، بمدح إنسان بالثبُّظ، وبأنه فَعَلَ مَا فَعَلَ، وَتَنَبَّهَ لما تَنَبَّهَ له، لعقله ولحسن تمييزه، كما يقال: (كذلك يفعلُ العاقل)، و(هكذا يَفْعَلُ الكريم). وهذا موضع فيه دِقَّةٌ وغموضٌ، وهو مالا يكاد يقع في نَفْسِ أَحَدٍ أَنَّهُ ينبغي أن يَتَعَرَّفَ سَبَبَهُ، ويبحث عن حقيقة الأمر فيه).

وهنا يُصَرُّ على أَنَّ (إنّما) تُضَمِّنُ الكلام معنى النفي من بعد الإثبات، وعبارته الكلام، وليس (ما) أو العبارة أو الجملة فقط، ولكنه يشير للسياق بسباقه ولحاقه وبساطه، إنه نحو: من النص إلى الجملة وليس العكس، كل هذا يؤكد أن لها وضعاً واستعمالاً لا يتطابق ولا يتماهى مع (ما-إلا).

8 - كذلك قضية التَّصْرِيح بالنفي وذلك بامتناع الخبر من هو مقابل للمذكور، لقد كان أسلوب (إنما جاءني زيد لا عمرو) هو الأسلوب الذي في الوسط يحدّد به عن يمينه مستوى التعريض وعن شماله التصريح ب (ما-إلا)، فكون الخبر معلوماً لا ينكر المخاطب صحته فالوضع أن يكون النفي محذوفاً للتعريض وهذا هو الفارق الأساسي، وكون الخبر ناقص العلم والصحة فلا بد من استكمال النقص بالتَّصْرِيح بالعطف ب (لا) ومثيلاتها، أما أسلوب (ما-إلا) فالنفي ونقضه الذي يثمر العموم والحصَر والقصر هو صريح في ألفاظ التَّركيب نفسه وضعاً وليس في الكلام وسياقه .

إنَّ عبد القاهر سيزيد موضوع التَّصْرِيح والتَّعْرِيز وضوحاً في مَحَدَّاتِ الفرق بين (إنّما)، و(ما-إلا)، فقد عرفنا سابقاً أَنَّ (إنّما) ليس داخل ألفاظ التَّركيب أو الأداة، وإنّما هي داخل السِّياق سباقاً ولحاقاً وبسطاً، فهي توكيد بأمر معلوم لا يجمله المخاطب ولا ينكره، هذا المعلوم هو الوسيلة للتَّعْرِيز، وذلك عبر النفي غير الملفوظ، أي: نفي ما سوى المعلوم في سياقه سباقاً ولحاقاً وبسطاً، أو عبر التصريح بالنفي بعطفه على (لا) النافية، فعندما تأتي

لِقَوْلِهِ تَعَالَى مِثْلًا: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (1)، لاحظ أن (إِنَّمَا) تقدمها استفهام وهو شبه النفي، فهو يريد الجواب عن كون صاحب اللب هو العالم البصير المتذكر وليس الجاهل الأعمى النَّاسِي، فهو قام بالتَّعْرِيز بِأَمْرٍ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَب وَلَا يَنْكُرُ صَحَّتَهُ، وليصل إلى نفي التذكر عمن لا يعقل، فلاحظ أن دليل التعريض بالنفي كَانَ موجوداً في سياق (إِنَّمَا)، وتحديدًا في سباقها عبر الاستفهام، وهنا كانت (إِنَّمَا) رابطة بين الاستفهام قبلها شبه النفي، وبين التوكيد بعدها الذي به حصل التعريض، فَكَأَنَّ الاستفهام أو النهي أو النفي المتقدم على (إِنَّمَا) يوازي (ما) في أسلوب (ما-إِلَّا)، فَالتَّعْرِيزُ أَتَى عَلَى النفي وشبهه في السياق قبلها، ولذلك كان ما دخلت عليه (إِنَّمَا) لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَب وَلَا يَنْكُرُهُ صَحَّتَهُ، وَإِذَا قُلَّ الْعِلْمُ وَالْوُضُوحُ وَالصَّحَّةُ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِالْعُطْفِ (بِلا)، حتى يصل إلى (ما-إِلَّا) فهي درجة التصريح لأن المخاطب ينكر صحة الأمر ويجهله نوعاً ما أو بتمامه، ودليل إنكاره وجهله تجده أيضاً في السَّيَاقِ وَالسَّابِقِ وَاللَّحَاقِ وَالْبَسَاطِ، هذا فهمنا لكلام عبد القاهر الآتي:

(وَأَمَّا الْخَبَرُ بِالنفي والإثبات نحو: (ما هذا إلا كذا)، و(إن هو إلا كذا)، فيكون للأمر ينكره المخاطبُ وَتَشْكُ فِيهِ. فَإِذَا قُلْتَ: (ما هو إلا مصيب) أو: (ما هو إلا مخطئ)، قُلْتُهُ لِمَنْ يَدْفَعُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْتُ، وَإِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا مِنْ بَعِيدٍ قُلْتَ: (ما هو إلا زَيْدٌ)، لَمْ تَقُلْهُ إِلَّا وَصَاحِبَكَ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِزَيْدٍ، وَأَنَّهُ إِنْسَانٌ آخَرٌ، وَيَجِدُ فِي الْإِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ (زَيْدًا) (2) وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ ظَاهِرًا كَالَّذِي مَضَى، لَمْ تَقُلْهُ كَذَلِكَ فَلَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ تَرَقَّقْهُ عَلَى أَخِيهِ وَتُبَيِّهْهُ لِلَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ صِلَةِ الرَّجَمِ وَمِنْ حُسْنِ التَّحَابِّ: مَا هُوَ إِلَّا أَخُوكَ) = وكذلك لا يصلح في (إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ): (ما أَنْتَ إِلَّا وَلَدٌ) (3).

9 - ثم يؤكد عبد القاهر مسألة الفرق بين المعلوم والمجهول ولكن من

(1) الرعد: 19.

(2) دلائل الإعجاز: 332.

(3) دلائل الإعجاز: 332.

جهة الحقيقة والادعاء وأثرها على التعريض والتصريح بالنفي وأن التعريض الحقيقي لا يقبل التصريح بالنفي، لاحظ أنَّ الوضع هو الفارق بين الحقيقة والمجاز الذي يتحرك به الاستعمال، يقول: (فأما نحو: (إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ)، فيصلح فيه أن تقول: (ما مصعب إلا شهَابٌ)، لأنه ليس من المعلوم/ على الصحة، وإنما ادعى الشاعر فيه أنه كذلك. وإذا كان هذا هكذا، جاز أن تقوله بالنفي والإثبات، إلا أنك تُخْرِجُ المدح حينئذٍ عن أن يكون على حَدِّ المبالغة، من حيث لا تكون قد ادَّعَيْتَ فيه أنه معلوم، وأنه بحيث لا ينكره منكرٌ، ولا يخالف فيه مُحَالِفٌ⁽¹⁾).

10 - علاقة الأداتين بما قبلهما أو بعدهما علاقة أساسية، ستجد في السياق سابقاً ولحاقاً وبسطاً دليل العلم والصحة أو دليل الجهل والإنكار، فعندما يكون الإنكار صريحاً يأتي النفي صريحاً، وقد ضرب عبد القاهر مثالين للفظ واحد وهو (بَشَرٌ)⁽²⁾، ففي سياق (ما-إلا) كان المخاطبون يجعلون الرُّسُلَ منكرين لكونهم بشراً، ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾⁽³⁾، فالإنكار والجهل كان للخصوصية أي: كيف يكون كلامكم وأنتم بشر مثلنا وحيا وكلاما لله⁽⁴⁾، ولذلك جاء الرد من الرسل بقلب الإنكار على قومهم فهو إنكار للإنكار: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾.

في حين أن سياق آية الكهف⁽⁶⁾ وفصلت⁽⁷⁾ هو سياق العلم والصحة والتسليم، وأنَّ القرآنَ يُتلىُّ باللسنة البشر ولكنَّه كلام الله، وأن قدرة البشر على تلاوة كلام

(1) دلائل الإعجاز: 332.

(2) دلائل الإعجاز: 333 وينظر: من أسرار اللغة: 176 وما بعد.

(3) إبراهيم: 10.

(4) إبراهيم: 5 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(5) إبراهيم: 11.

(6) الكهف: 105 ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطُوا أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾.

(7) فصلت: 5 ﴿قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَوِّ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَادَانَا وَقُرْوَ مِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمْلُونَ﴾.

الله هي مدد من الله ومعجزة خالدة باقية من الله، فجاءت الآية في خواتيم السورة ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝﴾ (١) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ ۝﴾ (٢)، إنما هو تعريض بإنكار المدد الإلهي، وأن هذا الذي قلته لكم وتلوته عليكم هو مدد الله وليس مداد البحر أو البشر، إنما هو مدد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فاعملوا صالحاً يؤهلكم لقبول هذا المدد من الله الأحد فهو مصدر كل الإمدادات، في سورة الكهف وفصلت سيقت لكم الأدلة التي تقول هذا الإعجاز وهذا الوحي هو مدد الله لمداد البشر، فسورة الكهف وضحت لهم أنهم لا ينكرون أي: الرسل بشريتهم، ولكنكم أنتم تنكرون مدد الله لهم، وجاء هذا الأمر معهم بتعريض ولطف ب ((إِنَّمَا))، لأنهم لم يصرحوا بالإنكار على بشرية الرسل ومنافاتها لتلقي كلام الله، وكذلك في سورة فصلت لم يصرحوا بإنكار تخصيص الرسل بالوحي مع كونهم بشراً، حيث سيكون التعريض بعدم التوحيد وعدم الاستقامة، وأن الله قادر على نطق جلودهم ونطق كل شيء (٢)، وإِنَّمَا اختلف أسلوب الكلام بين التعريض والتصریح بحسب النفي فهو مع (إنما) من جهة الوضع والحقيقة لا يكون صريحاً فيكون الرد تعريضاً. وهكذا سيؤكد عبد القاهر علاقة الأداة بما في السياق فحيث عدم التصريح بالنفي تأتي (إنما)، ليكون الرد مساوياً عبر التعريض، وعندما يأتي النفي صريحاً تأتي (ما - إلا) مصرحة بالنفي، ولذلك عندما يتكلم عن آية فاطر (٣)، وآية الأعراف (٤) اللذين جاء الإنكار قبلهما صريحاً فجاء النفي صريحاً يقول: (ومثل هذا في أن الذي تقدّم من الكلام اقتضي أن يكون اللفظ كالذي تراه، من كونه (يَا) و(إِلَّا)...) (٥).

11 - ثم قال موضعاً المستوى المتوسط بين التعريض والتصریح: (اعلم أن قولنا في

(1) الكهف: 109 - 110.

(2) فصلت: 20 ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾.

(3) فاطر: 22-23. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْفُجُورِ ۝ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝﴾.

(4) الأعراف: 188. ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۖ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ۝﴾.

(5) دلائل الإعجاز: 334.

(لا) العاطفة: (إنَّها تنفي عن الثاني ما وجب للأول)، ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل، بل إنها تنفي أن يكون الفعل الذي قلت إنه كان من الأول، قد كان من الثاني دون الأول. ألا ترى أنَّ ليس المعنى في قولك: (جاءني زيد لا عمرو) أنه لم يكن من عمرو مجيء إليك مثلاً ما كان من (زيد)، حتَّى كأنه عَكُسَ قولك: (جاءني زيد عمرو)، بل المعنى/ أن الجائي هو زيدٌ لا عمرو، فهو كلام تقوله مع من يَغْلَطُ في الفعل قد كان من هذا، فيتوهم أنه كان من ذلك. والنكته أنه لا شبهة / في أن ليس ههنا جائيان، وأنه ليس إلاَّ جاء واحدٌ، وإنَّما الشُّبهة في أن ذلك الجائي زَيْدٌ أم عمرو... فَأَنْتَ تُحَقِّقُ على المخاطب بقولك: (جاءني زيد لا عمرو) أنه (زيد) وليس بعمرو.

ونكته أخرى: وهي أنك لا تقول: (جاءني زيد لا عمرو) حتى يكون قد بَلَغَ المخاطب أنه كان مجيء إليك من جَاءٍ، إلاَّ أنه ظَنَّ أنه كان من (عمرو)، فأعلمته أنه لم يكن من (عمرو) ولكن من (زيد).⁽¹⁾، لقد حَدَّدَ أَنَّ (لا) ليست لنفي المشاركة بل لنفي المغالطة، وكذلك أن تصحيح الغلط يستلزم أَنَّ المخاطب بلغه جزء من الخطاب ولكنه يغلط ويظن خلاف ما تريده أنت في جزء ثان من الكلام وهو المسند إليه، هذه المعاني هي مما يشترك فيه (إنما) مع (لا) العاطفة، وهذا ما يميّزها عن (ما-إلا)، يقول عبد القاهر: (وإذ عرفت هذه المعاني في الكلام (بلا) العاطفة فاعلم أنها بِجُمْلَتِهَا قائمة لك في الكلام (بإنَّما). فإذا قلت: (إنَّما جاءني زَيْدٌ)، لم يكن غَرْضُكَ أن تنفي أن يكونَ قد جاء مع (زيد) غَيْرُهُ، ولكن أن تنفي أن المجيء الذي قُلْتَ إنه كان منه، كان من (عمرو)، وكذلك تكونُ الشُّبهةُ مرتفعةً في أن ليس ههنا جائيان، وأن ليس إلاَّ جاء واحد، إنَّما تكونُ الشُّبهة في أن ذلك الجائي (زيد) أم (عمرو).

فإذا قلت: (إنَّما جَاءَني زَيْدٌ)، حَقَّقْتَ الأمر في أنَّه (زيد). وكذلك لا تقول: (إنَّما جَاءَني زَيْدٌ)، حتى يكون قد بلغ المخاطب أن قد جَاءَكَ جاءٌ، ولكنه ظن أنه (عمرو) مثلاً،

(1) دلائل الأعجاز: 335.

فأعلمته أَنَّهُ (زَيْدٌ)⁽¹⁾. إِنَّهُ نفي لنفي المشاركة وحصرها في نفي المغالطة، وأن العلم بجزء من الكلام هو علم بالكلام، وأن الجهل بِجُزْءٍ مِنْهُ ليس بجهل كامل، ومن هنا جاء مستوى التوسط.

12 - ثم يتحدث عن قُوَّة (إِنَّمَا) في الإيجاز وفي الإنجاز لبيان المعنى بظهور وبلا تكلف فيقول:

(فإن قلت: فإنه قد يَصِحُّ أن تقول: (إِنَّمَا جاءني من بين القوم زَيْدٌ وحده، وإِنَّمَا أتاني من جملتهم عمرو فقط)، فإن ذلك شيء كالتكلف، والكلام هو الأوَّل، ثم الاعتبار به إذا أُطْلِقَ فَلَمْ يَقِيْدَ (بوحده) وما في معناه. ومعلومُ أَنَّكَ إذا قلت: (إِنَّمَا جاءني زيد)، ولم تزد على ذلك، أَنَّهُ لا يسبق إلى القلب من المعنى إلا ما قَدَّمْنَا شرحه، من أَنَّكَ أردت النصَّ على (زيد) أَنَّهُ الجائي، وأن تُبْطِلَ / ظَنَّ المخاطب أن المجيء لم يكن منه، ولكن كان من (عمرو) حَسَبَ ما يكون إذا قُلْتَ: (جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو)، (فَاعْرِفْهُ)⁽²⁾، هذا كله يصب في أن أصلها وضعاً المبالغة في التوكيد كما عبر أبو حيان سابقاً.

13 - ثم قال مؤكداً سياقات التصريح والتعريض: (وإذ قد عَرَفْتَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ⁽³⁾)، فَإِنَّا نَذْكُرُ جُمْلَةً من القول في (ما) و(إلا) وما يكون مِنْ حُكْمَيْهِمَا، اعلم أَنَّكَ إذا قلت: (ما جاءني إلا زَيْدٌ): احتمال أمرين:

أحدهما: أن تُريدَ اختصاص (زيد) بالمجيء وأن تُنفِيه عن عَدَاه، وأن يكون كلاماً تقوله، لا لَأَنَّ بالمخاطب حاجةً إلى أن يعلم أن (زيداً) قد جاءك، ولكن لَأَنَّ به حاجةً إلى أن يعلم أنه لم يجيء إليك غيرُهُ⁽⁴⁾، والثاني: أن تريد الذي ذكرناه في (إِنَّمَا)، ويكون كلاماً تقوله لِيُعْلَمَ أن الجائي (زيد) لا غيره. فمن ذلك قولك للرجل

(1) دلائل الأعجاز: 336.

(2) دلائل الأعجاز: 336.

(3) يشير إلى المقارنة بين (إنما) و(لا) وما يشتركان فيه: ص 336. فاعلم أنها مُجْمَلَتُهَا قائمة.

(4) دلائل الأعجاز: 337.

يَدْعِي أَنْكَ قَلْتَ قَوْلًا ثُمَّ قَلْتَ خِلَافَهُ: (مَا قُلْتُ الْيَوْمَ إِلَّا مَا قُلْتُهُ أُمِّسَ بَعِينَهُ) = ويقول: (لَمْ تَرَ زَيْدًا، وَإِنَّمَا رَأَيْتَ فُلَانًا)، فتقول: (بَلْ لَمْ أَرَ إِلَّا زَيْدًا). وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁽¹⁾، لأنه ليس المعنى: إِنِّي لَمْ أَزِدْ عَلَى مَا أَمَرْتَنِي بِهِ شَيْئًا، ولكن المعنى: إِنِّي لَمْ أَدْعُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَقُولَهُ لَهُمْ وَقَلْتُ خِلَافَهُ...⁽²⁾.

وهنا في هذه الآية واضح النفي الصريح المتقدم على أسلوب القصر، والسياق لا يقبل الرد إلا بالتصريح الصريح بالنفي، ولا يقبل التعريض لأنه رد وتكذيب للذين قَوْلُوا عَيْسَى مَا لَمْ يَقُلْهُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فالسياق يتضمن معاني (إنما) ويتجاوزها إلى ما هو أقوى تصريحاً ((...قال سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ...))⁽³⁾، فجاء الجواب بالنفي أيضاً مُؤَكِّدًا صَرِيحًا بَلَا تَعْرِضُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁽⁴⁾، فما أمره الله به هو الحق، ما قلت لهم إلا الحق، لقد كان السؤال محدداً عن القول فهو من شبه النفي فهو نفي صريح: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، إنه كسؤال القاضي للشاهد ولله المثل الأعلى فكان الجواب: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾⁽⁶⁾ هل تركت قولي؟ وقلت خلافاً؟ فكان الجواب «إِنِّي لَمْ أَدْعُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَقُولَهُ لَهُمْ وَقُلْتُ خِلَافَهُ»⁽⁷⁾.

14 - ثم نأتي للنص الحاسم الذي يفصل فيه أنَّ الفرق بين (إنما) و(ما - إلا) هو من جهة الوضع حيث إن الإثبات هو الأصل في (إنما)، والنفي تعريضي غير ملفوظ وسياقها يخلو من نفي صريح فهي رد على التعريض بالتعريض، ولذلك جاز العطف ب (لا) النافية ولم يعتبر ذلك تكراراً، وأما (ما - إلا) فهي نفي صريح ملفوظ وهي رد صريح على نفي

(1) المائة: 117.

(2) دلائل الإعجاز: 337.

(3) المائة: 118. في ذلك ارتباط بقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾^(٥٥) المائة: 74.

(4) المائة: 117.

(5) المائة: 116.

(6) المائة: 117.

(7) دلائل الإعجاز: 337.

صريح أو شبهه من الاستفهام وغيره، ولذلك امتنع العطف عليها ب(لا) لأنه تكرر وحشو صريح .

لقد عاد لما افتتح به كلامه عن (إنما)، وهو أنَّ أساس الفرق عنده هو النفي اللفظي، وهو الحصر أو القصر الذي ينفيه أبو حيان وضعاً عن (إنما) ويثبته استعمالاً، وقد أخرجه الجرجاني في ثوب التصريح والتعريض، يقول عبد القاهر: (فإن قلت: فصورة المعنى إذَنْ صُورَتُهُ إِذَا وَضَعْتَ الْكَلَامَ ب(إِنَّمَا) فقلت: (إِنَّمَا هو قاعد)، ونحن نرى أنه يجوز في هذا أن تعطف (بلا) فتقول: (إِنَّمَا هو قائم لا قاعد)، ولا نرى ذلك جائزاً مع (ما) و(إلا)، إذ ليس من كلام الناس أن يقولوا: (مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ). فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا لَمْ يَجْزْ مِنْ حَيْثُ أَنْكَ إِذَا قُلْتَ: (مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ)، فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْهُ كُلَّ صِفَةٍ تَنَافَى (القيام)، وصرت كأنك قلت: (ليس هو بقاعدٍ ولا مُضْطَجِعٍ ولا متكى)، وهكذا حَتَّى لَا تَدَعَ صِفَةً يَخْرُجُ بِهَا (من القيام). فإذا قلت من بعد ذلك (لا قاعد)، كنت قد نفيت (بلا) العاطفة شيئاً قد بدأت فَنَفَيْتَهُ، وهي موضوعةٌ لَأَنْ تَنْفِي بِهَا مَا بدأت فأوجبته، لا لَأَنْ تُفِيدَ بِهَا النفي في شيء قد نَفَيْتَهُ، ومن ثم لم يَجْزْ أَنْ تقول: (مَا جَاءَنِي أَحَدٌ لَا زَيْدٌ)، على أَنْ تَعْمِدَ إِلَى بعض ما دَخَلَ فِي النفي بعموم (أَحَدٍ) فتنفية على الخصوص، بل كان الواجب إِذَا أُرِدْتَ ذَلِكَ أَنْ تقول: (مَا جَاءَنِي أَحَدٌ وَلَا زَيْدٌ)، فتجيء (بالواو) مِنْ قَبْلِ (لا)، حتى تخرج بذلك عن أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً فَأَعْرِفَ ذَلِكَ⁽¹⁾. لاحظ كيف شرح وَضَعَ النفي ب (ما-إلا)، وكيف أنه في قوة نفي مكرر (ولا مضطجع ولا متكى)، وأن مجيء (لا) العاطفة بعد ذلك مخالف لوضعها ف(هي موضوعة لَأَنْ تَنْفِي بِهَا مَا بدأت فأوجبته، لا لَأَنْ تُفِيدَ بِهَا النفي في شيء قد نفيتها)، ثم تكلم عن مشكلة العموم والخصوص واستعمال الألفاظ بغير ما وضعت له، إنها مشكلة عدم الوعي بعلم الوضع، تجعل الناظر لا يتفطن لهذه الفروق ولا يتذوّقها .

ثم قال: (وَإِذْ قَدْ عَرَفْتَ فَسَادَ أَنْ تقول: (ما زَيْدٌ إِلَّا قائم لا عمرو)، فإنك تعرف بذلك

(1) دلائل الإعجاز: 347.

امتناع / أن تقول: (ما جاءني إلا زيدٌ لا عمرو) و(ما ضربت إلا زيداً لا عمراً)، وما شاكل ذلك. وذلك أنك إذا قلت: (ما جاءني إلا زيدٌ)، فقد نفيت أن يكون قد جاءك أحدٌ غيره، فإذا قلت: (لا عمرو)، كنت قد طلبت أن تنفي (بلا) العاطفة شيئاً قد تقدمت فنفيته، وذلك، كما عَرَفْتُكَ، خروجُ بها / عن المعنى الذي وُضِعَتْ له إلى خِلافِهِ.

فإن قيل: فإنك إذا قلت: (إنَّما جاءني زيدٌ)، فقد نفيت فيه أيضاً أن يكون المجيء قد كان من غيره، فكان ينبغي أن لا يجوز فيه أيضاً أن تعطف بلا فتقول: (إنَّما جاءني زيدٌ لا عمرو). قيل: إنَّ الذي قُلْتُهُ من أنك إذا قلت: (إنَّما جاءني زيدٌ) فقد نفيت فيه أيضاً المجيء عن غيره = غيرُ مُسَلَّم لك على حقيقته. وذلك أنه ليس معك إلا قولك: (جاءني زيد)، وهو كلام كما تراه مُثَبَّتٌ ليس فيه نفي ألبته، كما كان في قولك: (ما جاءني إلا زيدٌ)، وإنَّما فيه أنك وضعت يدك على (زيد) فجعلته (الجائي)، وذلك وإنَّ أَوْجَبَ انتفاء المجيء عن غيره، فليس يُوجِبُه من أجل أن كان ذلك إعمالاً نَفْيٍ في شيء، وإنَّما أوجبه من حيث كان (المجيء) الذي أخبرت به مجيء مخصوصاً، إذا كان لزيدٍ لم يكن لغيره، والذي أبيناه أن تنفي (بلا) العاطفة الفعل عن شيءٍ وقد نَفَيْتُهُ عنه لَفْظاً⁽¹⁾.

ثم زاد الأمر وضوحاً من طريق المعقول، لا من طريق الملفوظ، فقال: (ونظير هذا أنا نعقل من قولنا: (زيد هو الجائي)، أن هذا المجيء لم يكن من غيره، ثم لا يمنع ذلك من أن تجيء فيه (بلا) العاطفة فتقول: (زيد هو الجائي لا عمرو)، لأننا لم نعقل ما عَقَلْنَاهُ من انتفاء المجيء عن غيره، بنفي أوقعناه على شيء، ولكنَّ بَأَنَّهُ لَمَّا كان المجيء المقصودُ مجيئاً واحداً، كَانَ النَّصُّ على (زيد) بأنه فاعله وإثباته لَهُ، نَفْياً لَهُ عن غيره، ولكن من طريق المعقول، لا من طريق أن كان في الكلام نَفْيٌ، كما كان ثَمَّ، فاعرفه⁽²⁾.

لقد اتضح أنَّ عبد القاهر كان يقابل بين (إنَّما)، وبين (ما-إلا) وضعاً واستعمالاً،

(1) دلائل الإعجاز: 348. وينظر: دلالات التراكيب: 138 وما بعدها.

(2) دلائل الإعجاز: 348.

فانطلق من النفي، فَقَرَّرَ أصالتها في التَّعْرِيزِ وضعاً، وهو خلو جملتها من النفي لفظاً، ثم ذكر دخول النفي عليها عطفاً من جهة الاستعمال، ويرى أَنَّ تأسيس الفرق في درجة النفي أولى من التأكيد على أنهما شيء واحد.

أما الأصوليون فقد بدأوا أولاً بمناقشة دلالة (إنَّما) على الحصر، وهو المصطلح الأكثر انتشاراً في لغتهم من القصر بخلاف النحاة والبلاغيين، فقد تساءلوا هل تفيد (إنَّما) الحصر أو لا؟ وإذا قلنا: تفيده، فهل بالمنطوق يعني أنها وضعت للإثبات والنفي معاً أي: لإثبات المذكور ونفي ما عداه أو للإثبات خاصّة وللنفي بطريق المفهوم؟⁽¹⁾

إذا أردنا أن نعيد هذا السؤال على التأصيل المعجمي والنحوي والبلاغي السابق نقول: هل تفيد (إنَّما) الحصر الذي هو أعم من القصر ومن مبالغة التوكيد؟ أي: هل تفيد الإثبات والنفي معاً أي: التصريح عند الجرجاني، أم الإثبات فقط أي: مبالغة التوكيد والقصر الذي هو التعريض عند الجرجاني؟

ثم إذا قلنا تفيد الحصر أي: الجمع بين النفي والإثبات، هل بالمنطوق أم بطريق المفهوم؟ المنطوق عند الأصوليين هو الوضع اللفظي عند اللغويين والتصريح عند الجرجاني، والمفهوم عندهم هو الاستعمال عند اللغويين والتعريض عند الجرجاني، حيث دلالة المخالفة ودلالة السياق والسباق واللاحق والبساط.

فالمنطوق والمفهوم في النفي والإثبات عند الأصوليين هما المصطلحان المقابلان للوضع والاستعمال عند النحويين، وعند أبي حيان خاصة، وهما المقابلان للتصريح والتعريض عند البلاغيين، وعند الجرجاني خاصة في بيان دلالة (إنَّما).

وعندما نرجع إلى علماء أصول الفقه نجد أنَّهم قاموا بالمقابلة والتفرقة من أجل بيان مصدر الحصر ومظهره في (إنَّما) من ذلك تقسيم⁽²⁾ ابن دقيق العيد الحصر إلى مجازي

(1) البحر المحيط في أصل الفقه: 3: 236، وينظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول: 163، وينظر المستصفي: 1: 271.

(2) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 241.

وحقيقي، كل ذلك بعد التساؤل كما ذكرنا عن مصدر ذلك هل هو الوضع أم الاستعمال، المنطوق أم المفهوم؟ لقد كانت (إنما) ثنائيتة في كل مستويات اصطلاحها⁽¹⁾، من حيث المصدر والمظهر، يقول صاحب العدة: (وهي تقتضي الحصر المطلق والمقيد، ويفهم ذلك بالقرائن والسياق، فإن دل السياق والمقصود من الكلام على الحصر في شيء مخصوص، فقل به، وإلا فاحمله على الإطلاق)⁽²⁾، ويقول الطوفي: (إنما) تقتضي تأكيد الحكم الواقع بعدها اتفاقاً. أما الحصر وهو: إثبات الحكم لما بعدها، ونفيه عما عداه ففيه للأصوليين أقوال...)⁽³⁾، ثم ختم الكلام عنها بقوله: (فرع: من قال: إن (إنما) للحصر قال: إن حصرها قد يكون عامّاً نحو ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾، وقد يكون خاصّاً باعتبار أمر خاص نحو ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾⁽⁵⁾ أي: باعتبار منكري التوحيد لا مطلقاً، فإنّ لله عزّ وجلّ صفات كثيرة غير التوحيد)⁽⁶⁾، وكذلك ابن تيمية أثبت تعبيرين للحصر فقال: (وأما الحصر في (إنما) فهو من جنس الحصر بالتثني والاستثناء كقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾⁽⁷⁾، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾⁽⁸⁾.

والحصر قد يُعبّر عنه بأنّ الأول محصور في الثاني، وقد يُعبّر عنه بالعكس والمعنى واحد، وهو أنّ الثاني أثبتّه للأول ولم يثبت له غيره مما يتوهم أنّه ثابت له، وليس المراد أنّك تنفي عن الأول كلّ ما سوى الثاني...)⁽⁹⁾، فهو يرى أنّ الحصر جنس واحد ولكنه فصل كلامه بما يؤول إلى مطلق ومقيّد، عام وخاصّ، والمطلق والعام هو

(1) راجع شروح التلخيص: 2: 168، والأطول: 1: 213، عن الاساليب القصر: 61.

(2) العدة في شرح العدة في أحاديث الأحكام: 1: 41.

(3) التعيين في شرح الأربعين: 29.

(4) طه: 98.

(5) النساء: 171.

(6) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 245.

(7) الشعراء: 154.

(8) آل عمران: 144.

(9) التعيين في شرح الأربعين: 33.

ما نفاه النحاة وأبو حيان خاصة وضعاً، ونفاه البلاغيون والجرجاني خاصة تصريحاً، وقبلوه استعمالاً وتعريضاً.

كذلك قام علماء أصول الفقه⁽¹⁾ بالسؤال عن سبب إفادتها الحصر، كما فعل النحويون عندما ناقشوا معنى (ما) في (إنّما)، بين التّفي والتّوكيد، ولكنّ الأصوليين زادوا على ذلك باختلافهم في كونها لفظة مفردة أو مرّكبة، وكذلك اختلفوا حول فهم أهل اللّسان من الصّحابة للحصر منها، وذكروا اختلاف ابن عباس مع الصحابة في فهم الحصر من قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (إنّما الربا في التّسيئة)، ولكنّ الخلاف الأوسع بين الأصوليين في سبب إفادة (إنّما) الحصر كان حول ما أسّسه النّحويّون مِنْ خِلافٍ، وكان كلام سيبويه هو محلّ النزاع بينهم، ونجد الزّركشيّ قد جعل تعليل السكاكيّ هو الأقرب، وذلك (أنّا وجدنا العرب عاملتها في الكلام معاملة إلّا المسبوقه بالتّفي، وهي مفيدة للحصر بالاتّفاق)⁽²⁾، ويبقى سؤال عبد القاهر مفتوحاً هل هذه المعاملة تعني التّرادف التام فينسحب حكم الاتفاق على الحصر العام وضعاً في (إنما)؟ هذا ما كان محل نقاش الأصوليين حول مفهوم الحصر في (إنّما)، هل هو مطابق لمفهوم الحصر في (إلا) المسبوقه بالتّفي أم أنّه ليس كذلك كما أصّر على ذلك عبد القاهر في دلائل الإعجاز؟ إنّهُ الخِلاف حَوْل التّرادف في أدوات المعاني. يقول أبو البقاء (والأصل في باب القصر (إلا) لكونه موضوعاً له بالأصالة من غير اعتبار تضمين شيء، أو ابتناء على مناسبة، ومفيداً له من غير احتمال واختلاف)⁽³⁾، وهذا النص قاطع في دعم كلام الجرجاني وأبي حيان وفهمهما لكلام سيبويه حيث (إنّما) ليست هي الأصل وضعاً وتصريحاً في الحصر والقصر، فالأصوليون يتعاملون مع التّعريض والتّصريح، والوضع والاستعمال فيها، بمصطلح الحصر الحقيقي والمجازي على المبالغة تارة، وبالمطلق والمقيّد حيناً، وبالعام والخاص حيناً آخر، يقول الزركشي: (القائلون بالحصر قال محققوهم: هي حاصرة

(1) شرح حديث إنّما الأعمال بالنيات: مجموع الفتاوى من الشاملة.

(2) المصدر السابق. الاتفاق هنا حول (ما - إلا) وليس إنّما فلينبه.

(3) الكليات: 1: 126. وينظر البحر المحيط في أصول الفقه: 5: 183.

أبداً لكن يختلف حصرها فقد يكون حقيقياً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾⁽¹⁾ وقد يكون مجازياً على المبالغة، نحو إنما الشجاع عنترة، وحمل عليه ابن عطية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾⁽³⁾ محمول على معنى التواضع والإخبات أي: ما أنا إلا عبد متواضع.⁽⁴⁾ ثم ذكر تحليلاً آخر للمحققين فقال: (ومنهم من يقول: تارة يكون مطلقاً، نحو ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾⁽⁵⁾، وتارة يكون مخصوصاً بقرينة، نحو ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾⁽⁶⁾، فإنه لا ينحصر في النذارة) ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾⁽⁷⁾ وليست منحصرة في ذلك لأنها مزرعة للآخرة، وإنما الحصر بالنسبة، فقوله: إنما أنت منذر بالنسبة إلى خطاب الكفار لنفي كونه قادراً على إنزال ما اقترحوه من الآيات كقوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾⁽⁸⁾، وقوله ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾⁽⁹⁾ أي: بالنسبة لمن آثرها ولم يعمل فيها للآخرة. وقال ابن دقيق العيد في شرح الإمام (...: كلمة (إنما) للحصر، والحصر فيها على وجهين: أحدهما أن لا يكون فيما دخلت عليه تخصيص ولا تقييد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾⁽¹⁰⁾، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾⁽¹¹⁾ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾⁽¹²⁾، والثاني: أن يقع فيما دخلت عليه إمّا في جانب الإثبات بأن يكون هو المقصود أو في جانب النفي بأن يكون هو المقصود، والقرائن ترشد إلى المراد⁽¹³⁾، ثم أكد هذا

(1) النساء: 171.

(2) النحل: 105.

(3) الكهف: 110.

(4) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 245.

(5) النساء: 171.

(6) الرعد: 7.

(7) الحديد: 20.

(8) المائدة: 99.

(9) محمد: 36.

(10) النساء: 171.

(11) طه: 98.

(12) المائدة: 55.

(13) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 246.

التقسيم فقال: (وهو في العمدة الكبرى في فهمه نحو ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾⁽¹⁾ ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾⁽²⁾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾⁽³⁾ فإن جميع هذه الأوصاف التي دخلت عليها (إنما) ليست للعموم بل تختص كونها لعباً ولهاً بمن لا يريد بعمله فيها الآخرة والتزوّد بها، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينحصر في البشريّة والتّذارة بل له أوصاف أخرى جليّة زائدة على البشريّة والتّذارة، لكن فهم منه أنه ليس على صفة تقتضي العلم بالغيب، أو أنها في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما أنا بشر مثلكم تختصمون إلي)، وفي ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾⁽⁴⁾ وفي الآية الكريمة يفهم من أنه ليس قادراً على خلق الإيمان قهراً لِسَبْقِ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ﴾⁽⁵⁾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾⁽⁶⁾ أي: والله أعلم لا أقدر على إجباركم على الإيمان. وكذلك أمر النذارة لا ينحصر فيها ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾⁽⁷⁾ إذا عرفت هذا فإن دلّت القرائن والسّياق على التّخصيص وإلا فاحمله على العموم فيما دخلت عليه (إنما) على هذا حمل ابن عباس (إنما الربا..) على العموم حتى نفى ربا الفضل، وقيل إنه رجع عنه، وحمل غيره (إنما الماء من الماء) على ذلك ولم يوجب الغسل بالتقاء الختانين، ومن خالف في الأمرين فبِدَلِيلٍ خَارِجِيٍّ⁽⁸⁾.

نلاحظ في هذا التحليل الأصولي منهجيّة الجرجاني وأبي حيان النحويين حيث مراعاة السّبق والسّياق والقرائن والتّخصيص، كلّ هذا لإبراز دلالة (إنما)، وهو محتاج لدراسة البساط والمقام والموضوع فهي ليست مثل (ما-إلا) في دلالتها على تأكيد الميث

(1) محمد: 36.

(2) الكهف: 110.

(3) الرعد: 7.

(4) الكهف: 110.

(5) فصلت: 5.

(6) الكهف: 110.

(7) الأحزاب: 45.

(8) البحر المحيط في أصول الفقه: 3: 247.

المذكور ونفي ما عداه نفيّاً عاماً حاصراً أي: دلالة تصريحية أصلية، بل هي في النفي خاصّة تعريضية تحتاج إلى فحص المقام والسياق وملابسات استعمالها.

إذا كان المعجميون قد قابلوا بين القصر والحصر صوتياً، والنحاة بين الإثبات والنفي، والبلاغيون بين التعريض والتّصريح في النفي، فإنّ الأصوليين قد طبقوا ذلك من جهة العموم والخصوص، والجواب والابتداء، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز.

وأنّ المنحى الأصولي في التفرقة بين الوضع والاستعمال قد تجلّى بوضوح في منهج الجرجاني في تحليله ل (إنّما)، وكذلك كان واضحاً أيضاً في تطبيقات أبي حيان في البحر المحيط، وقد دافع كلّ من الرجلين عن المنهجية التكاملية بين مستويات التوكيد كل في حقله، وبذلك يتضح أثر خلفية الرجلين الأصولية في التأصيل لفهم دلالة (إنّما) بين الوضع والاستعمال، والتي تعود في جذورها لكتاب سيبويه الذي جاء للنحو من حلقات علماء الحديث النبوي الشريف، وهذا يذكرني بنحاة الأندلس وتأثرهم بموطأ مالك فأكثرُوا من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف⁽¹⁾.

(4)

الخاتمة

1 - لقد توصلّ البحث إلى أنّ التفرقة الصّوتية في المعجم الاشتقاقية هي الحاسمة للفرق بين القصر والحصر معجمياً، وأنّها من أكبر ما يعين على التفرقة بين المصطلحين، فيكون القصر ل (إنّما) بمعنى المبالغة في التوكيد، والتعريض بالنفي، والقصر الإضافي الاعتباري، وهو ما يساوي عند الأصوليين الحصر المقيد، والخاص، والمجازي، وهو الثابت ل (إنّما) وضعاً، ويكون ل (ما - إلا) الحصر بمعنى القصر الحقيقي التحقيقي، والتصريح بالنفي، وهو

(1) ينظر: النحو المدني، شروح الموطأ حتى القرن السابع الهجري دراسة صرفية نحوية: 9 وما بعده.

ما يساوي عند الأصوليين الحصر المطلق، والعام، والحقيقي، وهو الذي تقترب منه (إنما) استعمالاً بالعطف على (لا) النافية.

2 - كشف البحث عن أسباب دعوى اضطراب أبي حيان في بيان دلالة (إنّما)، وذلك أنّه فرّق بين مقامات الوضع ومستويات الاستعمال، وأنّ هذا التفريق بين الوضع والاستعمال غلب عليه من مشاركته في علم أصول الفقه، وهو تطبيق أمين في نظري لكلام سيبويه، ومنهجية الجرجاني، حيث ترددت (إنما) بين أصلين: تأكيد المنطوق المثبت تصريحاً، وتوكيد المفهوم المنفي تعريضاً وضمناً.

3 - أوضح البحث أنّ مستويات التّعريض والتّصريح بين (إنّما) و(ما-إلا) هي محور كلام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز مستعيناً بمشاركته الأصوليّة؛ فانطلق من الإثبات منطوقاً ووضعاً؛ ليصل إلى النفي الضمني مفهوماً واستعمالاً؛ ليؤسس مصطلحي التّعريض والتّصريح في دلالة (إنما)، فهل يمكن أن نسميهما القصر التّعريضي ل(إنما)، والقصر التصريحي ل(ما-إلا)؟

4 - خلاص البحث إلى أنّ الوضع في (إنّما) القصر لا الحصر، وأنّ جذور المصطلح من كتاب سيبويه وليس من السكاكي كما هو شائع، وهو يعني تأكيد الإثبات والمبالغة فيه، وهو التّعريض في النفي مع التخصيص والتقييد والإضافة والاعتبار والمجاز، وهذا التّعريض بالنفي الذي يتضح بصحة العطف ب (لا) النافية هو الذي يقربها استعمالاً من مستوى الحصر في (ما-إلا)، التي لا تقبل العطف على (لا)، ولكنه ليس هو، أي ليس حصراً تحقيقياً، صريحاً في النفي، حقيقةً، مطلقاً عاماً، وأنّ هذا التقسيم في نظري هو خلاصة كلام المحققين من علماء أصول الفقه، فهناك دلالة وظيفية خاصة لكل منهما تمنع الترادف التام بينهما، وأخطأ في نظري من عاب على النحاة عدها في التوكيد كالدكتور إبراهيم أنيس. والله أعلم.

(5)

توصية

لقد فتح هذا البحث الباب من أجل تتبُّع تجليات هذا الخلاف في قاعدة (الأمور بمقاصدها)، المستنبطة من حديث «إنما الأعمال بالنيات ...» فالنيات هي المُشكَّلات للأعمال، فالأعمال تتميز، أو تصح، أو تكتمل، أو يتضح قصدها، أو تكتسب بالنيات، لا بالصفات، أو المقولات، أو المفعولات، فالحديث الشريف جاء دعوة صريحة لربط الظاهر بالباطن، وذلك عبر (إنما) التي جاءت للتصريح بالإثبات كناية عن الظاهر والأوامر والفعل، والتعريض بالنفي كناية عن الباطن والترك، فالقيام بدراسة تطبيقية تبين ما جاء من المقاصد قصراً أو حصراً، مثبتاً أو منفيّاً، تعريضاً أو تصريحاً، عموماً أو خصوصاً، حقيقةً أو مجازاً، كل ذلك يساعد في تنزيل الأحكام درجاتها الشرعية، ويوضح طريقة غرسها العملية بين العبارة والإشارة، وكذلك تتبع أثر ما ينتج عن القول بمبالغة التوكيد والقصر دون الحصر في (إنما) وضعاً فيقال: الذي يجعل حديث النية مفتوحاً على متعلقات الفعل والترك والظاهر والباطن أنّه لم يقل: ما الأعمال إلا بالنيات، بل قال (إنما) أو الأعمال بالنية كما ورد في بعض الروايات دون (إنما)، فلا يقال إنّ التروك مثلاً لم تدخل في الحديث، بل يقال مستويات العلاقة بين الأعمال والنيات درجات توزعت بين الإثبات التصريحي والنفي التعريضي ولذلك سمحت (إنما) بتقدير الصحة والكمال وغيرها من التقديرات، بخلاف (ما - إلا).

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قائمة بالمصادر والمراجع

- 1 - أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية د. صَبَّاح عبید دراز مطبعة الأمانة، ط 11406-1986م.
- 2 - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 911هـ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1394هـ-1974م. 4 أجزاء.
- 3 - البحر المحيط لأبي حيان، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط 2، 1990م.
- 4 - البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي ت 794هـ، دار الكتبي ط 1، 1414هـ -1994م، 8 أجزاء.
- 5 - التحرير والتنوير لابن عاشور الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م، 30 جزءاً.
- 6 - التصريح بمضمون التوضيح في النحو لخالد الأزهرى، دار الكتاب العلمية، بيروت -لبنان ط، 1421هـ-2000م. جزآن.
- 7 - التعريفات، للجرجاني، الدار التونسية للنشر، 1971م.
- 8 - التعيين في شرح الأربعين لسليمان الطوفي ت 716هـ، تح: أحمد حاج محمد عثمان، الناشر: مؤسسة الريان (بيروت-لبنان)، المكتبة المكيّة (مكة-المملكة العربية السعودية).
- 9 - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م.
- 10 - تقريب الوصول إلى علم الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه) لابن جزى الكلبي الغرناطي ت: 741هـ، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 1.
- 11 - حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك للصبان ت 1206هـ. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1471هـ-1997م.

- 12 - دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عزيمة ت 1404هـ. أبو فهد محمود محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، 11 جزء.
- 13 - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني 471هـ، قرا وعلق عليه أبو فهد محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني، دار المدني بجدة. ط 3، 1413-1992م.
- 14 - دلالات التراكيب، دراسة بلاغية لمحمد محمد أبو موسى، الناشر مكتبة وهبة ط 2، 1408هـ-1987م.
- 15 - شرح كتاب سيبويه للسيرافي ت 368 هـ، تح: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2008م، 5 أجزاء.
- 16 - العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام لعلاء الدين العطار ت 724هـ. وقف على طبعه والعناية به نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1427هـ-2006م.
- 17 - القضايا اللغوية في تفسير التحرير والتنوير تأليف ناصر فرج العرفي، دار العقيدة، الإسكندرية، ط 1، 1438هـ، 2017م.
- 18 - الكتاب لسيبويه ت 180هـ، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، 1408م. 4 أجزاء.
- 19 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. لأبي البقاء الكفوي ت 1094هـ تح: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- 20 - المسائل النحوية في كتاب (التوضيح لشرح الجامع الصحيح) لابن الملقن، تأليف: داود ابن سليمان الهويمل، جامعة القصيم، 1437هـ-1438هـ.
- 21 - المستصفي لأبي حامد الغزالي ت 505هـ، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، 1413هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 1.

- 22 - معاني النحول د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-الأردن، 1420هـ-2000م. 4 أجزاء.
- 23 - المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، تأليف: د. محمد حسن حسن جبل. الناشر: مكتبة الآداب -القاهرة، ط 1، 2010م، 4 أجزاء.
- 24 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب لأبن هشام ت 761 هـ تح د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر-دمشق، ط 6، 1985م.
- 25 - مفتاح العلوم للسكاكي ت 626هـ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان ط 2، 1407هـ-1987م.
- 26 - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، ط/دار المعرفة، بيروت-لبنان.
- 27 - مقاييس اللغة لابن فارس، تح عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ-1979م. 6 أجزاء.
- 28 - من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، 1966م
- 29 - منهجية التفكير العلمي في ضوء القواعد الأصولية، تأليف محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1414هـ، 2020م.
- 30 - الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، تح عبد الله دراز - محمد عبد الله دراز، الناشر: دار الكتب العلمية: 1425 هـ - 2004م.
- 31 - النحو المدني، شروح الموطأ حتى القرن السابع الهجري، دراسة صرفية نحوية، تأليف ناصر فرج العرفي، دار العقيدة، الاسكندرية، 1438هـ، 2017م.
- 32 - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسوطي ت، 911هـ، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر، 3 أجزاء.

متى قيل: (قاموس) ومتى قيل: (معجم) لكتاب اللغة المرتَّب؟

د. محمد خليل الزُّروق

(كلية الآداب - جامعة بنغازي)

الحروف العربية كانت تنقط في المائة الأولى الهجرية وقبلها، كما تدل عليه النقوش⁽¹⁾، ولكن نقط الإعجام الذي كان في أواخر المائة الأولى المنسوب إلى نصر بن عاصم الليثي⁽²⁾ (89- أو 90هـ) له معنيان: جعل ذلك في المصحف الشريف، إذ لم يكن منقوطًا، ولم يكن النقط مستعملًا في الكلام تأمًا ولا دائمًا، ثم ترتيب الحروف بحسب هذا النقط، وهو ترتيب ألف باتا، فجعلت الحروف المتشابهة متجاورة، وفَرَّقَ بينها النقط، فقليل فيها: حروف المعجم، أي حروف الإعجام، فيكون المعجم مصدرًا ميميًا، أي التي زالت عجمتها بالنقط، أي زال غموضها وخفاؤها على غير البصير، أو حروف الخط أو الرسم المعجم، أي المنقوط، فيكون المعجم اسم مفعول.

ولم يكن هذا الترتيب معروفًا، ولكن كان الترتيب المعروف ترتيب أُنْجَدُ، وهو المستعمل في السُّريانية والعبرانية قبل هذا، فجاء ترتيب ألف باتا فنسخه، وصار هو الترتيب الإسلامي، وقد وُضِعَ بمناسبة خدمة المصحف الشريف بنقط الإعجام تجنبًا للتصحيف. وصار ترتيب أُنْجَدُ مستعملًا فقط في حساب الجُمَّل، أي إعطاء كل حرف عددًا على نظام معروف.

(1) انظر مثلاً: التراث المعجمي العربي من القرن الثاني حتى القرن الثاني عشر، رمزي بعلبكي، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، 2020م، ص 21.

(2) انظر مثلاً: المحكم في نقط المصحف، لأبي عمرو الداني، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1997م، ص 7.

ثم يقول ابن ناصر الدين (842هـ) في كتاب «الرد الوافر»: «أول من رتب الأسماء على الحروف من المحدثين أبو عبد الله البخاري (194-256هـ)»⁽¹⁾. ومن ههنا سمي أهل الحديث الكتاب المرتب على أوائل حروف الأسماء بحسب حروف المعجم، سموه المعجم، أي كتاب حروف المعجم، ثم اختصر إلى المعجم، ومن أقدم ذلك «المعجم»⁽²⁾ لأبي يعلى الموصلي (210-307 أو 306هـ)، فرتبوا الأعلام إما للترجمة، وإما لسياقة أحاديثهم التي رووها. فأهل الحديث هم أول من استعمل اسم المعجم في الكتب على هذا الوصف لهذا الغرض، منذ المائة الثالثة، وكثر ذلك في المائة الرابعة فما بعد. وتبعهم أهل الأدب، فسموا: معجم الشعراء، ومعجم الأدباء، ومعجم البلدان.

ولا نجد في اللغة كتاباً سمي باسم المعجم، إلا ما جاء من كتاب للزمخشري (467-538هـ) يسمى: «معجم الحدود»⁽³⁾، ولا يُعرف مضمونه، وكأنه في المصطلح العلمي، أي تعريف المصطلحات. ولكن ما نعرفه اليوم باسم المعاجم أو القواميس كانت تعرف بكتب اللغة، أو متن اللغة، أو فقه اللغة، أو علم اللغة، وأظن أنهم لم يفعلوا ذلك، لأن الكتاب في اللغة إما أن يرتب على المعاني أي الموضوعات، لا الحروف، كـ «الغريب المصنف» و«المخصص»، وإما أن يرتب لا على حروف المعجم ألف باتا، ولكن على ترتيب المخارج الذي ابتدعه الخليل بن أحمد، كـ «العين» و«تهذيب اللغة»، وإما أن يرتب على حروف ألف باتا، أي حروف المعجم، ككثير من الكتب، فنوع واحد من كتب اللغة مرتب على حروف المعجم، وليس كلها كذلك، فلم يرتبط اسم المعجم بكتب اللغة لهذا السبب، فيما أظن.

وأما كتاب ابن فارس (329-395هـ): «المقاييس في اللغة»، وقد نشر باسم «معجم مقاييس اللغة»، وجاء في أوله: «هذا كتاب المقاييس في اللغة»⁽⁴⁾، فلفظ المعجم مقحم

(1) الرد الوافر، لابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1991م، ص 25.

(2) كتاب المعجم، لأبي يعلى الموصلي، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد / باكستان، 1987م.

(3) كشف الظنون، للحاج خليفة، إستانبول، 1941م، ص 1734.

(4) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1946م.

في العنوان، تعريفاً بمضمون الكتاب وترويجاً له، والعنوان مُعَيَّرٌ، ومثله: «بقية الأشياء أو بقايا الأشياء» لأبي هلال العسكري (من المائة الرابعة) نشر مرة باسم: «المعجم في بقية الأشياء»⁽¹⁾، وهذا من عمل الناشر لا المؤلف.

ثم جاء مجد الدين الفيروزآبادي (729-817هـ) وألّف كتابه: «القاموس المحيط»، ولفظ القاموس من القَمَس، جاء في «كتاب العين»: «كل شيء يَنْغَطُّ في الماء فقد قَمَسَ... وفي المثل: بلغ قوله قاموس البحر، أي قعره الأقصى»⁽²⁾. وما وصفه بأنه مثل، أصله حديث صحيح رواه الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس من قول ضِمَاد الأزدی لما سمع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ.. إلخ، قال: لقد سمعت الشعر والعِياْفَة والكهانة، فما سمعت مثل هذه الكلمات، لقد بلغن قاموس البحر»⁽³⁾. واللفظ قليل الاستعمال في الكلام، وقال المعري على عادته في الإغراب والاعتراف من كتب اللغة في شعره ونثره:

الحمد لله قد أصبحْتُ في لُجْجٍ مكابداً من هموم الدهر قاموساً⁽⁴⁾

وقال السخاوي في ترجمة المجد: «ألف فيها تواليف حسنة، منها القاموس، ولا نظير له في كتب اللغة، لكثرة ما حواه من الزيادات على الكتب المعتمدة كالصاحح... وأعره من الشواهد اختصاراً»⁽⁵⁾. وقوله: فلا نظير له يبين لك مكانة القاموس ووقعه عند معاصري المجد ومن جاء بعده، فقد تلقوه كما يتلقى العطشان الماء البارد، وسبب ذلك كما ذكر السخاوي اختصاره ووجازة عبارته وما زاده على الصحاح من ألفاظ ومواد واستدراك،

(1) المعجم في بقية الأشياء، لأبي هلال العسكري، أكمله وعلّق عليه: إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي، دار الكتب المصرية، 1934م.

(2) كتاب العين، للخليل بن أحمد، تحقيق المهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1988م، 87/5.

(3) مسند الإمام أحمد، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، 4/477.

(4) اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1924م، 2/30.

(5) الضوء اللامع، للسخاوي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1934م، 84/10.

وذلك العصر كان يميل إلى المتون والجمع، فجاءهم المجد بما يروقه في ذلك، ولو حُذف منه أعلام الناس والمواضع، وما حشاه به من الطب، لجاء في جزء واحد أو نحو ذلك. وقد كُتب عليه كثير من التحشية والتعقيب والشرح، ودرة ذلك كتاب الزبيدي (1145-1205هـ): «تاج العروس»، فكان القاموس الكتاب المنفرد في اللغة الذي شُرح كلمة كلمة.

وأما قبل كتاب المجد فلا أعلم كتاباً أُلِفَ باسم القاموس، وقال لويس شيخو: «ابن علي يشوع المتطبب النسطوري (نسبة إلى فرقة من النصارى) عاش في أوائل القرن العاشر للميلاد (أي الرابع للهجرة) له قاموس سُرياني عربي، طبع قسمًا منه المستشرق هوفمان G. Hoffmann في كيال سنة 1874م»⁽¹⁾. وما في القوسين من عندي. وهذا لا يفيد أنه سمّاه القاموس، ولكنّه يريد المعنى الذي يعنيه أهل عصرنا بالمعجم والقاموس، أي الكتاب المرتب على الحروف الذي يفسر ألفاظًا من اللغة، وقال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في ترجمة متى بن يونان (328-هـ): «من السُرياني إلى العربي»⁽²⁾. فانظر كيف وصف المعجم ثنائي اللغة بهذا الوصف، على ما كانوا يعبرون به في عصرهم، كما عبر لويس شيخو بالمعهود في عصره. ومثله ما تراه في معجم المؤلفين مثلاً وفي غيره من أن فلاناً له قاموس في كذا، فهذا معناه.

ومن معاصري المجد الفيروزآبادي أو بعده بقليل كان عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي (767-832هـ)، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، له كتاب في التصوف دعاه: «الناموس الأعظم، والقاموس الأقدم». وله ترجمة في أعلام الزركلي⁽³⁾.

ومن بعد عصر الفيروزآبادي سُمي الناس الكتب باسم القاموس، فوجدنا: القاموس في الفقه، وقاموس الأطباء، وقاموس الشريعة، وقاموس العاشقين، وغير ذلك، ولم نجد كتاباً في اللغة سمي باسم القاموس.

(1) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1924م، ص 13.

(2) طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1882م، 1/ 235.

(3) الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002م، 4/ 51.

وبعد ذلك اشتغل المستشرقون باللغة العربية وألفوا فيها كتبًا، فظهرت الحاجة إلى استعمال كلمة تقابل Dictionnaire أو Dictionary. وانظر مثلاً كتاب «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» لإدوارد فانديك (كان حيًّا سنة نشر كتابه 1314هـ = 1897م)، ففيه بعنوان: قواميس الإفرنج للغة العربية، وسرد منها خمسة عشر كتابًا مرتبة بحسب تواريخ نشرها، وكلها تفسر الألفاظ العربية باللغات الإفرنجية، وأقدمها نشر في ميلان بإيطاليا سنة 1632م، وآخرها سنة 1894م، ولا أدري هل سمي بعضها بقاموس، على أنَّ عنواناتها على الأغلب بلغات أصحابها، وقال بعد السادس منها: «وأساس هذه القواميس الستة التي وضعها الإفرنج هي القواميس، أي المعجمات، العربية الشهيرة»⁽¹⁾.

لكن تثبيت هذين المصطلحين: «قاموس» و«معجم» للكتاب المرتَّب على الحروف الذي يفسر ألفاظ اللغة، إنما كان في سلسلة معاجم اللبنايين النصارى، يأخذ بعضها عن بعض، وأولها أصلها الذي ترجع إليه وتبني عليه، وهو:

1 - ما نشر في سنة 1867م في بيروت، أي قبل صدور «اكتفاء القنوع»، باسم: «محيط المحيط»، لبطرس البستاني (1234-1300هـ = 1819-1883م)، وفي صفحة العنوان: «كتاب محيط المحيط، تأليف المعلم بطرس البستاني، عُفي عنه، أي قاموس مطول للغة العربية»، وفي المقدمة: «محيط الفيروزبادي الذي هو أشهر قاموس للغة العربية»⁽²⁾. ولم يذكر شيئاً في (ع ج م)، وقال في (ق م س): «والقاموس كتاب الفيروزبادي في اللغة العربية، لقَّبه بالقاموس المحيط لاتساعه، وتُعد غوره، ومنه سمي كل كتاب في اللغة مشتمل على مفرداتها مرتبة على حروف المعجم مع ضبطها وتفسير معانيها بالقاموس، وهو من اصطلاح المولَّدين، ويرادفه عند العرب: اللغة، فإنهم يسمون القواميس بكتب اللغة». فاستعمل لفظ القاموس، ولم يستعمل لفظ المعجم، ويفهم من كلامه أيضًا أنَّ القدماء لم يستعملوه. وقوله: المولَّدين، ليس في محله، لأنَّه يراد به كل الذين جاءوا بعد عصر الاحتجاج اللغوي،

(1) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدوارد فانديك، دار الهلال، القاهرة، 1896م، ص 16.

(2) محيط المحيط، لبطرس البستاني، بيروت، 1867م، 1/2.

أي بعد آخر المائة الثانية الهجرية على وجه التقريب، والأليق أن يقول: المعاصرين. ويحسن أن نذكر أن المؤلف جعل للكتاب مختصرًا سماه: «قُطْر المحيط»⁽¹⁾.

2 - وفي سنة 1889م صدر الجزء الأول من كتاب: «أقرب الموارد في فَصَح العربية والشوارد»، أي قبل كتاب اكتفاء القنوع، وهو مذكور فيه، لسعيد الشَّرتُوني (1265-1330هـ = 1849-1912م)، وقال في المقدمة: «فلجّ داعي الاحتياج إلى وضع معجم يُطلّ الطالب على طلبته»⁽²⁾. وقال: «المقصد الثالث في ذكر نزر من مما عثرتُ عليه في المعجمات من أغلاط النسخ والطبع»⁽³⁾. ولم يذكر ذلك في (ع ج م) منه، ولكن قال في (ق م س): «والقاموس كتاب الفيروزبادي في اللغة العربية لقبه بالقاموس المحيط، ويطلقه أهل زماننا على كل كتاب في اللغة، فهو يرادف عندهم كلمة معجم وكتاب لغة». وقوله: أهل زماننا، خير من قول محيط المحيط: المولدين. فهذا أقدم استعمال مدون وجدته للفظ المعجم بالمعنى المراد. وأضُمُّ إليه أنّه مستعمل أيضًا بهذا المعنى في كتابة الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار منذ صدورها سنة 1898م⁽⁴⁾.

3 - وفي سنة 1907م صدر كتاب باسم «معجم الطالب، في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية العصرية»⁽⁵⁾، طبع في المطبعة العثمانية ببلدة بعلبكا ببلبنان، لجرّس همّام الشَّوَيْري (1272-1339هـ = 1856-1921م)، وقال في (ع ج م) منه: «ومعجم اللغة كتاب يحوي مفرداتها مشروحة ومرتبة على الحروف الهجائية، وهو المعروف عندنا بالقاموس». وقوله: عندنا، مثل قول أقرب الموارد: أهل زماننا. وفي (ق م س): «القاموس: البحر المحيط، وكتاب في متن اللغة العربية للإمام الشهير الفيروزبادي، وأطلقه المولدون على كل كتاب في اللغة يتضمن مفرداتها مشروحة». وأخذ هنا لفظ: المولدون، عن محيط

(1) قُطْر المحيط، لبطرس البستاني، بيروت، 1869م.

(2) أقرب الموارد في فَصَح العربية والشوارد، لسعيد الشرتوني، بيروت، 1890م، 1/6.

(3) أقرب الموارد: 10/1.

(4) مجلة المنار، انظر مثلاً: 1/855.

(5) معجم الطالب، لجرّس همّام الشويري، المطبعة العثمانية، بعلبكا / لبنان، 1907م.

المحيط. وفي صدر الكتاب رسالة بعنوان: اللُّمَعُ النواجم، في اللغة والمعاجم، لظاهر خير الله الشُّوَيْري (1250-1334هـ = 1834-1916م). فهذا، فيما أظن، أول كتاب يكون في عنوانه لفظ المعجم.

4 - وفي سنة 1908م صدر «الْمُنْجِد»⁽¹⁾ للويس معلوف (1284-1365هـ = 1867-1946م) في بيروت، عن دار المشرق، وجاء فيه في مادة (ق م س) ما جاء في أقرب الموارد، غير أنه في طبعة سنة 1967م جعلوا مكان عبارة: «يطلقه أهل زماننا»: «ويطلق اليوم»، مجارةً للتعبير العصري.

ولا بد أن نذكر هنا تنمة للتتابع التاريخي كتابين آخرين:

• أحدهما لأمين معلوف (1288-1362هـ = 1871-1943م)، ذلك أنه كتب في مجلة المقتطف سلسلة مقالات منذ سنة 1908م بعنوان: «معجم الحيوان»⁽²⁾، أي بعد «معجم الطالب» بسنة، ثم صدرت في كتاب سنة 1932م⁽³⁾.

• والآخر لمحمد دياب (1269-1339هـ = 1852-1921م) بعنوان: «معجم الألفاظ الحديثة»، صدر في القاهرة سنة 1919م⁽⁴⁾.

• ولا بد أن نذكر أيضاً أن المعجم والمعاجم مستعملان في مجلة «لغة العرب» في كتابة صاحبها أنستاس الكرْملي (1263-1366هـ = 1846-1947م) وغيره منذ صدورها سنة 1911م⁽⁵⁾.

5 - وفي سنة 1927م صدر كتاب: «المعتمد، فيما يحتاج إليه المنشئون والمتأدبون من متن اللغة العربية» لجرجي شاهين عطية (1365-هـ = 1946م)، وأذكره لأنه ضمن هذه

(1) المنجد، للويس معلوف، دار المشرق، بيروت، 1908م.

(2) مجلة المقتطف، 10/ 1908م، ص 843.

(3) معجم الحيوان، لأمين معلوف، نشر المقتطف، القاهرة، 1932م.

(4) لم أطلع عليه، وانظر الأعلام: 6/ 122.

(5) مجلة لغة العرب، انظر مثلاً: 1/ 12.

السلسلة، ولم أطلع عليه⁽¹⁾.

6 - وفي سنة 1927م أيضاً طبع في المطبعة الأمريكية في بيروت كتاب: «البستان»، لعبد الله البستاني (1271-1348 هـ = 1854-1930م)، وقال في صفحة العنوان: «وهو معجم لغوي»⁽²⁾، فترك ما في صدر محيط المحيط من قوله: «قاموس مطول للغة». وله مختصر أيضاً يسمى: «فاكهة البستان»⁽³⁾.

ومن هذا يتبين أن استعمال لفظ «قاموس» للكتاب المفسر للألفاظ المرتب على الحروف أحادي اللغة أو ثنائي اللغة، لم يكن إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري)، ويتلوه في الزمن استعمال لفظ «معجم» لهذا المعنى، فلم يكن إلا في أواخر هذا القرن.

والله أعلم

(1) انظر الأعلام: 2 / 117.

(2) البستان، لعبد الله البستاني، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1927م.

(3) فاكهة البستان، لعبد الله البستاني، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1930م.

مسائل من الاستدراكات البلاغية

للطاهر بن عاشور في تفسيره

عرض ومناقشة

أ.د. أحمد فتح الله اسماعيل

(جامعة عمر المختار-كلية التربية)

مقدمة

يستمدُّ هذا البحث أهميته من جهتين، الأولى: من منزلة ابن عاشور العلمية؛ فهو المحقِّقُ المدقِّقُ في علم البلاغة، والأخرى: من ضرورة إعادة النَّظر في كثير من المسائل البلاغية التي كان يُظنُّ أنَّها من المسلَّات، وأخرى من المُشكلات، وهي تندرج جميعاً في مجال مُهمٍّ من البحث في علم البلاغة من حيث الاستدراك والتصحيح، وقد جرى السابقون على هذا التَّهَج من البحث، نجده ماثولاً في كتبهم - مع أنَّ منهم من قد أفرد كتاباً لها، كما فعل صاحب الإشارات والتنبيهات، ولكنَّها غيرُ كافية - ولو جُمعت تلك الاستدراكات جميعاً لكان فيها نفعٌ كبيرٌ لعلم البلاغة.

يهدف هذا البحث إلى تجلية رأي ابن عاشور في بعض المسائل البلاغية التي درج عليها علماء البلاغة مستدرَكاً عليهم حيناً، ومضيفاً شيئاً جديداً حيناً آخر، ومنهج البحث قائمٌ على الاستقراء، والتَّحليل، والموازنة بين الأقوال، والاختيار تبعاً للدَّليل ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

وطريقة ابن عاشور أنَّه ينصُّ أحياناً على اسم البلاغيِّ أو المُفسِّر المُستدرَك عليه، وأحياناً أخرى يُطلق العبارة إجمالاً على البلاغيِّين أو المُفسِّرين، وهنا نلاحظ أنَّ المُفسِّرين

يدخلون ضمناً في البلاغيين؛ لأنَّ من شروط المُفسِّر أن يكون عالماً بالبلاغة، ولا أدلَّ على ذلك من الزَّحْشَرِيِّ البلاغيِّ المُفسِّر، وإن كان غيره اشتهر بالتفسير أكثر من البلاغة؛ فذلك راجعٌ إلى لزوم المُصاحبة لعلم التفسير نحو الفخر الرازي، وابن عطية، وأبي حيَّان، وغيرهم. يحوي هذا البحث مسائل في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: مسألة في الجملة الاسميَّة والفعلية، والثاني: مسائل في التَّقديم والتَّأخير، والثالث: مسائل مُتفرِّقة في الحذف، والإيجاز، والمساواة، والتَّوكيد.

المبحث الأول: مسألة في الجملة الاسميَّة والجملة الفعلية.

من المُقرَّر في علم البلاغة أنَّ الجملة الاسميَّة تفيد الثُّبوت، وتفيد الدَّوام والاستمرار بِمَعُونَةِ القرائن، وأنَّ الفعلية تفيد الحدوث، والتَّجَدُّد⁽¹⁾، ويرى ابن عاشور أنَّ هناك فرقاً آخر بينهما لم يُذكر في كتب المعاني؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾ يُعلِّل مجيء الجملة الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾ وأنها لم تأت على وزان الجملة الفعلية قبلها في قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرِ﴾⁽⁴⁾، بأنَّ (الجملة الفعلية تدلُّ على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل؛ فلذلك حكي بها كلامهم؛ لأنَّهم لما رأوا المسلمين يتطلَّبون معرفة حصول إيمانهم قالوا (آمَنَّا)، والجملة الاسميَّة تدلُّ على الاهتمام بشأن الفاعل، أي أنَّ القائِلين: (آمَنَّا) لم يقع منهم إيمان، فالاهتمام بهم في الفعل المنفيّ تسجيلٌ لكذبهم، وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسميَّة، وهو مُصدَّق بقاعدة إفادة التَّقديم الاهتمام مطلقاً، وإن أهملوا التَّنبيه على جريان تلك القاعدة عندما ذكروا الفروق بين الجملة الفعلية والاسميَّة

(1) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص174.

(2) البقرة: 8.

(3) البقرة: 8.

(4) البقرة: 8.

في كتب المعاني⁽¹⁾، وهذا الاستدراك في محله؛ إذ إن كتب المعاني -وفق اطلاعي- لم تذكر فرق الاهتمام بالتقديم، سوى عبد القاهر الذي حرّر ذلك الفرق بدقة في مبحث التقديم والتأخير⁽²⁾، والمهم هنا الإشارة إلى أن الفرق الذي استدركه ابن عاشور يصلح في الجملة الاسمى التي خبرها فعل، نحو (زيد قام)، فالاهتمام هنا بزيد وهو المسند إليه، وضميره الفاعل في الفعل قام، وعلى عكس ذلك في الجملة الفعلية: (قام زيد)، فالاهتمام هنا ب (قام)، وهو المسند، ويمكن القول إن ذلك يصلح في كل جملة اسمية، سواء أكان خبرها فعلاً أم اسماً -وإن لم يقل ابن عاشور ذلك- ومما يشهد على هذا: الأمثلة التي ساقها عبد القاهر في مبحث التقديم والتأخير، ومنها: (زيد المنطلق)، و (المنطلق زيد)، وكذلك (ضربت زيدا)، و(زيد ضربته)⁽³⁾، أي أنه يمكن الاستفادة من مبحث التقديم والتأخير الذي بحثه عبد القاهر؛ وذلك بنقل كثير من فوائده إلى مبحث الجملة الاسمى، والجملة الفعلية عند الحديث عن الفروق بينهما بلاغياً.

المبحث الثاني: مسائل في التقديم والتأخير.

يضع عبد القاهر لهذا المبحث أصلاً فيقول: (واعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب -وهو يذكر الفاعل والمفعول-: «كَانَ لَهُمْ يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ أَهَمُّ لَهُمْ، وَهُمْ بَيَّنَّاهُ أَغْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعاً يُهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ»، ولم يذكر في ذلك مثلاً⁽⁴⁾)، وقد نعى عبد القاهر على الذين يقولون بالاهتمام فقط، دون أن يبينوا وجه الجمال في هذا الاهتمام⁽⁵⁾، وهنا يتميز ابن عاشور بأنه لا يكاد يدع موضعاً للتقديم والتأخير إلا وبحث في غايته، ومن ذلك ما استدركه على الزمخشري؛

(1) ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج 1، ص 265.

(2) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 107.

(3) يُنظر: السابق، ص 106.

(4) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 106، ويُنظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون،

مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988م، ج 1، ص 34.

(5) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 107.

فابن عاشور يرى أنَّ تقديم المجرور على عامله في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (١)، يفيد الثناء على المؤمنين أنَّهم أيقنوا بأهم ما يُوقِنُ به المؤمنُ، ويرى أنَّه لا يفيد الحصر كما تكلف في ذلك صاحبُ الكشاف وشارحه (٢)، والذي يراه الباحث أنَّ الخلاف في هذه المسألة هو خلافٌ في المصطلح؛ إذ لا يُتصوَّرُ بحال من الأحوال أنَّ صاحب الكشاف وشارحيه تَوَهَّموا الحصر بمعناه الفعلي، أي حَصَرَ اليقين باليوم الآخر دون غيره من أركان الإيمان، وهذا لا يقول به أحدٌ من المسلمين فضلاً عن العلماء منهم، فمراد الزمخشري - ومن شرح كتابه - الاختصاص لا الحصر، وفَرَّقَ بين المصطلحين، كما حرَّر ذلك بهاء الدين السبكي وغيره (٣)، فالاختصاص أوسع دلالةً من الحصر؛ فهو لا يفيد نفي الصفات الأخرى عنهم، وإنَّما يفيد اختصاصهم بها على وجه المدح، وتخريج ما عند الكشاف وشارحيه يكون المراد به أنَّ الله تعالى قد خَصَّهم بذكر هذه الصِّفة (الإيمان باليوم الآخر) دون غيرها من الصفات مدحاً لهم، وثناءً عليهم، ثم تعريضاً بغيرهم بأنَّهم لا يؤمنون باليوم الآخر كما أمر الله تعالى، وذكر الطيبي عند شرحه لكلام الزمخشري أنَّه يفيد الاختصاص (٤)، والمهمُّ هنا التنبيه على الخلط الذي يحدث عندما لا يُفَرَّقُ بين الاختصاص والحصر؛ حيث يتبيَّن من المواضع التي استدركها ابن عاشور على الزمخشري، أنَّ ابن عاشور لا يُفَرَّقُ بين الاختصاص والحصر، وعند التأمُّل في كلام الزمخشري يتبيَّن أنَّه يقصد الاختصاص لا الحصر، وعلى هذا

(١) البقرة: ٤.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ج ١، ص ٢٤٠، والزَّمَخْشَرِيُّ، جَارِ اللَّهِ، الكَشَّافُ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٤٢.

(٣) يُنظر: السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندائي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٣٨٢، والسُّيُوطِيُّ، جلال الدين، الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، تحقيق: مُحَمَّدُ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج ٣، ص ١٧٥، والخفاجي، شهاب الدين، حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، دار صادر، بيروت، ج ١، ص ١١٩، ومن الفوائد أنَّ بهاء الدين السبكي ذكر أنَّ أباه تَقِيُّ الدِّينِ أَلَفَ كِتَاباً سَمَّاهُ الْاِقْتِنَاصَ، وَأَكْمَلَ السُّيُوطِيُّ عُنْوَانَهُ: فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالْاِخْتِصَاصِ، يُنظر: السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح، ج ١، ص ٣٨٤، والسُّيُوطِيُّ، الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، ج ٣، ص ١٤٥.

(٤) يُنظر: الطيبي، شرف الدين، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرِّيب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: جميل بني عطا، جائزة دبي للقرآن الكريم، الإمارات، ٢٠١٣م، ج ١، ص ١٠١.

يمكن -بنوع من التفسير والدلالة- تخريج كلامه على محمل من القبول والرضى، ويسلم الزمخشري بذلك من التكلف الذي وصفه به ابن عاشور، وكما يقول السبكي: (كُلُّ ذَلِكَ أَوْجبه الوهم، والتباس الاختصاص بالحصص)⁽¹⁾.

ومن هذا الباب أيضاً ما استدركه ابن عاشور على الزمخشري في تقديم المتعلق، والمسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽²⁾، فهو يرى أن التقديم هنا يفيد الاهتمام، وتقوي الحكم، لا الحصر كما ذهب إليه الزمخشري؛ إذ لا معنى للحصر هنا⁽³⁾، وهذا الكلام وإن كان وجيهاً، إلا أنه يمكن أن يحمل على الاختصاص لا الحصر كما سبق ذكره، وفائدة الاختصاص هنا من جهتين، الأولى: تخصيص هذه النعمة من دون النعم الأخرى؛ لعظيم فائدتها، والثانية: تخصيص أهل البحار بمعرفتها، خاصة أنه ذكر أهل البر في قوله: ﴿وَعَلَّمَتْ﴾⁽⁴⁾، كما ذهب إلى ذلك الطيبي في حاشيته على الكشف⁽⁵⁾، وعبارة الزمخشري تدور على أن التخصيص منصرف إلى قريش؛ لكونهم أعلم الناس بالاهتداء بالنجم⁽⁶⁾، ولعل الصواب أن هذا من باب التمثيل؛ فإن غيرهم من العرب على علم به أيضاً، والخلاصة أنه لا تعارض بين الاهتمام والاختصاص؛ لأن الاختصاص من طرائق الاهتمام بالشيء.

ومن المواضع التي يرى ابن عاشور أنها لتقوية الحكم: التقديم في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽⁷⁾؛ وذلك (لأنَّ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْمُسْنَدِ يُفِيدُ تَقْوِيَّ الْحُكْمِ؛ فَيُفِيدُ تَقْوِيَّةَ صُدُورِ الْإِكْرَاهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ تِلْكَ التَّقْوِيَّةُ حَلَّ الْإِنْكَارِ، وَهَذَا تَعْرِضٌ بِالْإِنْكَارِ عَلَى النَّبِيِّ، وَمَعْدِرَةٌ لَهُ عَلَى عَدَمِ

(1) السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص388.

(2) النحل: 16.

(3) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 14، ص 122، 123، والزمخشري، الكشف، ج2، ص 599.

(4) النحل: 16.

(5) يُنظر: الطيبي، فتوح الغيب، ج 9، ص 95.

(6) يُنظر: الزمخشري، الكشف، ج2، ص 599.

(7) يونس: 99.

اسْتَجَابَتْهُمْ إِيَّاهُ، وَمَنْ بَلَغَ الْمَجْهُودَ حَقَّ لَهُ الْعُذْرُ⁽¹⁾، ويرى أنه لا وجه للقول بالتخصيص أو القصر؛ (لأنَّ الْمَقَامَ غَيْرُ صَالِحٍ لِإِعْتِبَارِ الْقَصْرِ، إِذْ مُجَرَّدُ تَنْزِيلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَنَزِلَةٌ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِكْرَاهَ النَّاسِ عَلَى الْإِيمَانِ، كَافٍ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى تَشْبِيهِ حِرْصِهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِحِرْصِ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِكْرَاهَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا وَقَعَ فِي «الْكَشَافِ» مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى مَعْنَى الْإِخْتِصَاصِ غَيْرُ وَجْهِهِ؛ لِأَنَّ قَرِينَةَ التَّقْوَى وَاضِحَةٌ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهَا السَّكَّاكِيُّ⁽²⁾، وَالسَّكَّاكِيُّ يَبْدُو أَنَّهُ أَكْثَرُ وَضوحًا فِي ذَلِكَ بِضَرْبِهِ الْمِثَال؛ حَيْثُ يَقُولُ: (فَلَا تَحْمِلْ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَالِلَهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾⁽³⁾ عَلَى التَّقْدِيمِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الْإِذْنَ يُنْكَرُ مِنَ اللَّهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَحْمَلُهُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ مُرَادًا مِنْهُ تَقْوِيَةٌ حَكَمَ الْإِنْكَارِ، وَانْظُمَ فِي هَذَا السَّلَكِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾، فَابْنُ عَاشُورٍ هُنَا يَخْتَارُ رَأْيَ السَّكَّاكِيِّ وَيَنْتَصِرُ لَهُ، مُقَابِلَ رَأْيِ الزَّمْخَشَرِيِّ، وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا، غَيْرَ أَنَّهُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ الدَّقِيقِ يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ رَأْيَ الزَّمْخَشَرِيِّ قَدْ يُعَدُّ وَجْهًا إِذَا عُدَّ مِنَ الطَّرِيقِ نَفْسَهُ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ ابْنُ عَاشُورٍ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ تَقْوِيَةَ الْحُكْمِ مَصْدَرُهَا تَنْزِيلُ أَيِّ تَشْبِيهِ حَالِ الرَّسُولِ بِحَالٍ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِكْرَاهَ النَّاسِ عَلَى الْإِيمَانِ، فَمَا الْمَانِعُ إِذْنَ مَنْ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ التَّقْدِيمَ لِلإِخْتِصَاصِ، بِتَنْزِيلِ حَالِ الرَّسُولِ بِأَنَّهُ مُحْتَصٌّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ؛ فَيَكُونُ الْإِنْكَارُ مُنْصَبًّا عَلَى هَذَا التَّخْصِصِ، وَفِيهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا فِيهِ؟، وَنَحْنُ نَسْتَعْمَلُ هَذَا الْأَسْلُوبَ مِنَ الْإِنْكَارِ، أَيْ إِنْكَارَ الْإِخْتِصَاصِ لِلْمُبَالَغَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقَالُ لِمَنْ يَبْذُلُ أَكْثَرَ مِنَ الْجُهِدِ فِي الْإِصْلَاحِ: أَأَنْتَ تُصْلِحُ الْعَالَمَ؟، أَيْ: أَأَنْتَ وَحْدَكَ أَوْ أَأَنْتَ خُصُوصًا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُصْلِحَ الْعَالَمَ؟، وَالْمَعْنَى الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ - لَا سِوَاهُ - مِنْ بِيَدِهِ مُقَالِيدُ الْأُمُورِ، وَكَذَلِكَ فِي الْآيَةِ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾، أَيْ: أَأَنْتَ وَحْدَكَ دُونَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 11، ص 293.

(2) السابق: نفسه، ويُنظر: الزَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَافُ، ج 2، ص 372، وَالسَّكَّاكِيُّ، أَبُو يَعْقُوبَ، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، تَحْقِيقُ: نَعِيمُ زَرْزُورٍ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوت، ط 2، 1987م، ص 316.

(3) يونس: 59.

(4) يونس: 99.

(5) السَّكَّاكِيُّ، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، ص 316.

(6) يونس: 99.

سواك تُكْرِهُ النَّاسَ عَلَى الْإِيمَانِ؟، أَوْ أَأَنْتَ مُحْتَضٍ بِذَلِكَ الْأَمْرَ دُونَ غَيْرِكَ؟، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ، وَبَعْضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَهَا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (1)، وَالْخِلَاصَةُ أَنَّ إنْكَارَ الْقَصْرِ أَوْ الْإِخْتِصَاصِ عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ بِأَمْرِ الْهُدَايَةِ - أَيْ هُدَايَةِ التَّوْفِيقِ - هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذِهِ الْهُدَايَةُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (2)، وَبِهَذَا يُخْرَجُ قَوْلُ الرَّمَحْشَرِيِّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ لِإِنْكَارِ قَصْرِ الْهُدَايَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَإِثْبَاتِهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالرَّمَحْشَرِيُّ كَانَ دَقِيقًا عِنْدَمَا قَالَ: (وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا يُشَارِكُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا يَظْطَرُّونَ عِنْدَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ لِلْبَشَرِ) (3).

وِيرَى الْبَاحِثُ أَنَّهُ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ رَأْيِ الرَّمَحْشَرِيِّ، وَرَأْيِ ابْنِ عَاشُورَ، أَيْ أَنَّ التَّقْدِيمَ يَفِيدُ قَصْرَ الْهُدَايَةِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ، وَيَفِيدُ تَقْوِيَةَ الْحُكْمِ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ.

وَإِذَا كَانَ الْمَقَامُ يَسْمَحُ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الرَّأْيَيْنِ - كَمَا تَقَدَّمَ أَمَّا - فَإِنَّهُ فِي مَقَامٍ آخَرَ يَكُونُ أَحَدُ الرَّأْيَيْنِ هُوَ الصَّوَابُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَاشُورَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (4)، حَيْثُ يَقُولُ: (وَأَفَادَ تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾ (5) تَقْوِيَةً لِلْحُكْمِ وَتَأْكِيدًا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ أَنَّ يَعْلَمَهُ النَّاسُ، وَلَفَتْ الْعُقُولَ إِلَيْهِ عَلَى رَأْيِ السَّكَاكِيِّ فِي أَمْثَالِهِ، وَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ إِفَادَةِ الْحُضَرِ كَمَا دَرَجَ عَلَيْهِ «الْكَشَافُ»؛ إِذْ لَيْسَ ثَمَّةَ مَنْ يَزْعُمُ الشَّرِكَةَ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ، أَوْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ؛

(1) يونس: 100.

(2) البقرة: 272.

(3) الرَّمَحْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، ج 2، ص 372، وَفِي كَلَامِ الرَّمَحْشَرِيِّ دَسِيسَةُ اعْتِرَالٍ وَهِيَ عَقِيدَةُ الْقَسْرِ وَالْإِلْجَاءِ، نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ الْمُنِيرِ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الْكَشَافِ، يُنْظَرُ: السَّابِقُ، نَفْسَهُ.

(4) الرعد: 26.

(5) الرعد: 26.

فَيَقْصِدُ الرَّدَّ عَلَيْهِ بِطَرِيقِ الْقَصْرِ⁽¹⁾.

رأي ابن عاشور هنا هو الأولى بالقبول؛ لأنَّ له شواهد كثيرة من الآيات تَعُضِّدُهُ، من ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْآرْضِ بَسَاطًا﴾⁽⁴⁾ ومما يعضد هذا الرأي أيضاً أنَّ آياتٍ أخرى كثيرة جاء فيها المُسندُ الفِعْلِيُّ أولاً، ثم جاء بعده المُسندُ إليه، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾، ويتحصَّل من ذلك كُلُّهُ أنَّ أفعال الرُّبُوبِيَّة من الخلق، والرِّزْق، والإحياء والإماتة، وغيرها، إنَّما يكون سبيل التَّقديم والتَّأخير فيها على الاهتمام وتأکید الحكم؛ لتقوم الحُجَّة على المشركين في الألوهيَّة، وهي عادةٌ معروفة في القرآن الكريم، ولا وجه للحصر فيها كما قال ابن عاشور.

ويستدرك ابن عاشور على السَّكَّاكِيِّ في مسألة اجتماع الاختصاص وتقوية الحكم عند تقديم المفعول على فعله المشتغل بضمير المفعول⁽⁶⁾؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾⁽⁷⁾؛ فابن عاشور يرى أنَّ ذلك يفيد توكيد الاختصاص دون تقوية الحكم، يقول: (وَوَجْهُهُ عِنْدِي أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ يَحْتَمِلُ الْإِخْتِصَاصَ، إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ أَنَّ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ إِلَّا إِذَا أَقَامَتِ الْقَرِينَةُ عَلَى التَّقْوَى، فَإِذَا كَانَ مَعَ التَّقْدِيمِ اشْتِغَالُ الْفِعْلِ بِضَمِيرِ الْمُقَدَّمِ، نَحْوُ زَيْدًا ضَرَبْتُهُ، كَانَ الْإِخْتِصَاصُ أَوْ كَدَّ، أَيْ: كَانَ احْتِمَالُ التَّقْوَى أَضْعَفَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِسْنَادَ الْفِعْلِ إِلَى الضَّمِيرِ

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، ج 13، ص 133، ويُنظر: السَّكَّاكِيُّ، مفتاح العلوم، 316، والرَّمَحْشَرِيُّ، الكَشَافُ، ج 2، ص 527.

(2) الروم: 54.

(3) نوح: 17.

(4) نوح: 19.

(5) العنكبوت: 44.

(6) يُنظر: السَّكَّاكِيُّ، مفتاح العلوم، 223.

(7) البقرة: 40.

بَعْدَ إِسْنَادِهِ إِلَى الظَّاهِرِ الْمُتَقَدِّمِ يُفِيدُ التَّقْوِي؛ فَتَعَيَّنَ أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ لِلِاخْتِصَاصِ دُونَ التَّقْوِي؛ إِذِ التَّقْوِي قَدْ حَصَلَ بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ أَوَّلًا إِلَى الْإِسْمِ أَوْ الظَّاهِرِ الْمُتَقَدِّمِ، وَثَانِيًا إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَقَدِّمِ (1).

يعضد ابن عاشور قوله هذا بقول صاحب الكشف الذي يرى أن قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْحَبُونَ﴾ (2) أو كد في إفادة الاختصاص من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) (3)، ويستدرك بأن ذلك ليس متعيناً على الدوام (فَإِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِلَا تَخْصِيصٍ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (4)، وقوله: ﴿أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا تَتَّبِعُهُ﴾ (5)، وقول زهير:

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ
صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرَمٍ
لِظُهُورِ أَنْ لَا مَعْنَى لِلتَّخْصِيصِ فِي شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا، غَيْرَ أَنَّ الْعَالِبَ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيمُ
مَعَ صِغَةِ الْإِشْتِعَالِ لِلتَّخْصِيصِ؛ إِذِ الْعَرَبُ لَا تُقَدِّمُ الْمَفْعُولَ غَالِبًا إِلَّا لِذَلِكَ (6).

هذا النظر دقيق من ابن عاشور، وكأنه يُقَرِّرُ قاعدةً بلاغيةً قائمةً على تأكيد الاختصاص، لكن يتبادر هنا سؤال، وهو: لماذا احتاج الكلام إلى تأكيد الاختصاص، دون الاختصاص فحسب؟، في ظني أن السياق هو الحكم في هذا، فمتى احتاج الكلام إلى تأكيد يؤتى به وإلا فلا، وسياق الآية في سورة البقرة كان خطاباً لبني إسرائيل بأن لا يرهبوا أحبارهم وكبراءهم الذين يصدونهم عن الإيمان بالله، وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ناحية أخرى يوحى تأكيد الاختصاص -بالرهبة من الله وحده- أن مكر الأخبار والكبراء من بني إسرائيل قد بلغ من الشر مداه، حتى إنهم صدوا قومهم عن الإيمان بالله؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص454.

(2) البقرة: 40.

(3) يُنظر: الرَّحْمَشَرِيُّ، الكشف، ج1، ص130.

(4) القمر: 49.

(5) القمر: 24.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص455، والبيت من مُعلِّقة زهير، يُنظر: زهير بن أبي سلمى، الديوان،

تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص109.

لذا احتاج الكلام إلى توكيد، والخلاصة هو تقرير تلك القاعدة بأن توكيد الاختصاص راجع إلى سياق الكلام.

المبحث الثالث: مسائل في الحذف، والإيجاز، والمساواة، والتوكيد.

1 - مسألة في الحذف.

يستدرك ابن عاشور على الرَّمَحْشَرِيِّ في تقدير العامل النَّاصِبِ لِلظَّرْفِ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْصُرُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾^(١)، فهو يرى أنَّ (يَوْمَ) انتصب على الظرفية، وعامله محذوف، والأظهر أنَّه يُقَدَّرُ مِمَّا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْمُعْطُوفَاتُ، وَهِيَ: نَقُولُ، أَوْ قَالُوا، أَوْ كَذَّبُوا، أَوْ ضَلَّ، وَكُلُّهَا صَالِحَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَقْدِيرِ الْمَحْذُوفِ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْأَفْعَالُ مُتَعَلِّقًا بِهَا الظَّرْفُ، بَلْ هِيَ دَلَالَةٌ عَلَى الْمُتَعَلِّقِ الْمَحْذُوفِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ تَهْوِيلَ مَا يَخْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْحُشْرِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْإِضْطِرَابِ النَّاشِئِينَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ: أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ، وتصوير تلك الحالة الموهلة، وَقَدَّرَ فِي الْكَشَافِ الْجَوَابُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ مَجْمُوعُ الْحِكَايَةِ، وَتَقْدِيرُهُ: كَانَ مَا كَانَ، وَأَنَّ حَذْفَهُ مَقْصُودٌ بِهِ الْإِبْهَامُ الَّذِي هُوَ دَاخِلٌ فِي التَّخْوِيفِ، وَقَدْ سَلَكَ فِي هَذَا مَا اعْتَادَهُ أَيْمَةُ الْبَلَاغَةِ فِي تَقْدِيرِ الْمَحْذُوفَاتِ مِنَ الْأَجْوِبَةِ وَالْمُتَعَلِّقَاتِ، وَالْأَحْسَنُ عِنْدِي أَنَّهُ إِنَّمَا يُصَارُ إِلَى ذَلِكَ عِنْدَ عَدَمِ الدَّلِيلِ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ، وَإِلَّا فَقَدْ يَكُونُ التَّخْوِيفُ، وَالتَّهْوِيلُ بِالتَّفْصِيلِ أَشَدَّ مِنْهُ بِالْإِبْهَامِ، إِذَا كَانَ كُلُّ جُزْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ حَاصِلًا بِهِ تَخْوِيفٌ^(٢).

هذا الكلام له حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ؛ لِأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ وَرَدَ فِي الْآيَاتِ بَعْدَهَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ نَاصِبًا، أَيْ مُتَعَلِّقًا بِهِ الظَّرْفُ (يَوْمَ)، وفيه ملحظ التكرار للتَّهْوِيلِ، والمعنى يكون على هذا التَّحْوِ: نَقُولُ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ، قَالُوا يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَاللَّهُ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، انظر يوم نحشرهم كيف كذبوا على أنفسهم، وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون يوم نحشرهم، والمُهمُّ هنا تقرير ما يراه ابن

(١) الأنعام: 22 - 23.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتَّنْوِير، ج 7، ص 172، وينظر: الرَّمَحْشَرِيُّ، الكشاف، ج 2، ص 12.

عاشور أنَّ الذَّكر قد يكون فيه من التَّهويل والتَّخويف أكثر ممَّا يكون في الحذف، وهذا التَّقرير - في ظنِّي - غفل عنه طائفة من المُفسِّرين المُهمِّين بالدَّلالات البلاغية الكامنة في الوجوه التَّحويّة، مع تعدُّد ما ذكروه من أقوال في تلك الوجوه⁽¹⁾.

2 - مسألتان في الإيجاز.

يذكر ابن عاشور نوعاً طريفاً من الإيجاز في آية الوضوء والتَّيَمُّم من سورة المائدة عند قوله تعالى ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾؛ حيث يقول: (وَحَدَّدَتِ الْآيَةُ الْأَيْدِي بِبُلُوغِ الْمَرَافِقِ؛ لِأَنَّ الْيَدَ تُطْلَقُ عَلَى مَا بَلَغَ الْكُوعَ، وَمَا إِلَى الْمِرْفَقِ وَمَا إِلَى الْإِبْطِ، فَفَرَعَتِ الْآيَةُ الْإِجْمَالَ فِي الْوُضُوءِ؛ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّطَافَةِ، وَسَكَتَتْ فِي التَّيَمُّمِ فَعَلِمْنَا أَنَّ السُّكُوتَ مَقْصُودٌ، وَأَنَّ التَّيَمُّمَ لَمَّا كَانَ مَبْنَاهُ عَلَى الرُّخْصَةِ اكْتَفَى بِصُورَةِ الْفِعْلِ، وَظَاهِرِ الْعُضْوِ؛ وَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ فِي التَّيَمُّمِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَفِي سُورَةِ النَّسَاءِ، وَهَذَا مِنْ طَرِيقِ الاسْتِفَادَةِ بِالْمُقَابَلَةِ، وَهُوَ طَرِيقٌ بَدِيعٌ فِي الْإِيجَازِ، أَهْمَلَهُ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ، وَعُلَمَاءُ الْأُصُولِ فَاحْتَفِظَ بِهِ وَأَلْحَقَهُ بِمَسَائِلِهِمَا)⁽³⁾.

ما قرَّره ابن عاشور بأنَّ هذا النَّوع من الإيجاز أهمله علماء البلاغة والأصول، قد يُسَلَّم له إذا لم يكن في حدِّ التَّيَمُّمِ خلافٌ بين المذاهب؛ ذلك أنَّ منهم من جعل حدَّ التَّيَمُّمِ مثل حدِّ الوضوء تماماً، وهم الحنفيَّة والشافعيَّة⁽⁴⁾، ورأيهم مبنيٌّ على أنَّ السُّكُوتَ

(1) يُنظر مثلاً: أبو حيَّان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صديقي جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج4، ص464، والسَّمين الحلبي، الدُّرُ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: محمَّد الحُرَّاط، دار القلم، دمشق، ج4، ص572، والرَّازي، فخر الدِّين، التفسير الكبير، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج12، ص501.

(2) المائدة: 6.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير، ج6، ص129.

(4) يُنظر: السَّرْحُي، محمَّد بن أحمد، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ج1، ص106، والشافعي، محمَّد بن إدريس، الأُمُّ، دار المعرفة، بيروت، 1990م، ج1، ص65.

في التَّيْم عن ذكر المِرْفَقَيْن أَنَّهُ من باب حمل المطلق على المُقَيَّد كما يرى ابن عطية⁽¹⁾، أي أَنَّ عدم ذكر المِرْفَقَيْن في التَّيْم يُحمل على ذكرهما في الوضوء، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم، مثل حمل الرقبة في كفارة الظَّهار عند قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا﴾⁽²⁾ على أَنَّها رقبة مؤمنة؛ لأنها مقيدة في كفارة القتل عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَدَّقُوا فَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّمْتَقٌ فِدْيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁽³⁾؛ ولهذا يقول الفخر الرازي: (فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا تَرَكَ تَقْيِيدَ التَّيْم فِي الْيَدَيْنِ بِالْمِرْفَقَيْنِ لِأَنَّهُ بَدَّلَ عَنِ الْوُضُوءِ، فَتَقْيِيدُهُ بِهِمَا فِي الْوُضُوءِ يُغْنِي عَن ذِكْرِ هَذَا التَّقْيِيدِ فِي التَّيْمِ)⁽⁴⁾، ومع أخذهم بحمل المطلق على المُقَيَّد في الآية -وَفَقَّ رَأْيُهُمْ- فَإِنَّ لَهُمْ مُسْتَنَدًا من حديث جاء في سنن أبي داود، وردت فيه كيفية التَّيْم أَنَّهُ إلى المِرْفَقَيْنِ، وإن كان في الحديث مقال⁽⁵⁾، وزيادة على ذلك فإن السُّكُوت -في التَّيْم- عن ذكر المِرْفَقَيْنِ يمكن تخريجه أيضاً من طريق آخر، وهو طريق السُّنَّة القولية والفعلية، وهذه قرينة خارجة عن النَّص، ولكنها مُخَصَّصة له ومبيِّنة، فقد ثبت في الصَّحِيحَيْن أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علَّم أصحابه كيفية التَّيْم⁽⁶⁾، وبينَ لهم أَنَّ مسح اليدين يكون إلى

(1) يُنظر: ابن عطية الأندلسي، المُحرَّر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص6.

(2) المجادلة: 3.

(3) النساء: 92.

(4) الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص313.

(5) يُنظر: أبو داود، السُّجُستائي، السُّنن، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العصرية، صيدا، ج1، ص89، والألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، الرياض، ط2، 1987م، ج7، ص433.

(6) يُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المُسند (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، ط2001م، ج1، ص73، باب التَّيْم للوجه والكفين، الأحاديث: (339) إلى (343)، ومسلم، التيسابوري، المُسند الصَّحيح (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص279، الأحاديث: (110) إلى (112).

الكوعين؛ فقيده بذلك، ولعل الحكمة من ذلك هي الإشارة من الله تعالى إلى أن نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام له حق التشريع والبيان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)، وخلاصة القول: إن كلام ابن عاشور في تقرير هذا النوع الجديد من الإيجاز - وهو إيجاز حذف - كان سائغاً لولا وجود الخلاف في الآية عند الفقهاء، ولولا التقييد الذي جاء في السنة الشريفة، ومع حرص ابن عاشور على بيان آراء الفقهاء في المسائل الفقهية في تفسيره، إلا أنه سكت عن بيان اختلافهم في حدّ اليدين الخاص بالثبتم؛ ولذا لا يُسلم له هذا النوع من الإيجاز، ولو أنه ذكر أمثلة أو شواهد أخرى لا يداخلها اعتراض، لكان أجدى للأخذ بقوله في تقريره هذا.

وهناك ضرب آخر من ضروب الإيجاز يرى ابن عاشور أن علماء المعاني لم ينبهوا عليه، وهو الخاص بتعليق أفعال القلوب؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢)، يقول: (وَالْمَقْصُودُ مِنْ تَعْلِيلِ الْفِعْلِ هُوَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ عِلْمِ الظَّانِّ إِلَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ الْمُظَنُّونَ وَجَعَلَهُ قَضِيَّةً مُسْتَقَلَّةً، فَيَصِيرُ الْكَلَامُ بِمَنْزِلَةِ خَبَرَيْنِ: خَبَرٍ مِنْ جَانِبِ الظَّانِّ وَخَوَرِهِ، وَخَبَرٍ مِنْ جَانِبِ الْمُتَكَلِّمِ دَخَلَ فِي قِسْمِ الْوَاقِعَاتِ، فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٣)، هُوَ فِي قُوَّةِ أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَا يَنْطِقُونَ، مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ، أَيْ ذَلِكَ عِلْمُكُمْ، وَهَذَا عِلْمِي، وَقَوْلُهُ هُنَا: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ (٤) فِي قُوَّةِ: أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا صَاحِبُهُمْ غَيْرُ مُجْنُونٍ، مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ، فَتَعْلِيلُ أَفْعَالِ الْقَلْبِ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْإِيجَازِ، وَأَحْسَبُ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ أُسْلُوبِ التَّعْلِيلِ، لَمْ يُنَبِّهْ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمَعَانِي، وَأَنَّ خَصَائِصَ الْعَرَبِيَّةِ لَا تَنْحَصِرُ) (٥).

(1) النحل: 44.

(2) الأعراف: 184.

(3) الأنبياء: 65.

(4) الأعراف: 184.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9، ص 194.

هذا التعليق رَجَّحه غيرُ واحدٍ من المُفسِّرين عند هذه الآية⁽¹⁾، غير أنَّهم لم يذكروا الثُّكَّةَ البلاغيَّةَ فيه، وكذا من التَّحويين عند التَّمثيل بهذه الآية في باب التَّعليق⁽²⁾، وما يمكن أن يكون مزيداً على ما قرَّره ابن عاشور أنَّ الوقف تأمُّ على قوله: ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾⁽³⁾، والكلام بعدها مستأنف، وهو: ﴿مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وهذا الوقف - عند القراءة - يُشعر بالثُّكَّةِ البلاغيَّةِ الَّتِي ذكرها ابن عاشور؛ وهي قائمة على الإيجاز بالحذف، وفي نظري أنَّها قائمة على التَّوكيد أيضاً؛ لأنَّ المعنى الحاصل من مجموع الجملتين اللَّتين ذكرهما ابن عاشور - وهما المقدرتان من جانب الظَّانِّ وجانب المتكلم - يكون واحداً، تقديره التَّفَيُّ القاطع لزعم المشركين الباطل من نسبة الجنون إلى رسول الله - حاشاه ذلك - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخلاصة القول: إنَّ الثُّكَّةَ البلاغيَّةَ تدور على الإيجاز بالحذف، وعلى التَّوكيد بتكرار المعنى، أي تكرار التَّفَيُّ.

3 - مسألة في المساواة.

يرى ابن عاشور أنَّ أسلوب المساواة لا يقع في القرآن؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾⁽⁶⁾ يذكر أنَّ هذه الآية تُعدُّ في علم المعاني شاهداً لأسلوب المساواة، ويرى أنَّ أوَّل من ذكر ذلك هو الخطيب القزويني في كتابيه (التلخيص)،

(1) يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج 5، ص 235، والسَّمين الحلبي، الدُّرُ المصون، ج 5، ص 525، والنَّسفي، أبو البركات، مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطَّيب، بيروت، 1998م، ج 1، ص 621.
(2) يُنظر: ابن هشام، جمال الدِّين، مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط 6، 1985م، ص 543، والأشموئي، شرح الأشموني لألفيَّة ابن مالك، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1998م، ج 1، ص 371، الصَّبَّان، أبو العرفان، حاشية الصَّبَّان، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1997م، ج 2، ص 45.

(3) الأعراف: 184.

(4) الأعراف: 184.

(5) يُنظر: الدَّائي، أبو عمرو، المُكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محي الدِّين رمضان، دار عمَّار، الأردن، 2001م، ص 81، والأشموئي، منار الهدى في الوقف والابتداء، تحقيق: شريف العدوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2002م، ج 1، ص 283.

(6) فاطر: 43.

و(الإيضاح)، وأنَّ صاحب المفتاح لم يُمثَّل على هذا الأسلوب بشيء⁽¹⁾، وببني ابن عاشور حكمه ذاك -أي بعدم وقوع المساواة في القرآن- على أمرين، الأوَّل: أنَّ السَّكَّاكِيَّ عدَّها من (مُتعارف الأوساط، وأنَّه لا يُحمَد في باب البلاغة ولا يُذمُّ)⁽²⁾، والآخر: أنَّ هذه الآية عند التحقيق -كما يرى ابن عاشور- لا تُعدُّ شاهداً للمساواة؛ لأنَّ فيها إيجازاً بالحذف، وإيجازاً بالقصر، ولهذا يقول: (وَالْوَجْهُ أَنَّ الْمُسَاوَاةَ لَمْ تَقَعْ فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا مَوَاقِعُهَا فِي مُحَادَثَاتِ النَّاسِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ فِيهَا بِمُرَاعَاةِ آدَابِ اللُّغَةِ)⁽³⁾، وينعى على التَّفْتَازَانِيَّ موافقته للقزوينيَّ في عدِّ تلك الآية من المساواة.⁽⁴⁾

في تقرير هذا الكلام عدَّة أمور:

أولها: أنَّ ابن عاشور لم يأتِ بِمُجَجِّجٍ قَوِيَّةٍ -كما هي عادته- في تقرير حُكم السَّكَّاكِيَّ، وإنما اكتفى بقوله: (فَقَدْ وَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ الْمُسَاوَاةَ لَا تَقَعُ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ بَلْهُ الْمُعْجَزِ)⁽⁵⁾، وكيف يُسَلَّم أنَّ الكلام البليغ لا تقع فيه المساواة، وفي الأحاديث الشريفة كثرة كاثرة من المساواة في الكلام؟، من ذلك قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَنْعِيهِ)⁽⁶⁾، وغير ذلك من الأحاديث.⁽⁷⁾

ثانيها: لم يُسَلَّم للسَّكَّاكِيَّ القول بأنَّ المساواة هي من أوساط متعارف النَّاسِ، وأنَّها لا تُحمَد، ولا تُذمُّ، فالسُّبُكِّي يرى أنَّ هذا القول يجانبه الصَّواب؛ لأنَّها (محمودة إذا طابقت

(1) يُنظر: ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر، ج22، ص336، والسَّكَّاكِيَّ، مفتاح العلوم، ص276، والقزوينيَّ، الخطيب، تلخيص المفتاح، دار البشْرِى، كراتشي، 2010م، ص72، والإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط3، ج3، ص180.

(2) السَّكَّاكِيَّ، مفتاح العلوم، ص276.

(3) ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر، ج22، ص336.

(4) يُنظر: السَّابِق، نفسه، والتَّفْتَازَانِيَّ، سعد الدِّين، المُطَوَّل، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط3، 2013م، ص479.

(5) ابن عاشور، التَّحْريْر والتَّنْويْر، ج22، ص336.

(6) مالك، الإمام، الموطأ، تحقيق: محمَّد مصطفى الأعظمي، مُؤَسَّسَة زَايِد بن سُلْطَان، أَبُو ظَبْي، 2004م، ج5، ص1328.

(7) ينظر مثلاً: الموطأ، الأحاديث الواردة في حسن الخلق، ج5، ص1327 1330.

مقتضى الحال، ومذمومة إذا لم تطابقه⁽¹⁾، ولعلّ هذا القول هو الأقرب إلى تحقيق الصواب في هذه المسألة.

ثالثها: من العجيب أنّ ابن عاشور نفسه يُقرّر وقوع المساواة في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ ۝١٨ مِنْ نُفْثَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ ۝١٩﴾⁽²⁾؛ حيث يقول: (وَإِنَّمَا لَمْ يُسْتَعْنِ عَنْ إِعَادَةِ فِعْلِ (خَلَقَهُ) فِي جُمْلَةِ الْجَوَابِ، مَعَ الْعِلْمِ بِهِ بِتَقَدُّمِ ذِكْرِ حَاصِلِهِ فِي السُّؤَالِ؛ لِزِيَادَةِ التَّنْيِيهِ عَلَى دِقَّةِ ذَلِكَ الْخُلُقِ الْبَدِيعِ، فَذَكَرُ فِعْلِ (خَلَقَهُ) الثَّانِي مِنْ أُسْلُوبِ الْمُسَاوَاةِ لَيْسَ بِإِيجَازٍ، وَلَيْسَ بِإِطْنَابٍ)⁽³⁾، ولعلّ إثبات ابن عاشور هذا الأسلوب في سورة عبس يُعدّ رجوعاً منه عن نفيه له في سورة فاطر، وكم بين السورتين من سنين في تفسيره للقرآن الكريم، والذي يهمّ هنا بيان ما يرجّحه الباحث، ويراه صواباً، هو ما ذهب إليه القزويني، وفصل القول فيه تفصيلاً دقيقاً صاحب كتاب البلاغة العربية من أنّ أسلوب المساواة موجود في القرآن⁽⁴⁾، فالأصل هو تأدية المعنى سواء أكان بالإيجاز، أم بالمساواة، أم بالإطناب، وهو ما نراه جلياً في قصص القرآن، حيث جاءت على هذه الأنحاء الثلاثة، ثم إنّ بعضهم -ومنهم ابن الأثير- قد أدخل المساواة في الإيجاز وسَمّاها إيجاز تقدير⁽⁵⁾، حيث تكون الألفاظ على قدر المعاني؛ ولعلّ السبب في اختيار ابن الأثير هذا الرأي هو القول بأنّ البلاغة هي الإيجاز، (وقال بعضهم: البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب)⁽⁶⁾، فمدار بلاغة القرآن على إيجازه وإعجازه، وعلى هذا فلا مُشاحة في الاصطلاح، فالمهمّ هو إثبات

(1) السُّبُكِّي، بهاء الدّين، عروس الأفراح، ج1، ص575.

(2) عبس: 17 - 19.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج30، ص123.

(4) يُنظر: القزويني، الإيضاح، ج3، ص173، والميداني، عبد الرحمن بن حسن حبّكة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، 1996م، ج2، ص16.

(5) يُنظر: ابن الأثير، ضياء الدّين، المثل السائر، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العصريّة، صيدا، 1999م، ج2، ص74.

(6) يُنظر: العسكري، أبو هلال، الصّناعتين، تحقيق: محمّد عليّ البجاوي، ومحمّد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، 1998م، ص173.

وجود هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وهناك شواهد كثيرة من الآيات على أسلوب المساواة في القرآن، منها قول الله عز وجل في آية المواريث: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّيَتْ بِهَا أَوْ ذَيْنِ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصِّوْنَ بِهَا أَوْ ذَيْنِ﴾ (1)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (2)، ومن أمثلة المساواة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (3)، وغيرها من الآيات تدل على ذلك لمن أنعم النظر، وأجال التدبر.

4 - مسألة في التوكيد.

يذكر ابن عاشور نوعاً من التوكيد استنبطه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (4)، فيقول: (وَتَأْكِيدُ الشَّيْءِ بِنَفْيِ ضِدِّهِ طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ قَدْ اهْتَدَيْتُ إِلَيْهَا وَبَهَتْ عَلَيْهَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (5) فِي هَذِهِ السُّورَةِ (6)، فقول ابن عاشور هنا بأنه قد اهتدى إلى هذه الطريقة، يوحي بأنه مما استنبطه ثم قرره في مواضع أخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَاصْلَ قَرْعُونَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (7)، وقوله عز وجل: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (8)، وعند تفسيره لقوله تعالى:

(1) النساء: 12.

(2) النساء: 13.

(3) الأنعام: 68.

(4) الأنعام: 56.

(5) الأنعام: 140.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 271، ويُنظر تفسير الآية (140) من سورة الأنعام، ج 8، ص 113.

(7) طه: 79.

(8) الأنفال: 8.

﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿٢﴾﴾^(١)، يقول: (وَعَيْرُ يَسِيرٍ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى عَسِيرٍ بِمُرَادِفِهِ، وَهَذَا مِنْ غَرَائِبِ الْإِسْتِعْمَالِ كَمَا يُقَالُ: عَاجِلًا غَيْرُ آجِلٍ، قَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: فَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبُ غَيْرَ الْغَالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبُ غَيْرَ السَّالِبِ)^(٢)

والباحث يزعم أنه لم يجد من علماء البلاغة -وفق اطلاعه- من ذكر هذا النوع من التوكيد؛ مما يرجح أن ابن عاشور كان سابقاً في ذلك إلى استنباطه وإن كان موجوداً، فالزّمخشري عند تفسيره للآيات التي استشهد بها ابن عاشور، لم يذكر هذا النوع من التوكيد^(٣)، وأمّا السّكّاكي، وكذلك القزويني، وشرّاح كتابه التلخيص لم يذكروا هذا النوع البتّة^(٤)، وهذا يُدْكَرُ بقول ابن عاشور في ذكر فائدة نحوية في موضع آخر: (وَهَذِهِ فَائِدَةٌ لَمْ يُفْصَحْ عَنْهَا السَّلَفُ فَخُذْهَا وَلَا تَخَفْ)^(٥)، ولعلّ هذا القول يصحّ في هذا الموضع أيضاً، غير أن عبد القاهر قد ذكر ما هو قريب منه من حيث طريقة التوكيد؛ إذ سمّاه شبيهاً بالتوكيد في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾﴾^(٦)، وهذا الشّبه -وفق رأيه- من وجهين؛ (فأحد وجهي كونه شبيهاً بالتأكيّد أنّه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان، إثبات كونه ملكاً تحقيقاً لا محالة، وتأكيّداً لنفي أن يكون بشراً، والوجه الثاني أن الجاري في العرف والعادة أنّه إذا قيل: ما هذا بشراً وما هذا بآدمي، والحال حال تعظيم وتعجبٍ مما يُشَاهَدُ في الإنسان مِنْ حُسْنِ خَلْقٍ أو خُلُقٍ، أن يكون الغرض والمراد من الكلام أن يقال إنه ملك، وأنّه يُكْنَى به عن ذلك)^(٧)، وصرّح بذلك في قوله تعالى:

(١) المدثر: ٩ - ١٠.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٠١، ويُنظر: يعقوب، إميل، المعجم المفصّل في شواهد العربيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٩، ص ١٣٣.

(٣) يُنظر: الزّمخشري، الكشّاف، ج ٢، ص ٢٩، وص ٧٢، وص ٢٠٠، وج ٣، ص ٧٧، ج ٤، ص ٤٦٤.

(٤) ينظر: السّكّاكي، مفتاح العلوم، ص ١٧٣، والقزويني، التلخيص، ص ١٣، ١٤، والتّفنّازي، المطول، ص ٢٤٠، والسّبكي، بهاء الدّين، عروس الأفراح، ج ١، ص ٢١٩ ٢٢١.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٥٦.

(٦) يوسف: ٣١.

(٧) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٢٩.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) (1)، وفي قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (2)، يقول: (أفلا ترى أَنَّ الإثبات في الآيتين جميعاً تأكيدٌ وتثبيتٌ لنفي ما نفي؟ فإثبات ما علّمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه ذكراً وقرآناً، تأكيدٌ وتثبيتٌ لنفي أن يكون قد علّم الشعر، وكذلك إثبات ما يتلوّه عليهم وحياً من الله تعالى، تأكيدٌ وتقريرٌ لنفي أن يكون نطق به عن هوى) (3)، ولعلّ ابن عاشور قد تأثر بكلام عبد القاهر في استنباطه لنوع التوكيد الذي ذكره، وإن لم يصرّح بذلك.

النتائج

بعد بحث تلك التماذج الموجزة يتبين أنّ ابن عاشور قد أضاف مسائل بلاغية في علم المعاني على النحو الآتي:

- 1 - أضاف ابن عاشور فرقاً مهماً بين الجملة الاسمية والفعليّة، يدور على الاهتمام بالفاعل في الجملة الاسميّة، وعلى الاهتمام بالفعل في الفعليّة.
- 2 - يرى أنّ أسلوب الاختصاص قد يأتي بالتوكيد وفق سياق الكلام.
- 3 - يقرّر أنّ الذكر قد يكون فيه من التّهويل والتّخويف أكثر مما يكون في الحذف.
- 4 - يضيف نوعاً آخر من الحذف يمكن أن يُسمّى الحذف بالمقابلة، وربّما يكون من قبيل الاحتباك، على أنّ الشّاهد الذي ذكره في آية التّيمّم لا يسلّم من الاعتراض.
- 5 - يضيف نوعاً آخر من الإيجاز خاصّ بتعليق أفعال القلوب، ويرى الباحث أنّه يمكن إدخاله في إيجاز القصر مع إفادة التّوكيد.

(1) يس: 69.

(2) النجم: 3 - 4.

(3) السّابق، نفسه، ص 230.

6 - استنبط نوعاً جديداً من التوكيد، هو توكيد الشيء بنفي ضده، ويراهها طريقة عربية لها شواهد كثيرة من القرآن، وكلام العرب، ولا شك أنّ لها شواهد كثيرة من الحديث الشريف.

بعد تلك الإضافات فإنّ الباحث يستدرك على ابن عاشور في مسألتين:

- 1 - الأولى: يبدو أنّ ابن عاشور لم يُحرّر الفرق بين أسلوب الحصر، وأسلوب الاختصاص، وهذا ما حمّله على وصف الزمخشريّ بالتكلف.
- 2 - الأخرى: أنّه اضطرب في وقوع أسلوب المساواة في القرآن؛ إذ قرّر عدم وقوعه عند تفسيره آية فاطر، ثم قرّر وقوعه عند تفسيره آية عبس، ولعلّ ذلك يُعدّ رجوعاً منه.

التوصيات

- 1 - يحتاج هذا الموضوع إلى مزيدٍ من البحث والدّراسة في علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع)؛ نظراً لأهميّته في الإضافة، والتّصحيح.
- 2 - الانتباه إلى تحرير المصطلحات، وفكّ الاشتباك بينها.
- 3 - التنبّه إلى استعمال المصطلحات عند العلماء، وطرائقهم في ذلك.
- 4 - دراسة الأبواب النحويّة من الوجهة البلاغيّة على طريقة عبد القاهر، يضيف كثيراً من الفوائد إلى علم المعاني.
- 5 - الاستفادة من كتب التّفسير في دراسة القواعد البلاغيّة.



المصادر والمراجع:

- 1 - الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، الرياض، ط2، 1987م.
- 2 - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العصرية، صيدا، 1999م.
- 3 - الأشموني: شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 4 - منار الهدى في الوقف والابتداء، تحقيق: شريف العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- 5 - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، بيروت، 2001م.
- 6 - التفتازاني، سعد الدين، المطول، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2013م.
- 7 - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.
- 8 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- 9 - الخفاجي، شهاب الدين، حاشية الشهاب على تفسير البضاوي، دار صادر، بيروت.
- 10 - الداني، أبو عمرو، المكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين رمضان، دار عمّار، الأردن، 2001م.
- 11 - أبو داود، السجستاني، السنن، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العصرية، صيدا.
- 12 - الرّازي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

- 13 - زهير بن أبي سُلمي، الديوان، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1988م.
- 14 - السُّبكيُّ، بهاء الدّين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوِيّ، المكتبة العصريّة، بيروت، 2003م.
- 15 - السَّرخسيُّ، محمّد بن أحمد، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1993م.
- 16 - السَّكَّاكيُّ، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1987م.
- 17 - السّمين الحلبيُّ، أبو العباس، الدُّرُ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: محمّد أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د، ط، ت.
- 18 - سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط3، 1988م.
- 19 - السُّيوطيُّ، جلال الدّين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، د. ط، 1974م.
- 20 - الشافعيُّ، محمّد بن إدريس، الأمّ، دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1990م.
- 21 - الصّبّان، أبو العرفان، حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ لألفيّة ابن مالك، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997م.
- 22 - الطّبيّ، شرف الدّين، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب (حاشية الطّبيّ على الكشّاف)، تحقيق: جميل بني عطا، جائزة دبي للقرآن الكريم، الإمارات، 2013م.
- 23 - ابن عاشور، الطّاهر، التّحرير والتّنوير، الدار التونسيّة للنّشر، تونس، د، ط، 1984م.
- 24 - العسكريُّ، أبو هلال، الصّناعتين، تحقيق: محمّد عليّ البجاويّ، ومحمّد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، د، ط، 1998م.

- 25 - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ط، ت.
- 26 - القزويني، الخطيب، تلخيص المفتاح، دار البشري، كراتشي، 2010م، والإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، د، ت.
- 27 - مالك، الإمام، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، أبوظبي، 2004م.
- 28 - مسلم، التيسابوري، المسند الصحيح (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 29 - الميداني، عبد الرحمن بن حسن حنكة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، 1996م.
- 30 - النسفي، أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998م.
- 31 - ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
- 32 - يعقوب، إميل، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.



تَدْقِيقَاتُ صَرْفِيَّةٍ فِي بَعْضِ قَرَارَاتِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

أ.د. أحمد فرج علي فرحات الخزعلي

(كلية الآداب جامعة عمر المختار)

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي قَدَّرَ فهدى حمدا لا ينتهي، وأشكره شكرا لا ينقضي، سبحانه عَلَّمَنَا ما لم نكنْ نعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الهاشمي القرشي، اللهمَّ أَلْحَقْنَا بِهِ غَيْرَ مَبْدَلِينَ وَلَا مَبْتَدِعِينَ، وارِضْ عن خلفائه الراشدين، ومن تبعهم على نهج الهدى، وطريق الحق إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ،

فقد اتَّصَفَ النحْوُ العربيُّ بالصعوبة والتعقيد منذ بدايات ظهوره، وروث كتب التراجم والتاريخ في سبب ظهوره ونشأته روايات كثيرة ليس هنا مكان ذكرها، ولكن اليوم يرى كثير من الدارسين صعوبة في دراسته إلى درجة اختلاق محاولات لتسهيله على ما أسَمَوْهُ (التجديد النحوي)، و(التيسير النحوي)، وفي الحقيقة لم تجدْ جُلُ تلك الدراسات صدَى قد تمناه أصحابها، ومكث الصرفُ غير بعيدٍ ممَّا تعرَّضَ له النحْوُ، وعلى الأخصَّ عند ظهور بعض الألفاظ الدخيلة على العربية بحكم تطور المخترعات التي كان لا بدَّ من وجود مسميات لها، ولعلَّ أهمَّ أسباب اختياري لعنوان هذا البحث يمكن اختصارها في الآتي: كُفِّتْ بالنظر في شأن ترقية بعض أعضاء هيئة التدريس في جامعات مجاورات لجامعتي، وكان في نموذج الترقية عدة خانات منها: (اسم المُقَيِّم)، و(استمارة تقييم)...، وقد صحَّحت

لهم هذه الألفاظ بأن يستبدلوا ب(اسم المَقوم)، و(استمارة التَّقويم)، هذا إن صحت كلمة (استمارة) أيضاً، ولكن لم يعيروا ملاحظات الباحث أيَّ اهتمام، ومازالوا يستعملون المصطلحات الخاطئة نفسها، ما جعلني أخاطب مجمع اللغة العربية بليبيا؛ لتصحيح هذين المصطلحين، وتعميم ذلك على الجامعات والمراكز العلمية، فكان ردُّهم باختصارٍ بأنهم أجازوا كتابة تلك المصطلحات بما رآه الباحث خطأً استناداً إلى بعض قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكان حديثي مع العلم الأكبر رئيس المجمع الليبي آنذاك الأستاذ الدكتور محمد جبران عليه رحمت الله الكثيرات المباركات، من هنا جمعت كلَّ القرارات الصرفية لمجمع اللغة العربية القاهري، وعكفت عليها قارئاً متفكراً متتبّعاً مدقّقاً ما استطعت، فوجدت آراء صائبة تنم عن فكرٍ وسعة اطلاعٍ لعلماء كبارٍ كمجموعة قراراتهم رقم (62) تحت الندوة (32) في الجلسة الثانية للمؤتمر بشأن صياغة (أفعل التفضيل)، وشروط صوغه التي وافقوا فيها النحاة الأوائل، وصدق الدكتور شوقي ضيف حين قال: «مهما تحدثت عن هذا الصرح الأشم للعربية وأعضائه الأعلام فلن أستطيع أن أُصوّر في دقةٍ ما بذلوا من جهودٍ علميةٍ، ظلُّوا يصلون فيها كلالٍ ليلهم بكمالٍ نهارهم سنواتٍ طوالاً، لا يستريحون ولا يفترّون، حتى حقّقوا للعربية ما طال عليها انتظاره من المعاجم اللغوية والعلمية والفنية، ومن ألوف المصطلحات في كلِّ علمٍ، وفي كلِّ فنٍّ، حتى لتوشك أن تصبح عمّا قريب لغةً علميةً عالميةً»⁽¹⁾، ولكنَّ الإنسان منعوٌّ بالتقصير مهما بلغ من العلم عتياً، فوجدت بعض قراراتهم التي قد تحتاج إلى إعادة نظرٍ، فوددت أن أجمعها وأتبع أقوال العلماء السابقين فيها ملتزماً بالمنهج الوصفي التحليلي، وقد اقتضت خطّة هذا البحث أن أقسمه على مقدّمةٍ ومبحثين:

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن المجمع القاهري.

المبحث الثاني: مناقشة بعض المسائل الصرفية، وهي:

1 إجازة استعمال (قيّم مقيّم تقيّم).

(1) مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً.

2 إجازةُ النعتِ بالمصدرِ سماعاً وقياساً.

3 إجازةُ صوغِ (فَعُول) للمبالغة، والصفة المشبهة من الفعلِ اللازم.

ثم تأتي نتائجُ البحثِ، يلي ذلك كَلةُ قائمةُ المصادرِ والمراجعِ.

ومعلومٌ أنَّه لا يكونُ البحثُ جيداً بكثرةِ أوراقِهِ، وكَبَرِ حجمِهِ، وإنَّما يكونُ جيداً بما يتضمَّنُهُ من معلوماتٍ علميةٍ، ونتائجٍ فيها جدَّةٌ وفائدةٌ تضيفُ تصحيحاً، أو تقويماً لمسيرةِ البحثِ العلميِّ، فعلى الناظرِ في هذا البحثِ الذي أحسبُهُ فريداً مفيداً أنْ يغوصَ في لبِّ المعنى، وأنْ يُدَقِّقَ بتدبُّرٍ في قولنا ودليلنا، ثم يحكمَ على مقالنا حكماً حيادياً، فقد جمعتُ مادةً بحثنا تدقيقاً، وراجعتُ نصوصها مراراً وتكراراً، واخترتُ من النصوصِ المتفقَةِ المقصِدِ أوضَحَهَا وأقوَاهَا، ويعلمُ اللهُ وحدهُ كمُ أخذَ ذلكَ مِنِّي وقتاً وجُهداً، فوجدتُ أنَّه قد تنازعتْ هذه المسألةُ كثيراً من الآراءِ مُجْجَجٍ قد تقتربُ من الإقناعِ أو تبتعدُ في نظرِ الباحثِ، فوجبَ البحثُ، والتدقيقُ، والتمحيصُ؛ لنصلَ إلى القولِ الفصلِ، ولتستبينَ اللفظةُ الفصيحةُ من المستهجنةِ الدخيلةِ، اللَّهُمَّ نسألكَ سدادَ الرأيِ وصوابَهُ، وجنَّبنا مواطنَ الزَّلَلِ والخطأِ، واجعلْ هذا العملَ المتواضعَ للباحثِ والقارئِ سببَ وقايةٍ من عذابِكَ، وسرعةِ سيرٍ على صراطِكَ، وفوزٍ بأعلى درجاتِ جَنَانِكَ، فَإِنَّكَ تقدرُ ولا نقدرُ، وإِنَّكَ تقضي ولا نقضي، وإِنَّكَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

المبحثُ الأولُ

نبذة مختصرةٌ عن المجمعِ القاهريِّ

التعريفُ بالمجامعِ في اللغة: جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِيقِهِ يَجْمَعُهُ جَمْعاً وَجَمَعَهُ وَأَجْمَعَهُ فَاجْتَمَعَ، والجمعُ: اسمٌ لجماعةِ الناسِ، والجمعُ: المجتمِعون، وجمْعُهُ: مُجموعٌ، والجماعةُ، والجميعُ، والمَجْمَعُ، والمَجْمَعَةُ كالْجَمْعِ⁽¹⁾.

(1) ينظر: اللسان (جمع).

والتعريفُ بالمجامع في الاصطلاح: هي «مؤسساتٌ لغويةٌ علميةٌ تقومُ على خدمةِ اللغة، وبها جماعةٌ من العلماءِ تجتمعُ للنظرِ في ترقيةِ اللغة، والأدب، والفنون، ويركزونَ اهتماماتهم غالباً على الجانبِ اللغويِّ والعلميِّ، وما يجبُ أن تكونَ عليه بناءً على التراثِ العربيِّ والعالميِّ، وتزويدها بالمصطلحاتِ الحديثةِ مُسيرةً لقضايا العصر»⁽¹⁾.

والحقُّ أنَّنا خصصنا المجمعَ القاهريَّ دونَ غيره بهذه الدراسةِ الصرفية؛ لأنَّه مفرغُ البُحاثِ والمتعلمين، والمختلفين في المسائلِ اللغوية، قال الدكتورُ ياسين أبو الهيجاء: «فقد قابلتُ رئيسَ المجمعِ الأردنيَّ الدكتورَ عبد الكريم خليفة، وسألتهُ عن الجهودِ النحويةِ للمجمعِ على غرارِ ما نراه من مناقشاتٍ لأساليبٍ وتراكيبٍ وألفاظٍ تصدرُ عن مجالسٍ ومؤتمراتٍ كما في المجمعِ اللغويِّ في القاهرة؛ ذلك أنَّ المجمعَ الأردنيَّ يُسَخِّرُ جُلَّ اهتماماته وجهدهِ للترجمة والتعريب...، أمّا المجمعُ السوريُّ فلم أجِدْ له جهوداً تُذكرُ في هذا المجالِ أيضاً...، ولم أجِدْ المجمعَ العراقيَّ أحسنَ حالاً من المجمعين في هذا الخصوص...، أما الدراساتُ السابقة فلم أقعُ على دراسةٍ مستقلةٍ لمجمعِ القاهرة اللغويِّ في أيِّ جانبٍ من جوانبه على كثرةِ البحثِ والتنقيب»⁽²⁾، وكانتُ دراسةُ الدكتورِ ياسين مختصةً بالجانبِ النحويِّ، لتأتي بعدها دراسةُ جيلالي بوترفاس «تيسيرُ النحو العربيِّ في منظورِ المجامع اللغوية العربية المجمعِ اللغويِّ السوريِّ أنموذجاً»، وهي أيضاً دراسةٌ مختصةٌ بالنحوِ على قراراتِ المجمعِ السوريِّ، فانمازتُ دراستنا الصرفيةَ للمجمعِ القاهريِّ بأنَّها دراسةٌ بَكْرٌ على حدِّ علمنا المتواضع.

لقد سبقتُ نشأةَ مجمعِ اللغة العربية دعواتٌ ومحاولاتٌ عديدةٌ لتكوينِ مجمعٍ يهتمُّ باللغة العربية وشؤونها في مصر، لعلَّ أهمَّ تلكَ الدعواتِ دعوةُ أحمد فارس الشدياق (ت 1304هـ) الذي دعا فيها إلى أهميةِ تكوينِ جمعيةٍ تقومُ بوضعِ كلماتٍ عربيةٍ مكانَ الكلماتِ الأعجمية التي انتشرتْ مع كثرةِ المخترعاتِ الحديثة، ثمَّ أتتْ دعوةُ عبد الله باشا فكري

(1) مقالات لغوية 79.

(2) مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة. المقدمة 1.

(ت 1306هـ) الذي دعا إلى إنشاء جمعية علمية تشبه سابقتها إلى حد كبير⁽¹⁾، وكانت فكرة إنشاء مجمع اللغة العربية بمصر أملاً يتطلع إلى تحقيقه كثير من أهل اللغة، والأدب، والعلم، ومنذ نحو مئة عام أخذت هذه الفكرة تتخلل حتى تمخّصت عن مجمع أنشئ بدار البكري عام 1892م، أُلِّفَ جماعةً من أعلام العلماء، والأدب، في طليعتهم الشيخ محمد توفيق البكري، والإمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، ولكن هذا المجمع لم يبلغ من العمر سوى أشهر قليلة، ثم توالى المحاولات الحثيثة لإنشاء المجمع، وكان لنادي دار العلوم ندوة عقّدها عام 1908م، قُدمت فيها الأبحاث الداعية إلى تعريب بعض المسميات الحديثة، وفي عام 1916م، دَعَا الأستاذ أحمد لطفي السيد مع بعض العلماء، والأدباء إلى إنشاء مجمع لغويّ أهليّ بدار الكتب المصرية التي كان مديراً لها، واختير الأستاذ الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر آنذاك رئيساً له، ثم توقّف هذا المجمع بعد ثورة 1919م، ثم أُصدرَ مرسومٌ ملكيٌّ بإنشائه رسمياً في 14 شعبان سنة 1351هـ / 13 ديسمبر 1932م، وتكوّن تبعيته لوزارة المعارف العمومية، ثم توالى دوراته الجمعية؛ لتدرّس النظر في تعدد لجانه، وتعريب المصطلحات، والألفاظ الحضارية، والمواد المعجمية، والقرارات اللغوية⁽²⁾، كما جاء في المادة الثالثة من المرسوم أنّ المجمع يُصدرُ مجلةً تضمُّ بحوثَ أعضائه وما يُراد التنبيه على استعماله، أو تجنّبه، وفي المادة التاسعة يُدعى المجمع لانهجاده مرةً كلّ سنةٍ لمدة شهرٍ على الأقل؛ لينظر في الموضوعات المنوطة به، ويتخذ فيها القرارات⁽³⁾، وكان أول رئيس انتُخب للمجمع الأستاذ محمد توفيق رفعت، وظلّ رئيساً له حتى توفي سنة 1944م، ثم انتُخب بعده رئيساً الأستاذ أحمد لطفي السيد من يناير 1945م إلى مارس 1963م، ثم انتُخب بعده الدكتور طه حسين حتى أكتوبر سنة 1973م، وخلفه الدكتور إبراهيم مذكور حتى سنة 1995م⁽⁴⁾، ثم

(1) ينظر: القرارات النحوية والتصرفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة 19.

(2) ينظر: التراث المعجمي في خمسة وسبعين عاماً 1 4.

(3) ينظر: مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً 22.

(4) ينظر: مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً 32.

جاء بعده الدكتور شوقي ضيف حتى سنة 2005م، ثم خلفه الدكتور محمود حافظ⁽¹⁾.
والحقيقة أنه كان للمجمع القاهري الكثير من الإنجازات اللغوية عدا التعريب،
والترجمة، والقرارات العلمية، فقد ألفت علماءه عدة معاجم منها: معجم ألفاظ القرآن
الكريم، والمعجم الكبير، والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز، كما ألفتوا العديد من المعاجم
العلمية المتخصصة كمعجم الجولوجيا، ومعجم الحاسبات، ومعجم المصطلحات الطبية،
ومعجم الكيمياء والصيدلة، ومعجم الرياضيات ... إلخ⁽²⁾.
أغراض المجمع القاهري:

- 1 المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم، والآدب،
والفنون.
- 2 النظر في أصول اللغة العربية وأساليبها؛ لاختيار ما يوسع أقيستها وضوابطها.
- 3 دراسة المصطلحات العلمية، والأدبية، والفنية، والحضارية، وكذلك دراسة
الأعلام الأجنبية.
- 4 بحث كل ما له شأن في تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها.
- 5 بحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة⁽³⁾.

المبحث الثاني

مناقشة بعض المسائل الصرفية

قبل أن نناقش بعض المسائل الصرفية في بعض قرارات المجمع القاهري تأدبا
مع علمائنا المجمعين الكبار نقول: لا بد أن ينتابنا الخشوع ونحن نناقش عمل علماء

(1) ينظر: التراث المعجمي في خمسة وسبعين عامًا 7.

(2) ينظر: مجمع اللغة العربية موجز عن تاريخه وإنجازاته 2 4.

(3) ينظر: التراث المعجمي في خمسة وسبعين عامًا 4.

مبرزين، ولا بدّ لنا من التذكير بأول غرض ذكره عند إنشائه وهو: (المحافظة على سلامة اللغة العربية)، وفرق كبير بين أن نُسهّل على المتعلمين بالبحث عن طريقة التعليم المناسبة لذلك حفاظًا على سلامة اللغة العربية، وبين التجوّز في أساليب لم تقلّها العرب، كما أودّ أن أقول: إنني أشهد الله على أيّ أجلّ علماءنا المجمعين، وأُثمنّ عاليًا جهودهم العظيمة المثمرة، وأني أوافق ما قاله د. شوقي ضيف في نصّه السابق تمامًا، وأني ما أردتُ الطعن في قراراتهم العلمية الرشيدة وأنا الباحثُ المبتدئُ أمامَ قَمَمِهم العلمية الشاهقة، ولكنني وقفتُ تائهاً أمامَ بعضِ الصيغِ الصرفيةِ التي قالَ فيها المجمعُ قولته، فلمّا رجعتُ إلى آراءِ العلماءِ السابقينَ كانَ هناك قولٌ آخر، فلم يكنْ أمامي إلاّ البحثُ عن القولِ الفضل حين اختلفت الآراءُ أقوالًا شتى وطرائقَ قَدَدًا، ولولا قولُ أعضائه: «المصطلحاتُ التي أقرّها المجمعُ والمؤتمرُ بدونِ تعاريفٍ، والتي لمْ تنشرْ بعدُ تُعادُ على اللجانِ المختصةِ لتعريفها وعرضها على المؤتمر، ولا مانعٌ من نشرها مبدئيًا لتلقّي ملاحظاتِ المختصّينَ مع الإشارةِ إلى ذلك»⁽¹⁾، وقولهم: «تُعَرِّضُ الكلماتُ، والمصطلحاتُ التي يقرّها المجمعُ على الجمهورِ بعدَ إقرارها، ويتقبّلُ المجمعُ في خلالِ تلكَ السنةِ الانتقاداتِ التي يعترضُ بها العلماءُ»⁽²⁾، كما أمسكتُ قلبي، وتجرائتُ على التعقيبِ على بعضِ قراراتهم الصّرفيةِ، ويظنُّ ما يراه الباحثُ صوابًا في نظره يحتملُ الخطأ، أعاننا الله على الفوزِ برضاهُ ثمّ رضا علمائنا المجمعين، إنّه وليّ ذلك، والقادرُ عليه.

المسألة الأولى: إجازة استعمال (قِيمٍ مُقَيِّمٍ تَقْيِيمٍ)

لقد ثارَ جدلٌ كبيرٌ بين المحدثينَ في جوازِ استعمالِ (مُقَيِّمٍ، ومُقَوِّمٍ)، و(تَقْيِيمٍ، وتَقْوِيمٍ)، فهل هذا الجوازُ ينمُّ على أنّهما يخرجانِ من مشكاةٍ لغويةٍ واحدةٍ؟ وأنّهما عربيانِ فصيحانِ؟

(1) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا 248.

(2) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا 243.

قال الدكتور محمد صالح ياسين عند حديثه عن (القيّم): «حاول مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يجد مخرجاً لهذا اللفظ، فأودعه في المعجم الوسيط (كتاب قيّم: ذو قيمة)⁽¹⁾، ونصّ المعجم الوسيط حرفياً: «القيّمة: قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه، ومن الإنسان: طوله، ويقال: ما لفلان قيمة: ما له ثبات ودوام على الأمر، القويم: المعتدل، والحسن القامة، القيم: السيد، وسائس الأمر، ومن يتولّى أمر المحجور عليه، وقيّم القوم: الذي يقوم بشأنهم ويسوسهم أمرهم، وأمر قيّم: مستقيم، وكتاب قيّم: ذو قيمة⁽²⁾، وما أدقّ كلام أبي حيان عند ما قال: «أما قيّم فأصله: قيام، وقيّم مقصور منه؛ ولذلك اعتلت الواو فيه، إذ لو لم يكن مقصوراً لصحّت كما صحّت: حول، وعوض⁽³⁾! وجاءت هذه اللفظة أعني: (قيّم) على ألسنة الفصحاء الخالص كما جاءت على لسان ابن كثير عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الزَّجَالُ قَوْمٌ عَلَى النِّسَاءِ﴾⁽⁴⁾، أي: «الرجل قيّم على المرأة، أي: هو رئيسها، وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا عوجت»⁽⁵⁾، فهذه الشواهد وأمثالها في ظنّ الباحث هي التي أوهمت كثيراً من الباحثين ولا سيما ساداتنا العلماء المعجميون بالاستدلال على جواز استعمال: المُقيّم والتقيّم، كما صحّ استعمال: المُقَوّم والتّقويم، وعلتُهم هي المقولة الشهيرة: (تسهلاً على المتعلمين)، أفنستبدل لفظاً فصيحاً بلفظ ملحون لم تستعمله العرب كالذي يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير بحجة التسهيل على المتعلمين؟

ردّاً على ذلك نقول: كلمة (قيّم)، و(قيّم) التي ورد ذكرها المبارك في كتاب الله تعالى ﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾⁽⁶⁾، و(قيمة) فلا حجة في أنّ الأصل ياء؛ لأنّ الأصل بالواو، وقلبت ياء لعلّة صرفية يعلمها المبتدئ في علوم العربية، فكما قالوا في: (قال يقول قيل)

(1) ظاهرة الاشتقاق عند مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 226 227.

(2) المعجم الوسيط. باب القاف: 2 / 768.

(3) البحر المحيط: 8 / 57.

(4) النساء: 34.

(5) تفسير القرآن العظيم: 2 / 292.

(6) الأنعام: 161.

بقلب الواو ألفاً، أو ياءً، أو بقائها على أصلها الواو، لمناسبة الحركة التي سبقت حرف العلة الضعيف الذي يتأثر بها، فكذا هنا، انظر أيها القارئ حفظك الله إلى قول سيبويه: «أما سيبويه فقال: القِيمُ وزنه: القَيْعِل، وأصله: القَيُّوم، فلما اجتمعت الياء، والواو، والسابق ساكنٌ أبدلوا من الواو ياءً، وأدغموها فيها التي قبلها، فصارتا ياءً مشددةً، وكذلك قال في: سَيِّد، وجَيِّد، وهَيِّن، وَلَيِّن، وما أشبهه، فهو قَيْعِل، أصله: مَيُّوت، وسَيُّود، وجَيُّود، وهَيُّون»⁽¹⁾، «وأنكر الفراء هذا، وقال: ليس من أبنية العرب (قَيْعِل)، إنما هو (قَيْعَل)، وقال في: (قَيْم)، و(سَيِّد)، و(جَيِّد): هذا من الفعل: قَيْعِل، أصله: قَوِيْم، وسَوِيْد، وجَوِيْد على وزن (كريم)، و(ظريف)، فكان يلزمهم أن يجعلوا الواو ألفاً؛ لانفتاح ما قبلها، ثم يسقطوها؛ لسكونها وسكون الياء التي بعدها، فلما فعلوا ذلك صار (قَيْعِل) على لفظ (فَعْل) فزادوا ياءً على الياء؛ ليكمل بها بناء الحرف»⁽²⁾.

وإذا ما ذهبنا نبحث عن الجذر (ق.ي.م) في معجم لسان العرب فلن نجد؛ لأنَّه جذرٌ لم تستعمله العرب، ولم تعد إليه في تمييز الأصول، بينما سنجد كل اشتقاقات (ق و م) تحت الجذر (ق.و.م)، وبهذا فأصل (قَيْم): قَوْم، وأصل (قَيْم): قَيُّوم، أما (مُقِيم)، و(تَقْيِيم) اللذان نراهما كثيراً في غير موضع فهما استعمالان خاطئان قولاً واحداً، والصواب المستعمل في لغتنا العالية (مُقَوِّم)، و(تَقْوِيْم)، وهذا عينه ما استعملته العرب في ألفاظها ومبانيها، ووجدناه في أساليب الأقحاح الخُلص، وانظر رعاك الله إلى قول نظام الدين النيسابوري: «العمل بالاجتهاد، والقياس جائز، وأجيب بأنَّه لا نزاع في الصورة الجزئية، كالاكتفاء في القبلة، وكالعمل بشهادة الشاهدين، وبتقويم المقومين في قيم المتلفات...»⁽³⁾، فليس لنا أن نقول قولاً لا قياس له، ولم تقله العرب، ونُدعي له الفصاحة بحجة التسهيل على المتعلمين، والله أعلم.

(1) الزاهر في معاني كلمات الناس: 1/ 85.

(2) الزاهر في معاني كلمات الناس: 1/ 86.

(3) غرائب القرآن: 3/ 18.

المسألة الثانية: إجازة النعت بالمصدر سماعاً وقياساً

النعتُ أو الصفةُ أحدُ التوابعِ المعروفةِ في أبوابِ النحْوِ، والنعتُ بشكلٍ عامٍّ يتبعُ المنعوتَ في عدةِ أشياء، قالَ الزمخشريُّ: «كَمَا كَانَتِ الصِّفَةُ وَفَقَّ الْمُوصُوفُ فِي إِعْرَابِهِ فَهِيَ وَفَقَهُ فِي الْأَفْرَادِ، وَالتَّثْنِيَةِ، وَالْجَمْعِ، وَالتَّعْرِيفِ، وَالتَّنْكِيرِ، وَالتَّأْنِيثِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ فِعْلًا مَا هُوَ مِنْ سَبَبِهِ، فَإِنَّهَا تَوَافَقَتْ فِي الْإِعْرَابِ، وَالتَّعْرِيفِ، وَالتَّنْكِيرِ دُونَ سَوَاهُمَا، أَوْ كَانَتْ صِفَةً يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذْكَرُ، وَالْمُؤَنَّثُ، نَحْوُ: (فَعُولٌ، وَفَعِيلٌ) بِمَعْنَى (مَفْعُولٌ)، أَوْ مُؤَنَّثُهُ تَجْرِي عَلَى الْمَذْكَرِ، نَحْوُ: عَلَّامَةٌ، وَهَلْبَاجَةٌ، وَرَبْعَةٌ، وَبِفِعْلَةٍ»⁽¹⁾، وَلَا نَرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْ بَابِ النِّعْتِ تَفْصِيلاً، فَهُوَ مَبْثُوثٌ فِي جُلِّ كُتُبِ النُّحُوِّ لِمَنْ أَرَادَهُ بَعِينَهُ، وَإِنَّمَا قَصَدْنَا فِي بَحْثِنَا هَذَا مَسْأَلَةَ مَخْصُوصَةٍ فِيهِ، وَهِيَ: جَوَازُ النِّعْتِ بِالْمَصْدَرِ قِيَاساً، فَالشَّوَاهِدُ عَلَى اسْتِعْمَالِ النِّعْتِ مَصْدَرًا كَثِيرَةٌ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ قَدْ قَصَرَهُ النُّحَوِيُّونَ عَلَى السَّمَاعِ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ قَسِيمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ، وَاللُّغَةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، «يَقُولُ الْبَلَاغِيُّونَ: إِنَّ النِّعْتَ بِالْمَصْدَرِ أُبْلَغُ مِنَ النِّعْتِ بِالْمَشْتَقِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ بَعْضُ النَّحَاةِ: إِنَّ النِّعْتَ بِالْمَصْدَرِ مَعَ كَثَرَتِهِ لَا يَصَحُّ قِيَاساً»⁽²⁾.

«وَيَرَى الْمَجْمَعُ الْقَاهِرِيُّ اسْتِنَادًا إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ النِّعْتَ بِالْمَصْدَرِ مُقَيَّسٌ قِيَاسًا مَطَّرَدًا بِالشَّرْطِ الَّتِي ضَبَطَ بِهَا مَا سُمِعَ، وَهِيَ: أَنْ يَكُونَ مَفْرَدًا مَذْكَرًا، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا ثَلَاثِيًّا، أَوْ بَوْزَنِهِ، أَلَّا يَكُونَ مِيمِيًّا»⁽³⁾.

قَالَ سَيَبَوِيهِ: «تَقُولُ: رَجُلٌ رِضًا، وَامْرَأَةٌ عَذْلٌ، وَيَوْمٌ غَمٌّ، فَيَصِيرُ هَذَا الْكَلَامُ صِفَةً»⁽⁴⁾، وَإِذَا اشْتَرَطَ النَّحَاةُ شَرْطًا لِلنِّعْتِ بِالْمَصْدَرِ وَهِيَ: التَّزَامُ الْإِفْرَادِ، وَالتَّذْكِيرِ⁽⁵⁾ فَإِنَّهُمْ قَصَرُوهُ عَلَى السَّمَاعِ، قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: «النِّعْتُ بِالْمَصْدَرِ وَمَا ذَكَرَهُ بَعْدَهُ مَقْصُورٌ عَلَى السَّمَاعِ، وَلِلْمَصْدَرِ مَزِيَّةٌ يُقَارَبُ بِهَا الْإِطْرَادَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ رِضَى، وَعَذْلٌ، وَزُورٌ، وَصَوْمٌ، وَفِطْرٌ، فَإِنْ أُرِدَتْ

(1) المفصل في صنعة الإعراب: 1/ 151.

(2) النحو الوافي: 3/ 462.

(3) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا: 108.

(4) الكتاب: 2/ 120.

(5) ينظر: شرح الكافية الشافية: 3/ 160.

المبالغة عَلَى مَعْنَى جَعَلَ الموصوفِ المصدرَ لكثرة وقوعِهِ منه، فهو مجازٌ، وإنْ لَمْ تُرَدِّهَا فهو على حَذْفِ مضافٍ، أي: ذِي رَضَى، وعُزِّي إلى البصريين، أو عَلَى التَّأْوِيلِ بوصفٍ، أي: رَاضٍ، وَنُسِبَ إِلَى الكوفيين⁽¹⁾.

وَكَمَا قُلْنَا فِي المبحثِ السابق: ليسَ لَنَا أَنْ نَقُولَ قولًا لَا قِيَاسَ لَهُ، وَلَمْ تَقْلُهُ العربُ، وَنَدَّعِي لَهُ الفصاحةَ بِمَجَّةِ التسهيلِ عَلَى المتعلمينَ، فمَسْأَلَةُ القصورِ عَلَى السماعِ مَسْأَلَةٌ اعتياديةٌ فِي كثيرٍ مِنْ أَبْوَابِ النَحْوِ، فَإِذَا تَجَاوَزْنَاهَا تَسَرَّبَ الخَلَلُ فِي كثيرٍ مِنْ قَوَاعِدِهِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى مَقاييسِ لِسَانِ العربِ، فَالخطأُ خطأً لَا يُبَرَّرُ، قَالَ أَبُو هَلَالٍ العسْكَرِيُّ: «وَالخطأُ لَا يَكُونُ صَوَابًا عَلَى الوجهِ، فَالخطأُ مَا كَانَ الصَّوَابُ خِلَافَهُ، وَلَيْسَ الغَلَطُ مَا يَكُونُ الصَّوَابُ خِلَافَهُ، بَلْ هُوَ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غيرِ مَوْضِعِهِ»⁽²⁾، وَبِتَجْوِيزِنَا النعتَ بِالمصدرِ قِيَاسًا لَمْ نَخْطِئْ، أَوْ نَغْلُظُ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا ادَّعَيْنَا فِي كَلَامِ العربِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَلِلَّهِ دُرُّ الشَّيْخِ العثيمينِ حِينَ قَالَ عَنْ هَذَا الجَوَازِ: «إِذَا المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ اسْتِعْمَالٍ، فَيَعُودُ الضَّمِيرُ فِي (نَعْتُوا) عَلَى المُسْتَعْمِلِينَ، وَهُمُ العربُ لَا النحاةُ»⁽³⁾، وَقَدْ وَهَمَ الصَّوَالِحِيُّ حِينَ قَالَ فِي خَاتَمَةِ حَدِيثِهِ عَنْ هَذِهِ المَسْأَلَةِ: «الْأَمْرُ لَا يَصُلُّ إِلَى حَظَرِهِ، وَالْحَجَرِ عَلَيْهِ فِي عَصْرِ نَسَعَى فِيهِ إِلَى سَعَةِ التَّعْبِيرِ، وَتَيْسِيرِ سُبُلِهِ، وَمَا عَلَى الشَّاعِرِ، أَوِ النَّاسِرِ لَوْ قَالَ: رَجُلٌ مَأْكُلٌ، يَرِيدُ أَكْوَلًا، وَتَنَكَّبَ أَكْوَلًا وَأَكَاَلًا، ثُمَّ سَاعَ بَعْدَهُ هَذَا التَّعْبِيرُ، وَأَصْبَحَ مُسْتَخْدَمًا»⁽⁴⁾، لَعَلَّكَ لَحِظْتَ مَعِيَ سَيِّدِي الْقَارِئُ جَمَلَتِيهِ الْأَخِيرَتَيْنِ: (ثُمَّ سَاعَ بَعْدَهُ هَذَا التَّعْبِيرُ، وَأَصْبَحَ مُسْتَخْدَمًا)، وَمِنْ قَبْلِهِمَا جَمَلَتُهُ: «فِي عَصْرِ نَسَعَى فِيهِ إِلَى سَعَةِ التَّعْبِيرِ، وَتَيْسِيرِ سُبُلِهِ»، وَسَأَتَرُكَ لِلْقَارِئِ الْكَرِيمِ الْحُكْمَ عَلَى مَدَى دَقَّةِ كَلَامِهِ وَكَلَامِنَا.

(1) المساعد على تسهيل الفوائد: 2 / 411.

(2) الفروق في اللغة: 55.

(3) شرح ألفية ابن مالك: 3 / 241.

(4) في أصول اللغة: 2 / 164.

المسألة الثالثة: إجازة صَوْغِ (فَعُولٍ) للمبالغة، والصفة المشبهة من الفعل اللازم.

نص القرار: «نظراً لما استظهرته اللجنة من ورود أمثلة تزيد عن المائتين (فَعُولٍ) من الأفعال اللازمة ترى اللجنة قياسية صَوْغِ فَعُولٍ عند الحاجة للدلالة على الصفة المشبهة، وقد تكون للمبالغة بحسب مقامات الكلام»⁽¹⁾.

تنقسم الأسماء في اللغة العربية إلى أسماء جامدة، وأسماء مشتقة، والأسماء المشتقة تنقسم بحسب صيغها إلى اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو صيغة مبالغة، أو صفة مشبهة، أو اسم مصدر، أو مصدر ميمي، أو اسم آلة، أو اسم زمان، أو اسم مكان...، ولكل نوع من هذه المشتقات شروط لصحة صَوْغِها مبسوطة في جُلِّ كتب النحو والصرف، وما تعيننا في هذا البحث جزئية معينة من درس الصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، وهو ما جَوَّزَه المجمع القاهري في صَوْغِ (فَعُولٍ) من الفعل اللازم.

قال سيبويه: «زعم الخليل أَنَّ فَعُولًا، ومِفْعَالًا، ومِفْعَلًا نحو: قَوْلُ، ومِقْوَال، إنما يكون في تكثير الشيء، وتشديده، والمبالغة فيه»⁽²⁾، وصيغة المبالغة أصلاً مأخوذة من صيغة اسم الفاعل للدلالة على ما ذكره سيبويه من التكثير «وهو ما حُوِّلَ للمبالغة من فاعل إلى فَعَالٍ، أو مِفْعَالٍ، أو فَعُولٍ بكثرة، أو فَعِيلٍ، أو فَعِلٍ بقلية، وأقول: الثالث من الأسماء العاملة عمل الفعل أمثلة المبالغة، وهي عبارة عن الأوزان الخمسة المذكورة محولة عن صيغة (فَاعِلٍ) لقصد إفادة المبالغة، والتكثير»⁽³⁾، ويقول المبرد: «من هذه الأبنية فَعُولٍ، نحو: ضُرُوبٌ، وقَتُولٌ، وركُوبٌ، تقول: هذا ضُرُوبٌ زيدًا، إذا كان يضربه مرة بعد مرة»⁽⁴⁾، «ولا تُبنى مع متعديٍّ، بل من لازمٍ، وقَلَّ فيها وزنُ اسمِ الفاعلِ، نحو: طاهرُ القلبِ، ومنطليقُ اللسانِ،

(1) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا: 51.

(2) الكتاب: 3 / 384.

(3) شرح شذور الذهب: 1 / 503.

(4) المقتضب: 1 / 84.

ومنبسط الوجه⁽¹⁾.

وَمَا لَفَتَ انتباهي واسترعى دَهْشَتِي فِي نَصِّ المجمع الذي ذكرناه قَبْلَ قليلٍ تجويزُهم قياسَ صَوْغِ (فَعُول) للدلالة على الصفة المشبهة، أو صيغة المبالغة بحسبِ مقاماتِ الكلام عَلَى حَدِّ قولهم، وما يَرَاهُ الباحثُ هو صَحَّةُ ما قالَهُ النحويونَ مِنْ قَصْرِ هذه الصيغِ عَلَى السَّمَاعِ، وَحَتَّى إِنْ تجاوزتِ الصيغُ الواردةُ مِنَ العَرَبِ عن المائَةِ صيغةٍ فَلَا يجعلُنَا ذَلِكَ فِي حِلٍّ مِنَ القياسِ عَلَى تلكِ الصيغِ مَا دَامَ النحاةُ قَصَرُوهُ عَلَى السَّمَاعِ، وَلِلَّهِ دُرُّ الرضِيِّ حِينَ قَالَ: «فَعَالٌ فِي الأَمْرِ مِنَ الثَّلَاثِيِّ مَسْمُوعٌ، فَلَا يُقَالُ: قَوَامٌ، وَقَعَادٌ فِي: قُمْ، وَاقْعُدْ، إِذْ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدَعَ صِغَةً لَمْ تَقْلُهَا العَرَبُ، وَلَيْسَ لَنَا فِي أَبْنِيَةِ المبالغةِ أَنْ نَقِيسَ، فَلَا نَقُولُ فِي: شَاكِرٌ، وَغَافِرٌ: شَكِيرٌ، وَغَفِيرٌ»⁽²⁾، وَيَعْتَقِدُ الباحثُ أَنَّ الزيادةَ عَنْ هَذَا النَصِّ اللغويِّ الرائعِ هُوَ مِنْ نَافِلَةِ القولِ، وَلِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمَنَا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

نتائج البحث

1 أنشئ المجمعُ القاهريُّ استجابةً لدعواتٍ كثيرٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، والأدبِ، والعلمِ، وللعلماءِ المجمعينَ دورٌ عَظِيمٌ فِي الحِفاظِ عَلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَهَوِيَّتِهَا مِنْ خِلالِ التَّرْجُمَةِ، والتعريبِ، وقَراراتِهِ اللُّغَوِيَّةِ السَّديدةِ عَلَى مَرِّ انْعِقَادِ جِلسَاتِ لُجَانِهِ المِختلِفَةِ.

2 فِي الوَقْتِ الَّذِي نُشِيدُ فِيهِ بِجُهودِ عِلْمائِنَا المجمعينَ فَإِنَّ الباحثَ يُؤَكِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ تَوجِيهِ بَعْضِ الباحثينَ الأَكْفَاءِ لِدَراسَةِ نِصوصِ قَراراتِهِم بِعمقٍ لُغَوِيٍّ تَحليليٍّ قَوِيمٍ، وَمِنْ عَظِيمِ الفائِدَةِ أَنْ تُعقَدَ المُؤتمراتُ، وتُدارَ الندواتُ العِلْمِيَّةُ عَلَى أَجْزَاءِ كُتُبِ المِجامعِ اللُّغَوِيَّةِ، وَلَا سِيما القَراراتُ الَّتِي نَتَجَتُ عَنِ المِجمعِ فِي أوائلِ إِنْشائِهِ، حَيْثُ إِنَّ هَناكَ فَتْرَةً لَيْسَتْ بِالقَلِيلَةِ تَمَكَّنُنَا مِنْ قِياسِ أبعادِها اللُّغَوِيَّةِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ، وَمَدَى تِفاعِلِ ألسِنَةِ المُتَكَلِّمينَ

(1) همع الهوامع: 3 / 328.

(2) شرح الرضي: 3 / 108.

مع منطوق القرار المجمعي.

3 من الأخطاء الشائعة التي يجب أن نصححها هو قولنا: قَيِّم، ومُقَيِّم، وتَقْيِيم، والصواب المستعمل عن العرب: قَوِّم، ومُقَوِّم، وتَقْوِيم، ونأمل من ساداتنا العلماء المجمعيين إعادة النظر في قرارهم الذي جَوَّز الاستعمالين، وأن يُسَرِّيَ عَلَى هذا القرار من السَّحْبِ كَمَا سَحَبُوا قرارَ جوازِ لُحُوقِ علامةِ التثنية، أو الجمع بالفعل الذي فاعله، أو نائب فاعله اسمٌ ظاهرٌ مثنى، أو مجموعٌ في الجلسة الثامنة من مؤتمرِ الدورة السادسة والثلاثين⁽¹⁾.

4 لا يجوزُ النعتُ بالمصدرِ قياساً قولاً واحداً؛ لأنَّنا بهذا التجويزِ لمْ نُخْطِئْ فحسبُ، وإنَّما ادَّعَيْنَا في العربية ما ليس عربياً، فالحُجُومُ مَا وُجِدَ إِلَّا لخدمةِ النصوصِ العربيةِ، والعكسُ غيرُ صحيحٍ.

5 علينا أن نلتزمَ عندَ صَوِّغِ صفةٍ مشبهةٍ، أو صيغةٍ مبالغةٍ بالاستعمالِ العربيِّ، وأنْ نقفَ عندَ السماعِ كَمَا نَصَّ عَلَى ذلكِ النحاةُ، إذْ ليسَ لأحدٍ أنْ يبتدعَ صِیْغَةً لمْ تقلها العربُ.

6 يجبُ أنْ لا يقودَنَا التسهيلُ على المتعلمين إلى الضَّرِّ بِأَسَالِيبَ لغَتِنَا وروحِهَا، فاللغةُ التي كانتْ بلاغَتُهَا معجزةً من معجزاتِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ذاتُهَا التي نريدُ أنْ نسمعَهَا، ونَصَلَ إلى بلاغَتِهَا غَضَّةً طَرِیَّةً عَلَى ألسنةِ المتعلمين، يحاكون نصوصَهَا صَوْتًا، وضَبْطًا، واشتقاقًا، وبلاغةً، لا تبديلَ، ولا ابتداعَ، نريدُ أنْ نحبَّهَا كَمَا أَحَبَّهَا السابقونَ، فإذا أَحَبَّناهَا أَصْبَحَتْ لسانَنَا الَّذِي نَنطِقُ بِهِ، وَيَدَنَا التي نَكْتُبُ بِهَا، وَنَسْمَعُ الَّذِي نَسْمَعُ بِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَالْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ.

(1) ينظر: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا 39 الهامش رقم (1).

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريمُ برواية حفص بن سليمانَ لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي.
- 2 - البحرُ المحيطُ لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت: 745هـ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض وشارك في التحقيق د / زكريا عبد المجيد النوي د / أحمد النجولي الجمل دار الكتب العلمية لبنان بيروت ط الأولى 2001م.
- 3 - التراثُ المعجميُّ في خمسةٍ وسبعينَ عامًا إشراف: أ / إبراهيم التريزي د / كمال بشر إعداد وراجع تجاربه: سميرة صادق شعلان جمال عبد الحي أحمد خالد محمد مصطفى منشورات مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية بلا ت.
- 4 - تفسيرُ القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ت: 774هـ تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع ط الثانية 1999م.
- 5 - الزَّاهِرُ في معاني كلماتِ الناسِ لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ت: 328هـ تحقيق: د / حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط الأولى 1999م.
- 6 - شرحُ ألفية ابن مالكٍ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية مكتبة الرشد ناشرون الرياض ط الأولى 1434هـ.
- 7 - شرحُ الرِّضِيِّ عَلَى الكافية للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت: 686هـ تحقيق: يوسف حسن عمر جامعة قار يونس ليبيا 1975م.
- 8 - شرحُ شذورِ الدَّهَبِ في معرفةِ كلامِ العربِ لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف جمال الدين الشهير بابن هشام ت: 761هـ تحقيق: عبد الغني القر الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع سوريا.

9 - شرح الكافية الشافية لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي ت: 672هـ تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة ط الأولى - 1982م.

10 - غرائب القرآن و رغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ت: 850هـ تحقيق: الشيخ زكريا عميران دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى 1996م.

11 - الفروق في اللغة للحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبي هلال العسكري ت: 395هـ تحقيق: محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع مدينة نصر القاهرة بلا ت.

12 - في أصول اللغة أخرجه: مصطفى حجازي ضاحي عبد الباقي الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية مصر ط الأولى بلا ت.

13 - القرارات النحوية والتصرفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعاً ودراسةً وتقويماً تأليف: خالد سعود بن فارس العصيمي دار التدمرية ودار ابن حزم ط الأولى 2003م.

14 - الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ت: 180هـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت. بلا ت.

15 - لسان العرب لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ت: 711هـ دار الحديث القاهرة.

16 - مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً بقلم د / شوقي ضيف منشورات مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ط الأولى 1984م.

17 - مجمع اللغة العربية موجز عن تاريخه وإنجازاته تأليف: نبراس حسين مهاوش العزاوي مقال نُشرَ على موقع (جوجل) 2019م

18 - مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا أخرجها وراجعها: محمد شوقي أمين إبراهيم الترنزي منشورات مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1984م.

19 - المساعد على تسهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل ت: 769هـ تحقيق: د / محمد كامل بركات الناشر: جامعة أم القرى (دار الفكر بدمشق دار المديني بجدة) ط الأولى 1405هـ.

20 - مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة د / ياسين أبو الهيجاء جدارا للكتاب العالمي عمان الأردن عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط الأولى 2008م.

21 - المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: دار الدعوة.

22 - المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت: 538هـ تحقيق: علي بوملحم دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان ط الأولى 1993م.

23 - مقالات لغوية د / صالح بالعيد الجزائر دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع 2004م.

24 - الْمُقْتَضَبُ للمبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ت: 285هـ تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة عالم الكتب. - بيروت بلا ت.

25 - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لأبي بكر جلال الدين السيوطي ت: 911هـ تحقيق: عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية مصر بلا ت

26 - التَّحْوُّ الوَافِي د / عباس حسن دار المعارف القاهرة ط الحادية عشرة بلا ت.

المجلات العلمية

1 - ظاهرة الاشتقاق عند مجمع اللغة العربية بالقاهرة د / محمد صالح ياسين عباس جامعة ديالى كلية التربية مجلة الآداب العدد 109 2014م.

تبادلات الأفعال الإنجازيّة ودلالاتها في قصيدة:

الخُروج من سلاسل مُؤاب

عبد الله رضوان- دراسة صرفيّة دلاليّة

د. إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد

(كلية الآداب - العلوم الإنسانيّة- جامعة الأقصى غزة)

ملخص البحث

يتناول البحث الموسوم بـ «تبادلات الأفعال الإنجازيّة ودلالاتها في قصيدة» الخُروج من سلاسل مُؤاب «عبدالله رضوان- دراسة صرفيّة دلاليّة» بالدراسة والتحليل الأفعال بأنواعها المختلفة؛ حيث تنوّعت الأفعال الإنجازيّة بين أفعال السلوك والإيضاح والتعهُّد، وأكثرَ عبدُ الله رضوان من استخدام الفعل المضارع باستعمالاته المتعدّدة للدلالة على الاستمرار؛ ليعبّر عن الصورة الواقعيّة للشعب الفلسطيني، ثم الفعل الماضي الدالّ على معاناته، وأقلّها استعمالاً فعل الأمر.

الكلمات المفتاحية: تبادلات الأفعال الإنجازيّة- مُؤاب- عبد الله رضوان.

مقدمة

يتناول البحث «تبادلات الأفعال الإنجازيّة ودلالاتها في قصيدة» الخروج من سلاسل مُؤاب «عبد الله رضوان- دراسة صرفيّة دلاليّة»، ويهدف الكشف عن تناوله للفعل؛ مستقصياً كلّ الأفعال الواردة في القصيدة في منهج وصفيّ تحليليّ يقوم على استجلاء تبادلات الأفعال، وعرضه على ما استقرّ عليه نظام النحو العربيّ الذي قرّره النحاة العرب. وهذا البحث ثمرّة لجهد متواضع، يقوم على أساس حصر الدراسة في استعمالات الأفعال موازناً بينها، ومستشهداً لكلّ فعل؛ لتوضيح السمات اللّغويّة في ضوء الدراسات التّحوية العربيّة.

مشكلة الدراسة: يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

- ما دور الأفعال في قصيدة «الخروج من سلاسل مُؤاب»؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس ثلاثة أسئلة:

- ماذا أفادت تبادلات الأفعال في القصيدة؟

- لِمَ اختيرت قصيدة «الخروج من سلاسل مُؤاب»؟

- ما أكثر الأفعال زمانياً الدّالة على الإنجاز في هذه القصيدة؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تسليط الصّوء على تبادلات الأفعال ودلالاتها في قصيدة «الخروج من سلاسل مُؤاب»؛ لأنّها مجموعة لوحات فنيّة رائعة؛ إذ لم تأتِ الأفعال المتناثرة بين سطور القصيدة اعتباطيّة أو مزاجيّة؛ بل كانت نتاجاً ثقافياً قام شاعرنا عبد الله رضوان به. منهج البحث: اعتمد الباحث في بحثه المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يُعنى بدراسة أنواع الأفعال، والوقوف على استعمالاتها المختلفة في قصيدة «الخروج من سلاسل مُؤاب».

الدراسات السابقة:

1 - محمود أحمد نخلة: نحو نظريّة عربيّة للأفعال الكلاميّة في مجلة الدراسات اللّغويّة،

الرياض، المجلد الأول، العدد الأول، إبريل /يونيو 1999م، ص-161 162.

2 - عبد الله رضوان شاعراً، إيمان موسى مواجدة، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، مطبعة الروزنا، الطبعة الأولى، 2005م.

سبب اختيار البحث: برزت فكرة هذا الموضوع في ذهن الباحث بعد أن أَلَمَّ بشعر عبد الله رضوان، ولاسيّما هذه القصيدة، ومُؤاب: اسم قديم كان يطلق على السلسلة الجبلية المشرفة على البحر الميت من الشرق، تقابلها جبال الخليل من الغرب (رضوان، 1982: 11). وتمثّلت الرّؤيا الشّعريّة في مجموعة من الدواوين لشاعرنا عبد الله رضوان؛ منها: الخُروج من سلاسل مُؤاب؛ إذ يعلن فيها عن اهتمامه الشديد بوطنه، وانتمائه إليه انتماءً صادقاً مخلصاً، والتزامه قضاياهُ التزاماً حرّاً نابعاً من قلبه، هدفه الكشف عن الواقع الذي يعيشه وطنه، والسعي إلى تغيير ما ليس سليماً فيه، ووسيلته في تغيير الكلمة المسكونة بحبّ الوطن ومعايشة قضاياه (مواجدة، 2005: 36-37).

كذلك عدم وجود دراسات -على حدّ علم الباحث - تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر ومستقلّ لتبادل الأفعال الإنجازيّة في قصيدة: «الخُروج من سلاسل مُؤاب».

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كونها تتناول موضوعاً من أعمدة التّحوالعربيّ، وقد تفتح الدراسة آفاقاً أمام الدارسين للكشف عن تبادلات الأفعال الإنجازيّة ودلالاتها في القصيدة. حدود الدراسة: اقتصرّت الدراسة على تتبّع الأفعال بأنواعها المتعددة، واستعمالاتها المختلفة في القصيدة.

خطوات الدراسة: وفقاً للمادّة العلمية، وطبيعة البحث، سعى الباحث إلى دراسة تبادل الأفعال الإنجازيّة ودلالاتها في القصيدة، في تمهيد ومبحثين، ويليهما الخاتمة والمصادر والمراجع. تمهيد: وفيه: التعريف بالشاعر، وتقسيم الأفعال الإنجازيّة.

المبحث الأول: الجانب النظري - أقسام الأفعال واستخداماتها، ونظرية الأفعال الكلامية.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي لدلالة الأفعال في القصيدة.

تمهيد

الشاعر عبد الله رضوان: هو عبد الله مُحَمَّد موسى رضوان، اشتهر بعبد الله رضوان، وُلِدَ في أريحا عام 1949م (رضوان، 1999: 251)، بعد هجرة والديه من بيت محسير قضاء القدس، عام 1948م، خرج عبد الله إلى عَمَّان، وكان عُمره ثمانية عشر عاماً، وتلقّى رضوان تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدارس وكالة الغوث في مخيم الكرامة في غور الأردن، والتعليم الثانوي في مدينة الشونة الجنوبية، وقدم الثانوية العامة في مدينة السلط، عام 1967م (رضوان، 1999: 376)، وحصل بعد ذلك على بعثة دراسية من وزارة التربية والتعليم لدراسة مادة الجغرافيا في الجامعة الأردنية، وتخرّج فيها عام 1971م (أبولين، 2004: 8). وهو عضو رابطة الكتّاب الأردنيين المعاصرين، ومن الذين شاركوا في إثراء الحركة الأدبية الأردنية من خلال إصداره «الخروج من سلاسل مُؤاب- شعر» وغيره، ويُعدُّ من الأسماء الشعرية المهمة في الساحة الثقافية؛ إذ أسهم في إغناء المشهد الشعري بنتائج على درجة جيدة من المعرفة التي تحفل بالحدثة (مواجهة، 2005: 11).

وأسهم شاعرنا في إحياء التراث العربي، وأمدَّ المكتبة العربية بعشرات الكتب؛ منها: إصدارات خاصة به (تسعة عشر) كتاباً، وإصدارات مشتركة (عشرة) كتب، وشارك في العديد من المهرجانات والمؤتمرات الأدبية، ونال عدّة جوائز علمية.

وأهم أعمال عبد الله رضوان السابقة:

- (أ) معلّم ومدير مدرسة في وزارة التربية والتعليم.
- (ب) مدير العلاقات العامة في وزارة الثقافة-عمّان.
- (ج) مدير الدراسات والنشر في وزارة الثقافة-عمّان.
- (د) مدير الدائرة الثقافية-أمانة عمّان الكبرى (رضوان، 2003: 88-90).

المبحث الأول

الجانب النظري - أقسام الأفعال واستخداماتها

ونظرية الأفعال الكلامية

أولاً- الأفعال المجردة والمزيدة:

وتنقسم الأفعال المجردة إلى قسمين: ثلاثي أو رباعي.

قال سيبويه: «وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال وغيرهما، مزيداً فيه وغير مزيد فيه؛ وذلك لأنه كأنه هو الأول، فمن ثمّ تمكّن في الكلام. ثمّ ما كان على أربعة أحرف بعده، ثمّ بنات الخمسة؛ وهي أقلّ لا تكون في الفعل البتّة، ولا يكسر بتمامه للجمع؛ لأنها الغاية في الكثرة فاستثقل ذلك فيها؛ فالخمسَةُ أقصى الغاية في الكثرة» (سيبويه، 1988: 4/ 229-230)، وتعلّل خديجة الحديثي على اقتصار التقسيم إلى ثلاثي أو رباعي بقولها: «فالمجرّد في الفعل: إمّا أن يكون ثلاثيّاً أو رباعيّاً، ولم يرد فعلٌ على خمسة أحرف أصلية؛ لأنّ الفعل نقص -مزيداً وغير- مزيد- عن بناء الاسم حرفاً، ولأنّ الاسم أقوى من الفعل؛ لاستغناء الاسم عن الفعل، واحتياج الفعل إليه» (الحديثي، 1965، 377).

وتنقسم الأفعال الثلاثيّة المجردة إلى قسمين:

وتكون على ثلاثة أبنية: أ-فعل بفتح العين، نحو: نصر ب-فعل بكسر العين، نحو: علم، ج-فعل بضمّ العين، نحو: كرم. «ومن الملاحظ أنّ فاء الفعل الثلاثي في الحالات السابقة مفتوحة دائماً حتى، يحصل للمتكلم العذوبة في اللفظ ويصغي السامع إليه، لأنّيس المسامع بالأخف، بخلاف الاسم، فإنّه لما كان خفيفاً يُجوزون الابتداء فيه بالثقل» (نور الدين، 1997: 177).

ويلاحظ -أيضاً- أنَّ عَيْنَ الفعل تقلَّبت بين ثلاث حركات، هي: الفتحة، والكسرة، والضمة، وقد استثنيت السكون، ويرجع ذلك إلى أنَّ الفعل إذا اتصل به ضمير رفع متحرك لزم إسكان آخره، وبذلك تحدث صعوبة في التطق، وهذا ما أشار إليه أبو حيان بقوله: «واختلفوا في تعليل سكون آخر الفعل: فأكثر النحويين على أنَّه إنَّما سکن لئلا يتوالى أربع حركات في شيئين هما كشيء واحد؛ لأنَّ الفاعل كجزء من الفعل» (أبو حيان، «د.ت»: 2/ 144).

أمَّا الأفعال الثلاثية المزيدة فتلاثة أقسام: ما زيد فيه حرف واحد، وما زيد فيه حرفان، وما زيد فيه ثلاثة أحرف، فغاية ما يبلغ الفعل بالزيادة ستة؛ بخلاف الاسم، فإنَّه يبلغ بالزيادة سبعة لِثقل الفعل، وَخَفَّة الاسم؛ فالذي زيد فيه حرف واحد، يأتي على ثلاثة أوزان: الأول: أَفْعَلَ، كأكرم، والثاني: فاعَلَ، كقاتل، والثالث: فَعَّلَ بالتضعيف، كفَرَّحَ، والذي زيد فيه حرفان يأتي على خمسة أوزان: الأول: انفعَلَ، كانكسر، والثاني: افتعلَ، كاجتمع، والثالث: افعلَّ، كاحمَرَّ، واصفَرَّ، واعورَّ، وهذا الوزن يكون غالباً في الألوان والعيوب، والرابع: تفعلَّ، كتزكَّى، ومنه اذْكَرَ واطَّهَّرَ (والأصل في ذلك: تذكَّرَ، وتطهَّرَ)، والخامس: تفاعلَ، كتباعَدَ وتشاورَ (الحملوي، 1965: 38-39).

والذي زيد فيه ثلاثة أحرف يأتي على أربعة أوزان:

الأول: استفعلَّ، كاستخرج، واستقام.

والثاني: افْعَوْعَلَ، كاغْدَوْدَنَ الشعر إذا طال.

والثالث: افْعَالَ، كاحمارَ واشهابَ: قَوِيَتْ حُمْرَتُهُ وشُهِبَتْهُ.

والرابع: افْعَوَّلَ كاجلَوَّذَ: إذا أسرع، واعلَوَّطَ، أي: تعلق بعنق البعير فركبه (الحملوي، 1965: 39).

أوزان الرباعيِّ المَزِيد فيه وملحقاته: ينقسم الرباعيُّ المَزِيد إلى قسمين: الذي زيد فيه حرف واحد، وزن واحد، وهو تَفَعَّلَ كتدحرج. والذي زيد فيه حرفان وزنان: الأول: افعلنَّ، كاحرنجم، والثاني: افعلَّلَ، كاقشعرَّ (الحملوي، 1965: 39).

ثانياً- معاني صيغ زوائد الأفعال: على عدّة أوزان؛ منها:

1 - أَفْعَلَ: وهي أكثر الصيغ تشعباً وتردّداً في الاستخدام، والمعاني التي تؤدّيها في سياقات متنوعة ولها معاني عدّة:

الأول: لِلتَّعْدِيَةِ غَالِباً، ومعنى التعديّة: أن يصير ما كان فاعلاً للفعل الثلاثي مفعولاً لأَفْعَلَ، موصوفاً بأصل الفعل، نحو: جلس زيدٌ وأَجْلَسْتُهُ (الرضي، 2004: 1/ 249)؛ فإذا كان الفعل لازماً صار بها متعدّياً لواحد، وإذا كان متعدّياً لواحد صار بها متعدّياً لاثنين وإذا كان متعدّياً لاثنين، صار بها متعدّياً لثلاثة، ولم يُوجد في اللغة ما هو متعدّد لاثنين، وصار بالهمزة متعدّياً لثلاثة، إلّا رَأَى وَعَلِمَ، كَرَأَى وعلم زيدٌ بكراً قائماً، تقول: أَرَيْتُ أو أَعْلَمْتُ زيداً بكراً قائماً (الحملوي، 1965: 41).

الثاني: يبيح للدخول في مكان، نحو: أُنْجَدَ وأغار، أي: دخل في التَّجْدِ والغُور (الرضي، 2004: 1/ 251).

الثالث: أن يأتي لصيرورة الشيء ذا كذا، أي: يصير الفاعل منسوباً إلى ما اشتق منه ذلك الفعل، نحو: أَحْصَدَ الزرع، أي: صار ذا حصاد (الرضي، 2004: 1/ 250).

الرابع: السَّلْب والإزالة، كأعجمتُ الكتاب، أي: أزلت عجمة الكتاب بنقطه.

الخامس: مصادفة الشيء على صفة، كأحمدتُ زيداً، أي: صادفته محموداً.

السادس: الاستحقاق، كأحصَدَ الزرع، أي: استحق الزرع الحصاد.

السابع: التعريض، كأرهنّت المتاع وأبْعَثْتُهُ، أي: عرّضته للرهن والبيع.

الثامن: أن يكون استفعل، كأعظمته، أي: استعظمته.

التاسع: أن يكون مطاوفاً لفعل بالتشديد، نحو: فطّرتَه فأفطُر، وبشّرتَه فأبشِر.

العاشر: التمكين، كأحفرته النهر، أي: مكنته من حفره (الرضي، 2004: 1/ 250-251).

والحملوي، 1965: 42).

ومن المعاني التي دلّت عليها صيغة أفعل التعريض بالشيء أقتلته، أي: عرّضته للقتل،

وأبعثه: عرضته للبيع (ابن يعيش، 2001: 4/ 438، وابن عصفور، 1996: 128)، وتأتي بمعنى الهجوم، ومثاله: أطلعت عليهم، أي: هجمت عليهم، بينما تعني طلعت: بدوت كما جاء صيغة (أفعل) عند ابن عصفور بمعنى طلوع الضياء، أشرقت (ابن عصفور، 1996: 128). وقد نبه الصرفيون إلى أَنَّ الفعلَ المزيد بالهمزة قد يأتي بمعنى مجرد، مثل: (حرق- أحرق)، وهذا القول لا يؤخذ على إطلاقه؛ خاصة في القرآن الكريم معجزة العربية وقمة بلاغتها (عبد العظيم، 1989: 197).

ومن علماء اللغة من يميز إعمال هذه الأفعال دون بنائها للمجهول، مثل: أنبأ المذيع الناس الجيش زاحفاً، أو مثل: أخبرني صديقي محمداً مسافراً (زياد، 2009: 118). ولقد وردت هذه الأفعال مجردة ثلاثياً، مقترنة بالفعل نفسه مزيداً بالهمزة في العربية، وهي (فَعَلَ، وأَفْعَلَ)؛ حيث حظيت هذه الظاهرة باهتمام لغويينا القدماء؛ وعلى رأسهم سيبويه، ومن بعده الفراء، وأبو زيد، والأصمعي، وابن السكيت، والزجاج، وغيرهم (ابن النديم، 1997: 80-86)؛ «إذ لا يجوز أن يكونَ (فَعَلَ، وأَفْعَلَ) بِمَعْنَى وَاحِدٍ، كما لا يكونان على بناءٍ واحدٍ إلا أن يجيء ذلك في لُغَتَيْنِ؛ أمَّا في لُغَةٍ وَاحِدَةٍ فَمُحَالٌ أن يَخْتَلِفَ اللَّفْظَانِ والمعْنَى وَاحِدٌ كَمَا ظَنَّ كثير من التَّحْوِيَيْنِ واللُّغَوِيَيْنِ، وإنَّما سمِعُوا العربَ تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق، فظنوا أنَّهما بمعْنَى واحدٍ، وتأوَّلوا على العربِ هذا التأويل من ذات أنفسهم،... وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لُغَتَيْنِ متباينَتَيْنِ، أو يكون على معْنَيْنِ مختلفَيْنِ أو تشبيه شيء بشيء» (العسكري، «د.ت»: 23-24، والسيوطي، 1998: 303/1).

وصيغة (فَعَلَ) تُنسب إلى الحجازيين، ويُعرف لسائهم بها، أما صيغة (أَفْعَلَ) فاختص بها التميميون وعُرفوا بها، فلا يجوز أن تقعَ (فَعَلَ وأَفْعَلَ) في لهجة واحدة وتحمل الدلالة نفسها؛ لأنَّ الزيادة في المبنى تُعطي زيادةً في المعنى، ولكنه غير مُطَرِّدٍ، وأحياناً يكون الأقل

في المبنى أبلغ في المعنى، مثل: الفعل حذر (صيغة مبالغة)، وحاذر (اسم فاعل)، فحذر أبلغ من حاذر (اللوقة، 2018: 181)؛ ومذهب سيبويه أنّ (حذراً) صيغة مبالغة؛ محوّل من (فاعل)، المتعدّي لإرادة المبالغة، يعمل عمله قياساً على (فعول وفعل) (سيبويه، 1988: 1/ 113)، والذي يظهر أنّ القول بالتفريق فيهما بجعل (حاذر) اسم فاعل، و(حذر) صفة مشبّهة، بما يقتضيه هذا من اختلاف دلّلتيهما، هو الصواب (السليم، 2006: ص 335).

ويرى الباحث أنّ صيغة (فعل) تختصّ بدلالة، و(أفعل) تحمل دلالة أخرى.
ومن الأفعال التي وردت في القصيدة على هذه الصيغة: أحرّقه - أدمنت - أعلنت.
2 - فاعل: وبعد تتبّع الباحث أفعال هذه الصيغة في القصيدة فلم يجد أيّ فعل يدل على صيغة (فاعل).

3 - فَعَل: يكثر استعمالها في ثمانية معانٍ، تُشارك (أفعل) في اثنين منها، وهما: التعدية، كقوّمت زيداً وقعدته، والإزالة، كجربت البعير، وقشّرت الفاكهة، أي: أزلت جربه، وأزلت قشره. وتنفرد بستّة:
أولها: التكثر في الفعل، كجول: أكثر الجولان، أو في المفعول، كغلّقت الأبواب، أو في الفاعل، كموتت الإبل وبركت.

وثانيها: صيرة شيءٍ شبه شيء، كقوّس زيداً، أي: صار شبه القوس في الانحناء.
وثالثها: نسبة الشيء إلى أصل الفعل، كفسّقت زيداً: نسبته إلى الفسق.
ورابعها: التوجّه إلى الشيء، كشرقت، أو غربت: توجّهت إلى الشرق، أو الغرب.
 وخامسها: اختصار حكاية الشيء، كهلّل وسبح: إذا قال: لا إله إلا الله، وسبحان الله.
وسادسها: قبول الشيء، كشفّعت زيداً: قبلت شفاعته، وربّما ورد بمعنى أصله، أو بمعنى تفعل، كفكر وتفكر، وربّما أغنى عن أصله لعدم وروده، كغيره إذا عابه، وعجّزت المرأة: بلغت السنّ العالية (الحملاني، 1965: 43-44).

نلاحظ أنّ بنية هذه الصيغة (فعل) تقوم على قاعدة بناء الثلاثي المجرد مع تضعيف

وسطه، فتأتي هذه الزيادة لتدلّ على المعنى الآتي، التكثير: ويترتب عليه زيادة في الجهد المبذول الذي يحتاج إليه الثلاثي، وزيادة في الوقت بطبيعة الحال، ومن مقتضيات هذا المعنى المصاحبة له: الدلالة على المبالغة، وعماد هذه الصيغة أن تحقّق الفعل معها يحتاج إلى تكرار وإعادة، ومن هنا تأتي المبالغة والتكثير وزيادة الوقت والجهد المبذولين (عميرة، 2012: 306-307).

ومن أفعال هذه الصيغة التي وردت في القصيدة: يَمَمْتُ - ورَدَ - حَطَّتْ - هَبَّتْ - وحَدَّتْ - فجَرَّتْ.

4 - انْفَعَلَ: يأتي لمعنى واحدٍ، وهو المطاوعة، ولهذا لا يكون إلا لازماً، ولا يكون إلا في الأفعال العلاجية. ويأتي لمطاوعة الثلاثي كثيراً، كقَطَعْتَهُ فانقطع؛ ولمطاوعة غيره قليلاً، كأَطْلَقْتَهُ فانطلق، ولكونه مختصاً بالعلاجيات، لا يقال: عَلَّمْتَهُ فانعلم، ولا فَهَّمْتَهُ فانفهم. والمطاوعة: هي قبول تأثير الغير (الحملوي، 1965: 44).

جاء في المصادر أنّ هذا الوزن مختصّ بالمطاوعة، يقول سيبويه: «وربما استغني عن انفعّل في هذا الباب فلم يُستعمل، وذلك قولهم: طَرَدْتُهُ فذهب، ولا يقولون: فانطرد، ولا فاطرد، يعني أنّهم استغنوا عن لفظه بلفظ غيره إذ كان في معناه» (سيبويه، 1988: 4/ 66، وابن قُتَيْبَة، «د.ت»: 66)، غير أنّه يقال: صرفته فانصرف.

وفي قوله هذا تأكيد الدلالة على المطاوعة، التي اختصّ بها هذا الوزن، إلى درجة يصحّ معها استبدال فعل آخر دالّ على المطاوعة به، ولا يكون (انفعّل) إلا مطاوع فعل: كسَرْتُهُ فانكسر، وحطَّمْتُهُ فانحطم (سيبويه، 1988: 4/ 65، وابن يعيش، 2001: 4/ 439).

ومن أفعال هذه الصيغة التي وردت في القصيدة: انبعث - انشطر.

5 - افْتَعَلَ: اشتهرت هذه الصيغة (افْتَعَلَ) في ستة معانٍ:

أحدها: الاتخاذ، كاختتم زيد، اتخذ له خاتماً.

وثانيها: الاجتهاد والطلب، كاكْتَسَب، أي: طلب الكسب.

وثالثها: التشارك، كاختصم زيد وعمرو: اختلفا.

ورابعها: الإظهار، كاعتظم، أي: أظهر العظمة.

وخامسها: المبالغة في معنى الفعل، كاقْتَدِر، أي: بالغ في القدرة.

وسادسها: مطاوعة الثلاثي كثيراً، كَعَدَلْتَه فاعتدل، وربما أتى مطاوِعاً للمضعف ومهموز الثلاثي، كَقَرَّبْتَه فاقترَب، وقد يجيء بمعنى أصله، لعدم وروده، كارتجل الخطبة، واشتمل الثوب (الحملوي، 1965: 44-45).

وافْتَعَلَ من الصيغ الصرفية الثرية بمعانٍ عدة تدلُّ عليها، فهي تعني الاتخاذ، تقول: «اشْتَوَيْت»، أي: اتخذت شواء، امتطيت الحصان، وتعني المطاوعة (ابن يعيش، 2001: 4/441، والشاطبي، 2007: 8/439)، جمعته فاجتمع، كما تعني الطلب والاجتهاد «اجتهد» (الشاطبي، 2007: 8/439)، والمشاركة: اقْتَتَلَ زَيْدٌ وَعَمْرُو، والإظهار: ابْتَسَمَ، والمبالغة: اقْتَلَعَ، اكتسب (ابن يعيش، 2001: 4/441، والشاطبي، 2007: 8/439)، وتعني تصنّع الأمر أو تكلفه، على غير طبع منه: تصنّع المرض، أي: تظاهر به عن غير مرض حقيقي، ونابَت الصيغة (افتعل) مناب الصيغة المجردة (اشتروا) في مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٦) (١).

وهذا ملمح فطن له علماء الصرف الأوائل، فقال ابن جني في المنصف: «ومنه ما يلحق في الكلام، ولا يتكلم به إلا بزائد؛ لأنه وُضِعَ على المعنى الذي أرادوا بهذه الهيئته... ألا ترى أنَّ الماضي من هذا اللفظ (افتقر) لم ينطق به إلا على مثال (افتعل) والزيادة لازمة له، وهي الهمزة، والتاء في أوله. وقولهم: (افتقر) يشهد بأنهم قالوا فيه: فقير، مثل: ظُرف فهو ظريف» (ابن جني، 1954: 1/15-16)، ومما دلّت عليه صيغة (افتعل) الاختيار؛ اختار واصطفى (أبو عيدة، 1983: 154)، وإنَّ (افتعل) تشترك مع (تفاعل) في أداء معنى التشارك

(1) البقرة: 16.

نحو: اقتتل، بينما ذهب ابن عصفور إلى أنَّ استعمال (افتعل) بمعنى انفعل قليل، نحو: انقاد (ابن عصفور، 1996: 1/192).

ومما يجدر ذكره أنَّ صيغة (افتعل) تتَّجِه إلى إعطاء معنى المبني للمجهول؛ ولاسيَّما في الأفعال التي تشتقُّ منها صيغة (انفعل)، مثل: واشتعل، اکتوت (عميرة، 2012: 309).
من أفعال هذه الصيغة في القصيدة: انتظرت انتهيت - ابتدأت - ابتدأت - اشتعلن، اکتوت - اکتأنا - امتلأت - اشتعل.

6 - أفعَل وَاَفْعَالٌ: وبعد تتبُّع الباحث لهذه الصيغة في القصيدة لم يجد أيَّ فعل يدل على صيغتي: (أفعل وَاَفْعَالٌ).

7 - تَفَعَّل: تأتي الخمسة معانٍ:

أولها: مطاوعة فَعَّل مضعف العين، كَنَبَّهته فتَنَّبَّه. وكَسَّرته فتكسَّر.

وثانيها: الاتخاذ، كتوسَّد ثوبه: اتخذهُ وسادة.

وثالثها: التكلف، كتصَبَّر وتحلَّم: تكَلَّف الصبر والحلم.

ورابعها: التجنُّب كتحرَّج وتهجَّد: تجنَّب الحرَّج والهُجود، أي: التَّوم.

وخامسها: التدريج، كتجرَّعت الماء، وتحفَّزت العلم، أي: شربت الماء جرعة بعد أخرى، وحفظت العلم مسألة بعد أخرى؛ وربَّما أغنت هذه الصيغة عن الثلاثي، لعدم وروده، كتكلَّم وتصدَّى (الحملاني، 1965: 45-46).

هذا الوزن متشكل من الوزن فَعَّل، بزيادة التاء في أوله، والوزنان يدلَّان على المبالغة والتكثير، ويحتاجان إلى مزيد من الوقت والجهد في إظهار الفعل إلى حيز الوجود، غير أنَّ ثمة فرقاً بينهما (W. Wright، «د.ت»: 36).

وجاءت تَفَعَّل بمعنى استفعل: تنجَّز حوائجها واستنجزها، وبمعنى التوقع: تخوَّف، لأنَّه مع التخوف (تَوَقَّع الخوف، وأمَّا (خافه) فلا توقع معها (ابن عصفور، 1996: 1/184).

كما جاء عند ابن قُتيبة دلالتها بمعنى: «إدخالك النفس في أمر حتى تضاف إليه أو تصوير من أهله؛ نحو: تشجّعت، وتجلّدْتُ وتبصّرت، وتمرّأْتُ، أي: صرْتُ ذا مروءة، وتحشّعتُ، وتنبّلتُ، وتدّهقنْتُ، أي: تشبهت بالدهاقين، وتحلّمتُ» (ابن قُتيبة، «د.ت»: 466).

ومما دلّت عليه (تفعّل) التكلف (ابن يعيش، 2001: 161)، كما عنت في سياق آخر التجنّب: تغفله وتحرّج، أي: ترك الحرج. وذكر أيضاً أنّها تبيء بمعنى الاتخاذ، وذلك مثل: تمّنى، توسّد ذراعه (الشاطبي، 2007: 8/ 439)، ومن المعاني التي تؤدّيها هذه الصيغة الكثير: تعطينا (ابن عصفور، 1996: 1/ 185).

ومن الشواهد التي وردت في القصيدة: تلقّت - تعريت - تهجدت - تعلّم - تعودت - توضأت - تצועت.

8 - تَفَاعَلَ: وبعد تتبّع الباحث لهذه الصيغة في القصيدة لم يجد أيّ فعل يدل على صيغة (تفاعل).

9 - اسْتَفْعَلَ: كثر استعمالها في ستة معان:

أحدها: الطلب حقيقة، كاستغفرتُ الله، أي: طلبت مغفرته، أو مجازاً، كاستخرجت الذهب من المعدن.

وثانيها: الصيرورة حقيقة، كاستحجر الطّين، أو مجازاً كما في المثل: إنّ البُعَاثَ بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ (الميداني، «د.ت»: 1/ 10)، أي: يصير كالنّسر في القوة.

وثالثها: اعتقاد صفة الشيء، كاستحسنْتُ كذا واستصوبته، أي: اعتقدت حسنه وصوابه.

ورابعها: اختصار حكاية الشيء، كاسترجع، إذا قال: إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون.

وخامسها: القوة، كاستُهِتِرَ واستكبر، أي: قوى هِئْرُهُ وكبره.

وسادسها: المصادفة، كاستكرمت زيداً أو استبخلته، أي: صادفته كريماً أو بخيلاً، وربّما كان بمعنى أفعَلَ، كأجاب واستجاب، ولطاعته كأحكمته فاستحكم، وأقمته فاستقام. ثم إنّ باقي الصيغ تدلّ على قوة المعنى، زيادة على أصله، فمثلاً اعشوشب المكان يدلّ

على زيادة عُشْبُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْبٍ، وَاحْشَوْشَنَ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْخَشُونَةِ أَكْثَرَ مِنْ خَشْنٍ، وَهَكَذَا (الحملاني، 1965: 48).

يُعَدُّ هَذَا الْوِزْنَ مُنْبَثِقاً مِنْ (أَفْعَل) وَاخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِدَلَالَةٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الْآخَرِ بِاخْتِلَافِ الْحُرُوفِ الْمُضَافَةِ إِلَى صِيغَتِهِ؛ فَالْهَمْزَةُ الزَّائِدَةُ فِي أَعَدَّ صَيَّرَتْ مَعْنَى الْفِعْلِ إِلَى الْإِعْدَادِ وَالتَّجْهِيزِ: (prepare) لشيءٍ أَوْ مَهْمَّةٍ، وَأَمَّا اسْتَعَدَّ فَتَعْنِي صَارَ مُسْتَعِداً (to be ready (W.Wright «د.ت»: 44).

وهذه الصيغة هي إحدى الصيغ التي تشترك في معنى المطاوعة (الشاطبي، 2007: 8 /433)، (تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ وَافْتَعَلَ وَتَفَعَّلَ، وَاسْتَفْعَلَ)، ومثال ذلك: أَحْكَمْتَهُ فَاسْتَحْكَمْ، كَمَا تَفِيدُ الطَّلَبُ: اسْتَأْذَنَ (أَبُو حِيَّانٍ، 1998: 1/ 179)، وَالْإِعْتِقَادُ: اسْتَصَوَّبْتَهُ، وَتَعْطِي مَعْنَى تَفَعَّلَ: اسْتَغْظَمَ، وَتَكَبَّرَ وَاسْتَكْبَرَ... (ابن السراج، 1988: 3/ 128، وَابْنُ يَعِيشَ، 2001: 6/ 611)، وَيُرَى الْعُضَيْمِيُّ أَنَّ «اسْتَكْبَرَ لَمْ تَسْتَمِدَّ مَعْنَى الْقُوَّةَ فِيهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ دَلَالَتِهَا لَا صِيغَتِهَا، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ فَرْقاً بَيْنَ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ؛ فَأَجَابَ تَعْنِي: رَدَّ الْجَوَابَ، وَأَمَّا اسْتَجَابَ فَتَعْنِي: انْقَادَ لِلرَّدِّ، وَقَدْ أَقْرَرَ جَمْعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (إِضَافَةً مَعْنَى (الانْتِخَازِ) إِلَى جُمْلَةِ الْمَعَانِي الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا (اسْتَفْعَلَ): اسْتَعْبَدَ وَاسْتَأْجَرَ وَاسْتَأْتَى» (العضيمي، 2003: 634).

وَمِنْ أَفْعَالِ هَذِهِ الصِّيْغَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْقَصِيدَةِ، هِيَ: اسْتَغَابُوا - اسْتَفَاقُوا - اسْتَفَاقَ.

10 - تَفَعَّلَ: وَزْنَ الْفِعْلِ الرَّبَاعِيِّ الْمَزِيدِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، هُوَ (تَفَعَّلَ)؛ وَدَلَّلَ عَلَى وَضْعِ نَحْوِيٍّ وَدَلَالِيٍّ مِنْ حَيْثُ الْجَانِبُ الصَّرْفِيُّ، هَذَا مِنْ نَاحِيَةٍ، وَجَانِبٍ آخَرَ يُوجِبُ مَرَاعَاةَ آلِيَةِ الْوَضْعِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَصُولِ الْمَتَّبَعَةِ فِي ذَلِكَ (شديد، 2004: 40).

وَمِمَّا يَلْفِتُ النَّظَرَ أَنَّ تَرْتِيبَ الصِّيْغَةِ الصَّرْفِيَّةِ لَدَى عُلَمَاءِ التَّرَاثِ اللُّغَوِيِّ كَانَ حَسَبَ الْعَدَدِ الْمُضَافِ مِنَ الْحُرُوفِ، فَهِيَ لَدَيْهِمْ: مَزِيدٌ بِحَرْفٍ (أَفْعَلُ وَفَاعِلُ وَفَاعِلُ)، وَمَزِيدٌ بِحَرْفَيْنِ (تَفَاعَلُ وَتَفَاعَلُ وَانْفَعَلَ وَافْتَعَلَ وَافْعَلُ) وَمَزِيدٌ بِثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ (اسْتَفْعَلَ وَافْعَوَعَلَ وَافْعَالُ) (ابن يعيش، 2001: 4/ 436-444، وَابْنُ عَصْفُورٍ، 1996: 118).

ومن أفعال هذه الصيغة التي وردت في القصيدة، الفعل: تملّمْ.

ثالثاً- نظرية الأفعال الكلامية:

تُعَدُّ «نظرية الأفعال الكلامية» من أهم النظريات التي قامت عليها الدراسات التداوليّة، وتتجلّى قيمتها في أنّها حاولت أن تتجاوز النظرة التقليدية للكلام، والتي كانت تركز على الطرح الوصفي المعرفي له، لتهتم أكثر بالبُعد العملي المؤثر له، ومنه ربطت الصلة بين القول والفعل.

وقبل الإشارة إلى البدايات الأولى للأفعال الكلامية لدى الغربيين لا بُدَّ من التعرّيج على التراث العربي لتتبّع دراسة أساليب الكلام، وأقسامه عند النُحاة والبلاغيين وعلماء اللغة؛ إذ تُعَدُّ أساليب الكلام الخبرية والإنشائية ومعانيهما البلاغية من توكيد، وإغراء، وتحذير ووعيد، واستغاثة وندبة، وعرض وتحضيض... إلخ كلّها من الأفعال الكلامية التي درسها اللّغويون قديماً تحت أبوابها النحويّة المعروفة سمةً من سمات التداولية التي طبعت جهودهم تلك، والتي تتجلّى في أعمال بعض النحاة على غرار عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، والرضيّ الأستراباذي (ت686هـ) اللّذين تبرز عنايتهما الكبيرة بالارتباط التداولي بين الأسلوب خبراً كان أم إنشَاءً، وبين معناه الإبلاغي ووظيفته التواصلية، مع حرصهما القويّ والمتكرر على الاهتمام بـ«المعاني» و«الأغراض البلاغية» المتوخّاة من «الخطاب»، وإصرارهما على أنّ البنى التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية، وليس العكس، فسلكا منهجاً متميّزاً في تحليل بعض الظواهر التركيبية: كالتقديم والتأخير، والتعيين والإثبات والنفي... إلخ، والتي لا تعدو أن تكون غاياتٍ تواصليةً يسعى المتكلّم إلى تحقيقها، أمّا بلغة المعاصرين فهي أفعال كلامية، طالما أنّه يُراد بها تخصيص الخطاب، أو الحرص على تضمين الخطاب فائدة تواصلية معيّنة (صحراوي، 2005، 219).

وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: «إنّ الناس يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلّم ومقصده الرامي والهادف إليه» (الجرجاني، 1984: 408)، فهو يؤكد على أنّ

معاني الكلام هي مقاصد وأغراض ينشئها المتكلم في نفسه أولاً، كما حدّد تلك المعاني بالخبر، الأمر، والنهي، الاستفهام والتعجب...، وهذا يعني أنّ فعل الكلام له صلة بما يمكن أن نسمّيه علم المقاصد.

أمّا ابن جني (ت392هـ) فيراه كلّ لفظ استعمل بنفسه وجنّيت منه ثمرة معناه فهو كلام... فكلّ كلام قول وليس كلّ قول كلاماً (ابن جني، 1952: 1/18)، إذن يفهم من هذا أنّ الكلام هو ما يؤدّي معنًى مفيداً مستقلاً بنفسه، أمّا ما لا يؤدّي ذلك فسمّاه ابن جني القول.

رابعاً- الأفعال الإنجازية:

يعدّ (سيرل) واضع الأسس المنهجية لنظرية أفعال الكلام ومُرسّي قواعدها ومطوّر أفكار (أوستين)، وتنهض أفكاره على مبادئ، منها:

1- الفعل المتضمّن في القول (الإنجازي) هو الوحدة الصغرى للاتصال اللّغويّ وللقوة الإنجازية دليلاً يبيّن لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدّيه المتكلم حين نُطقه الجملة؛ كالنّبر والتنغيم وصيغ الفعل .

2 - الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم؛ بل يرتبط -أيضاً- بالعرف اللّغويّ والاجتماعي (جلولي، «د.ت»: 58).

تعريف الفعل الإنجازي: نصّ «سيرل» على أنّ الفعل الإنجازيّ هو الوحدة الصّغرى (minimal unit) للاتصال اللّغويّ، وأنّ للقوة الإنجازيّة دليلاً يُسمّى دليل القوة الإنجازيّة (illocutionary force indicator) يبيّن لنا نوع الفعل الإنجازيّ الذي يؤدّيه المتكلم بنطقه للجملة (أبو نخلة، 2002: 45).

الفعل الكلامي (act of speech): إحداث الأصوات الكلاميّة بنظام ذي شكل ودلالة، أي: ذي صيغة ومعنى (الحوّلي، 1982: 4).

الفعل الكلامي عند سيرل أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم؛ بل هو مرتبط

-أيضاً- بالعرف اللغوي والاجتماعي (أبو نحلة، 2002: 47).

مفهوم الفعل الكلامي عند أوستين: أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواةً مركزية في كثير من الأعمال التداولية، والمؤسس الأول لهذه النظرية الفيلسوف الإنجليزي (أوستين)، فهو يرى أنّ وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب؛ وإنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية (بلخير، 2003: 155).

أصناف الفعل الكلامي عند أوستين:

(1) أفعال الأحكام (Verdictives): وهي التي تعبّر عن حكم يصدره محلّف، أو محكّم، وليس من الضروري أن تكون أحكاماً نهائيةً أو نافذة، فقد تكون تقديريةً أو ظنيّة، مثل: يبرئ، يقدر، يعين، يقوم، يشخص (مرضاً)، يحلل.

(2) أفعال القرارات (exercitive): التي تعبّر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضده، مثل: يأذن، يطرد، يحرم، يجند، يختار، يوصي، يحذر، يصرح ب، يُحدث، يعتذر، ينصح.

(3) أفعال التعهّد (commissives): وهي التي تعبّر عن تعهّد المتكلم بفعل شيء، أو إلزام نفسه به، مثل: أعد، أتعهّد، أتعاقد على، أضمن، أقسم على، أقبل.

(4) أفعال السلوك (behabitives): وهي التي تعبّر عن ردّ فعل لسلوك الآخرين، ومواقفهم، ومصائرهم كالاعتذار، والشكر، والتعاطف، والفقد، والمواساة، والتحيّة، والرجاء والتحدّي.

(5) أفعال الإيضاح (expositives): وتستخدم لإيضاح وجهة النظر، أو بيان الرأي، وذكر الحجّة، مثل: الإثبات، والإنكار، والمطابقة، والملاحظة، والتنويه، والإجابة، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك، والموافقة، والتصويب، والتخطئة (أبو نحلة، 2002: 69-70).

مكوّنات الفعل الكلامي عند «أوستن»: مركّب من ثلاثة أفعال، تُعدّ جوانب مختلفة

لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر إلا لغرض الدرس، وهي:

(1) الفعل اللفظي (locutionary): ويتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدّد، وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه (Thomas, J. "1996" P.49).

(2) الفعل الإنجازي (illocutionary): وهو ما يؤدّيه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

(3) الفعل التأثيري (Perlocutionary): ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع، وقد فطن «أوستن» إلى أنّ الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعها؛ فمنها ما لا تأثير له في السامع (أبو نحلة، 2002: 45).

المبحث الثاني

الجانب التطبيقي لدلالة الأفعال في القصيدة

بدأت القصيدة في الديوان من صفحة (10) حتى صفحة (29)، وعدد الأفعال المستخدمة في القصيدة: (275) فعلاً؛ وقد أكثر الشاعر من استخدام الفعل المضارع في قصيدته.

كانت الصحراء تغزوني وحيداً.

فتلفت ورائي...

وشربت المستحيل (رضوان، 1982: 10).

الأفعال: (1) ماضٍ: كانت، تلفت، شربت. (2) مضارع: تغزوني. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعر كلمة (وحيداً) في القصيدة (تسع) مرات في الصفحات

الآتية: (ص10) (كانت الصحراء تغزوني وحيداً) مرة واحدة، (ص13) (وحيداً وقفت على جبل أجرد كالخليقة، وحيداً وقفت) مرّتين، و(ص14) (وحيداً وقفت، وحيداً وينقضّ) مرتين، و(ص17) (وحيداً ستبعث، وحيداً تموت، تبقى وحيداً كالنجم) ثلاث مرات، و(ص20) (وحيداً تقول) مرة واحدة، وهي واقعة حالاً لتأكيد التفرد وليس مع الجماعة يعاضد الواحد منهم الآخر.

واستخدم الفعل الماضي الناقص الناسخ (كانت) ليعبرَ عمّا في داخله من وحدة ولا يشاركه فيها إلا الصحراء، وتبادلات الأفعال مع كلمة (وحيداً) بين الفعل المضارع في (سته) أفعال مستخدماً؛ حروف الزيادة أو مجرّدة أو السين، ومع الفعل الماضي (ثلاثة) أفعال أسندت إلى تاء المتكلم في الفعل (وقفت).

واستخدم الفعل (تغزوني) التاء ليست زائدة؛ بل من حروف المضارعة، والتّون والياء حرفان زائدان، وقد أضافا إلى الكلمة الأصليّة معاني جديدة، وهو من الأفعال التي تدلّ على الدمار والخراب والتشاؤم، ويخاطب نفسه كثيراً عندما أسند الفعل (وقفت) إلى تاء المتكلم ليبدّل على الإصرار والوحدة، وحالة الوقوف والاستعداد لهذه اللحظة، والفعل (شربْتُ) على وزن (فَعِل) يدلّ على سيكولوجية نفسية عانى الشاعر منها، فقله: وشربْتُ المستحيل؛ (فالمستحيل لا يُشرب)، وهذا الفعل يدلّ على الحالة البيولوجية للشاعر، أي: الحيويّة، أمّا الفعل (تلقّت) فهو على وزن (تفَعّل)، يفيد التكلّف، والأفعال الثلاثة من الأفعال التعهديّة السلوكيّة الإيضاحيّة؛ فيها معاني التحدي، ولكنّ الشاعر استخدم صورة جماليّة لها دلالتها النفسية التي يعاني منها، «ولذا لعب المُحدّد الدّلاليّ دوراً مهمّاً في تحديد المعنى الذي يتطلبه السياق بين المعاني العديدة للكلمة» (الشيخ، 1999: 40).

وحيداً وقفت على جبل أجرد كالخليقة،

والرّم ملء المدى واسع للحكاية،

يرسم بجرّاً من الماء،

حولي إلى الشرق يلمع أفق من الأصفر الفاقع الحدّ،
والغرب ينهار للبحر كالطود،
لألاء، والشمس عارية كالخطيئة تضرب جلدي...
وحيداً وقفت،

تركت دثاري المزيّف فوق المدينة،
أحرقته وانبعثت جديداً كطير الفينيق،
لا موطن للمطارّد، وأضرب في الأرض،
حولي بكاء اليعاسيب،
خشخشة العشب،
والريح ضامرة تستعد لغزو الغريب المغامر،
هذا امتدادادي الجديد،
فلا تشعلوا الصدر بالموت،
والزعفران المعتّق (رضوان، 1982: 13).

الأفعال: (1) ماضٍ: وقفت، وقفت، تركت، أحرقته، انبعثت. (2) مضارع: يرسم، يلمع، ينهار، تضرب، أضرب، تستعد، لا تشعلوا. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعر خمسة أفعال ماضية مسندة إلى تاء المتكلم (وقفت، وقفت، تركت، أحرقته، انبعثت)، والفعل (أحرق) مزيد بالهمزة وهو من الأفعال التشاؤمية؛ لأنّ الحريق يسبب الدمار والخراب، والفعل (انبعثت) مزيد بالألف والتّون والتاء، كلها زيادة على المبنى فنتج عنها زيادة في المعنى على وزن (انفعلت).

ومن الأفعال المضارعة سبعة أفعال؛ منها: (يرسم، ويلمع) يدلّان على التفاضل من كلمة البحر والأفق، بينما الفعل المزيد (ينهار) يدلّ على الخراب وما يسببه

الانهيار من كوارث كثيرة، أما الفعل (تضرب) فيدلُّ على العقاب من الشمس وفيه إصرار، والفعل المضارع المجرد (أضرب) همزته للمتكلم؛ لأنَّه يتحدث عن نفسه، ليدلَّ على تنقله من مكان لآخر في الأرض؛ فالفعل يشير إلى السَّعي في الأرض للرزق، فدلالة الفعل تختلف عن دلالة الضرب المسبب للأذى، ويختلف عن الإشارة إلى ضرب معيّن، أي: شكل (ما). ودلالته تختلف عن ضرب العملة، وتختلف عن دلالة ضرب الجمل للناقة عند اللّقاح؛ فالفعل لا يأخذ دلالاته إلّا إذا اقترن ببنية، وهذا الاقتران هو الذي يفصل المفردة عن المركب، وهذا الاقتران يكون شبيهاً بالاشتراك اللَّفظي، وتعدّد المعنى.

والفعل (تستعد) فيه إصرار وعنف، والاستعداد لمواجهة الغريب بكلّ أنواع السلاح، أمّا فعل المضارع (لا تشعلوا) مجزوم فمسبوق بلا الناهية، ومُسند إلى واو الجماعة، ويدلُّ على التشاؤم من الموت، واستعدادهم لإشعال الحرب.

إنيّ ابتدأت،

فلا توقفوا حزن هذا اللقاء.

وحيداً، وقفت،

وكانت نسور الجبال تغادر أوكارها للسماء،

...أتغزو...؟

وما ضرّ؟

إنيّ ابتدأت الطراد،

ويَمّت شطر الشمال عيوني البريئة من شهقة الموت،

أحتضن الفجر،

أرسم في القلب ألف سؤال،

وكانت «مؤاب» البداية تستقبل الظهر مذهلة كالطلاس،

أعلن للعشب هذا ابتداء.

من هنا تبدأ الجلجلة...

من هنا تخرج الأسئلة...

من هنا...

من هنا يُبعث الشعر والأخيلة.

وحيداً وينقُص (رضوان، 1982: 14).

الأفعال: (1) ماضٍ: ابتدأت، وقفت، كانت، ابتدأت، يَمَّت، كانت. (2) مضارع: لا

توقفوا، تغادر، تغزو، أحتضن، أرسم، تستقبل، أعلن، تبدأ، تخرج، يُبعث، ينقُص. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعر ستّة أفعال ماضية؛ منها: فعلين ناسخين، والأربعة الباقية أسندت إلى تاء المتكلم، وفعلين بمعنى البداية (ابتدأت)، ووقفت ويمّت، تحمل هذه الأفعال معنى التشاؤم لارتباطها بالموت، بينما الأفعال المضارعة تحمل معنى التفاؤل، (تغادر) تبحث عن رزقها، والفعل (أتغزو؟) مسبوقاً بهمزة الاستفهام يتساءل الشاعر عن مغادرة النسور، هل للغزو أو لجلب الطعام لنفسها؟ وهذا فيه معاني تشاؤمية تدلّ على الإصرار والتحدي، وهي من الأفعال الإنجازيّة السلوكية، والأفعال (أحتضن، أرسم، أعلن) أفعال تحمل معاني إيجابية، وهي من الأفعال الإنجازيّة التعهدية، والفعل (تستقبل) على وزن (تستفعل)، والأفعال (تبدأ، تخرج، يُبعث، ينقُص) تحمل معاني الحركة والنشاط والتدرّج في الحدث، وفعل المضارع (لا توقفوا) مجزوم مسبوق بلا الناهية المسند إلى واو الجماعة يدلّ على إصراره، ويطلب عدم وقف الحزن.

يا نسر لا تبتئس من جراحي العتيقة،
ينحدر النسرُ
لست الغنيمة
ينقضُّ،
يا نسرُ، ينقضُّ، يقترب الآن،
ها مخلب جارح كالْحَقِيقَة،
... واتّحد النسر بالقلب،
ها نحن نمضي بعيداً إلى الأفق والشمس،
نمتد فوق الضياء.
لماذا الجنوب؟
فأسمع سقسقة الشعر والأنبياء.
لماذا الجنوب؟
هنالك يمتد طقس من العشق،
والأرض جارحة كالْخَطِئَة،
هذا هو النسر ينفذ عن كاحليه سموم الخليفة،
فلنبتدئ من جديد،
أراك دماراً، تحيئون من نتن الموت،
خلفي جبال من العشق فلنحتضنها،
ونمضي إلى الشعب،
لا تعجبوا من غنائي الحرون⁽¹⁾،

(1) الحرون: عدم الانقياد (ابن منظور، 1993: 13/ 110).

سيقترّب الفجر،

في الأفق تعوي صحاري ذئاب (رضوان، 1982: 15).

الأفعال: (1) ماضٍ: لست، اتّحد. (2) مضارع: لا تبتئس، ينحدر، ينقضّ، ينقضّ، نمضي، نمتد، أسمع، يمتدّ، ينفضّ، فلنبتدئ، أراكم، تحيئون، فلنحتضنها، نمضي، لا تعجبوا، سيقترّب، تعوي (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعرُ الفعل الماضي الناقص الناسخ المسند إلى تاء المتكلم (لست)، ليؤكد للنّسر بأنّه ليس غنيمة، والفعل الماضي المزيد المضعف (اتّحد) يؤكد على علاقة المجاورة، وهي من علاقات المجاز المرسل (القلب والنسر)، والنّسر يرمز للعظمة والقوة والتحدّي، لقول الشاعر أبي القاسم الشّابي: [الكامل]

سَأَعِيشُ رَغَمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَاءِ⁽¹⁾

بينما من الأفعال المضارعة منها ما يحمل الأصوات والحركة والنشاط، وبها معانٍ تشاؤميّةٌ من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية (لا تبتئس)، و(ينحدر)، وكرر الشاعر الفعلين: (ينقضّ، ونمضي) مرتين، والأفعال: (نمتد، وأسمع، ويمتد، وينفضّ، فلنبتدئ، وأراكم، والفعل فلنحتضنها على وزن: فلنستفعلها)، والأفعال: (نمضي، وسيقترّب، وتعوي) فيها حركة وأصوات، وأغلب الأفعال فيها أحرف الزيادة التي تدلّ على الطلب، والفعل (تحيئون) مسند إلى واو الجماعة يحمل معاني تشاؤميّة توجي بنّتن الموت، والفعل (لا تعجبوا) المسبوق بلا الناهية عندما جمع بين شيئين متناقضين الغناء والحرون.

فيجتمع الكون،

يشعل النوء في القلب،

ينفجر الصبح،

(1) (الشّابي، 2005: 11).

هذا غناء العصافير،

أسمع صوت رفيف الفراشة،

أهتف هذا اشتهاً.

لتلك التي لم تزل تنثني للصغار،

لرائحة العشب والانتظار،

لطفل المدينة،

للعاشقين،

أنا النسر،

أعلن عرس ابتدائي...

هو النسري شرع أذياله في المسافات،

تعقب رائحة الورد والأقحوان،

فتأتي الحسان فرادى إلى الكوة⁽¹⁾ الذهبية،

هل تعشق الغيد؟

للقلب حالت موت ألا تعرفين،

انتظرتك عشرين حولاً (رضوان، 1982: 16).

الأفعال: (1) ماضٍ: انتظرتك. (2) مضارع: يجتمع، يشتعل، ينفجر، أسمع، أهتف،

لم تزل، أعلن، يشرع، تعقب، فتأتي، تعشق، ألا تعرفين. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعر الفعل (انتظرتك) بزيادة الهمزة والتاء، وهو

يفيد التحويل، والأفعال المضارعة المزيّدة (يجتمع) يدلُّ على المشاركة في الاجتماع،

(1) الكوة: فتحة في الجدار للتهوية والإضاءة (التَّوَوِي، 1987: 202).

(ويشتعل، وينفجر، وأسمع، وأهتف) تدل على الأصوات والرؤية، وتحمل معنى الأحاسيس والمشاعر لدى الشاعر، والفعل الناقص الناسخ (لم تزل) يثبت صورة الفراشة، وهي من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية، بينما الأفعال (أعلن) من الأفعال الإنجازيّة التعهدية، وهو يحمل معنى سعيداً، والفعل (يشرع) يدلّ على الحركة والنشاط، واستخدم الشاعر المعاني الجميلة وفيها الورد والأقحوان من خلال الفعل (تعبق)، وربط الشاعر بين الحسان والكوة الذهبية بالفعل (تأتي) وهو فعل يحمل معنى إيجابياً جميلاً، واستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام (هل تعشق؟) فجاء السؤال في طياته الإنكار، وهو من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية، وكذلك الفعل (ألا تعرفين) فيه إثبات وتأكيد (التقرير)، وهو من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية أيضاً.

تعريت في الجبل العذب،

أستنشق السرة العربية،

نهر من المسك،

بين الذرى والبداية،

يمتد طقس من الوتر،

إني تهجدت عريك،

في الأفق نذر مجراً من الرمل،

تقترب السافيات،

وينتفض النسر،

لا ينتمي للهزيمة،

يا نسر فلتنفجر في الخليقة حلماً،

وحيداً ستبعث،

يقتلك العصر،
لا تبتئس من جراح الرفاق،
فهذا ابتداء الطريق الطويل،
وحيداً تموت،
ويتبعك الفقراء العجاف،
يهشون للعصر،
هذا ابتدائي ولن تفهموه،
فيا جوع فجر عيون المدينة من شهوة الخوف والانحناء.
... ويا نسر،
تبقى وحيداً كما النجم،
تركض في الأفق (رضوان، 1982: 17).

الأفعال: (1) ماضٍ: تعريت، تهجدت. (2) مضارع: أستنشق، يمتد، نذرع، تقترب، ينتفض، لا ينتمي، فلتنفجر، ستبعث، يقتلك، لا تبتئس، تموت، يتبعك، يهشون، لن تفهموه، تبقى، تركض. (3) أمر: فجر.

التوضيح: استخدم الشاعر عبد الله رضوان الفعلين الماضيين المزيدين والمسندين إلى تاء المتكلم (تعريت) على وزن تفعل تفيد التكلف، وجاء بمعنى استوعر السير في الجبل وصعوبة السير فيه، والفعل (تهجدت) على وزن تفعل، بمعنى الصلاة ليلاً، وهما إعلان متفقان دلاليّاً في الصبر والتمهل، بينما الفعل المضارع (أستنشق) المزيّد بثلاثة حروف الهمزة والسين والتاء، وهو على وزن (استفعل)، وأحرف الزيادة تدلُّ على الطلب، أمّا الأفعال المضارعة فتوجد أفعال حركية، مثل: (يمتد، نذرع، تقترب، ينتفض فلتنفجر، ستبعث، يقتلك، تموت، يتبعك، تركض) فيها أفعال مجردة ومزيدة، وأفعال معنوية حسية (لا ينتمي،

لا تبتئس، لن تفهموه، تبقى) أمّا الفعل (يهشون) فمن الكلمات ذات المعاني الإيجابية، أمّا فعل الأمر المضعف (فجّر) فيحمل معنى معنوياً يطلب الشاعر من الجوع تفجير عيون المدينة من شهوة الخوف والانحناء.

والأرض ساجحة في التشكل،

يظلمك الأقربون وتعلن،

أعشقكم واحداً واحداً...

وحوش البرية، وشوشة الريح،

أغنية الفجر،

والنسر يمتد في الفرع الأخضر الحدّ،

يشتل الأفق بالياسمين،

ويعلن للريح صوت النداء.

غريباً،

كخريشة الطفل،

تهتف،

هذا انتمائي إلى الوطن الحلم،

سيدة في عروق الدوالي،

تخبئ جيداً كما الشمس،

أركض، عيناك خارقتان،

ونهدك قبضة دفء،

وجسمك حقل من الفضة،

الشعر مرج سنابل،

ها نحن نتحد الآن،

نكتب مريّة للزمان الرديء،

انظريني فجراً يجيء (رضوان، 1982: 18).

الأفعال: (1) ماضٍ: لا يوجد. (2) مضارع: يظلمك، تعلن، أعشقكم، يمتد،

يشتعّل، يعلن، تهتف، تحبّي، أركض، نتحد، نكتب، يجيء. (3) أمر: انظريني.

التوضيح: الفعل يظلمك الأقربون: يدُلُّ على إصرار ظلم الأقربين للإنسان، والفعل

(تعلن) مزيد على وزن (تفعل)، وهو من الأفعال الإنجازيّة التعهدية، ويدُلُّ على الإصرار،

بينما الفعل (أعشقكم) مزيد بالهمزة، ويحمل المعنى الإيجابيّ الحسن، وبقيّة الأفعال

المضارعة (يمتد، يشتعّل، يعلن، تهتف، تحبّي، أركض، نتحد، نكتب، يجيء) تحمل معنى

الحركة والصوت، وجاءت كلها مزيدة، بينما فعل الأمر (انظريني) فيه حاسة الرؤية، وهنا

رؤية تفاعلية (فجراً يجيء).

وطفلاً تعلم فك الحروف،

سيغزو البرية، بالشعر والحلم، كالأنبياء.

هو الشعر يفتح خارطة للعذاب،

ولونا من العري،

يكشف ما للمحبين من صبوة القلب،

هذا انتشاري المقاتل،

أدعو الجميع،

الصعاليك والخارجين،

العصافير والبوم والأشقياء،

الصغار، والمسنين،

سوسنة الحقل مع دودة الأرض،
 جمع السحالي، الثعابين،
 كوكبة العشق،
 سنبله القمح،
 كل الحسان، اللصوص والمجانين،
 حرقه أهل المخيم كل الجياع، الرفاق،
 فهذا احتفال الطبيعة،
 فلنبداً اليوم حرفاً جديداً،
 هو النسرىفتح ثغراً لتصفو القلوب اليتيمة،
 نحو الخروج النهائي،
 إني أحاور باسم الجميع،
 فمن يرفض الدرب، فلينفجر كالخطيئة،
 كل الدروب تصبّ بقلبي الموجّع من طعنة الصحب والأصدقاء (رضوان، 1982: 19).
 الأفعال: (1) ماضٍ: تعلم. (2) مضارع: سيغزو، يفتح، يكشف، أدعو، فلنبداً،
 يفتح، لتصفو، أحاور، يرفض، فلينفجر، يصب. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: الفعل الماضي (تعلم) مزيد بالتاء، يفيد تحويل الطفل عندما تعلم
 الحروف، أمّا الفعل المضارع (سيغزو) فدلت السين على المستقبل، والغزو على الدمار،
 والأفعال المضارعة (يفتح، يكشف، أدعو، فلنبداً، يفتح) أفعال ماديّة وحسيّة تحمل معنى
 الحركة والصوت، والأفعال (أحاور، يرفض، يصب) تدلّ على الاستمرار والتدرج في الحدث،
 والفعالان (لتصفو، فلينفجر: مضارعان مجزومان بلام الأمر).

وحيداً تقول،
تعودتُ حزني المكابر،
أدمنتُ موتي المطارد،
يا ويح عمري الذي يتغذى على النوء،
والذكريات اشتعلن،
انظروني أخبئ في عروة القلب شيئاً حنوناً،
كهدهة الطفل،
هذا هو القمر العذب،
يحمل حزن العصافير،
يا نسر عرج على أهل «عمّان»
هذي المدينة تسرق من رمشة العين أحزانها العربية،
تومض في العتمة الأجمدية،
«عمّان» مريكة كالسنونو...
وخارقة كالأساطير،
يا ويح قلبي اكتويت من العشق والنار حتى امتلأت،
ومازلت أبدأ
من قال إني انتهيت،
سأشعله زعترًا جبلياً
وشيثاً من النرجس البلدي،
أنا الرّوض،
انشطر الآن عشرين خارطة من محبين،

في كل عاصمة تائر أو شهيد،

وما زلت أبدأ،

أرسم للكون عاشقة وبريداً (رضوان، 1982: 20).

الأفعال: (1) ماضٍ: تعودت، أدمنت، اشتعلن، اکتويت، امتلأت، مازلت، قال،

انتهيت، انشطر، مازلت. (2) مضارع: تقول، يتغذى، أخبّي، يحمل، تسرق، أبدأ، سأشعله،

أبدأ، أرسم، تومض. (3) أمر: انظروني، عرج.

التوضيح: استخدم الشاعر الأفعال الماضية المجردة والمزيدة؛ فالمجرد (قال) وهو فعل

أجوف، ومن الأفعال المزيدة (تعودت، أدمنت، اکتويت، امتلأت، مازلت، انتهيت، انشطر،

مازلت)، والفعل (أدمنت) مزيد بالهمزة، وهو من الأفعال السلوكية، والفعل (اكتويت)

على وزن افتعل، وأفاد المبالغة، ويحمل معنى التشاؤم، والفعل (انشطر) للمطاوعة، شطرته

فانشطر، ومزيد بالألف والنون ويفيد التحويل، والفعل (مازلت) زماني سمة واسمة للفعل

وهو دالٌّ على الاستمرار، ممّا يؤكد الإصرار والتحدّي، والفعل (اشتعلن) يدل على شدة

الحرارة، وهو من الأفعال الإنجازيّة السلوكيّة، أمّا الأفعال المضارعة كلها فمزيدة ومنها ما

يحمل معنى جميلاً، مثل: (أرسم، تومض)، ومنها ما يحمل معنى الحركة، مثل: (تقول، يتغذى،

أخبّي، يحمل، أبدأ، سأشعله، أبدأ)، ثم ذكر الشاعر بعض مظاهر الطبيعة: الطفل، والقمر،

والعصافير، والنسر، والعتمة، والسنونو، والزعتر، والزرّجس، والبساتين، والروض.

وشيئاً من الدمع،

ترحل ملء البساتين روجي الفتية،

يشربها الشعر والأصدقاء،

فأشرع للكون هذا اللقاء،

أرى النسر يمتد فوق المدينة،

طقساً وعشياً،

وجمهرة من نقاط التواصل،

كوكبة من نبيين،

يدعو الحاجب والشعراء، الفراش الملون،

غمغمة الطفل، والعاشقات،

وكانت أزاهير لوز تمر إلى القلب،

تشعله حرقه الاتصال المعذب،

يا وجع الشعر،

هذي المدينة ترفض أن تدعيها العشيرة،

من يدعي عشقها غير هذا المسافر في وجع الحرف،

يعلن، هذا امتدادى الجديد إلى الأرض،

كانت مؤاب تمد انتشاري الجديد،

فأعلن للحلم والقادمين اشتعالي النهائي،

يا نسر،

هذي الجبال البدائية الصمت، توقد في العروق، فنمضي

إلى البحر، من قال هذا موات سأزرعه عاشقاً للمدينة

يا المتدثر بالصمت (رضوان، 1982: 21).

الأفعال: (1) ماضٍ: كانت، كانت، قال. (2) مضارع: ترحل، يشربها، أشرع، أرى،

يمتد، يدعو، تمرّ، تشعله، ترفض، أن تدعيها، يدعي، يعلن، تمد، أعلن، توقد، نمضي،

سأزرعه. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعرُ الفعلَ الماضي (كانت) مرتين، وهو فعل ناسخ، مثل: (كانت

(الصحراء) (رضوان، 1982: 10)، و(كانت مُؤاب تمتد)، و(كانت أزاهير لوز) (رضوان، 1982: 21)، (أُكانت ترانا) (رضوان، 1982: 28)، واستخدام الشاعر للفعل (كان) فيه حنين إلى الماضي، واعترازه به، وتمسك بما فيه من قيم وأصالة؛ فالفعل (كان) يُعدُّ رابطة وهو لا يظهر إلا في حالة وجود جهة معينة موسومة زمانياً أو مكانياً؛ فالرابطة (كان) هي عماد العناصر الزمانية؛ لأنها تكون موسومة، وإذا حُذفت هذه العناصر في الجملة فلا داعي لظهور الرابطة (كان)، ويدل الفعل (كانت) على التفاؤل، ويحمل معنى جميلاً في زهور لوز تمر إلى القلب، والفعل (كانت) تدل على مدينة «مُؤاب» وقيمتها العظيمة، والفعل المجرد الأجوف (قال) فيه استفهام إنكاري يفيد التقريع (من قال هذا موات؟) أمّا الأفعال المضارعة فأفعال حسّية متحركة؛ منها: ما يحمل معاني تفأؤلية حميدة، وفيها معاني الأفعال الإنجازية: التعهدية والسلوكية والإيضاحية (ترحل، يشربها، أشرع، أرى، يمتد، يدعو، تمر، نمضي، سأزرعه، يعلن، تمد، أعلن)، وأفعال تحمل معاني تشاؤمية غير حميدة، وتحمل من الأفعال الإنجازية الإيضاحية فقط (تشعله، ترفض، أن تدعيها، يدعي، توقد)، والإكثار من الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار لاستحضار الصورة، وجعل المتلقي يعيش أجواء تجربته وكأنه يشاهدها بناظره.

والاتكاء الخرافي،

أنذر عشيرتك الأقربين،

ديارك أعلنت للخليفة أسماها العربية،

فانشر جناحك في الأفق،

«عمّان» في القلب ترتاح شيخاً،

ترمّل بالحنن،

والانتهاه البطيء،

لمن تسفك الآن تلك الدماء الجميلة،

من يخرق الغيب؟

يا ويح شعري المسافر،

هذي المدينة لا ترحم اليوم أحبابها...

لخارطة اللون في مادبا

أبانا الذي في السماء انتظر عرينا،

أبانا الخطيئة تهرب من جلدنا

أبانا اتكأنا على السيف جيلين من عمرنا،

أبانا... أبانا

أبانا المسافر في الغيب لا تنتظر موتنا؟ (رضوان، 1982: 22).

الأفعال: (1) ماضٍ: أعلنت، اتكأنا. (2) مضارع: تترتاح، تسفك، يخرق، لا ترحم،

تهرب، لا تنتظر. (3) أمر: أنذر، انشر، تزمّل، انتظر.

التوضيح: استخدم الشاعر الفعلين الماضيين المزيدين (أعلنت) مزيد بالهمزة، وهو

من الأفعال الإنجازيّة التعهدية، بينما الفعل (اتكأنا) مسند إلى نون الفاعلين فيدلّ على

أنّ الاتكاء بمعنى الاعتماد على القوة من الجميع، وليس من مفرد.

أمّا الأفعال المضارعة فكلّها مزيدة، والفعل (ترتاح) يدل على الهدوء والطمأنينة

والثقة وهو من الأفعال الإنجازيّة السلوكية، والأفعال (تسفك، يخرق، لا ترحم، تهرب، لا

تنتظر) تحمل معاني الشراسة والعنف، وأفعال الأمر (أنذر، وتزمّل، وانتظر) ففيها وعظ

وحركة.

تململت الأرض،

والشامتون استغابوا غنائى الموجع،

يا مَأدبا⁽¹⁾...
 أحبك عمري، عمراً مضى...
 وعمراً يسافر في جلدنا...
 «حنايا»⁽²⁾ ويهتز حقلان في صدرنا،
 «حنايا» ونكبر جيلين،
 نمّدت عمري،
 لا تجفلي يا براءة عمر-
 سينتفض النسر،
 هل تذكر الآن هذي «حنايا» الصغيرة،
 قد ورّد الخد،
 واشتعل القلب بالياسمين،
 وعمّان مخلصه كالأصائل⁽³⁾ تستقبل العاشقين فرادى إلى عشها،
 وأعلن يا نسر إني،
 براء من العاتبين عليك،
 براء من الشامتين بعشّك،
 براء من الخارجين عليك،

(1) مَأدبا: المدينة الأردنية المشهورة تاريخياً، وتقع إلى الجنوب الشرقي من عمّان (شّراب، 1990: 230).

(2) حنايا: هي ابنة الصديق المهداة إليه هذه القصيدة.

(3) الأصائل: هي عمّان؛ والأصيل: يطلق على الفرس العربي الأصيل؛ لأنّ العرب في العصر الجاهليّ تقيم الأفراح لثلاثة أشياء؛ إذا ولد لهم ولد ذكر، وإذا نبغ لديهم شاعر، وإذا ولد لهم الفرسُ مهراً (الهاشمي، 2003: 34).

براء من الحرف إن لم يسلم عليك،

وينشرني الريح مثل الحمامة،

أفتح أشرعة العطر (رضوان، 1982: 23).

الأفعال: (1) ماضٍ: تملمت، استغابوا، مضى، ورّد، اشتعل. (2) مضارع: أحبك،

يسافر، يهتز، نكبر، نمتد، لا تجفلي، سينتفض، تذكر، تستقبل، أعلن، لم يسلم، ينشرني،

أفتح. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعرُ من الأفعال الماضية المجرّدة (مضى) يدل على التشاؤم،

والأفعال المزيّدة: (تململت) مزيد بالتاء، وعلى وزن تفعل يفيد مطاوعة الرباعيّ المجرد فعلل،

وهو من الأفعال الإنجازيّة السلوكية، والفعل (استغابوا) مزيد بالهمزة والسين والتاء، والفعل

(اشتعل) مزيد بالهمزة والتاء، وكذلك مسند إلى واو الجماعة، وهي تفيد التحويل، وتدل

على التشاؤم، والفعل (ورّد) مضعف العين؛ ويحمل معنى الحركة والحيوية والتفاؤل بالحياة.

أمّا الأفعال المضارعة؛ فمنها: المجرد (يسافر) هذا الفعل فيه معانٍ تفاؤلية لمن يتمتع

بالسفر، ومعانٍ تشاؤمية لمن حرّم السفر، وبعضها الآخر أفعال مزيّدة، وتحمل معاني تفاؤلية،

وتندرج في الأفعال الإنجازيّة التعهدية (أحبك، يهتز، نكبر، نمتد، تذكر، تستقبل، أفتح)،

وبعض الأفعال تحمل معاني تشاؤمية؛ منها: (سينتفض، لم يسلم، ينشرني)، وهي من الأفعال

الإنجازيّة الإيضاحية، والفعل (أعلن) مزيد بالهمزة، وهو من الأفعال الإنجازيّة السلوكية.

أمّا فعل المضارع (لا تجفلي) مجزوم بلا الناهية فحذفت منه النون، ويدل على الحركة،

وهو من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية الذي يفيد الإنكار.

والنسر ينشر أحلامه في المدينة،

حقلاً من السندس الليلي،

فيا فقراء المدينة،

هذا هو الحلم اللانهائي،
 يشرع حقلاً من الأقحوان المعطر،
 والزنبق الجبلي استفاق مع النسر،
 هذي ورود الشقائق،
 تغزو بأحمرها اللاهب الضوء أوجاع قلبي،
 فتبتسم الروح،
 يا ويح روحي... «يعرب» هذا المدثر بالخوف،
 والانتظار الطويل، أم القلب،
 ينفجر الدرب بالعاشقات،
 فهذي المدينة ظلمة كالأعاصير،
 هائجة كالمحطات،
 والليل ينداح عن دربنا ثغرة ثغرة،
 ثم ينتشر الفجر،
 يا نسر سلّم على امرأة تتهجد في الصبح مثل الفراشة،
 ترقب طفلاً مضى للمدينة،
 تحمله الريح نحو الشمال،
 وما عاد،
 لا بأس،
 بعض المدائن موجعة،
 سيأتيك يسعى مع الفجر،
 في عزمه الشمس (رضوان، 1982: 24).

الأفعال: (1) ماضٍ: استفاق، عاد. (2) مضارع: ينشر، يشرع، تغزو، تبتسم، ينفجر، ينداح، ينتشر، تتهجد، ترقب، تحمله، سيأتيك، يسعى. (3) أمر: سلّم.

التوضيح: استخدم الشاعرُ الفعل الماضي (استفاق) مزيداً بالهمزة والسين والتاء؛ ليدلّ على الحركة والنشاط والطلب، والفعل الأجوف المجرد (عاد) المسبوق بالنفي، وهو يدل على عدم رجوع الطفل الذي يرمز للبراءة، وما ستفعله به الأيام في المدينة، أمّا الأفعال المضارعة فكلّها أفعال مجرّدة إيجابيّة في هذا الموضع (ينشر، يشرع، تغزو، تبتسم، ينتشر، تتهجد، سيأتيك، يسعى).

والفعل (أتى) بصيغته الصرفيّة يدلّ على الماضي المطلق في زمن مضى وانقضى، ولكن الشاعر استخدمه بصيغة المضارع، وأدخل عليه السين التي تدلّ على المستقبل القريب، إلّا أنّ ورودَه في السياق يفرض عليه دلالة سياقيّة يقتضيها السياق ويدل عليها، وهي دلالة الاستقبال؛ لأنّ القرينة اللفظية في (يسعى مع الفجر) في السياق التركيبي إشارة واضحة جليّة إلى أنّ الإتيان لم يأت بعد؛ فالشاعر جمع بين الدّالّتين: الإفرادية والتركيبية، وأنّ المراد توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمّنة المعنى في الوقت نفسه، والفعل (ينتشر) مسبوّقاً ب(ثم) التي تدلّ على الترتيب مع المهلة أو التراخي، وكأنّ الشاعر يستشرف المستقبل، ويتوقع أن انتشار فجر الحرية سيستغرق وقتاً طويلاً، والفعل (سيأتيك) فيه استخدام السين مع الفعل المضارع الذي يدل على المستقبل القريب.

وأما الأفعال المزيدة والتي تحمل معاني فيها العنف (ينفجر، ينداح، ترقب)، وفعل الأمر (سلّم) مزيد بالتضعيف؛ يدلّ على الحركة والنشاط والطلب.

يشرع حلماً يغطي المدينة،

لا تجزعي من شحوب خفيف على وجنتيه،

فهذا شحوب الولادة، في لحظة الخلق،

يجتمع الصحب،

والعاشقون استفاقوا على زمن الانتشار النهائي،

في غبش الفجر،

تعلن للعشب هذا ابتداء.

لسيدة كالصنوبر لا تنثني للرياح،

لعطر الأقاح،

لسيدة ترتدي الحب والياسمين،

لعشقتك يا يعرب الحلم،

أعلن هذا النشيد الحزين.

توضأت الأرض عشاقها،

ومازلت تحمل خشبتك الخارجية،

تهتف من يصلب اليوم حلم الصغار،

تعال،

المدينة خارقة كالمواويل،

تبقى تحاول صلب النهار الذي يتغلغل في القلب (رضوان، 1982: 25).

الأفعال: (1) ماضٍ: استفاقوا، توضأت، مازلت. (2) مضارع: لا تجزعي، يشرع،

يغطي، يجتمع، تعلن، لا تنثني، ترتدي، أعلن، تحمل، تهتف، يصلب، تبقى، تحاول، يتغلغل.

(3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعرُ الأفعالَ الماضية (استفاقوا، توضأت، مازلت)، فالفعل

(استفاقوا) مزيد بالهمزة والسين والتاء التي تفيد الطلب، ومُسند إلى واو الجماعة التي تدل

على المشاركة، والفعالان (توضأت، مازلت) مسندة إلى تاء المتكلم، والفعل (توضأت) فعل

تأمٌ ويحمل معنى الطهر والنقاء استعداداً لعبادة الله، و(مازلت) فعل ماضٍ ناقص ناسخ يدلُّ

على الإصرار، وهو زماني سمة للفعل، وهو من الأفعال الإنجازيّة السلوكية.

أمّا الأفعال المضارعة (لا تجزي، يشرع، يغطي، يجتمع، تعلن، لا تنثني، ترتدي، أعلن، تحمل، تهتف، يصلب، تبقى، تحاول، يتغلغل، يشرع، يغطي، يصل) على وزن يفعل، ومنها على وزن (تفعل)، مثل: منها أفعال على وزن (تفعل)، مثل: (لا تجزي: مضارع مجزوم بلا الناهية)، و(تعلن، تحمل، تهتف، يصلب، تبقى، تحاول)، والفعل (أعلن) على وزن (أفعل) من الأفعال الإنجازيّة التعهدية، والفعل (يتغلغل) على وزن (يتفعل)، والفعل (ترتدي) على وزن تفتعل، وكلّها تحمل دلالة الحركة والمشاركة.

يصلبك اليوم أحبابك الطيبون،

تعال إلى حيّنا شارعاً شارعاً،

في المدينة تمتد أحزانك الأولية

يجتمع اليوم حفل الغرائق، والبوم، والقبرات العجاف،

بغيبية نسر المدينة،

جمع الغرابيب ينتشر الآن في الأفق، أسود،

حطت في مناقيرها في الضلوع،

تلغ الدماء الفتية،

يا غيبة النسر،

يسودّ هذا المدى في غيابك،

فأشر جناحك،

ينفجر الأفق أبيض من غير سوء،

ويشتعل الفقر أحمر،

تمضي السنون العجاف،

ويبتسم النسر،

فجر في الكون هذا الصفاء.

للمساء التحول،

للنهار القرنفل،

للذي غاب عاشقة وبريد،

وانتظار بعيد،

وللنسر هذا المعذب في الأرض (رضوان، 1982م: 26).

الأفعال: (1) ماضٍ: حطت، غاب. (2) مضارع: يصلبك، تمتد، يجتمع، ينتشر، تلغ،

يسود، ينفجر، يشتعل، تمضي، يبتسم. (3) أمر: انشر، فجر.

التوضيح: الفعل الماضي (حطت)، مسند إلى تاء التأنيث الساكنة التي تعود على الغرابيب، ويحمل معنى الحركة والكيفية في حط المناقير في الضلوع، والفعل (غاب) أجوف، وهو من الأفعال التي تدلّ على الاختفاء، وفيه صورة متحركة وملونة (للنهار القرنفل)، وهو من الأفعال الإنجازية الإيضاحية، أمّا الأفعال المضارعة (يصلبك، تمتد، يجتمع، ينتشر، تلغ، يسود، ينفجر، يشتعل، تمضي، يبتسم) فمزيدة، والأفعال (تمتد، يجتمع، ينتشر، تلغ، يسود) أفعال مزيدة تدلّ على معاني الحزن والتشاؤم، وهي من الأفعال الإنجازية السلوكية، والفعالان (ينفجر ويشتعل)، يدلّان على العنف والاعتراض، وهما من الأفعال الإنجازية الإيضاحية، (تمضي السنون العجاف)؛ فالفعل (تمضي) مزيد على وزن (تَفْعِل)، والتاء للمضارعة، والفعل (يبتسم) النسر، استعارة مكنية لا يبتسم النسر إلا إذا وجد الفريسة، وهذا من الأفعال الإنجازية السلوكية، وأمّا فعلا الأمر (انشر- فجر)؛ فالفعل (انشر) يحمل معنى إيجابياً وهو من الأفعال الإنجازية الإيضاحية، ويدل على الحركة والتحدّي، والفعل (فجر) فعل مضعف فيه العنف والإصرار، وهما من الأفعال الإنجازية السلوكية.

حلم جديد

وتحلم،

يا نسر تعشقك الأمهات الحزاني،
فيورق في الخدّ دمع اليتامى،
وتذكر،
هذا الذي فجّر الحرف يذكر،
كنا صغاراً،
وكان المخيم يرحل في الوقت،
طفلاً تشكل بين تفاصيل حاراته،
تثني من الجوع والرمد الموسميّ،
رأيت الحبيبة قبل اشتداد الظلام،
تعرج نحو الزقاق المجاور،
هبتّ شرايين جسمي الصغيرة،
كانت «فريدة» في مثل عمري،
صغيرين نلتقط العشب،
مازلت أذكر ذاك المساء الخرافي،
ها نحن نتحد الآن،
أشتم رائحة العشب،
ينضغط النهدي،
نسمع صوتاً،

فيجفل حقل من الرعب (رضوان، 1982: 27).

الأفعال: (1) ماضٍ: كنا، كان، رأيت، هبت، كانت، مازلت. (2) مضارع: تحلم، تذكر، يذكر، يرحل، أذكر، أشتم، نسمع، يجفل، تعشقك، يورق، تشكل، تثني، تعرج، نلتقط،

نتحد، ينضغط. (3) أمر: فجّر.

التوضيح: جاءت أغلب الأفعال الماضية ناقصة ناسخة (كنا- كان- كانت- مازلت)؛ فالفعل (كنا) مسند إلى ناء المتكلمين؛ لأنّه فعل ناقص، ويدلّ على المشاركة، والفعل (كان) ثلاثيُّ أجوف، والفعل (كانت) فيه تاء التانيث، والفعلان (مازلت، رأيت) مسندان إلى تاء الفاعل، وبهما الحركة التي تعبّر عن الرؤية، والفعل (هبتُ) مسند إلى تاء التانيث، وفيها حركة خفيفة تناسب الشرايين وهو من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية، أمّا الأفعال المضارعة (تحلم، تعشقك، يورق، تذكر، يذكر، يرحل، تشكل، تثني، تعرّج، نلتقط، أذكر، نتحد، أشتّم، ينضغط، نسمع، يحفل) فتحمل المعاني الإيجابية؛ منها: الحركة ورائحة الشّم، والسمع، والتذكر، أمّا فعل الأمر (فجّر) ففعل مضعّف فيه العنف والإصرار، وهو من الأفعال الإنجازيّة السلوكية.

هذي العجوز كما الدركي،

فيا ويح روجي .. أيا كانت ترانا،

فتغضب أُمي،

والمُح ظلّ ابتسام على وجه جدي،

«فريدة»

قد صادرتنا المدينة،

«فريدة»

قد ضيعتني المسافة والشعر والخلفاء.

وأنت الجميلة يا مادبا،

وأنت الرقيقة،

أنت الأميرة،

أنت البلاد التي وُحّدت همّنا في المساء.

تضوعت الأرض بالعطّر،

وانشطر الحلم،

حلم يغرب نحو «الجليل»،

وحلم يسافر في «مأدبا»،

وكانت «مُؤاب» تعانق همس «الخليل»،

وبينهما البحر (رضوان، 1982: 28).

الأفعال: (1) ماضٍ: كانت، صادرتنا، ضيعتني، وحدّت، تضوعت، انشطر، كانت. (2)

مضارع: ترانا، تغضب، ألمح، يغرب، يسافر، تعانق. (3) أمر: لا يوجد.

التوضيح: استخدم الشاعر أفعالاً ماضية متنوعة، الفعل (كانت) فعل ماضٍ ناقص
ناسخ استخدمه مرتين ليدلّ على الحدث، والفعالان (وحدّت، تضوعت) يدلّان على معانٍ
جميلة، والأفعال (صادرتنا، ضيعتني، انشطر) تحمل معنى الضياع والاندثار والاضطراب،
وهي من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية، أمّا الأفعال المضارعة (ترانا، تغضب، يغرب، يسافر)
فأفعال تدل على معانٍ غير إيجابية فيها الحركة والانفعال، والفعل (تعانق) يوحي بعلاقة
الدفء بين مُؤاب والخليل.

تنفلق الشمس نصفين،

يا واهب النار

هذي البرية لم تتسع لجناحيك،

فاضمم بنيك،

فلا موطن للفقير،

هو النهر موردنا الأزلي،

استحم من الدم،

والأنبياء تلاقوا قليلاً على المغطس العربي،

فجئت تجمع هم الرفاق،

حيثاً ستزحف فيك المدينة،

تشرع فيها الوفاق،

فطوبى لمن أشرع الحلم،

طوبى لمن فجّر الحرف والحزن،

طوبى ل «عمّان» هذي التي فجرت حبنا،

وطوبى لنسريا «مأدبا» (رضوان، 1982م: 29).

الأفعال: (1) ماضٍ: تلاقوا، جئت، فجرت. (2) مضارع: تنفلق، لم تتسع، تجمع،

ستزحف، تشرع، أشرع. (3) أمر: اضمم، استحم، فجّر.

التوضيح: الفعل الماضي (تلاقوا) مسند إلى واو الجماعة، ويدل على التفاعل بين الأنبياء، بينما الفعل الماضي (جئت) مسند إلى تاء المتكلم ويدل على التماسك والتكاتف، وهما من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية، أمّا الأفعال المضارعة (تنفلق، لم تتسع) فيحملان معنى الحركة العنيفة، واستخدم الشاعر الفعل المنفي ب(لم) (لم تتسع)، ف(لم) قلبت زمن الفعل المضارع إلى الماضي، ولو استخدم (لن) لدلّ ذلك على حدوث الفعل في المستقبل فقط، وهنا تصرف دلالة الفعل على المضارع إلى الماضي؛ فأخبر عن حدث تم وانقضى في الزمن الماضي، وذلك بقريئة لفظية خاصة بالزمن الماضي، وهي (لم)، فدخولها على المضارع حول دلالته إلى الماضي، والأفعال (تجمع، ستزحف، تشرع، أشرع) فيها معانٍ إيجابية وحميدة تدل على تجمع الرفاق والوفاق بينهم والحركة الخفيفة، وهي من الأفعال الإنجازيّة الإيضاحية، والفعل (ستزحف) استخدم الشاعر السين معه يدل على المستقبل القريب، أمّا فعل الأمر (اضمم) ففيه معنى إيجابي، والأفعال (استحم، فجّر، فجرت) فيها العنف والاضطراب، وهي من الأفعال الإنجازيّة السلوكية.

وإنّ القواعد التَّحوّية التي تستخدم في اللغة العامّة استخداماً عفويّاً، وربّما دون وعي تتحول في شعر عبدالله رضوان إلى بنية ذات مغزى دلاليّ (لوتمان، 1995: 112).

ويرى الباحث أنّ دلالة أبنية الأفعال الواردة في القصيدة تصوّر إحساس الشاعر بما يواجه صعوبة الاحتلال بإيراد الأفعال الدالّة على المقاومة لاسترداد الوطن السليب.

وقد أحصى الباحث عدد الأفعال المستخدمة في القصيدة، فوجدها (275) فعلاً؛ وهي على النحو الآتي:

الفعل المضارع (197) فعلاً، بنسبة مئوية (71.272%)، والفعل الماضي (63) فعلاً، بنسبة مئوية (23.272%)، وفعل الأمر (15) فعلاً، بنسبة مئوية (5.454%).

والجدول الإحصائي الآتي يبين الأفعال الواردة في القصيدة بصيغها الصرفية المتنوعة

جدول (١) الفعل الماضي وصيغه

صيغه	الفعل الماضي
فَعَلَ	ص10 (كانت - شربت)، ص13 (وقفت - وقفت - تركت)، ص14 (كانت - كانت)، ص15 (لست)، ص20 (مازلت - قال - مازلت)، ص21 (كانت - كانت - قال)، ص23 (مضى)، ص24 (عاد)، ص25 (مازلت)، ص26 (غاب)، ص27 (كنا - كان - كانت)، ص28 (كانت - كانت)، ص29 (جئت).
فَعَّلَ	ص28 (ضَيَّع).
فَاعَلَ	ص28 (صادر).
تَفَاعَلَ	ص29 (تلاقوا).

جدول (2) الفعل المضارع وصيغه

صِيغُهُ	الفعل المضارع
أَفْعُلْ	ص 18 (أعشَقك - أركض)، ص 19 (أدعو - أحاور)، ص 20 (أخْبِيء - أبدأ - أبدأ - أرسم)، ص 21 (أشرع - أرى - أعلن - سأزرع)، ص 23 (أعلن - أحبك - أفتح)، ص 25 (أعلن)، ص 27 (أذكر - أشتم)، ص 28 (أُلخ)، ص 29 (أشرع).
يفعل - تفعل	ص 10 (تغزوني)، ص 13 (يرسم - يلمع - تضرب - تشعلوا)، ص 14 (توقفوا - تغزو - تستقبل - تبدأ - تخرج - يُبعث)، ص 15 (تجيثون - تعجبوا - تعوي)، ص 17 (يتبعك - يهشون - تفهموه - تبقى - تركض)، ص 18 (يظلمك - تعلن - يعلن - تهتف - تحبى - يجيء)، ص 19 (سبغزو - يفتح - يكشف - يفتح - تصفو - يرفض - يصب)، ص 20 (تقول - يحمل - تسرق - تومض)، ص 21 (ترحل - يشربها - يدعو - تمرّ - تشعله - رفض - تدعيها - يدعي - يعلن - تمد - توقد)، ص 22 (تسك - يخرق - ترحم - تهرب - تنتظر)، ص 23 (يسافر - يهتز - تجفلي - سينتفض - تذكر - تستقبل - يسلم - ينشري)، ص 24 (ينشر - يشرع - تغزو، تبتسم - تهجد - ترقب - تحمله - سيأتيك - يسعى)، ص 25 (تجزعي - يشرع - يغطي - يجتمع - تعلن - تنثني - ترتدي - تحمل - تهتف - يصلب - تبقى - تحاول - يتغلغل)، ص 26 (يصلبك - تلغ - يسود - تمضي)، ص 27 (تحلم - تذكر - يذكر - يرحل - نسمع - يحفل - تعشَقك - يورق - تشكل - تنثني - تعرّج)، ص 28 (ترانا - تغضب - يغرب - يسافر - تعانق)، ص 29 (تجمع - سترحف - تشرع).
تفاعِلْ	ص 14 (تغادر).
ينفعل - تنفعل	ص 13 (ينهار)، ص 14 (ينقُص)، ص 15 (ينحدر - ينقُص - ينقُص - ينقُص)، ص 24 (ينفجر - ينداح)، ص 26 (ينفجر) ص 27 (ينضغط)، ص 29 (تنفلق).

صيغة	الفعل المضارع
يفتعل - تفتعل	ص15 (تبتئس - يمتدّ - سيقترّب)، ص18 (يمتد - يشتعل)، ص21 (يمتدّ)، ص22 (ترتاح)، ص26 (تمتد - يجتمع - ينتشر - ينتشر - يشتعل - يبتسم)، ص29 (تتسع).
نفتعل	ص15 (نبتدئ - نحتضن - نمتد)، ص18 (نتحد)، ص23 (نمتد)، ص27 (نلتقط - نتحد).
يتفعل	ص20 (يتغذى).
أفعل	ص14 (أعلن - أرسوم)، ص15 (أسمع - أراك)، ص16 (أسمع - أهتف - أعلن).
أفْتَعِلْ	ص14 (أحتضن).
أفْعِلْ	ص13 (أضرب).
أُفْعِلْ	ص20 (أشعل).
أُسْتَفْعِلْ	ص17 (أستنشق).
نفعِلْ	ص15 (-نمضي - نمضي)، ص18 (نكتب)، ص19 (فلنبداً - فلينفجر)، ص21 (نمضي)، ص23 (نكبر).

جدول (3) فعل الأمر وصيغه

صيغة	فعل الأمر
فَعْلْ	ص17 (فَجِّرْ - عَرِّجْ)، ص24 (سَلِّمْ)، ص26 (فَجِّرْ)، ص27 (فَجِّرْ)، ص29 (فَجِّرْ).
افْعَلْ	ص18 (انظريني)، ص20 (انظروني).
تَفَعَّلْ	ص22 (تزَمَّلْ).

صيغة	فعل الأمر
افْعُلْ	ص22 (انشر)، ص26 (انشر)، ص26 (اضمم).
افتَعِلْ	ص22 (انتظر).
أَفْعِلْ	ص22 (أُنذر).
استفَعِلْ	ص29 (استحم).

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة البحث الموسوم بـ «تبادلات الأفعال الإنجازية ودلالاتها في قصيدة: الخروج من سلاسل مؤاب لعبد الله رضوان - دراسة صرفية دلالية»، خلّص الباحث إلى النتائج الآتية:

- استخدم الشاعر في معظم قصيدته ضمير المتكلم؛ ليعبر عن مكوّنات نفسه، وتتسم القصيدة بالصدق الفني، والتعبير الإبداعي.
- أكثر الشاعر من استخدام الفعل المضارع، ثم الفعل الماضي، بينما فعل الأمر قليل الاستخدام.

- يُلاحظ على شاعرنا في استخدامه للأفعال في سياقاتها المختلفة - على اختلاف أنواعها - قد عدل - أحياناً - عن النمط المألوف للغة؛ من حيث التصرف في أزمنة الفعل، ومثال ذلك أنّه عبّر عن الحدث الماضي بالمضارع، وعبّر عن المستقبل بالزمن الماضي.
- دلالة الفعل المضارع فيه ديناميكية، ويدلّ على الاستمرارية، كما يدلّ على استحضار الصورة وتجديدها؛ ويقرب القارئ أو السامع من الحدث، أمّا استخدام الفعل الماضي ففيه دلالة على الثبوت والتأكيد واليقين والتحقيق.

- الحروف التي تزداد على الأفعال لا تُزداد اعتباطاً؛ بل تزداد لتؤدّي وظائف معيّنة.
- استخدم الشاعر من الأفعال الإنجازيّة أفعال السلوك والإيضاح أكثر من غيرها في قصيدته للإصرار والتحدّي.
- تنوع استخدام الأفعال في القصيدة بين الحركة والنشاط والحيوية بمعانٍ إيجابية حميدة، ومعانٍ تشاؤمية وفق حالة الشاعر النفسية.
- ورد الفعل الرباعيّ المزداد بحرف بنسبة ضئيلة؛ وذلك دلالة واضحة على الحركية، وإحداث الحيلة والحذر والتنبيه لأبسط الأمور.
- من خلال البحث ثبت كثرة الأفعال من (فَعَلَ وأَفْعَلَ) المتفقّة المعنى بالنسبة إلى المختلفة منها.
- جاوز الشاعر في الصيغ الصرفيّة التي على وزن (افتعل) بمعانيها المتنوعة؛ كالشاركة، والمطاوعة، والمبالغة... إلخ؛ فجاءت مناسبة للدلالة على حالته التي عاشها واقعاً وطنياً.
- يلتقي الغرضان (المطاوعة والمبنيّ للمجهول) في فكرة ردّة الفعل؛ فالمطاوعة هي انعكاس لمؤثر، والمبنيّ للمجهول هو استجابة لمؤثر أيضاً، ولذا يمكن عدّهما وجهين لغرض واحد.
- من مميزات الدلالة في القصيدة خاصية لغويّة كامنة في بعض المفردات والألفاظ، وتدلّنا مادّة الشّعْر لَدَيْهِ على أن معظم الألفاظ ذات الدلالات الرمزيّة تتميز بميزة مشتركة؛ وهي كثرة الاستعمال.
- اتضحت بعض الدلالات من الصيغ الصرفيّة، وأبنية دلالات الفعل وروافدها الفعلية التي سيقّت على وزنها.
- استخدم الشاعر الصيغ الفعلية اعتماداً على أدوات البناء التحوي للجملة.

المصادر والمراجع⁽¹⁾

القرآن الكريم.

أولاً - المراجع باللغة العربية:

- 1 - بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 1424هـ- 2003م.
- 2 - الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1405هـ- 1984م.
- 3 - ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب العصرية، بيروت-لبنان، 1372هـ- 1952م.
- 4 - ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، الطبعة الأولى، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1373هـ- 1954م.
- 5 - الحديثي، خديجة: أبنية الصَّرف في كتاب سيبويهي، مكتبة النهضة، بغداد، 1385هـ- 1965م.
- 6 - الحملاوي، أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، الطبعة السادسة عشرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1384هـ- 1965م.
- 7 - أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ- 1998م.

(1) لا يعتد ب (ال التعريف +أبو+ ابن) عند ترتيب المصادر والمراجع.

- 8 - أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: د. حسن هندراوي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، (د.ت).
- 9 - الخولي، مُحَمَّد: معجم علم اللغة النظري، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، لبنان، 1403هـ-1982م.
- 10 - رضوان، عبدالله، والمشايخ، مُحَمَّد: أنطولوجيا عمّان الأدبية، تقديم: هاني العمدة، مطبعة الصفدي، عمّان، 1420هـ-1999م.
- 11 - رضوان، عبدالله: الخروج من سلاسل مُؤاب، الطبعة الأولى، دار ابن خلدون، بيروت، 1403هـ-1982م.
- 12 - رضوان، عبدالله: مختارات شعرية، الطبعة الأولى، دار الماجد للنشر والتوزيع، البيرة-فلسطين، 1424هـ-2003م.
- 13 - الرضي، مُحَمَّد بن الحسن الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: د. عبد المقصود مُحَمَّد عبد المقصود، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ-2004م.
- 14 - زياد، مسعد مُحَمَّد: الوجيز في النحو، الطبعة الأولى، الصحة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1431هـ-2009م.
- 15 - ابن السراج، مُحَمَّد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409هـ-1988م.
- 16 - السُّليم، فريد بن عبد العزيز الزامل: الخلاف التصريفي وأثره الدَّلاليّ في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ-2006م.
- 17 - سيبيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.

- 18 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: المٌزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م.
- 19 - الشاذلي، أبو القاسم مُحَمَّد: ديوان أبي القاسم، تحقيق: أحمد حسن بسج، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ-2005م.
- 20 - الشاطبي، إبراهيم بن موسى: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: مُحَمَّد البناء، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة، 1428هـ-2007م.
- 21 - شديد، صائل رشدي: عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1425هـ-2004م.
- 22 - شُرَّاب، مُحَمَّد بن مُحَمَّد حسن: المعالم الأثرية في السُّنَّة والسيرة، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، 1411هـ-1990م.
- 23 - الشيخ، عبد الواحد حسن: العلاقات الدلالية، التراث البلاغي العربي، مكتبة الإشعاع، مصر، 1420هـ-1999م.
- 24 - صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1426هـ-2005م.
- 25 - عبد العظيم، نجاة: أبنية الأفعال، دراسة لُغَوِيَّة قَرَّانِيَّة، دار الثقافة للنشر، القاهرة-مصر، 1410هـ-1989م.
- 26 - العسكري، الحسن بن عبد الله: الفروق اللُّغَوِيَّة، حَقَّقَه وعلَّقَ عليه: مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د.ت.).
- 27 - ابن عصفور، علي بن مؤمن بن مُحَمَّد: الممتع الكبير في التصريف، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، 1417هـ-1996م.

- 28 - العضم، خالد بن سعود: القرارات النحويّة والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار التدمرية، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، 1424هـ-2003م.
- 29 - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، تحقيق: مُحَمَّد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت.).
- 30 - أبو لبن، زياد: قضاء المتخيل ورؤيا الناقد -قراءات في شعر عبد الله رضوان ونقده، دار اليازوري العلمية، عمّان، 1425هـ-2004م.
- 31 - لوتمان، يوري: تحليل النّص الشّعري، ترجمة: مُحَمَّد فتوح، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، 1416هـ-1995م.
- 32 - ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم: لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 1414هـ-1993م.
- 33 - مواجدة، إيمان موسى: عبد الله رضوان شاعراً، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، مطبعة الروزنا، عمّان، 1426هـ-2005م.
- 34 - الميداني، أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم: مجمع الأمثال، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (د.ت.).
- 35 - أبو نحلة، مُحَمَّد أحمد: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1423هـ-2002م.
- 36 - ابن التّديم، مُحَمَّد بن إسحاق: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1417هـ-1997م.
- 37 - نور الدين، عصام: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب دراسات لسانية لُغويّة، دار الفكر اللّبناني، بيروت-لبنان، 1418هـ-1997م.

38 - التّووي، محي الدين يحيى بن شرف: تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، 1408هـ-1987م.

39 - الهاشمي، الحسن بن أبي مُحَمَّد عبد الله: نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، 1424هـ-2003م.

40 - ابن يعيش، موقّق الدين بن علي: شرح المفصل للزمخشري، قدّم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1422هـ-2001م.

41 - ابن يعيش، موقّق الدين بن علي: شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي، بيروت، (د.ت.).

ثانياً - المراجع باللغة الإنجليزية:

42 - Thomas,J. (1996) P.49.

43 - W. Wright: A Grammar of the Arabic Language. Third edition, University Press.

ثالثاً- الرسائل الجامعية:

44 - أبو عيدة، أحمد عبد الله: الصيغ الفعلية في السور المكية، «ماجستير غير منشورة»، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1404هـ-1983م.

45 - اللوقه، ناظم خليل: «اللّهجات العربيّة في معجم تاج العروس من جواهر القاموس - دراسة لغويّة»، «دكتوراه غير منشورة»، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، الجزيرة، السودان، 1439هـ-2018م.

رابعاً- الدوريات:

- 46 - جلولي، العيد: نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الثاني عشر (العدد الخاص)، أشغال الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، الجزائر، (د.ت).
- 47 - عمايرة، حنان إسماعيل: «معاني الزيادة في الفعل الثلاثي في اللغة العربية - دراسة وصفية»، (يونيو 2012م)، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الإنسانية، غزة - فلسطين، المجلد العشرون، العدد الثاني، ص 295-326.
- 48 - أبو نحلة، محمود أحمد: «نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية»، (إبريل 1999م)، مجلة الدراسات اللغويّة، الرياض، المجلد الأول، العدد الأول، ص 161-162.



مِنْ عَثَرَاتِ تَرْجَمَةِ الْمُصْطَلَحِ

د. عبد العالم محمد القريدي

(كلية الآداب - جامعة الزاوية)

ظَلَلْتُ تَرْجَمَةَ الْمُصْطَلَحِ وَوَضَعُهُ شُغْلًا شَاغِلًا عِنْدَ اللَّغَوِيِّينَ الْعَرَبِ مُنْذُ الْقِدَمِ، وَرَغِمَ أَنَّ مُحَاوَلَاتِهِمْ فِي الْغَالِبِ كَانَتْ فَرْدِيَّةً إِلَّا أَنَّهَا أَدَّتْ غَرَضَهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، فَجَاءَتْ دَقِيقَةً وَمُحْكَمَةً⁽¹⁾ مِنْ حَيْثُ تَعْبِيرُهَا عَنْ مَفَاهِيمِهَا، فَضْلًا عَلَى سَلَامَتِهَا مِنَ الْخَلْطِ وَالْإِيهَامِ؛ ذَلِكَ أَنَّ اللَّغَوِيَّ مِنْهُمْ كَانَ مُتَصَلِّعًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَمُدْرِكًا لِأَسْرَارِهَا الْإِدْرَاكِ الَّذِي يُحَوِّلُ لَهُ وَضَعَ الْمُصْطَلَحِ بِشَكْلِ عِلْمِيٍّ، إِضَافَةً إِلَى الْمَعْرِفَةِ الَّتِي يَتِمَتُّعُ بِهَا بِاللُّغَةِ الْمُتَرْجِمِ عَنْهَا قَوَاعِدَ وَخَصَائِصَ وَطُرُقَ تَعْبِيرٍ.

وَقَدْ تُعَدُّ تَرْجَمَةُ الْمُسْتَجِدَّاتِ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ مِنْ أَكْبَرِ الْمَشَاكِلِ لِلْمُتَرْجِمِينَ، فَابْتِكَارُ الْأَشْيَاءِ التَّقْنِيَّةِ وَظُهُورُ الْمَفَاهِيمِ الْعِلْمِيَّةِ دَائِمٌ وَمُسْتَمِرٌّ، وَهُوَ أَمْرٌ بِالْغِ الْأَهْمِيَّةِ؛ لِمَا يَتَطَلَّبُهُ مِنْ وَضْعِ أَلْفَاظٍ جَدِيدَةٍ أَوْ إِكْسَابِ دَلَالَاتٍ جَدِيدَةٍ لِأَلْفَاظٍ مَوْجُودَةٍ⁽²⁾، وَهِيَ عَمَلِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى جُهْدٍ جَمَاعِيِّ مِنَ الْمُتَرْجِمِينَ أَوْ مِنْ وَاضِعِي الْمُصْطَلَحِ؛ لِكَيْ يُنْأَى عَنِ الْجَهْدِ الْفَرْدِيِّ الَّتِي قَدْ تَحِيدُ عَنِ الصُّوَابِ الْمَقَرَّرَةِ لَوْضَعِ الْمُصْطَلَحِ أَوْ تَرْجَمَتِهِ، «فَالْإِصْطِلَاحُ الْمُنَاسِبُ يُثِيرُ ثِقَّةَ الْقَارِئِ وَيُحَسِّنُ نَقْلَ الْمَعْلُومَةِ»⁽³⁾.

وَقَدْ أَصْبَحَتِ التَّرْجَمَةُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عَمَلِيَّةً مُهِمَّةً؛ اسْتِجَابَةً لِلتَّقَدُّمِ الْعِلْمِيِّ وَمَا

(1) يُنْظَرُ: حَرَكَةُ النُّقْلِ وَالتَّرْجَمَةُ حَقِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، مَنْجِيَّةٌ مَنْسِيَّةٌ، سُلْسَلَةٌ مِنَ الْبَحْثِ وَالدِّرَاسَاتِ (التَّرْجَمَةُ وَنَظَرِيَّاتُهَا)، بَيْتُ الْحِكْمَةِ، قُرْطَاجُ تُونِسَ: 1989م، ص 205.

(2) يُنْظَرُ: الْجَامِعُ فِي التَّرْجَمَةِ، بَيْتَرْنِيو مَارْكَ، تَر: حَسَنُ غَزَالَةِ، د. ن. د. م. د. ت. ص 191.

(3) الْوَجِيزُ فِي الْإِصْطِلَاحِ، خَالِدُ الْأَشْهَبِ، مَنَشُورَاتُ: مَعْهَدُ الدِّرَاسَاتِ وَالْأَبْحَاثِ لِلتَّعْرِيبِ، الرِّبَاطُ: 2008م، ص 26.

يَتَطَلَّبُهُ مِنْ نَشْرِ الْمَعْلُومَاتِ وَتَبَادُلِهَا⁽¹⁾، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ لِزَاماً عَلَى الْمُتَرْجِمِينَ الْبَحْثُ السَّرِيعُ عَنْ مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةٍ تُسَعِّفُهُمْ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَفَاهِيمِ هَذَا التَّقْدَمِ وَتَقْنِيَاتِهِ الْمُتَجَدِّدَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ قَدْ يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الزَّلَلِ وَعَدَمِ التَّوْفِيقِ فِي اخْتِيَارِ الْمُصْطَلَحِ الْمُنَاسِبِ.

إِنَّ مِنَ الْوَسَائِلِ النَّاجِعَةِ فِي وَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ خَاصَّةً الْعِلْمِيَّةِ تَرْجَمَةَ كَلِمَاتٍ أَعْجَمِيَّةٍ بِمَعَانِيهَا⁽²⁾، أَيْ: «نَقَلَ اللَّفْظَ الْأَعْجَمِيَّ بِمَعْنَاهُ إِلَى مَا يُقَابِلُهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ»⁽³⁾، سَوَاءً أَكَانَ هَذَا الْمُقَابِلُ مَوْجُوداً مِنْ قَبْلُ أَمْ مُؤَلَّداً، وَتَوَلِيدُ الْأَلْفَاظِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ لَاسِيَّماً فِي الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ تَعْتَرِيهِ الصَّعَابُ وَتَزِلُّ فِيهِ أَقْلَامُ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُتَخَصِّصِينَ، وَمَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ، وَسَأَتَنَاوَلُ فِي هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ نِتَافاً مِمَّا وَقَعَ فِيهِ مُتَرْجِمُونَا فِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ مِنْ هَفَوَاتٍ، كَانَ لَهَا أَثَرُهَا الْبَاقِي عَلَى دِقَّةِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَلِكَ مَعَ ذِكْرِ أَسْبَابِهَا.

أَوَّلًا - الذُّهُولُ عَنِ الْقَوَاعِدِ الصَّرْفِيَّةِ فِي اللُّغَتَيْنِ، وَمِنْ أَمَثَلَتِهَا:

1 - اِسْمُ الْفَاعِلِ بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْجَلِيزِيَّةِ:

مِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ صِيَاغَةَ اِسْمِ الْفَاعِلِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ قَدْ تَكُونُ بِإِضَافَةِ كَاسِعَةٍ (er) عَلَى الْفِعْلِ (Verb)⁽⁴⁾، نَحْوُ (Learner – Reader – Writer) بِمَعْنَى: كَاتِبٍ، قَارِئٍ، مُتَعَلِّمٍ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْكَاسِعَةُ (er) دَالَّةً عَلَى اِسْمِ الْآلَةِ فِي تِلْكَ اللُّغَةِ⁽⁵⁾، نَحْوُ (Bookkeeper – Wiper – Heater) بِمَعْنَى: سَخَّانَةِ مَاءٍ، وَمَسَاحَةِ رُجَاجٍ،

(1) يُنْظَرُ: فِي التَّرْجَمَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ، الْبَاجِي الْقَمَرْتِي، سِلْسِلَةُ الْبَحْثِ وَالدِّرَاسَاتِ (التَّرْجَمَةُ وَنَظَرِيَّاتُهَا)، ص 88.

(2) يُنْظَرُ: الْمِصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، مُصْطَفَى الشَّهَابِي، دَارُ صَادِرٍ، ط 3، بِيْرُوت: 1995م، ص 28.

(3) دِرَاسَاتٌ فِي التَّرْجَمَةِ وَالْمِصْطَلَحِ وَالتَّعْرِيبِ، شَحَادَةُ الْخُورِي، دَارُ طَلَّاسٍ لِلدِّرَاسَاتِ وَالتَّرْجَمَةِ وَالنَّشْرِ، ط 1، دِمَشْق: 1989م، ص 174.

(4) يُنْظَرُ: قَامُوسُ الْقَارِئِ (إِنْكَلِيزِي عَرَبِي)، الْعَزِي وَهَوْرَنِي وَبَارْنَوِيل، دَارُ جَامِعَةِ أَكْسْفُورْدِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، لَنْدُن: 1983م، ص 804.

(5) يُنْظَرُ: Salem (English for Libya), salem a.Zayat and Hassan Rihan, Gulf Publication: Limited, Malta: 1980 am, p 65

وماسِكَة دَفَاتِرَ، إِلَّا إِنَّ الْمُتَرْجِمِينَ عَنِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ وَوَاضِعِي الْمُصْطَلَحِ فَاتَهُمْ هَذَا التَّشَابُهُ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ وَالتَّبَسُّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِصِيغٍ خَاصَّةٍ لِاسْمِ الْآلَةِ، وَهِيَ (مِفْعَلٌ، وَمِفْعَالٌ، وَمِفْعَلَةٌ⁽¹⁾) أَوْ الَّتِي أَضَافَهَا الْمَجْمَعُ اللُّغَوِيُّ بِالْقَاهِرَةِ، وَهِيَ (فَاعِلَةٌ، وَفَعَالَةٌ، وَفَاعُولٌ، وَفِعَالٌ⁽²⁾)، وَهُوَ أَمْرٌ جَعَلَهُمْ يُتَرْجِمُونَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةَ (Bookkeeper- Wiper- Heater) إِلَى: سَخَانٍ، وَمَاسِجٍ، وَمَاسِكٍ، وَهِيَ لَيْسَتْ صِيغاً لِلآلَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ صَوَابَ تَرْجُمَتِهَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِمُصْطَلَحَاتٍ عَلَى الْأَوْزَانِ الصَّحِيحَةِ لِاسْمِ الْآلَةِ، نَحْوُ: مِسْخَنٍ أَوْ سَخَانِيَّةٍ، وَمَاسِحَةٍ أَوْ مَسَاحَةٍ، وَمَاسِكَةٍ أَوْ مَسَاكَةٍ، وَمِنْ الْأَخْطَاءِ أَيْضاً أَنَّهُمْ تَرْجَمُوا (Telephone) إِلَى: هَاتِفٍ بِوَزْنِ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُتَرْجَمَ إِلَى: مِهْتَفٍ أَوْ مِهْتَفٍ أَوْ مِهْتَفَةٍ⁽³⁾، وَتَرْجَمُوا (Microphone) إِلَى: لَاقِطٍ، وَالصَّوَابُ: مِذْيَاعٌ⁽⁴⁾.

2 - الْجَمْعُ بَيْنَ عَلَامَتِي النَّسَبِ فِي اللُّغَتَيْنِ (الْمُتَرْجِمِ عَنْهَا وَالْمُتَرْجِمِ إِلَيْهَا):

مِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ عَلَامَةَ النَّسَبِ فِي الْعَرَبِيَّةِ يَأْ مُشَدَّدَةً، مَكْسُورٌ مَا قَبْلَهَا، تُضَافُ عَلَى آخِرِ الْاسْمِ الْمَنْسُوبِ⁽⁵⁾، نَحْوُ: أَدَبِيٍّ، وَلُغَوِيٍّ، وَطَرَابُلُسِيٍّ، لِلْمَنْسُوبِ إِلَى: أَدَبٍ، وَلُغَةٍ، وَطَرَابُلُسٍ، وَمِنْ عَلَامَاتِ النَّسَبِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ لَاحِقَةُ (ic)⁽⁶⁾، نَحْوُ (Artistic)، بِمَعْنَى: فَنِّيٍّ، وَ(Tragic)، بِمَعْنَى: مَأسَاوِيٍّ، وَهِيَ فِي اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ (ique)، نَحْوُ (Tragique) - (Artistique)، وَإِنَّ مِنَ الصَّوَابِ عِنْدَ تَرْجَمَةِ الْاسْمِ الْمَنْسُوبِ فِي لُغَتِهِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَذْفُ عَلَامَةِ النَّسَبِ فِي تِلْكَ اللُّغَةِ وَتَعْوِضُهَا بِعَلَامَةِ النَّسَبِ الْعَرَبِيَّةِ، لَكِنَّ

(1) يُنْظَرُ: الْمُقَرَّبُ، لِابْنِ عَصْفُورٍ الْإِسْبِيلِي: عَلِيٌّ بْنُ مُؤَمِّنٍ (ت 669هـ)، تَحْقُقُ: أَحْمَدُ عَبْدِ السَّاتَرِ الْجَوَارِي وَعَبْدُ اللَّهِ الْجَبُورِي، وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤْنِ الدِّينِيَّةِ، الْعِرَاقُ: 1986م، ص 494.

(2) يُنْظَرُ: مَجْمُوعَةُ الْقَرَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، (مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ثَلَاثِينَ عَاماً)، لِمَجْمَعِ الْقَاهِرَةِ، الْهَيْئَةُ الْعَامَّةُ لِلشُّؤْنِ الْمَطَاعِ الْأُمِيرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ: 1963م، ص 35 - وَكِتَابُ فِي أَصُولِ اللُّغَةِ، مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، الْهَيْئَةُ الْعَامَّةُ لِلشُّؤْنِ الْمَطَاعِ الْأُمِيرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ: 1969م 1/ 19.

(3) يُنْظَرُ: التَّعْرِيبُ وَالتَّنْمِيَةُ اللُّغَوِيَّةُ، مَدْرُوحُ خَسَارَةٍ، الْأَهَالِي لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، ط 1، دِمَشْقُ: 1994م، ص 239.

(4) يُنْظَرُ: الرَّائِدُ، جَبْرَانُ مَسْعُودٍ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، ط 2، بَيْرُوتُ: 1967م، ص 1352.

(5) يُنْظَرُ: جَامِعُ الدَّرُوسِ الْعَرَبِيَّةِ، مُصْطَفَى الْغُلَايِينِي، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، ط 22، بَيْرُوتُ صَيْدَا: 1989م 71/2.

(6) يُنْظَرُ: قَامُوسُ الْقَارِي (إِنْكَلِيزِي عَرَبِي)، ص 804.

المُترجمين أثناء تَرْجَمَةِ مثل تلك الكلمات جَمَعُوا بَيْنَ العَلَامَتَيْنِ فِي المِصْطَلَحِ العَرَبِيِّ، فَتَرَجَمُوا كَلِمَاتٍ، مِثْلَ (Romantique) - (Romantic) إلى: رُومَانْتِيكِيٍّ⁽¹⁾؛ جَمْعاً بَيْنَ عِلَامَتِي النَّسَبِ العَرَبِيَّةِ والأَجْنَبِيَّةِ، مُحَالِفِينَ التَّرْجَمَةَ الصَّحِيحَةَ لِتَغْرِيبِ الكَلِمَةِ، وَهِيَ: رُومَانْسِيٌّ؛ رَغْمَ كَوْنِ المِصْطَلَحِ العَرَبِيِّ (وَجَدَانِيٍّ أَوْ إِبْدَاعِيٍّ) أَكْثَرَ دِقَّةً وَوُضُوحاً⁽²⁾.

ثانياً - الاقتصار على التَّرْجَمَةِ الحَرْفِيَّةِ:

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ تَرْجَمَةُ (Les Vaisseaux Sanguines) إلى: أَوْعِيَّة دَمَوِيَّةٍ⁽³⁾، وَيُوجَدُ فِي المُسْتَشْفَيَاتِ قِسْمٌ، يُسَمَّى: قِسْمَ القَلْبِ والأَوْعِيَّةِ الدَّمَوِيَّةِ، وَهِيَ تَرْجَمَةٌ وَضَعَتْ دُونَ الرُّجُوعِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ وَخَصَائِصِهَا، فَبِالْعَرَبِيَّةِ تُوجَدُ كَلِمَةُ (العِرْقُ)، وَهُوَ مَا يَجْرِي بِهِ الدَّمُ فِي الْإِنْسَانِ⁽⁴⁾، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُسَمَّى (وِعَاءً)، فَكَانَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُتْرَجَمَ إِلَى: قِسْمِ القَلْبِ والعُرُوقِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَرْجَمَةُ مُصْطَلَحِ (Effeminacy) بِكَلِمَتِي (نَسَوَنَةٍ، وَاسْتِنَاثٍ)؛ وَهُوَ مُحَالِفٌ لِّلْمَعْنَى العَرَبِيَّةِ الصَّحِيحِ لَهَا، وَهُوَ (تَخَنُّثٌ)⁽⁵⁾.

ثالثاً - الذُّهُولُ عَنِ المَعْنَى الاصْطِلَاحِيَّةِ:

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ: تَرْجَمَةُ (la Tradition Musulman) إِلَى (التَّقْلِيدِ النَّبَوِيِّ)؛ لِأَنَّهُ مُحَالِفٌ لِمَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ المُسْتَعَرِبُونَ مِنْ تَرْجَمَةِ المِصْطَلَحِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ

(1) يُنْظَرُ: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت: 1984م، ص 190.

(2) يُنْظَرُ: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، د. ت 1013/2 وقاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي، إنجليزي، فرنسي)، إميل يعقوب ويسام بركة ومي شيخاني، دار العلم للملايين، ط 1، بيروت: 1987م، ص 10.

(3) يُنْظَرُ: التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، ص 113.

(4) يُنْظَرُ: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة 596/2.

(5) يُنْظَرُ: التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، ص 249.

يُتَرَجِّمُوا (Tradition) إلى حَدِيثٍ نَبَوِيِّ أَوْ سُنَّةٍ نَبَوِيَّةٍ⁽¹⁾.

رابعاً - الخُروجُ على نَسَقِ العَرَبِيَّةِ في وَضْعِ المُصْطَلَحِ:

وَمِنْ أُمُثْلَيْهِ: تَرْجَمَةُ (linguistics) إلى (لُغَوِيَّاتٍ وَلِسَانِيَّاتٍ)؛ عُنُوناً لِاسْمِ الْعِلْمِ⁽²⁾، وَهُوَ مُحَالِفٌ لِلنَّسَقِ الْعَرَبِيِّ فِي وَضْعِ عُنُونَاتِ أَسْمَاءِ الْعُلُومِ الَّتِي تَقْتَضِي أَنْ تُصَدَّرَ بِ(عِلْمٍ)، فَخَو: عِلْمُ الْفِقْهِ، وَعِلْمُ النَّحْوِ، وَعِلْمُ التَّفْسِيرِ الخ...، وَأَنَّ تَرْجَمَتَهَا إِلَى (لُغَوِيَّاتٍ أَوْ لِسَانِيَّاتٍ) يُعَدُّ خُرُوجاً عَلَى نَسَقِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ مِنَ الْأَوَّلَى تَسْمِيَتُهَا بِعِلْمِ اللُّغَةِ أَوْ عِلْمِ اللِّسَانِ.

خامساً - مُقَابَلَةُ الْمَفَاهِيمِ الْجَدِيدَةِ بِمُصْطَلَحَاتٍ مِنَ التَّرَاثِ:

فَالْمُصْطَلَحُ الْعَرَبِيُّ التَّرَاثِيُّ (الِدَغَامُ) - مَثَلًا - يَدُلُّ بِمَعْنَاهُ التَّرَاثِيُّ الْقَدِيمُ عَلَى إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ يُؤَدِّي إِلَى التَّضْعِيفِ، فَإِذَا أُطْلِقَ لِيُقَابِلَ الْمُصْطَلَحَ الْأَجْنَبِيَّ (Assimilation) الَّذِي يَعْنِي إِحْدَاثَ تَغْيِيرٍ يُؤَدِّي إِلَى تَمَاطُلٍ بَيْنَ صَوْتَيْنِ جُزْئِيًّا أَوْ كَلِمًا، فَإِنَّهُ لَنْ يَكُونَ دَقِيقًا؛ ذَلِكَ أَنَّ (الِدَغَامَ) مَا هُوَ إِلَّا صُورَةٌ مِنْ صُورِ التَّمَاتِلِ وَفَقًا لِمَفْهُومِهِ فِي عِلْمِ الْأَصْوَاتِ الْحَدِيثِ؛ لِذَا فَإِنَّ صَوَابَ تَرْجَمَتِهِ بِ(التَّمَاتِلِ) أَوَّلَى مِنْ مُقَابَلَتِهِ بِ(الِدَغَامِ)؛ حَتَّى لَا يَتَرْتَبَ عَلَيْهِ تَدَاخُلٌ بَيْنَ مَفْهُومَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ⁽³⁾.

سادساً - عَدَمُ مُرَاعَاةِ خُصُوصِيَّةِ اللُّغَةِ أَثْنَاءَ وَضْعِ الْمُصْطَلَحِ:

وَيَتَّضِحُ هَذَا السَّبَبُ عِنْدَمَا تُرْجَمُوا مُصْطَلَحُ (Nominative) بِحَالَةِ الْفَاعِلِيَّةِ، وَمُصْطَلَحُ ((Accusative) بِحَالَةِ الْمَفْعُولِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ التَّرْجَمَتَيْنِ لَمْ تُرَاعِيا خُصُوصِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ تَرْجَمَةَ الْمُصْطَلَحَيْنِ الْأَجْنَبِيِّينَ إِلَى: حَالَةِ الرَّفْعِ، وَحَالَةِ النَّصْبِ؛ وَذَلِكَ لِاسْتِيعَابِ حَالَةِ الرَّفْعِ فِي الْعَرَبِيَّةِ: الْفَاعِلِ وَنَائِبِ الْفَاعِلِ وَالْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَعَدَمِ اقْتِصَارِ

(1) يُنْظَرُ: مَعْجَمُ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، مَجْدِي وَهْبٍ وَكَامِلُ الْمَهْنَدَسِ، ص 145.

(2) يُنْظَرُ: الْمَعْجَمُ الْمُوَحَّدُ لِمُصْطَلَحَاتِ اللِّسَانِيَّاتِ، مَكْتَبُ تَنْسِيقِ التَّعْرِيبِ بِالرِّبَاطِ: 2002م، ص 87.

(3) يُنْظَرُ: الْمَقَابِلَاتُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْمُصْطَلَحِ الصَّوْتِيِّ الْوَافِدِ (دِرَاسَةٌ فِي الْبَنِيَّةِ وَالْمَفْهُومِ)، صَالِحُ سَلِيمِ الْفَاخِرِيِّ، الْمَوْثَرِ

الدُّوْلِيِّ الرَّابِعِ لِلصَّوْتِيَّاتِ (اللُّغَةُ أَصْوَاتٌ)، مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ج 1، طَرَابُلُس: 2010م، ص 238.

حَالَةِ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ فَقَطْ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَالْحَالُ وَالْتَّمِيزُ وَالْمَفْعُولُ لَهُ وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ وَالْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ يَدْخُلُ تَحْتَ دَائِرَةِ حَالَةِ النَّصْبِ⁽¹⁾.

سابعاً - عَدَمُ مُرَاعَاةِ الدِّقَّةِ الدَّلَالِيَّةِ فِي الْأَلْفَاظِ:

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ تَرْجُمَةُ (Television) إِلَى: إِذَاعَةٍ مَرِّيَّةٍ؛ لِأَنَّ دَلَالََةَ (الاسْتِمَاعِ) الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْمَشَاهِدَةُ غَيْرُ مُتَحَقِّقَةٍ فِي الْوَصْفِ ب(مَرِّيَّةٍ)؛ لِلإِغْتِنَاءِ عَلَى الرُّؤْيَةِ بِهَذَا الْوَصْفِ، وَكَذَلِكَ تَرْجُمَتُهَا إِلَى (الْمُبَاصَرَةِ) الَّتِي اقْتَرَحَهَا الْأَبُ أَنْسَتَاسُ الْكِرْمَلِي⁽²⁾؛ لِإِعْدَمِ اشْتِمَالِهَا عَلَى دَلَالََةِ الْاسْتِمَاعِ أَيْضاً، وَهُوَ مَا يَقْتَضِيهِ مَفْهُومُ الْمُصْطَلَحِ الْأَجْنَبِيِّ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِمَا مَعاً؛ وَهِيَ دَلَالَةٌ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا مَعَ الْجَذْرِ اللَّغَوِيِّ (ر ن و)، فَفِي الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ: «رَنَّا رَنَوْاً رُنُوءاً: أَدَامَ النَّظَرَ فِي سُكُونِ طَرَفٍ ... وَرَنَّا إِلَى حَدِيثِهِ: أَصْعَى»⁽³⁾، عِلْماً بِأَنَّ الْمُصْطَلَحَ قَدْ قُوبِلَ بِمُقَابِلٍ مُشْتَقٍّ مِنْ هَذَا الْجَذْرِ فِي سِتِّيْنِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي، فَأُطْلِقَ عَلَى مُؤَسَّسَةِ الْإِرْسَالِ التَّلْفِزِيُونِيِّ مُصْطَلَحَ (الرَّنُو)، وَأُطْلِقَ عَلَى جِهَازِ الْاسْتِقْبَالِ التَّلْفِزِيُونِيِّ (الْمِرْنَاةُ) بِصِيغَةِ اسْمِ الْأَلَةِ (مِفْعَالٍ)، فَشَاعَ اسْتِعْمَالُ الْمُصْطَلَحِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، حَتَّى حَمَلَتْهُ عُنُونَاتُ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ، وَفِي ذَاكِرَتِي كِتَابٌ صَادِرٌ فِي مِصْرَ يَحْمِلُ عُنْوَاناً، هُوَ: تَأْثِيرُ الرَّنُو عَلَى الْأَطْفَالِ، وَكُتِبَ عَلَى جِهَازِ اسْتِقْبَالٍ صُنِعَ فِي بِلَادِي: مِرْنَاةٌ.

ثامناً - الْجَهْلُ بِخَصَائِصِ الْمُصْطَلَحِ:

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ: التَّرْجُمَةُ بِالْعِبَارَاتِ الطَّوِيلَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْمُصْطَلَحِ أَنَّ يَكُونَ مُحْتَضِراً؛ حَتَّى يَسْهُلَ تَدَاوُلُهُ⁽⁴⁾؛ فَتَرْجُمَةُ مُصْطَلَحِ (Cognition) ب(الْخُؤُولَةِ)

(1) يُنْظَرُ: الْعَرِيفُ، مَعْجَمٌ فِي مُصْطَلَحَاتِ النُّحُو الْعَرَبِي (عَرَبِي إِنْكَلِيزِي)، بَيْبِر كَاكِيَا، مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ، بَيْرُوت: 1973م، ص 5 48.

(2) يُنْظَرُ: نَشُوءُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَنُمُوهَا وَاسْتِغْنَاؤُهَا، مَكْتَبَةُ الثَّقَافَةِ الدِّينِيَّةِ، مِصْرَ: د. ت، ص 98.

(3) الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَاهِرِي 376/1.

(4) يُنْظَرُ: اللُّغَةُ بَيْنَ الْعِبَارِيَةِ وَالْوَصْفِيَّةِ، تَمَامُ حَسَانِ، دَارُ الثَّقَافَةِ، الدَّارُ الْبَيْضَاءُ الْمَغْرِبِ: 1980م، ص 161 - وَالْأَسْسُ اللُّغَوِيَّةُ لِعِلْمِ الْمُصْطَلَحِ، مُحَمَّدُ فَهْمِي حِجَازِي، مَكْتَبَةُ غَرِيبِ، الْقَاهِرَةُ: 1993م، ص 251.

أَحْسَنُ مِنْ تَرْجَمَتِهَا ب(قَرَابَةِ دَمَوِيَّةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْأُمِّ)، وَتَرْجَمَةُ مُصْطَلَحِ (Apoplexy) ب(السَّكْتَةُ الدَّمَاغِيَّةُ) أَحْسَنُ مِنْ تَرْجَمَتِهَا ب(فَقْدَانِ الشُّعُورِ بِالْحَرَكَةِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ)، وَتَرْجَمَةُ مُصْطَلَحِ (Asthenia) ب(الْوَهْنِ) أَحْسَنُ مِنْ تَرْجَمَتِهَا ب(ضَعْفُ الْقُوَّةِ)⁽¹⁾، وَتَرْجَمَةُ (Microphone) ب(المِذْيَاعِ) أَحْسَنُ مِنْ تَرْجَمَتِهَا ب(لَاقِطِ صَوْتٍ).

تَاسِعاً - عَدَمُ اسْتِيعَابِ دَلَالَةِ الْمُصْطَلَحِ فِي لُغَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ:

مِنْ ذَلِكَ: مُقَابَلَةُ مُصْطَلَحِي (Technical) و(Artistic) بِمُصْطَلَحِ (فَنِّيٍّ)؛ رَغْمَ اخْتِلَافِ مَعْنِيهِمَا فِي اللُّغَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ، حَيْثُ يَدُلُّ الْأَوَّلُ عَلَى الْمُتَعَلِّقِ بِفَنِّ الْحَيَلِ (الميكانيكا) وَيَدُلُّ الثَّانِي عَلَى الْمُتَعَلِّقِ بِالْفُنُونِ الْجَمِيلَةِ، كَالْتَحْتِ وَالرَّسْمِ⁽²⁾، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً: مُقَابَلَةُ مُصْطَلَحَاتِ (Public-General - Universal) بِمُصْطَلَحِ عَرَبِيٍّ وَاحِدٍ، هُوَ (عَامٌّ)⁽³⁾؛ إِذِ الْأَدَقُّ أَنْ يُقَابَلَ (Universal) ب(جامعٍ)، وَأَنْ يُقَابَلَ (Public) ب(عُمُومِيٍّ)، وَكَذَلِكَ تَرْجَمَةُ مُصْطَلَحَاتِ (Order - Regime - System) بِمُصْطَلَحِ وَاحِدٍ، هُوَ (نِظَامٌ)؛ رَغْمَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ فُرُوقٍ⁽⁴⁾، لِأَنَّ الْأَدَقَّ أَنْ يُقَابَلَ (Order) ب(تَرْتِيبٍ)، وَأَنْ يُقَابَلَ (Regime) ب(نَسَقٍ)، وَكَذَلِكَ تَرْجَمَةُ (Angina)، وَهِيَ التَّهَابُ لِلْوَرْتَيْنِ، وَتَرْجَمَةُ (Diphtheria)، وَهِيَ ذَنْبَةُ الصَّدْرِ ب(الْحَنَاقِ)، إِذِ الْأَفْضَلُ تَرْجَمَةُ (Diphtheria) بِالذَّبَاجِ⁽⁵⁾، وَكِلَا الْمُصْطَلَحَيْنِ صَحِيحَانِ؛ لِمَجِيئِهِمَا عَلَى صِيغَةِ (فُعَالٍ) الدَّالَّةِ عَلَى الْمَرَضِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ: «وَكُونُ (فُعَالٍ) لِلأَدْوَاءِ، كَالزُّكَامِ، وَالسَّلَاقِ، وَالْقِيَاءِ، وَالصُّدَاعِ، وَالذُّوَارِ، وَالظُّهَارِ، وَالسَّلَالِ، وَالنُّحَازِ، وَالْمُشَاءِ»⁽⁶⁾.

(1) يُنْظَرُ: التَّعْرِيبُ وَالتَّنْمِيَةُ اللُّغَوِيَّةُ، مَدْرُوحُ خَسَارَةٍ، ص 249.

(2) يُنْظَرُ: السَّابِقُ، ص 241.

(3) يُنْظَرُ: السَّابِقُ، ص 249.

(4) يُنْظَرُ: السَّابِقُ، ص 249.

(5) يُنْظَرُ: عِلَاقَةُ صَوْغِ الْمُصْطَلَحِ الْعِلْمِيِّ وَتَوْحِيدِهِ، عَزِ الدِّينِ الْبُوشَيْخِي، النَّدْوَةُ الْعِلْمِيَّةُ الرَّابِعَةُ (صَوْغُ الْمُصْطَلَحِ

الْعِلْمِيِّ وَتَوْحِيدِهِ)، مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، طَرَابُلُس - لُبْيَا: 2007م، ص 45.

(6) شَرْحُ التَّسْهِيلِ، لَابْنِ مَالِكٍ: جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ت 672 هـ)، تَحْقِيقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّيِّدِ وَمُحَمَّدِ بَدْوِيِّ

عاشراً— عَدَمُ مُرَاعَاةِ الْحَقْلِ الْعِلْمِيِّ لِلْمُصْطَلَحِ أَثْنَاءَ وَضْعِ الْمُقَابِلِ الْعَرَبِيِّ:

وَمِنْ ذَلِكَ: عَدَمُ دِقَّةِ تَرْجَمَةِ (Fuse) إِلَى (انصهار) فِي مَبَاحِثِ الْفِيزِيَاءِ النَّوَوِيَّةِ، فِي حِينَ تَصِحُّ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ فِي مَبَاحِثِ الْحَرَارَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً: تَرْجَمَةُ (Reaction) إِلَى (رَدٌّ فِعْلٍ) فِي عِلْمِ الْكِيمِيَاءِ بَدَلاً مِنْ (تَفَاعُلٍ)، فِي حِينَ تَصِحُّ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ لِمُقَابَلَةِ هَذَا الْمُصْطَلَحِ فِي عِلْمِ الْحَيَلِ (الميكانيكا)⁽¹⁾.

حادي عَشَرَ- التَّأَثُّرُ بِاللُّغَةِ الْمُتَرَجِّمِ عَنْهَا:

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ مُصْطَلَحِ (Force)، فَمَنْ تَرَجَّمَهَا عَنِ اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ قَابَلَهَا بِمُصْطَلَحِي (قُوَّةٍ، وَقُدْرَةٍ)؛ لِذِلَالَةِ الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِمَا فِي تِلْكَ اللُّغَةِ، فِي حِينَ قَابَلَهَا مَنْ يُتَرَجِّمُ عَنِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ بِمُصْطَلَحِ (قُوَّةٍ) فَقَطَّ؛ لِأَنَّ مُصْطَلَحَ (قُدْرَةٍ) لَهَا مُصْطَلَحٌ آخَرُ فِي تِلْكَ اللُّغَةِ هُوَ (Power)⁽²⁾، كَمَا يَظْهَرُ هَذَا السَّبَبُ أَيْضاً فِيمَنْ وَضَعَ مُصْطَلَحَ (حاسوبٍ) مُقَابِلَ (Computer) تَرْجَمَةً عَنِ اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، فِي حِينَ قُوبِلَ الْمُصْطَلَحُ بـ (نَظَّامِيَّةٍ) وَ(رَتَّابِيَّةٍ) فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ تَرْجَمَةً لـ (Ordinateur) عَنِ اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ⁽³⁾، وَكَذَلِكَ مُصْطَلَحُ (اتِّحَادٍ) الَّذِي وَضَعَهُ أَصْحَابُ الثَّقَافَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ مُقَابِلاً لِمُصْطَلَحِ (Union)، كـ (اتِّحَادِ كُرَةِ الْقَدَمِ اللَّيْبِيِّ) وَ(الِاتِّحَادِ السُّوفِيَّتِيِّ)، وَمُصْطَلَحُ (جَامِعَةٍ) الَّذِي وَضَعَهُ أَصْحَابُ الثَّقَافَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعْنَى نَفْسِهِ تَبَعاً لِمُصْطَلَحِ (Unique) الْمُسْتَعْمَلِ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ، كـ (الْجَامِعَةِ التَّوْنُسِيَّةِ لِكُرَةِ الْقَدَمِ) وَ(جَامِعَةِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ).

المختون، هجر للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة: 1990م/3/470.

(1) يُنْظَرُ: التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، ص 245.

(2) يُنْظَرُ: السابق، ص 251 252.

(3) يُنْظَرُ: التجربة السورية في وضع المصطلحات، محمود السيد، ندوة المرصد اللغوي العربي للمصطلحات الموحدة،

جمعية الدعوة الإسلامية، ط 1، طرابلس: 2010م، ص 22 23.

ثاني عشر - عَدَمُ مُرَاعَاةِ الْمَدْلُولِ الثَّقَافِيِّ لِلْمُصْطَلَحِ فِي لُغَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ:

وَيُظْهِرُ هَذَا وَاضِحاً عِنْدَ تَرْجَمَةِ مُصْطَلَحِ (Civilization) إِلَى: حَضَارَةٍ وَمَدَنِيَّةٍ⁽¹⁾؛ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُصْطَلَحِ عَلَى هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ (حَضَارَةٍ وَمَدَنِيَّةٍ) صَحِيحَةٌ تَبَعاً لِلْمَدْلُولِ الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ، لَكِنَّهَا وَفَّقَ الْمَدْلُولِ الثَّقَافِيِّ الشَّرْقِيِّ غَيْرُ دَقِيقَةٍ، فَالْحَضَارَةُ تَخْتَلِفُ عَنِ الْمَدَنِيَّةِ وَفَّقَ هَذَا الْمَدْلُولِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ «الْكُلُّ الْمُعْقَدُ الَّذِي يَتَّصِنُ الْمَعْرِفَةَ وَالْعَقِيدَةَ وَالْفَنَّ وَالْأَخْلَاقَ وَالْقَانُونَ وَالتَّقَالِيدَ وَالْقُدَرَاتِ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا الْإِنْسَانُ بِوَصْفِهِ عُضْواً فِي الْمُجْتَمَعِ»⁽²⁾، وَأَنَّ الْمَدَنِيَّةَ هِيَ «النَّشَاطُ الْإِنْسَانِي فِي غَرْوِ مَيَادِينِ الطَّبِيعَةِ عَنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ وَفِي مُحِيطِ الْعِلْمِ وَالْفُنُونِ الصَّنَاعِيَّةِ وَالتَّخْطِيطِ»⁽³⁾، وَمِنْ ثَمَّ تَنْبَغِي مُرَاعَاةُ مَفَاهِيمِ أَهْلِ اللُّغَةِ الْمُتَرْجِمِ إِلَيْهَا، فَتُتَرْجَمُ (Civilisation) إِلَى حَضَارَةٍ؛ لِأَنَّهَا بِهَذَا الْمَفْهُومِ تَتَّفِقُ مَعَ الْمَفْهُومِ الثَّقَافِيِّ الشَّرْقِيِّ، أَمَّا الْمَدَنِيَّةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تُقَابَلَ بِهَا مُصْطَلَحاً غَرَبِيّاً مَعْرُوفاً لَدَى الْعَرَبِ، وَهُوَ (Urbanization)، وَهُوَ الْمُصْطَلَحُ الَّذِي يَتَّفِقُ مَفْهُومُهُ مَعَ مَفْهُومِنَا الشَّرْقِيِّ لِلْمَدَنِيَّةِ⁽⁴⁾، وَلِلتَّوَضُّيْحِ يُمَكِّنُ التَّمَثِيلُ بِالْقَوْلِ أَنَّ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ هِيَ مَدَنِيَّةٌ وَلَيْسَ لَهَا حَضَارَةٌ، بِعَكْسِنَا نَحْنُ الْعَرَبَ فَلَنَا حَضَارَةٌ وَلَيْسَ لَنَا مَدَنِيَّةٌ، وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ الْأُمَمِ كَالْيَابَانِ حَضَارَةٌ وَمَدَنِيَّةٌ مَعاً.

نَتَائِجُ الْبَحْثِ

تَوَصَّلَ الْبَحْثُ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَجْعَلَ مِنَ الْمُصْطَلَحِ دَقِيقَ الْمَفْهُومِ وَمِنْ ثَمَّ يَنْجُو مِنَ الْعَثَرَاتِ، وَهِيَ:

1 - يَنْبَغِي عَلَى الْمُتَرْجِمِ أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِاللُّغَتَيْنِ (الْمُتَرْجِمِ عَنْهَا وَالْمُتَرْجِمِ إِلَيْهَا) مِنْ

(1) يُنْظَرُ: الْمُرْد (قَامُوسُ إِنْجِلِيزِي عَرَبِي)، مَنِيرُ الْبَعْلَبَكِيِّ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِين، ط 25، بِيْرُوت: 1991م، ص 181 وَالْمَنْهَل (قَامُوسُ فَرَنْسِي عَرَبِي)، سَهِيلُ إِدْرِيسَ، دَارُ الْأَدَابِ، ط 17، بِيْرُوت: 1996م، ص 253.

(2) الْمَشْكَلَةُ اللَّغَوِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ، سَمَرُ رُوحِي الْفَيْصَلُ، جُرُوسُ بَرَسَ، ط 1، طَرَابُلُسُ لُبْنَان: 1992م، ص 87.

(3) السَّابِقُ، ص 87.

(4) يُنْظَرُ: الْمَنْهَل (قَامُوسُ فَرَنْسِي - عَرَبِي)، سَهِيلُ إِدْرِيسَ، ص 1246 وَالْمُرْد (قَامُوسُ إِنْجِلِيزِي عَرَبِي)، مَنِيرُ

الْبَعْلَبَكِيِّ، ص 1019

حَيْثُ الْإِلْمَامُ بِقَوَاعِدِهِمَا وَطَرَائِقِ تَعْبِيرِهِمَا وَخَصَائِصِهِمَا اللَّغَوِيَّةِ.

2 - عَلَى الْمُتَرْجِمِ أَنْ يَكُونَ مُتَخَصِّصاً فِي الْعِلْمِ الَّذِي يُتَرْجَمُ فِيهِ وَعَارِفاً بِمَفَاهِيمِهِ وَتَفْصِيلاتِهَا.

3 - عَلَى الْمُتَرْجِمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى دِرَايَةٍ تَامَّةٍ بِعِلْمِ الْمُصْطَلَحِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُصْطَلَحَاتِ مِنْ خَصَائِصٍ وَمُمَيَّزَاتٍ وَشُرُوطٍ.

4 - أَلَّا يُقْتَصَرَ عَلَى التَّرْجَمَةِ الْحَرْفِيَّةِ، وَأَنْ يُرَاعَى عِنْدَ تَرْجَمَةِ الْمُصْطَلَحَاتِ كُلُّ مَا يُمَيِّزُ اللَّغَتَيْنِ عَنْ بَعْضِهِمَا.

5 - أَنْ يَسْتَوْعِبَ الْمُصْطَلَحَ وَيَتَفَهَّمَهُ فِي لُغَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ قَبْلَ الْقِيَامِ بِتَرْجَمَتِهِ؛ لِكَيْ يَتَّصِفَ مُصْطَلَحُهُ بِالذِّقَّةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَفْهُومِ الْمُصْطَلَحِ الْأَجْنَبِيِّ.

6 - التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْمُعْجَمِيِّ وَالْإِصْطِلَاحِيِّ فِي لُغَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ قَبْلَ الْقِيَامِ بِتَرْجَمَتِهِ.



مَرَايِجُ الْبَحْثِ

1 - Salem (English for Libya), salem a.Zayat and Hassan Rihan, Gulf Publication Limited, Malta: 1980 am.

2 - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة: 993م.

3 - التجربة السورية في وضع المصطلحات، محمود السيد، ندوة المرصد اللغوي العربي للمصطلحات الموحدة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس: 2010م.

4 - التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق: 1994م.

5 - جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، ط 22، بيروت - صيدا: 1989م.

6 - الجامع في الترجمة، بيتر نيومارك، تر: حسن غزالة، د. ن، د. م، د. ت.

7 - دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، شحادة الخوري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق: 1989م.

8 - الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، ط 2، بيروت: 1967م.

9 - شرح التسهيل، لابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة: 1990م.

10 - العريف، معجم في مصطلحات النحو العربي (عربي - إنكليزي)، بيار كاكيا، مكتبة لبنان، بيروت: 1973م.

- 11 - علاقة صوغ المصطلح العلمي وتوحيده، عزالدين البوشياخي، الندوة العلمية الرابعة (صوغ المصطلح العلمي وتوحيده)، مجمع اللغة العربية، طرابلس - ليبيا: 2007م.
- 12 - قاموس القارئ (إنكليزي - عربي)، العزبي وهورنبي وبارنويل، دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر، لندن: 1983م.
- 13 - قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي، إنكليزي، فرنسي)، إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني، دار العلم للملايين، بيروت: 1987م.
- 14 - كتاب في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة: 1969م.
- 15 - اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب: 1980م.
- 16 - مجموعة القرارات العلمية، (مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً)، لمجمع القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة: 1963م.
- 17 - المشكلة اللغوية العربية، سمر روجي الفيصل، جروس برس، طرابلس - لبنان: 1992م.
- 18 - المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، دار صادر، ط 3، بيروت: 1995م.
- 19 - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت: 1984م.
- 20 - المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مكتب تنسيق التعريب بالرباط: 2002م.
- 21 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، د. ت.

- 22 - المقابلات العربية للمصطلح الصوتي الوافد (دراسة في البنية والمفهوم)، صالح سليم الفاخري، المؤتمر الدولي الرابع للصوتيات (اللغة أصوات)، مجمع اللغة العربية، ج 1، طرابلس: 2010م.
- 23 - المقرب، لابن عصفور الإشبيلي: علي بن مؤمن (ت 669هـ)، تحق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، العراق: 1986م.
- 24 - المنهل (قاموس فرنسي عربي)، سهيل إدريس، دار الآداب، ط 17، بيروت: 1996م.
- 25 - المورد (قاموس إنجليزي عربي)، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط 25، بيروت: 1991م.
- 26 - نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها، مكتبة الثقافة الدينية، مصر: د. ت.
- 27 - الوجيز في الاصطلاح، خالد الأشهب، منشورات: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط: 2008م.



في التخطيط المصطلحي

مقترح تحري آلية لترقية المصطلح العلمي

أ.د. خليفة أبوبكر الأسود

(عضو لجنة التخطيط اللغوي بالمجمع)

1 - توطئة:

من المعلوم لدى المختصين باللغة العربية والدارسين لعلوم العربية أن عدد من الجامعات اللغوية قد تم إنشاؤها في البلدان العربية، فضلاً عن وجود مؤسسات بحثية تعنى بترقية اللغة وتطوير مفرداتها، ومن أبرز هذه الجامعات والمؤسسات: المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية الأردني والمجمع اللغوي العراقي ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، والبنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) وبنك مغربي Lexar بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، ومن المعلوم أيضاً أن هذه الجامعات والمؤسسات هي المناط بها مسألة ترقية اللغة وتطويرها وإثرائها بالمصطلحات العلمية المُعَايَرة الموحدة التي تؤهلها لمسايرة ومواكبة التقدم العلمي التكنولوجي المتسارع في بلدان العالم المتقدمة.

ولن نجانب الصواب إذا قلنا أنّ هذه الجامعات والمؤسسات وبنوك المصطلحات قد جاهدت ولا تزال تجاهد في خدمة اللغة العربية إلا أنها لم تجعلها ناجحة في مجارة التيار الجارف المتسارع من المصطلحات المستجدة في المجالات العلمية والتكنولوجية. ومرد ذلك القصور في نظري ليس عجزاً في اللغة نفسها ولكن لعدم استغلال كافة إمكانيات اللغة في تطويرها من قبل المخططين اللغويين للوقوف على ما يجوز توظيفه وما لا يجوز توظيفه من إمكانيات اللغة من ظواهر صرفية أو نحوية في استيعاب المصطلح العلمي.

ففي الوقت الذي نتفهم حرص المجمعين والمخططين اللغويين على المحافظة على سلامة اللغة وعلى وضع مصطلحات مفهومة ويسيرة الاستعمال ونتفهم أسباب هذا الحرص، إلا أن هذا الحرص على سلامة اللغة وعلى حمايتها من التأثير باللغات الأجنبية لم يجعلها متفتحة ومواكبة لمتطلبات العصر. وقد تجلّت هذه المحافظة في التمسك بالقواعد الكلاسيكية للغة والتشدد في وضع الضوابط والقواعد التي كثيراً ما تجاوزها الاستعمال الحي للغة، إذ إن اعتماد الاستعمال اللغوي تفرضه عوامل لغوية واجتماعية وحضارية عدة، ويساعد اعتماد الاستعمال اللغوي الفصيح على التطور والتآلف مع واقع حال المجتمعات العربية، وهو الذي يستوجب أن نستخلص منه ومن تطبيقاته المطردة الاستنتاجات التي تخدم قضايا تطور اللغة وترقيتها.

لقد كانت العربية في سالف عهدها لغة العلوم والمعارف، وأصبح علمائها اليوم عاجزين عن صناعة مصطلحاتها، فمن الواضح أن آليات ترقية المصطلح العلمي العربي اليوم تعاني من إجهاد وإعياء في مجارة الزخم المتسارع في توليد المصطلحات العلمية للتعبير عن المفاهيم العلمية المستحدثة والمتداولة في عالمنا المعاصر. فمنذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، نمت وتوسعت اللغة العربية بطرق وآليات محددة لبناء الكلمات وصوغ المصطلحات، وهي: الاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتعريب، والاقتراض اللغوي، وتعد هذه الطرق هي الوسائل التقليدية لترقية العربية ونموها، ولا يزال المخططون اللغويون والمترجمون والمعجميون يستعملونها لتطوير اللغة العربية. إلا أن الكم المتزايد للمصطلحات والمفاهيم الأجنبية التي فرضت نفسها على العربية في عالمنا المعاصر جعل هذه الوسائل غير كافية لتوليد كل ما تحتاج إليه العربية من مصطلحات لوسم المفاهيم الجديدة.

ولمناقشة هذه المشكلة واقترح الحلول لمعالجتها نجد المخططين اللغويين العرب ينقسمون إلى قسمين، يحرص القسم الأول منهم الذي تمثله الجامعات والمؤسسات اللغوية الرسمية على التمسك بالطرق والآليات التقليدية التي توسعت بها العربية في القديم (الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب والاقتراض) (الاقتراض عند الضرورة) لأجل تطوير

العربية وترقيتها في العصر الحاضر⁽¹⁾.

بينما يذهب القسم الثاني وأغلبهم من المترجمين والمؤلفين والباحث العاملين خارج مؤسسات التخطيط اللغوي الرسمية إلى اعتماد منهج الاستعمال اللغوي⁽²⁾ القائم على قواعد العربية وأوزانها لتكوين تراكيب لغوية تؤدي وظيفة المصطلح، وتصبح مقبولة في لاستعمال اللغوي.

وتهدف هذه الدراسة إلى الدعوة لتبني الإمكانيات النحوية للغة العربية التي يؤيدها الاستعمال اللغوي لتعزيز امكانياتها في ترقية المصطلح العلمي العربي، حيث تجمع هذه الطريقة بين توظيف التراكيب اللفظية العربية للأعلام والاستعمال المتداول. وقد تأسس الإطار النظري لهذه الدراسة على قواعد العربية ونظامها النحوي وأوزانها⁽³⁾، أمّا الشواهد المثلة للمركبات المصطلحية المستهدفة فقد ارتأيت تتبعها واستخلاصها من مصدرين، الأول: أحد إصدارات مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي، وهو أشمل مؤسسة تخطيط مصطلحي تُعني بتنسيق أعمال المجامع اللغوية العربية في مجال المصطلحات وهو «المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية (انجليزي - فرنسي - عربي)، والثاني هو «حزمة المواد التعليمية للرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي»

(1) أنظر عبد الرحمن وجيه حمد، رسالة دكتوراه بجامعة لندن موسومة «The Role of Derivation in the Process of Neologisation in Modern Literary Arabic (1981)» (دور الاشتقاق في تطوير مفردات اللغة العربية المعاصرة)، وأنظر، عبد الصاحب مهدي علي، رسالة دكتوراه بجامعة لندن موسومة «A Linguistic Study of the Development of Scientific Vocabulary in Standard Arabic (1987)» (دراسة في تطوير المفردات العلمية في العربية المعاصرة).

(2) أنظر، (1994 Khalifa Al-Asswad)، رسالة دكتوراه (بجامعة لندن) موسومة «Lexical Expansion in iDaafa in the Development of Technical Terminology». Arabic: The Role of دور المركب الإضافي في تطوير المصطلح العلمي) / وأنظر Aladdin Kharabshah رسالة دكتوراه بجامعة مانشستر (سالفورد) موسومة: «The Translation of Different Types of Technico-scientific Compounds from English into Arabic», PhD thesis, University of Salford (2003).

(دراسة في ترجمة المصطلحات العلمية-التقنية المركبة من الإنجليزية إلى العربية).

(3) أنظر، جواد حسني سماعنة «التركيب المصطلحي طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية»

[International Computer Driving License (ICDL)]، الإصدار الرابع المكون من سبع مقررات تغطي مناهج الرخصة، ويعد حقل الدراسات الحاسوبية أحد المجالات العلمية التخصصية الحديثة لتقنية المعلومات، وقد تم استخلاص هذه الشواهد بحيث يشهد الأول على ممارسات أحد مؤسسات للتخطيط اللغوي العربية بينما يؤكد الثاني على الاستعمال اللغوي. وتسعى هذه الدراسة إلى التنبيه إلى إن أسباب البطء في عمليات التعريب وتطوير المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية المستحدثة مرجعه التقيد بالآليات المعتمدة قديماً لمواجهة مشكلات عصرية، أمّا هدفها الأساس فهو اقتراح وإبراز نهج جديد يقوم على عدم الاختصار على هذه الآليات المعتمدة وحدها لتطوير المصطلح الحديث، وتبني آليات جديدة للوضع المصطلحي قائمة على مقاييس اللغة وأصولها النحوية، عن طريق توظيف الإمكانيات النحوية، متمثلة في المركبات اللفظية، التي تزخر بها العربية للاستفادة منها في تطويرها وترقيتها.

2 - إطار الدراسة وحدودها

اللغة كائن حي خاضع لناموس التطور، وقد خضعت العربية مثل سائر اللغات للتطور فتنوعت ألفاظها وتطورت بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، وإن كل أمة تعزز بلغتها وتريد لها الحياة والاستمرار نظراً للغة من أهمية، إذ أنها هي الوسيلة للتعبير عن آمال الأمة وهي التي يكتب بها تاريخ الأمة وحضارتها ومجدها وآدابها وكل ما يتصل بها، كما تنقل للأجيال حضارة أسلافهم وتحفظ لهم تراثهم.

ولأن اللغة هي وسيلة التفاهم والتعامل فلا بد للغة من مسايرة العصر وتطور الحياة في جميع مناحيها حتى تستطيع تلبية حاجات المتكلمين بها. وتعد العوامل المؤثرة في تطور اللغة العربية هي ذات العوامل المؤثرة في تطور أي لغة، وثمة عاملان أساسيان لهما دور في تطور اللغة وترقيتها، الأول يتعلق بخائص اللغة الداخلية من حيث بنيتها صوتاً ولفظاً وتركيباً ودلالة، وأمّا الثاني فهو عامل خارجي يتعلق بعوامل لها تأثير في تطور الألفاظ ودلالاتها وهي عوامل اجتماعية سياسية اقتصادية فضلاً عن عوامل التقدم الحضاري والتقني المعاصر، وتتمثل هذه

العوامل في أثر تغير النظم السياسية والاقتصادية السائدة في المجتمع على تطور الألفاظ وأثر الدين في تغير دلالات الألفاظ والأثر الناتج عن التغير الاجتماعي والتطور الحضاري المستمر على تطور الألفاظ وتطور دلالاتها. وقد نمت العربية وتطورت ألفاظها لمسايرة التغيرات الاجتماعية بطرق التوسع اللغوي المعروفة وهي الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب. وعندما تم اعتماد آليات التطور اللغوي هذه، كانت العربية هي من دخل على اللغات الأجنبية في عقر دارها عن طريق الفتوحات الإسلامية، كما أراد علماء العربية خلال العصر العباسي استيعاب الثقافات المجاورة لبلادهم وتطويرها بترجمة تلك الثقافات العلمية والفكرية، أما في زماننا هذا فقد تغيرت الظروف البيئية للعربية وصارت اللغات الأجنبية هي من يدخل على العربية في دارها بسبب التطور العلمي وتطور أدوات التواصل والاحتكاك المباشر بالثقافات الدولية، مما فرض على العرب واقعا جديدا، وصارت حاجة العرب إلى استيعاب هذه الثقافات وانتاجها الحضاري ليس باختيارهم، بل أصبح عاملا خارجيا ولكنه مرغوبا فيه لدى مستعملي اللغة، ويذكر المسدي⁽¹⁾ «أن الفارق شاسع بين موقف العرب اليوم من لغتهم وموقف أجدادهم منها ويعزي هذا الفارق إلى الوزن الحضاري الذي كان للأمة العربية وافتقدها اليوم»، وكان من فضل الغلبة التاريخية أن العرب قد تعاملوا في الماضي مع مسألة التطور اللغوي وما إليها من معضلات المصطلح في العلوم والمعارف من موقع القوة، فسلم موقفهم من كل العقد النفسية والفكرية، ولكن ما من شك أن لغة العلم تشكل اليوم في الواقع العربي معضلة قاسية، فكثير من الباحثين العرب في حقول المعرفة العلمية والتكنولوجية يعمدون إلى اختيار الكتابة بلغة أجنبية بسبب افتقارهم للمصطلح العربي المقابل للمفهوم الثقافي الغربي، وتكاد هذه الظاهرة أن تكون عامة، وهكذا صار الأمر يتطلب، بل يوجب النظر في آليات ترقية اللغة وتطوير هذه الآليات والتوسع فيها استجابة للمتطلب البيئي الذي حدث في محيط العربية.

(1) عبد السلام المسدي (مجموعة من الأساتذة الجامعيين)، تأسيس القضية المصطلحية، بحوث ودراسات المصطلح العلمي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة قرطاج، 1989م.

وتتمحور هذه الدراسة حول كيف يمكن أن يتم تطوير المصطلحات العلمية العربية لكي يتمكن المتحدثين بها من التعبير بلغتهم دون الحاجة إلى اقتراض مصطلحات أجنبية كما هو الحال في غالب الميادين العلمية التكنولوجية اليوم، وبالتالي ينصرف اهتمام هذا الدراسة إلى التأكيد على الظواهر المصطلحية مع عدم الإخلال بالجوانب النحوية الصرفية للغة، وتستند هذه الدراسة على بيانات ترمي إلى استنباط آليات جديدة لتسمية المفاهيم والمبتكرات العلمية التكنولوجية الواردة من المجتمعات المتقدمة إلى البلاد العربية، وبالتالي فالحافز والمثير الأول لهذه الدراسة لا يعود إلى قصور في جوانب العربية الصوتية والصرفية بل يوجع إلى عوامل خارجية تتعلق بالتداخل مع الثقافات الأجنبية ولغاتها وأثر ذلك على العربية، أي أن التطور اللغوي المصطلحي للعربية اليوم تحفزه عوامل خارجية تتمثل في التواصل مع الثقافات الخارجية أكثر مما تستثيره العوامل المتعلقة ببنية اللغة، ويصور الجدول التالي الاطار المرجعي لطبيعة هذه الدراسة:

جدول يبين طبيعة دراسات التطور اللغوي⁽¹⁾

طبيعة ودافع التطور اللغوي	تطور لغوي (مصطلحي) ناتج عن تغيرات ثقافية حضارية	تطور لغوي نتيجة لتغيرات حدثت في بنية اللغة
دوافع ومثيرات داخلية	تطور لغوي (مصطلحي) ناتج عن تغيرات حضارية حدثت داخل المجتمع ذاته	تطور لغوي (مصطلحي) ناتج عن تغيرات داخلية حدثت في بنية اللغة ذاتها
دافع ومثيرات خارجية	تطور لغوي (مصطلحي) ناتج عن تغيرات حضارية واردة من مجتمع آخر (هذه الدراسة)	تطور لغوي (مصطلحي) ناتج عن تغيرات خارجية حدثت نتيجة تأثير بنية اللغة بلغات أخرى

(1) الجدول مقتبس من: Smeaton, B. (1973) Lexical Change Due to Technical Change, as illustrated by the Arabic of Al-Hasa, Saudi Arabia, Indiana University Publication, Bloomington

يوضح الجدول أعلاه، وقوع هذه الدراسة في إطار وحدود التطوير المصطلحي الناتج عن تطور حضاري حدث خارج مجتمع اللغة، ويقصد بالتطور الحضاري إدخال مبتكرات مادية ومفاهيم جديدة من نتاج المدنية الحديثة في ثقافة المجتمع العربي بالتالي تتطلب هذه الأشياء المضافة مصطلحات لوصفها ووسمها، ومن الطبيعي أن تقوم الأمة المستوردة للحضارة نتيجة للتواصل بين الأمم والشعوب بترقية لغتها ومصطلحاتها لتستوعب النتاج الحضاري الوافد إليها من الخارج كما هو حال اللغة العربية اليوم.

3 - آليات صوغ المصطلح وتوليده في العربية

أهتم مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو أكثر الجامعات العربية اهتماماً بتوليد المصطلحات وتطوير المعجم العربي بتيسير قواعد النحو والصرف بغية تجديد المعجم العربي وألفاظه، فاهتم بالطرق والآليات المعتمدة لوضع المصطلحات.

وكان الرأي السائد في المجمع يرى تلبية حاجات العصر والإسهام في حل المشاكل العملية دون وضع نظم صرفي منسق، فلقد تمّ مزج قضايا عامة بقضايا خاصة ومختصة، كما تشهد على ذلك دراسة الشيخ أحمد الاسكندري الذي كان أول من عالج المسائل الصرفية⁽¹⁾، وقد اعتمد المخطوطون اللغويون بالجامع اللغوية وخارجها ممن اهتموا بالتطور اللغوي وبترقية المصطلح العربي وقضايا التوليد المصطلحي⁽²⁾ آليات توليد المصطلح وتطويره إلى أربع آليات أساسية، أبانها مصطفى الشهابي وهي: الاشتقاق والنحت والمجاز والتعريب، وسنعرض فيما يلي تعريفات وتوصيف لهذه الآليات دون التوسع في تطبيقاتها الآن، ولمن شاء معرفة تفاصيل قضايا التوليد الصرفي أن يتتبعها

(1) راجع، محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مناهج ترقية اللغة تنظيراً ومصطلحاً ومعجماً، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى 1988م، ص 296.

(2) واجع: عبد القادر المغربي، كتاب الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال 1908م، و اسماعيل مظهر، تجديد العربية، مكتبة النهضة، (د. ت.)، ومصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1955م، و محمد الحمزاوي، المرجع السابق وغيرها.

في مصادرها المذكورة في الهامش أدناه، وهي:

1 - الاشتقاق: من الخصائص السامية للغة العربية أنها لغة اشتقاقية؛ ولذلك لا جرم أن يكون الاشتقاق أهم وسائل التنمية اللغوية فيها، والاشتقاق هو توليد كلمة من جذر صرفي أو من كلمة مع تناسب بين المولّد والمولّد منه في اللفظ والمعنى بحسب قوانين الصرف، وعرفه عبد القادر المغربي أنه «نزع لفظ من لفظ آخر بشرط تناسبهما في المعنى والتركيب وتغايرهما في الصيغة»⁽¹⁾، وقسم النحويون الاشتقاق إلى أنواع منها:

• الاشتقاق الصغير: وهو أخذ كلمة من كلمة أخرى مع اشتراك الكلمتين في المعنى واتفاقهما في ترتيب الأحرف الأصلية، كما نشق من الجذر (جلس): جالس، مجلس، جلوس، محالسة، أجلس، أستجلس، جليس... الخ.

• الاشتقاق الكبير: ويسمى (التقليب) ويتمثل في تقديم بعض أحرف الكلمة على بعض مثل: (ل - ك - م -) و(ك - م - ل) و(م - ل - ك -)،

• الاشتقاق الأكبر، أو الإبدال، وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى مع تناسب بينهما في المعنى والمخرج (لا يشترط بعض العلماء تناسب المخارج في الإبدال) واختلاف في بعض الحروف مثل: قضم (الأكل اليابس) وخضم (الأكل الرطب). ومثل: ترم وشرم وصرم.

• الاشتقاق الكُبار ويسمى (النحت) وهو ضرب من ضروب الاختصار، حيث تصاغ كلمة من كلمتين أو أكثر مثل: نقحرة (نقل الحروف) وركمجة (ركوب الأمواج) وبرمائي (البر والماء)، أو من جملة مثل الكلمات (حوقل، حيعل، وسبحل، وفذلك).

ويعد الاشتقاق أكثر آليات صوغ المصطلح العلمي المعتمدة لدى المجامع اللغوية العربية انتاجاً للمصطلحات العلمية. وقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة «إباحة النحت عندما تُلجئ إليه الضرورة العلمية»؛ ولذلك صار النحت جائزاً في العلوم والفنون للحاجة الملحة للتعبير عن معانيها بألفاظ موجزة، ومن الأمثلة على استعماله: حلماء (خلل بالماء)، ويزمونه (يزيل الماء)، ولكر (نزع الكلور) الخ.

(1) عبد القادر المغربي، كتاب الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال 1908م.

2 - المجاز، وهو عند علماء البيان «لفظ ينقل المتكلم معناه الأصلي الموضوع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة»، ويعتبر نقل الألفاظ من معناها الأصلي إلى معنى علمي أحد وسائل ترقية اللغة، والألفاظ التي تم نقلها من معناها الأصلي إلى معنى علمي كثيرة ومنتشرة في الاستعمال العلمي وفي مصطلحات الحضارة مثل: القطار، والسيارة، والغواصة، والإبرة، والمطبعة، الجاذبية، والتيار، والمسام ... وغيرها.

3 - التعريب وهو أحد آليات التطور اللغوي التي يلجأ إليها المخططون اللغويون بعد استنفاد وسائل التطوير والتوليد الأخرى، وهو «أن تتكلم العرب بكلمة على نظام كلامهم وأسلوبهم»⁽¹⁾، وثمة من أشرت أن يكون على وزن عربي، وقد تبوأ التعريب منزلة فاقت منزلة النحت والمجاز، وخضعت اللغة العربية للتعريب من أول نشأتها كما تخضع له الآن، وعرب العرب الأوائل كثيراً من الألفاظ التي هم في حاجة إليها من شتى اللغات، ويعد التعريب اليوم وسيلة من وسائل التوليد اللغوية التي يلجأ إليها بعد استنفاد وسائل التوليد الأخرى شريطة أن لا يمس استعماله بأصوات اللغة وأوزانها التي يجب المحافظة عليها، وقد رأى مجمع اللغة العربية التمييز بين نوعين من المُعرب، أولهما المعرب من الألفاظ الأعجمية الخاضعة للأوزان العربية وثانيهما الألفاظ الأعجمية غير الخاضعة للأوزان العربية وهي ما تعرف بالدخيل أو الاقتراض اللغوي. ومن أمثلة المصطلحات المعربة: بلمرة (polymerisation)، تغويز (gazification)، تأكسد (oxydation)، ومن المصطلحات الدخيلة: بلاتين (platine)، جلسرين (glycerine)، بوتاسيوم (potasium).

وأقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في أعماله وقراراته قياس صيغ كثيرة لم تكن مقيسة عند النحاة القدماء، مثل إقرار سبع صيغ، بعد أن كانت ثلاثة، لاسم الآلة، والتوسع في الاشتقاق من أسماء الأعيان عند الحاجة، كما أقر المجمع «كثيراً من الأساليب المشاعة

(1) شهاب الدين أحمد الخفاجي، شفاء الغليل: فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي؛ مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، 1371هـ 1952م.

المنقولة إلى العربية بطريق الترجمة⁽¹⁾، وغيرها من القرارات. ويتبع هذا الأخذ ما أستعمله أعلام العربية المبدعون من المحدثين من أقيسة لغوية جديدة، وعدم الوقوف تجاه التجديد موقف جمود وتشدد وعدم الانحياز للتضييق والحكم على كل اجتهد في استعمال الألفاظ والتراكيب بالخطئة، وكأن العربية ليست كائناً حياً يتطور حسب الزمان والمكان ويزداد اتساعاً وحيوية.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها علماء العربية في تصفيتها من الانحرافات التي شاعت فيها على مستوى المفردات والتراكيب، إلا أن البعض منهم بالغ في الحرص على سلامتها، واستندوا على علل أدخلتْهم في دائرة تخطئة الصحيح، ومن بين تلك العلل، قولهم أن المعاجم لم تورد تلك الصيغة أو ذلك التركيب، وما هذه المعاجم إلا جهود فردية لا تخلو من النقص، ومهما بلغ علم المرء ودكاؤه فإنه لا يستطيع استيفاء كلام العرب وآثارهم جميعاً. وكذلك قولهم: أن هذا التركيب أو تلك الصيغة لم يرد منها إلا شواهد قليلة فهي شاذة ولا يقاس عليها، وكما سبقت الإشارة، من يستطيع استقراء وإحصاء كل ما قاله العرب من مفردات وصيغ وأساليب؟ ولذلك السبب يستبعدونها من مبدأ القياس وهو الأساس الذي قام عليه النحو العربي.

وتأسيساً على هذا، نرى أن لا تحدد وسائل ترقية اللغة على المناهج التي أقرّها القدماء الذين كانوا يخططون للغة في زمانهم، بل ينبغي استغلال كافة الامكانيات التي تزخر بها اللغة لتطويرها لأجل أداء وظائفها، ومن الإمكانيات التي تزخر بها العربية المركبات اللفظية عموماً ومركبات الأعلام على وجه التحديد.

ومن الجدير بالذكر، أن العربية ليست هي اللغة الوحيدة التي تعاني من مشكلة المصطلح العلمي، بل تعاني منه جلّ لغات الشعوب المستوردة للعلوم الحديثة والتقنية في هذا الزمان، ولتكون العربية لغة التواصل بين مستعمليها وبين العلماء والمتعلمين تحتاج

(1) أنظر، عبد اللطيف الشويرف، تصحيحات لغوية، ص: 14.

أن يتوفر لها شرطاً أساسياً وهو تطوير وترقية المصطلحات العلمية.

ومادام البحث العلمي مَطرَداً والتقدم الفكري والحضاري متواصلًا، فلزاماً على أية لغة لمواكبة التطور الحضاري، إسوة بغيرها من اللغات الحية، أن تنمو وتزدهر ويتسع مخزونها المصطلحي ويتجدد، الأمر الذي لم يتحقق في واقع اللغة العربية بالمرونة والسلاسة المطلوبة، مما يتطلب التدخل العمدي لتيسير هذا الأمر، وهو ما يعرف اليوم بالتخطيط اللغوي المصطلحي.

4 - التخطيط اللغوي المصطلحي:

التخطيط المصطلحي المتفرع عن التخطيط اللغوي الذي صار فرع معرفي جديد متفرع حديثاً عن علم اللغة التطبيقي كأحد فروع اللسانيات غايته ممارسة التخطيط للتغلب على المشكلات التي تعاني منها اللغات في ميدان المصطلح العلمي التقني.

وكأي نوع من أنواع التخطيط، سواء أكان تخطيطاً سياسياً أم اقتصادياً أم علمياً يبدأ المخطط اللغوي بمحصر المشكلات وتحديد الحاجات وعلى ضوء الحصر يتم تحديد الأهداف والطرق والوسائل المناسبة لتحقيقها، وبالنظر لمشكلة المصطلح العلمي، موضوع هذه الدراسة، نحدد ما هو التخطيط المصطلحي الذي ننشده ليؤدي إلى اقتراح حلول لمشكلات ترقية المصطلح العلمي العربي.

وقد تعددت الأنشطة والممارسات التي تعكس التخطيط المصطلحي، كما تعددت تعاريفه وتوصيفاته في الكتابات والأدبيات التي تناولت هذا الموضوع⁽¹⁾، إذ يعرف (فلبر: 1986)، نقلاً عن (Zirnikhi 2016)، تخطيط المصطلح أنه «الاجراءات التي ينبغي اتخاذها لأجل تطوير أنشطة منظمة لصوغ المصطلحات تهدف

(1) راجع، Abolfazl Zarnikhi, (2016) Towards a Systemic Model for Terminology Planning, Cambridge Scholars Publishing Lady Stephenson Library, Newcastle upon Tyne, NE6 2PA, UK

إلى تصنيف معاجم تخصصية». فضلا عن هذا التعريف، نجد أن حدود تخطيط المصطلح لا تقف عند أنشطة صوغ المصطلحات وتصنيفها بل تتعدى هذا الحد، فبرى هيرمانر (Hermans 1991: 688) «أن التخطيط المصطلحي يتمثل في تبرير القرارات ذات العلاقة بتطوير المصطلح التي يتخذها المخططون اللغويون».

وبالتالي يمكننا أن تستنتج من هذين التعريفين أن القاسم المشترك بينهما هو أن التخطيط المصطلحي يقع في مستوى الممارسات والأنشطة العملية وتنفيذ السياسات وليس رسم السياسات. ويؤكد نيدوبتي (Nedobity 1990: 655)، نقلا عن (Zirnikhi 2016)، أن التخطيط المصطلحي «جزء لا يتجزأ من تخطيط اللغة الخاصة»، وبكلمات أكثر دقة، يعد التخطيط المصطلحي جزء من تخطيط لغة العلوم، ولقد ورد وصف التخطيط المصطلحي في دليل السياسات المصطلحية (8: 2005) أنه «السعي بوعي وإدراك وبطريقة منظمة إلى تطوير لغة خاصة طبقا لحاجات ومتطلبات التواصل في حقل معرفي محدد». ونستنتج من هذا أمرين مهمين، الأول هو أن التخطيط المصطلحي جزء لا يتجزأ من إطار أوسع وأشمل وهو تخطيط لغة العلوم، والثاني أن التخطيط المصطلحي لا يحدث دون الحاجة إليه.

وتقدم هذه الدراسة مقترحاً متمثلاً في آلية لصوغ المصطلح العلمي المركب قائمة على توظيف التراكيب اللفظية للأعلام المركبة في النحو العربي لصوغ مصطلحات علمية مركبة، وهي طريقة رغم توظيفها وشيوعها في إعداد مسارد المعجمات التخصصية التي تنشرها⁽¹⁾ المجامع والمؤسسات العربية للتخطيط اللغوي، إلا أن مؤسسات التخطيط اللغوي العربية توظفها ولا تعتمد في سياساتها اللغوية، كما سنرى عند تحليل بيانات هذه الدراسة.

(1) أنظر، نبيل عبد السلام هارون، المعجم الشامل لمصطلحات مجمع اللغة العربية في العلوم التقنية والهندسية، ومصادر المصطلحات المقترحة بمجلة اللسان العربي، منشورات مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي.

وقد تبلورت فكرة هذا المقترح من خلال دراسات سابقة أجراها الباحث تضمنت مسح جزئي لنوعين من المعاجم المختصة، فكان الأول «معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا» الذي هو نسخة مترجمة من «معجم (ماجرو- هيل) للمصطلحات العلمية»⁽¹⁾، وكان الثاني عدد من المسارد لمصطلحات البترول والصناعات النفطية أقرّها ونشرها مجمع اللغة العربية في القاهرة خلال الفترة 1968 إلى 1977م⁽²⁾. وقد توصلت هذه الدراسة من خلال المسح الميداني للمركبات المصطلحية في المعاجم المتخصصة المذكورة إلى التحقق من الدور الذي تؤديه المركبات اللفظية في تطوير المصطلح العلمي العربي.

ويرى المختصون بالدراسات المصطلحية⁽³⁾، أن أزمة المصطلح العلمي العربي تكمن في حصر وتحديد آليات ترقية اللغة على الطرق التقليدية لصوغ المفردات، ورغم أنّ القائمين على عمليات صك المصطلحات علماء مختصون ولهم دراية وافية بها، إلا إنهم منقسمين إلى مجموعتين، لكل منهما اتجاه يتعصب له ورأي يحتاج به، إذ يعتقد بعض المخططين اللغويين أن آليات صوغ المصطلح التي وضعها اللغويون القدماء هي الحد الذي يجب أن يقف عنده اجتهادنا في البحث عن ترقية لغتنا. ويؤكد د. بلعيد صالح⁽⁴⁾ أن أصحاب هذا الاتجاه يتعصبون للمصطلح التراثي المبني على أساس الآليات المعتمدة التي استعملها الأوائل في صوغ المصطلحات، ويرون أن هذا النهج كاف لترقية اللغة المعاصرة كما طوروها قديما، ولا شك أن هذه الوسائل هي التي ضمنت الاستمرار لحياة اللغة العربية ما يزيد على عشرة قرون متوالية دون إعياء

(1) راجع، خليفة أبوبكر الأسود، اسهام المترجم في التخطيط المصطلحي دراسة في ترجمة المصطلح وتطوير معاجم الاختصاص، مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا، العدد السابع عشر (1442هـ / 2020م).

(2) راجع، خليفة أبوبكر الأسود، صوغ المصطلح العلمي وتوحيده، الندوة العلمية الرابعة، مجلة مجمع اللغة العربية ليبيا 2007م.

(3) راجع، د. صالح بلعيد «أين تكمن مشكلة المصطلح العلمي»، وقائع ندوة قضايا المصطلح العلمي في العلوم المادية، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثالث، لصدرها معهد الدراسات المصطلحية، المغرب، (1424هـ 2003م).

(4) المرجع السابق.

أو توقف، كما صارت هذه اللغة في ظرف قرون قليلة تربط بين شعوب مكنتهم من التعبير عن العواطف والانعكاسات التي تجيش في صدورهم. ويدافع هؤلاء المحافظون عن تمسكهم بالطرق التقليدية المعتمدة لترقية اللغة بحجة المحافظة على تأصل اللغة ذاتها وحمايتها من التداخل مع غيرها من اللغات.

بينما يرى القسم الثاني⁽¹⁾ من المخططين اللغويين أن هذه القواعد صلت لتكون حدا ينتهي عنده اجتهاد أهل اللغة في العصور القديمة ولكن حاجات هذا العصر تحملنا مرغمين أكثر من أي وقت مضى على توظيف امكانيات العربية كافة للاستفادة منها، ولناخذ منها ما يلائم حاجات حياتنا المعاصرة فنوسع أفق اللغة ونجعلها قادرة على مجازاة اللغات الحديثة من حيث القدرة على الوضع والابتكار، وأن آليات التطور اللغوي المعتمدة غير كافية، وأن العربية الآن فقيرة مصطلحيا وتعتمد على المصطلح المترجم والمقترض؛ ولذلك تحتاج إلى استغلال امكانياتها وتطوير آليات صوغ المصطلح عن طريق ابتكار طرق وآليات جديدة تقوم على مقاييس اللغة وأوزانها لتلبية حاجاتها وسرعة الاستجابة لمتطلباتها بتوليد مصطلحات مبتكرة كلما جدّ جديد.

وبين الجدول الآتي المبادئ التي أقرتها مؤسسات التخطيط اللغوي والمخططون اللغويون في الوطن العربي واعتمدتها بعض الجامعات اللغوية لوضع المصطلحات وتوليدها، وذلك كما أوردها محمود أحمد السيد من خلال إسهامه في ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح»⁽²⁾ التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق ونشرت في مجلة المجمع:

(1) راجع، محمد أديب السلاوي، قضية المصطلح العلمي في اللغة العربية، على الرابط https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=11259

(2) راجع، محمود أحمد السيد، المبادئ الأساسية في وضع المصطلح العلمي وتوليده، «ندوة إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد خاص، المجلد 75، الجزء الثالث 2000م - 1421هـ.

م	المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده (طرق توليد المصطلح العلمي)
أ-	المبادئ المعتمدة في مجمع دمشق
1	البحث في الكتب العربية عن مصطلح مستعمل للدلالة على المعنى المراد تسميته أو ترجمته، ويشترط أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابق للمعنى الجديد
2	البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ويطلق على المعنى الجديد (المجاز)
3	البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق (الصرفي)
4	اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية، (التعريب)
ب-	المبادئ المعتمدة في مجمع اللغة العربية في القاهرة
1	وضع أسماء جديدة بطرق الاشتقاق والمجاز والنحت
2	إباحة المحظور في سبيل الضرورة العلمية وتنزيل الحجة منزلة الضرورة
3	قبول ما استعمله المولودون مما جرى على الألسنة مع إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان
4	الحفاظ على التراث العربي وإيثار ترجمة المصطلح مع إجازة لتعريب.
5	تعريف كل مصطلح تعريفا علميا معجميا
6	الإبقاء على المصطلح العربي القديم وتفضيله على الجديد إلا إذا شاع الجديد.
7	إجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية للضرورة
8	الأخذ بمبدأ القياس في اللغة، ويجوز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية.
9	ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة، مثل دولي جماهيري
10	يجوز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، مثل: إشعاعات، تمديدات
11	يجوز إدخال "أل" على حرف النفي المتصل بالاسم: اللاهوائي، اللاسلطي

ج-	المبادئ التي أعتمدها المجمع العلمي العراقي
1	تفضيل اللفظ العربي على المولد والمولد على الحديث إلا إذا اشتهر، واستعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذاً عنه، مثل الكحول alcohol
2	تجنب تعريب المصطلح الأجنبي إلا في الأحوال الآتية: إذا أصبح مدلوله شائعاً بدرجة يصعب معها تغييره في حال الأسماء العلمية لبعض العناصر الكيميائية. إذا كان مشتقاً من أسماء الأعلام. إذا كان من أسماء المقاييس أو الوحدات الأجنبية. إذا كان مستعملاً في الكتب التراثية مثل "اسطرلاب".
3	إذا لم يتيسر مصطلح عربي ففي الاشتقاق والتوليد والقياس والمجاز متسع كبير.
	المبادئ التي أعتمدها مجمع اللغة العربية الأردني
1	المصطلح الأصيل هو المستمد من التراث.
2	المسكوك بالوسائل المتاحة للغة من قياس، اشتقاق، مجاز.
3	يفضل أن يكون المصطلح عربياً تراثياً كلما كان ذلك ممكناً.
4	تحديد المصطلح الأجنبي إذا كان من الشيوع والذيع بحيث أصبح علماً.
د-	المبادئ التي أعتمدها مكتب تنسيق التعريب
1	استعمال لفظ عربي واحد مقابل التعبير الأجنبي، ولا تستعمل المترادفات إلا عند الضرورة، وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات.
2	وضع مصطلح عربي مقابل كل دلالة إذا كان للمصطلح الأجنبي أكثر من دلالة واحدة.
3	دراسة المصطلح الأجنبي دراسة وافية وتعرّف مدلوله العلمي ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي في حقل الاختصاص قبل الإقدام على وضع مقابله العربي.

4	عدم الاقتصار على اعتماد لغة أجنبية واحدة مصدراً وحيداً للمصطلحات الأجنبية.
5	استعمال الألفاظ الأجنبية المتداولة التي سبق أن استخدمها العلماء العرب الأقدمون، ولا يجتهد في وضع مصطلح جديد دون الأخذ في الحسبان المصطلحات التي وضعتها المجامع واللجان المتخصصة.
6	الاكتفاء بوجود مناسبة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح اللغوي أن يستوعب كل معناه العلمي.
7	الابتعاد عن الكلمات (الألفاظ) المثقلة بعدة معان.
8	الالتزام قدر الإمكان بالقوائم الدلالية والسوابق واللواحق التي يعدها المجمع الموحد.
9	جواز اللجوء إلى النحت أو التركيب المزجي بشرط أن تكون اللفظة المنحوتة مقبولة أو شائعة.
10	استعمال الكلمات الدخيلة أو المستعربة عند اللزوم.
11	اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللغات الأجنبية لنقله إلى العربية بأخف ما يمكن على اللسان العربي دون التزام لغة عربية واحدة.
12	الحرص في استعراب الكلمة على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها.
13	اعتبار المصطلح المستعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة العربية.
14	جواز التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس وجواز النسبة إلى المفرد أو الجمع.

وعلى الرغم من أن الكم الكبير من المصطلحات التي أنتجت هذه المبادئ والأسس ثم اعتمدتها المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب، بقيت مشكلة المصطلح العلمي العربي تراوح في مكانها ولم تساير العربية وتيرة وسرعة استيعاب المفاهيم والأفكار الوافدة من الدول المتقدمة، وبقي السؤال أين تكمن مشكلة المصطلح العلمي العربي بدون إجابة، وللإجابة على هذا السؤال أفاد بلعيد صالح⁽¹⁾ أن أمر المصطلح قد طرح على مستويات

(1) بلعيد صالح، المرجع السابق.

عدة، وبعد أربعين عاما من البحث لم تفصل الندوات العلمية ولا مؤتمرات التعريب ولا الملتقيات اللغوية في مشكلة المصطلح العلمي من حيث التطبيق، وأضاف مكن المشكلة يتمثل في عدة جوانب اختصرها بلعيد صالح⁽¹⁾ في الفقرات الآتية :

- 1 - عدم اتباع منهجية موحدة لتنميط المصطلحات وتوليدها.
- 2 - طغوة الجانب النظري على التطبيقي في صوغ المصطلح.
- 3 - ظهور نزعة محلية في بعض المصطلحات وعدم اعتماد الدراسات الميدانية على مستوى الوطن العربي باعتماد المشهور والمتواتر عربيا.
- 4 - غياب منهج عام عن منهجيات وضع المصطلح وغياب نظرية خاصة بالحقول المصطلحية.
- 5 - البعد عن محيط الاستعمال الذي يغربل المصطلح ويمنحه الدوام.
- 6 - عدم توظيف التقنيات المعاصرة والاعتماد على البعد القديم للمصطلح متمثلا في الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، في الوقت الذي قطعت المؤسسات العالمية أشواطاً في اعتماد التعبير والتنميط واستثمار التقنيات المعاصرة.
- 7 - الافتقار إلى المصادر المعربة وضعف تفعيل عملية التعريب ومؤسسات الترجمة ووجود حواجز ثقافية بين البلدان.

ونجد في هذه اللائحة من الأسس الفقرتين الخامسة والسادسة دعوة صريحة إلى عدم اهمال الاستعمال اللغوي الشائع بين مستعملي اللغة، ودعوة بعدم التمسك بالبعد القديم للمصطلح وحده، بينما نرى لغات العالم تنتهج أبعاد جديدة لترقية اللغة وتطويرها. وفي هذا الصدد، يقول ابن تيمية⁽²⁾ «إذا اتسعت العقول وتصوراتها اتسعت عباراتها وإذا ضاقت العقول والتصورات بقي صاحبها محبوس العقل واللسان»، ويعد توليد المصطلحات عملية

(1) - بلعيد صالح، المرجع السابق.

(2) ابن تيمية، تقي الدين (د. ت) الرد على المنطقيين، تقديم سليمان الندوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

إبداعية تقود إلى إضافة عناصر جديدة في المعجم المختص للغة ما يجعلها تتسم بالخلق والوضع، وهي عملية مرتبطة بحركة اللغة في توظيفها للقوالب اللغوية المعهودة وتوليدها لوحدات معجمية جديدة.

وقد ذهب الرواد الأوائل في عصر النهضة العربية ومنهم رفاة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي، إلى أنّ اللغة العربية من الاتساع والقدرة بحيث تستطيع التعبير عن معطيات الحياة والعلم الواردة من الخارج بلغة عربية سليمة، وفي الواقع أن الحرص على سلامة اللغة ضرورة قومية، إلا أنّ هذا الحرص يجب أن لا يصل إلى درجة التعصب والتزمت ضد كل تطور، لأنّ سنة التطور أقوى من الحواجز التي توضع في طريق اللغة، ولا يمكن الحيلولة دون اللغة وتطورها، وإذا أردنا أن ننشد السلامة اللغوية، فإنها تتحقق أيضا بطريق الاحتفاظ بأصول اللغة ونظامها النحوي الصرفي وليس بطريقة الجمود. وإن أكمل اللغات وأرقاها هو ما واكب روح العصر واستوعب متطلباته.

ومن الجدير بالذكر، أن العربية فتحت أبوابها منذ القدم للقياس في الألفاظ والتراكيب والأساليب، مما قوى أصولها وعبقريتها في التعبير، ويعد تطبيق مبدأ القياس والأخذ به والتوسع فيه بابتكار أقيسة واستعمالات جديدة من بين الطرق والأدوات المتاحة للغة العربية للتغلب على مشكلة ترقية اللغة وتطوير المصطلح.

وقد ورد لفظ «القياس» مقرونا بمحاولة قدامى النحاة العرب وضع أسس النحو العربي وفي مقدمة هؤلاء أبو الأسود الدؤلي، أول من أسس النحو العربي، ومن بعده عبدالله بن أبي اسحاق⁽¹⁾ الذي سار بالدرس النحوي نحو تحديد منهجه البحثي، فقاموا برصد الظواهر المطردة وجعلها قياسية لا تصح مخالفتها، والنظر إلى من خالفها على أنه من الشاذ الذي لا يقاس عليه، وتلقى الخليل بن أحمد العلم على

(1) راجع، محمود نخلة، أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، بيروت. ص: 102.

عيسى بن عمر فتأثر بمنهجه في القياس على المطرد من كلام العرب، ولم يترك لنا الخليل كتاباً في النحو ولكن أراءه مبنوثة في كتاب تلميذه سيبويه⁽¹⁾. وكان أغلب قياس سيبويه على كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وكان قياسه في الأغلب على الكثير أما القليل فكان عنده من النوادر التي يحفظ ولا يقاس عليه. وجاء بعد سيبويه نحاة صرفوا جلّ همهم إلى القياس مثل المبرّد، وبعضهم ألف فيه ومنهم الأخفش وله كتاب المقاييس، ومنهم أبو عمر الجرمي وكان أكثر اعتدالاً في القياس ونقول في هذا السياق: ألا يجوز للمتأخرين أيضاً توظيف هذا المبدأ في ترقية المصطلح العلمي، فلما لا نقيس مركبات مصطلحية على أوزان المركبات اللفظية للأعلام مثل المركب الاضافي والوصفي والاسنادي والعطف.

5 - امكانيات العربية في صوغ المصطلح العلمي (المركبات اللفظية) أنموذجاً:

ورد في أدبيات الدراسات المصطلحية أن للمصطلح تعريفات عدة، قد أورد زكريا أرسلان⁽²⁾، نقلاً عن علي القاسمي⁽³⁾، أن المصطلح «أي رمز يُتفق عليه للدلالة على مفهوم، ويتكون من أصوات مترابطة أو من صورها الكتابية (الكلمات)، وقد يكون كلمة أو عبارة»، وأضاف أرسلان⁽⁴⁾ أن المصطلح «كل اسم عربي أو دخيل، بسيط، أو مركّب، أو معقّد أو مختصر أو رمزاً يدل على مفهوم معين ومحدد». ويعرّف التوليد المصطلحي⁽⁵⁾ أنه «وضع أو صوغ مصطلح جديد يعبر عن مفهوم محدد اعتماداً على آلية تتحكم في هذا الوضع، لتمكين اللغة من تغطية قصورها التعبيري».

(1) السابق، ص 105.

(2) زكريا أرسلان، تحليل المركب المصطلحي، دراسات مصطلحية: المركب المصطلحي الطبي أنموذجاً، العدد السابع 1428هـ-2008م.

(3) معجم مصطلحات علم المصطلح (1087)، ترجمة على القاسمي، مجلة اللسان العربي، العدد 22، ص: 206.

(4) أنظر، د. زكريا أرسلان المرجع السابق.

(5) المطار، عبد العزيز، المصطلح العربي وقضايا التوليد، مجلة دراسات مصطلحية، العدد السادس، 1427هـ-

2006م، ص: 109-119.

وتنعكس أهمية المصطلح في النصوص العلمية أكثر من انعكاسها في الإبداعات الأدبية، وذلك لارتباط النص العلمي بتصورات ومفاهيم يسعى الكاتب لجماعة من القراء المشتركين معه في تخصصه إلى تواصله معهم، لأن المصطلح يكون جزءاً من اللغة العلمية الخاصة وليس اللغة التي يستعملها عامة الناس في حياتهم اليومية ولذلك من يفهم المصطلح يفهم العلم الذي يعكسه ذلك المصطلح.

ومن المعلوم أن للاستعمال اللغوي هدفين أساسيين: الهدف الأول تحقيق التواصل اليومي بين متكلمي اللغة الواحدة، والثاني تحقيق تبادل المعلومات التخصصية بين الذين تجمعهم اهتمامات مشتركة، مثل الصيادلة والأطباء والمهندسين... إلخ، أو ما يعرف باللغة الخاصة لما تشتمل عليه من مصطلحات تخصصية متداولة بين أصحاب المهنة أو الحرفة الواحدة، وتعد اللغة الخاصة أكثر دقة وتحديداً بالنسبة لدلولاتها ومعانيها، بينما تتميز اللغة العامة بكثرة الاستعمالات المجازية (تشبيه واستعارة وكنيات) والبلاغية (جناس، مطابقة ومقابلة) واستعمال الأمثال والتعابير الاصطلاحية فيها.

يعد التخطيط المصطلحي جزءاً لا يتجزأ من تخطيط اللغة الخاصة، وللتعبير عن ذلك بدقة، يمكن القول: أن التخطيط المصطلحي جزء من تخطيط لغة العلوم، وهو السعي بوعي وإدراك وبطريقة منظمة إلى تطوير لغة خاصة طبقاً لحاجات ومتطلبات التواصل في حقل معرفي محدد.

وإثر شيوع التخصصات وانتشار تطبيقات العلوم في المجتمعات، أصبحت الحاجة ملحة لترقية المصطلح العلمي على نطاق واسع، ومن الممكن تحقق هذه الغاية بالتخطيط لإقرار مبدأ يتم اعتماده ضمن آليات ترقية اللغة وتطوير المصطلح، ألا وهو مبدأ اعتماد التركيب اللفظي ضمن آليات صوغ المصطلح العلمي.

1.5 - الأعلام المركبة والتركيب المصطلحي:

التركيب في اللغة هو وضع شيء على شيء كما جاء في اللسان والقاموس، وركبه

تركيباً، وضع بعضه على بعض، والتركيب في الكلمات ما هو خلاف الأصل، إذ الأصل في الكلمات الأفراد، لذا لا يحكم على كلمة بالتركيب ما لم يوجد دليل قاطع على ذلك، والمركب عند النحويين العرب ما تركب من كلمتين فأكثر. ويتألف التركيب اللفظي في العربية من عناصر لغوية (اسم وفعل وحرف) توضع في موضع معين من التركيب، وهذا ما يعرف بالنظم عند عبد القاهر الجرجاني⁽¹⁾ (1982)، ويسمى في الدراسات اللغوية الحديثة البناء أو البنية، وترتبط الكلمات فيما بينها في السياق بعلاقاتها بما قبلها وما بعدها، فالسياق هو المعيار لبيان المعاني الوظيفية للكلمة.

وفي هذا المقام أود التمييز بين التركيب اللفظي الذي يشمل كل أجزاء الكلام (الفعل والاسم والحرف)، التراكيب منها مركبات أعلام ومنها غير أعلام، فالتراكيب غير الأعلام التي أبانها النحويون مثل: المركب العددي والظروف المركبة والأحوال المركبة مثل: أيادي سبأ، وأما الأفعال المركبة فهي مثل: عليك ولديك ودونك التراكيب منها مركبات أعلام ومنها غير أعلام، فالتراكيب غير الأعلام التي أبانها النحويون مثل: المركب العددي والظروف المركبة والأحوال المركبة مثل: أيادي سبأ، وأما الأفعال المركبة فهي مثل: عليك ولديك ودونك وأمامك وخلفك بمعنى: «ألزم» و«عندك» و«خُذْ» والتراكيب منها مركبات أعلام ومنها غير أعلام، فالتراكيب غير الأعلام التي أبانها النحويون مثل: المركب العددي والظروف المركبة والأحوال المركبة مثل: أيادي سبأ، وأما الأفعال المركبة فهي مثل:

عليك ولديك ودونك وأمامك وخلفك بمعنى: «ألزم» و«عندك» و«خُذْ» و«تأخر» و«تقدم» على التوالي، أما الأعلام المركبة التي يبنى على وزنها (التركيب المصطلحي)، وعادة ما يركز فيه على الاسم بكافة أشكاله (مصادر ومشتقات وصفات)، ويكون الاسم هو نواة التركيب المصطلحي والعنصر الأساسي فيه، ومن المعلوم أن الاسم هو اللفظ الذي يدل على معنى في نفسه دون دلالة على الزمن، ويرتبط الاسم المركب بإضافة تابع له كالصفة أو

(1) عبد القاهر الجرجاني م دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحرير محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت (1982)

المضاف لتأكيد الإسمية، ومن علاماته قبول التعريف والتنوين والنداء والجر والاسناد، على عكس التركيب الفعلي (الجملة) الذي يدل على حدث مرتبط بزمان سواء أفاد معنى في نفسه أو اقترن بأحد الأزمنة الثلاثة: الحال أو الاستقبال أو الماضي، أما المركبات الأعلام فتشمل المركبات الإسمية مثل:

أ) المركب الإضافي، مثل: معالج النصوص، حافظة البيانات، نظام التشغيل.

ب) المركب البياني (الوصفي)، مثل: جهاز طرفي، برامج تطبيقية، الماسح الضوئي، وقد يتسع المركب الوصفي فيصبح مركب إضافي وصفي مكون من خليط من التركيب الإضافي والتركيب الوصفي، مثل: منهجية النحو العربي وعين شديدة النظر.

ج) المركب الإسنادي، مثل: قرص مدمج للقراءة فقط، تهيئة القرص المرن.

د) المركب العطفی، مثل: مرسل ومستقبل، محلل ومبرمج وحرصا على الالتزام بمحدود هذه الدراسة، سأقصر المناقشة على المركبات الأعلام، وتعرّف المركبات الأعلام أو المركب الإسمي المصطلحي بأنه تركيب لغوي يتكون من كلمتين أو أكثر، ويبتدئ باسم يسمى نواة المركب الذي يحدده ما بعده من أنواع المحددات (مضاف إليه أو خبر أو صفة أو معطوف... الخ). ونُحدّد المركبات الإسمية بنوع العلاقة التي تربطها بالمحددات في التركيب. وهي: الإضافة والوصف (البيان) والإسناد والعطف. فينتج عنها أربعة أنواع من مركبات الأعلام تحدها نوع العلاقة التي تربطها بالمحددات في التركيب وهي: المركب الإضافي والمركب الاسنادي والمركب الوصفي (مركب بياني) والمركب العطفی⁽¹⁾.

1.1.5 - المركب الإضافي:

وهو ما رُكِبَ من مضاف ومضاف إليه، ويتكون المركب الإضافي من اسمين أو أكثر بحيث يكون الثاني بمنزلة التنوين لما قبله، ويكون أولهما مضافا مرتبًا بالثاني بعلاقة

(1) أنظر سماعه: التركيب المصطلحي: طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية، وأنظر، رضا علي، المرجع في اللغة العربية (دار الفكر د.ت)، ومحمد التونجي، معجم علوم العربية، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الإضافة، مثل: عبد الحكيم وأبو بكر وإمرؤ القيس، فيكون بسيطاً من اسمين أو معقداً من ثلاث كلمات فأكثر. ومن المركبات المصطلحية الإضافية البسيطة: براعة الاستهلاك، وتحت الحمراء، ومن المركبات الإضافية المعقدة: ارتفاع درجة حرارة الجسم، ارتفاع درجة حرارة الأرض، سرعة دوران النجم.... الخ.

2.1.5 - المركب الإسنادي:

الاسناد في مفهوم النحاة عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يحسن السكوت عليه، وهو المركب المؤسس على علاقة اسنادية بين نواة المركب (المسند إليه) وبين الاسم المحدد (المسند)، فيصبح مركب من مسند ومسند إليه مكون جملة اسمية أو فعلية، أي أنه علم منقول من جملة اسمية أو فعلية، مثل: شاب قرناها وبرق نحره، والخير نازل وجاد الحق. ويتسم المركب الإسنادي بعلاقة ارتباط محكمة بين عنصريه ما يعني أنه يفيد إفادة تامة مقتربا من معنى الجملة، وتحفل المعاجم التخصصية العربية بمثل هذا النوع من المركبات مثل: جزء لا يتجزأ، الإثارة بالتصادم⁽¹⁾.

3.1.5 - المركب الوصفي (البياني):

يتكون المركب الوصفي (البياني) عادة من عنصرين لغويين أو أكثر، بحيث يكون أولهما (رأس المركب أو نواته) اسماً موصوفاً ومحدد بالعنصر الذي يليه، ويكون العنصر الثاني موضحاً معنى الأول ومرتبطة به بعلاقة تبين (صفة أو بدل أو تأكيد)، بحيث يكون الموصوف (نواة المركب) مرتبط بالمحدد ارتباطاً يتعذر الفصل بينهما دون تقويض الدلالة الاصطلاحية الموحدة الناتجة عن حاصل مجموع المعنى لكلا العنصرين. ويعد المركب الوصفي أكثر أنماط المركب استعمالاً في الوضع المصطلحي قديماً وحديثاً⁽²⁾، ومن الأمثلة التي تعكس هذا النوع من المركبات في الاستعمال اللغوي المعاصر: القاموس المحيط،

(1) راجع، جواد حسني سماعة، المرجع السابق.

(2) راجع، جواد حسني سماعة، المرجع السابق.

المعجم الكبير ، المعجم الوجيز، المعجم الوسيط، الزاوية القائمة، الأجسام الطافية، الجذر الأصم.

ويتكون المركب الإضافي الوصفي من خليط من التركيب الإضافي والتركيب الوصفي، وينقسم إلى قسمين على النحو التالي:

- أسم مضاف + أسم مضاف إليه + صفة، مثل: منهجية النحو العربي.

- أسم + صفة مضافة + أسم مضاف إليه، مثل: عين شديدة النظر، يعرب الجزء الأول حسب موقعه في الجملة ويجر الاسم الثاني بالإضافة إليه وتجر الصفة إذا كانت نعتا للاسم الأول، فتتبعه في إعرابه مثلاً: إدارة المصادر الطبيعية.

4.1.5 - المركب العطفی:

يتكون هذا المركب من معطوف ومعطوف عليه بينهما حرف عطف⁽¹⁾. ويعد هذا النمط من المركبات أقل المركبات المصطلحية استعمالاً في المصطلحات العربية، لأن حرف العطف ليس سوى أداة ربط بين مصطلحين مستقلين يمكن استعمال كل منهما على حدة؛ ولذلك يخلو هذا النوع من المركبات من أي سمة تحديد مصطلحية مما يوجد في المركبات المصطلحية الأخرى عدا علاقة العطف التي هي علاقة تبعية مطلقة بين المعطوف والمعطوف عليه، ومن أمثلة المركب العطفی: الطبع والطبيعة، المثل والمثال، الهيبة والأنس، الغيب المكنون والغيب المصون، العدالة والبناء، تاج اللغة وصحاح العربية.

2.5 - التركيب المصطلحي:

لقد وردت تعاريف مختلفة للفظ التركيب في المعاجم العربية وفي أدبيات النحو العربي، ولكن ما يعيننا في هذا السياق هو التعريف الاصطلاحي للتركيب كما يراه المختصون بالدراسة المصطلحية، فقد عرّف على القاسمي⁽²⁾ التركيب بقوله «ضم

(1) راجع: الشريف الجرجاني، التعريفات وراجع: علي رضا، المرجع في اللغة الربية.

(2) على القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2008م، ص 449.

كلمة إلى أخرى بحيث تصبحان وحدة معجمية واحدة ذات مفهوم واحد»، وتحتفظ الكلمتان المكونتان للكلمة المركبة الجديدة بجميع صوامتهما وصوائتهما مثل اسم العلم المركب (عبد الله) المكون من كلمتين (عبد) و(الله) ومثل العدد المركب (أحد عشر) المؤلف من كلمتين (أحد) و(عشر)، ويعرف صالح بلعيد⁽¹⁾ اللفظ المركب بقوله «التركيب هو الاسناد حيث إن الكلمة لا تُفهم قبل اسنادها إلى غيرها، والتركيب يستند إلى علامات الإعراب التي تضع الكلمة في محلها المناسب»، كما يعرف المركب في علم اللغة بما يدل جزؤه على جزء معناه.

والمصطلح العلمي لا يوضع ارتجالاً، بل لابد لوضع مصطلح ما من اتباع خطوات محددة توصلنا إلى صياغة ذلك المصطلح، وتعد عملية بلورة وفهم المفهوم الذي نود أن نقترح له صيغة أو أسم هي الخطوة الأولى في وضع المصطلح، وأيضاً ينبغي إيجاد مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين المدلول اللغوي للمصطلح ومدلوله الاصطلاحي، كما أن اتفاق العلماء عليه شرط لا غنى عنه.

ولذلك فالمركب المصطلحي هو عملية تأليف بقصد تسمية مفهوم يتم بمقتضاها تكوين مصطلح من ضم كلمة لأخرى، أو من الجمع بين عدة كلمات على غير سبيل النحت، ينتج عنها ما يسمى مصطلحاً مركباً إن كان مؤلف من كلمتين، ومصطلحاً معقداً إن كان مؤلف من ثلاث كلمات فأكثر⁽²⁾، وهكذا فالمصطلح المركب يتكون من كلمتين والمعقد من ثلاث كلمات فأكثر، ولا يعد البناء التركيبي نسقاً جديداً في اللغة العربية، فقد أسماه اللغويون القدامى تركيب الافراد في مقابل تركيب الإسناد، وقد عرف ابن يعيش تركيب الافراد أنه «أن تأتي بكلمتين وتجعلهما كلمة واحدة بإزاء حقيقة واحدة بعد أن كانتا حقيقتين».

(1) صالح بلعيد، فقه اللغة العربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر 2003م، ص: 108.

(2) المرجع السابق.

6 - منهجية الدراسة:

ينص تعريف مفهوم التخطيط المصطلحي في دليل السياسات المصطلحية (8: 2005) كما أسلفت هو «السعي بوعي وإدراك وبطريقة منظمة إلى تطوير لغة خاصة طبقا لحاجات ومتطلبات التواصل في حقل معرفي محدد»، وتقوم هذه الدراسة على استقصاء القوالب اللفظية للمركبات الأعلام التي هي جزء لا يتجزأ من مقومات اللغة وتوظيفها إلى جانب اليات صوغ المصطلح المعتمدة لدى المجامع اللغوية (الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب) في ترقية اللغة وصوغ مصطلحات علمية للدلالة على المفاهيم والمبتكرات الحديثة، ويعكس هذا العمل بمفهوم التخطيط اللغوي التدخل العمدي في تحديد وظائف اللغة.

ومن أجل جمع البيانات اللازمة لتحقيق أدايف هذه الدراسة، تتبع مجموعات من هذه المصطلحات التي تم صوغها طبقا للتراكيب النحوية للأعلام المركبة استخلصتها من «حزمة المواد التعليمية للرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي» [International Computer Driving License (ICDL)]، المكونة من سبع مقررات تغطي المناهج التدريبية لهذه الرخصة، وتعكس هذه البيانات واقع الاستعمال اللغوي لمصطلحات الحاسوب وتقنية المعلومات. ثمّ تتبع مجموعات أخرى من المصطلحات استخلصتها من «المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية» (الانجليزي - فرنسي - عربي)، أحد إصدارات مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي، وقد تمّ اختيار حقل الدراسات الحاسوبية لأنه يمثل أحد المجالات العلمية التخصصية الحديثة، وتم استخلاص هذه الشواهد بحيث يعكس الأول دور الاستعمال اللغوي في ترقية المصطلح ويشهد الثاني على ممارسات أحد مؤسسات للتخطيط اللغوي العربية في هذا المضمار.

7 - تحليل البيانات:

نعرض في هذه الفقرة مجموعات المصطلحات العلمية المنشورة في سياقات الاستعمال اللغوي وفي المعجم المختص في مجال علوم الحاسوب وتقنية المعلومات التي تم تتبعها وجمعها، وقد قمت بتصنيف هذه الشواهد للاستعمال المصطلحي طبقاً لآلية أو طريقة صوغها، سواء أكانت بسيطة من مفردة واحدة أو مركبة من كلمتين، فالبسيطة منها (اشتقاقية أو مجازية أو معرّبة) والمركبات بأنواعها، وفي الوقت الذي تعكس هذه الشواهد المثبتة جميعها من جدول (1) إلى (7) تداول المصطلحات العلمية في الاستعمال اللغوي للعربية المعاصرة نجد أنها تعكس أيضاً نسبة إسهام الأعلام المركبة في توليد المصطلحات قياساً إلى نسبة المصطلحات المولدة بالطرق التقليدية المعتمدة لدى مؤسسات التخطيط اللغوي العربية.

ويتبع هذه الجداول، مجموعة جداول أخرى استخلصتها من «المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية»، نعرضها للتمثيل على ممارسات المخططين اللغويين في المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي وأعدّها في هذا السياق، شاهداً على توظيفهم للأعلام المركبة في ترقية العربية وتطوير مصطلحاتها، وقد تم استخلاص المصطلحات المتضمنة في الجدول من رقم (8 إلى 14) من المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية الذي صنّفه ونشره مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي.

جدول وقم (1)

أمثلة تعكس توظيف الاشتقاق في الاستعمال اللغوي بنسبة: 9.9%

ر.م.	المصطلح العربي	المصطلح باللغة الإنجليزية	المصطلح باللغة العربية	المصطلح بالإنجليزية
1	الراسمة	Plotter	مجلد	Folder

Network	الشبكة	Monitor	مراقب	2
Server	الملقم	Visual display unit	الشاشة	3
Formatting	تهيئة	Hard ware	المعدات	4
Memory	الذاكرة	Navigator	تصفح	5
Printer	الطابعة	Insert	إدخال	6
Icons	رموز	Click	ضغط	7
Access	دخول	Delete	حذف	8

جدول وقم (2)

أمثلة تعكس توظيف الاقتراض اللغوي في الاستعمال بنسبة: 2.6%

المصطلح المقابل باللغة الإنجليزية	المصطلح المقترض	ر.م
Viruses	فيروسات	1
Windows	وندوز	2
Microsoft excel	مايكروسوفت اكسل	3
Microsoft word	مايكروسوفت	4
Modem	مودم	5
Program	برنامج	6
Mega	ميغا	7
Byte	بايت	8

جدول وقم (3)

أمثلة للمركب الإضافي المصطلحي في الاستعمال اللغوي بنسبة: 29.3%

ر.م.	المركب الإضافي	المصطلح باللغة الإنجليزية	المركب الإضافي	المصطلح باللغة الإنجليزية
1	محرك البحث	Search engine	آلية سوق الشريط	Machine tape advance
2	معالج النصوص	Word processor	أداة التدقيق	Verifier
3	كلمة المرور (كلمة السر)	Pass word	إعادة الإنشاء	Re-establish
4	حقوق النسخ	Copy right	أجهزة الادخال	Input devices
5	حافظة البيانات	Data cartridge	اسطوانة القراءة	Read roller
6	ملفات الارتباط	Cookies	إدماج ضيق المدى	Small scale integration
7	تقنية المعلومات	Information Technology	إبرة المستشعر	Feeler pin
8	مجتمع المعلومات	Information Society	إدماج الملفات	File merging
9	نظام التشغيل	Processing unit	إطلاق المطارق	Hummer firing
10	استرجاع المعلومات	Information retrieval	استدراك الأخطاء	Error recovery

جدول وقم (4)

توظيف المركب الاسنادي المصطلحي في الاستعمال اللغوي بنسبة: 18.8%

ر.م.	المركب الاسنادي	المصطلح باللغة الإنجليزية	المركب الاسنادي	المصطلح باللغة الإنجليزية
1	خط اتصال رقمي غير متماثل	ADSL	أدخل في الذاكرة	Read in / usher in
2	جهاز الحاسب الآلي	Computer	أزال القناع	Unmask
3	قرص مدمج للقراءة فقط	CD ROM	وسائط متعددة	Multimedia
4	شبكة الويب العالمية	WWW	إفراغ عند الطلب	Snap shot dump
5	قرص رقمي متعدد الاستخدامات	DVD ROM	أخرج من الاصطفاف	De queue
6	وحدة المعالجة المركزية	Central Processing Unit	أخرج بالإزاحة	Shift out / shift in
7	اختبار التشغيل الذاتي	Power on self-test	أخرج من الذاكرة	Readout
8	تهيئة القرص المرن	Disk Formatting	أدوات مساعدة للبرمجة	Programming aids
9	أجهزة المكبرات الصوتية	Synthesizers	آلة كاتبة تعمل بالصوت	Voice activated type writer
10	الطابعة النافثة للحبر	Inkjet printer		Character oriented machine

جدول وقم (5)

أمثلة توظيف المركب البياني (الوصفي) في الاستعمال بنسبة: 33.5%

ر.م.	المركب البياني (الوصفي)	المصطلح باللغة الإنجليزية	المركب البياني (الوصفي)	المصطلح باللغة الإنجليزية
1	المحطة الطرفية الذكية	Intelligent Terminal	القرص المرن	Floppy dick
2	العرض التقديمي	Power point presentation	البريد الإلكتروني	E. mail
3	إشارات مرجعية	Book marks	التجارة الالكترونية	E. commerce
4	واجهة المستخدم الرسومية	GUI	الجداول البيانية	Spreadsheet
5	التدقيق الإملائي	Spelling Check	اسطوانة ممغنطة	Magnetic roller
6	ذاكرة التواصل المباشر	Direct access memory	بريد الكتروني	Electronic mail
7	آلة إملائية	dictating machine	الماسح الضوئي	Scanner
8	ألياف ضوئية	Optic fiber	جهاز طرفي	Peripheral device
9	أمر مرحلي	Transient command	برامج تطبيقية	Programs
10	أخطاء تعويضية	Compensating errors	الشبكة داخلية	Intranet

جدول رقم (6)

أمثلة توزيع المركب العطفى المصطلحي في الاستعمال اللغوي بنسبة 5.7%

ر.م.	مصطلح المركب العطفى	المصطلح باللغة الإنجليزية
1	إعدادات التاريخ والوقت	
2	السحب والإفلات	Drag and drop
3	الحدود والتضليل	
4	استيراد وتخطيط	
5	تقنية المعلومات والاتصالات ICT	Information and communication Technology
6	نظام الإدخال والإخراج الأساسي	Basic Input Output System BIOS
7	التكبير والتصغير	Zoom
8	النسخ واللصق	Copy and paste
9	النقل والنسخ	Move and paste
10	البحث والاستبدال	Searching and substitution

جدول رقم (7)

اسهام الآليات المعتمدة والمقترحة في صوغ المصطلح في الاستعمال اللغوي

ر.م	آلية صوغ المصطلح	العدد	النسبة
1	الاشتقاق	16	9.9%

3.2%	6	الاقتراض اللغوي	2
113%.	22	مجموع اسهام الطرق المعتمدة	--
34	54	التركيب الاضافي	3
18	29	التركيب الاسنادي	4
28	44	التركيب البياني (الوصفي)	5
06	10	التركيب العطفي	6
86%	137	مجموع اسهام الطرق المقترحة	

جدول (8)

مصطلحات مقترضة استخلصت من المعجم المختص

ر.م	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي
1	أزرتي	Azerty (keyboard)	فيديو	Video
2	الكترونيات	Electronics	برنامج (معربة- فارسية) قاموس	Program Dictionary / lexicon
3	بيكا (وحدة طباعة الأحرف)	Pica	مغناطيسية	Magnetism
4	بيكو (جوء من مليون مليون)	Pico	ليزر	LASER
5	ترانزستور	Transistor	مودم	modem
6	تيراسكل	Teracycle	كوبول	COBOL

Mega	ميغا (مليون)	Giga	جيجا (ألف مليون)	7
Nano	نانو (جزء من ألف مليون)	facsimile/ Fax	فاكس (ناسوخ)	8
Micro	ميكرو (جزء من مليون)	FORTRAN	فورتران	9
Cipher	شفرة	Silicon	سليكون	10

جدول (9)

المصطلحات المولدة بطريقتي الاشتقاق والمجاز استخلصت من المعجم المختص

المصطلح الأعجمي	المقابل العربي المجازي	المصطلح الأعجمي	المقابل العربي المشتق	ر.م
disturbance	تشويش	Shift	إزاحة	1
Factor	عامل	Sensing	استشعار	2
Hold	احتجاز	Fuse	صهيرة	3
transformer	محول	Printer	طابعة	4
Tokens	شارات	ستراب	انقطاع	5
Telex	برقية	Impedance	معاوقة	6
System	نظام	Screen	شاشة	7
substitution	طرح	Efficiency	فعالية	8
Stage	مرحلة	Input	مُدخل	9

جدول (10)

مصطلحات مركبة على أوزان المركب الإضافي

وجدت في المعجم المختص

ر.م	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي
1	إبطال الاجراء	Abortion	خلية البيانات	Data cell
2	دورة التجريد	Abstraction cycle	اسطوانة الطبع	Print roll
3	ذراع التوصل	Access arm	كرة التتبع	Track ball
4	قابلية التكيف	Adaptability	معالجة النصوص	Text processing
5	شبكة القيمة المضافة	Added value network	سواقه الشريط	Tape drive
6	ناقل العناوين	Address bus	رمز التجاهل	Ignore character
7	منوال العنوانه	Address mode	شفرة التعرّف	Identification code
8	تمييز الأنماط	Pattern recognition	شطب الأسفار	Zero slashing
9	حاسوب طيران	Flight computer	ضبط الهوامش	justification
10	جمع البيانات	Data collection	عناصر الشفرة	Code elements

جدول (11)

مصطلحات مركبة على أوزان المركب الوصفي

وجدت في المعجم المختص

ر.م	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي
1	عنوان مطلق	Absolute address	قاموس متخصص	Special purpose computer
2	عدد مجرد	Abstract number	وسيط معياري	Standard interface
3	موضوع مجرد	Abstract object	راسمة رقمية تزايدية	Digital incremental plotter
4	حرف مشكّل	Accented letter	رقم معنوي / دال	Significant digit
5	حالة صفرية	Zero state	سرعة اتجاهية	Velocity
6	خطأ معطياتي	Data error	سلك مزدوج مجدول	Twisted pair
7	شكّلية ترابطية ثنائية	Binary relational formation	شفرة ثنائية منعكسة	Reflected binary code
8	عطب قانوني	Secondary failure	طباعة عكسية	Reverse printing
9	عدد تسلسلي	Serial number	بيانات واردة	Incoming data
10	بنية متوالية	Serial interface	ذاكرة متلاشية	Volatile memory

جدول (12)

المصطلحات المركبة على أوزان المركب الإنشائي

وجدت في المعجم المختص

ر.م	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي
1	نهاية غير عادية	Abnormal end	مأمون عند التعطيل	Fail safe
2		activity conceptual model	موجه بالتناثبات	Bit oriented
3	جمع بلا ترحيل	Addition without carry	ذاكرة قراءة فقط قابلة للتعديل	Electrically alterable read-only-memory
4	لوحة أزرار بمقاطع لفظية	Syllabic keyboard	نظام متكامل لإدارة الملفات	Integrated management information system
5	محمي ضد الكتابة	Write protected	وحدة تحكم في الطرفيات	Control unit peripheral
6	مليون تعليمة في الثانية	Millions of instructions per second	وحدة قابلة للتحميل	Loadable module
7	معالج عن بعد	Teleprocessing, remote processing	وقت غير مستخدم	Ineffective time
8	مخطط انسيابي للبيانات	Data flowchart	نظام تشغيل بالشريط	Tape operating system

Indirect address mode	نمط العنوان غير المباشرة	Authorized user	مستخدم مرخص له	9
Add-on memory	وضع في الاصطفاف	Two-way simultaneous	متزامن في الاتجاهين	10

جدول (13)

مصطلحات مركبة على أوزان المركب العطفى

وجدت في المعجم المختص

المصطلح الأعجمي	المقابل العربي	المصطلح الأعجمي	المقابل العربي	ر.م
Turn around document	وثيقة ذهاب وإياب	Turn-around time	زمن ذهاب وإياب	1
Input / output control system	نظام ضبط الادخال والإخراج	Input / output control	ضبط الإدخال والإخراج	2
Read write memory	ذاكرة القراءة والكتابة	Input / output interrupt	انقطاع الادخال والإخراج	3
arithmetic logical unit	وحدة الحساب والمنطق	Cybernetics	علم التحكم والاتصال	4
Input/output routine	وتيرة الادخال والإخراج	Programmer / analyst	محلل ومبرمج	5
Input / output traffic control	ضبط حركة الإدخال والايخراج	modulator) demodulator	مضمّن وكاشف	7
Send / receive unit	وحدة ارسال واستقبال	Input / output port	منفذ ادخال واخراج	8
Direct input / output	ادخال واخراج مباشر	Master / slave system	نظام رئيسي وتابع	9

جدول (14)

نسبة اسهام آليات صوغ المصطلح المعتمدة
والمقترحة في المعجم المختص

ر.م	آلية صوغ المصطلح	العدد	النسبة
1	التعريب	22	O.6
2	الاشتقاق	1025	32.5
	مجموع اسهام مصطلحات الآليات المعتمدة	1047	33.2
1	المركب الإضافي	984	31.2
2	المركب الوصفي	873	27.7
3	المركب الاسنادي	215	6.8
4	المركب العطفی	25	0.7
	مجموع اسهام مصطلحات الآليات المقترحة	2097	66.6

8 - المناقشة:

عندما نراجع هذه الجداول نجد أنّ الجدول رقم (1) يضم مصطلحات مفردة تمت صوغها بطريقتي الاشتقاق والمجاز (16 مصطلحا) وأسهمت هاتان الآليتان بنسبة بلغت (9.9%) من مجموع المصطلحات التي تمّ تتبعها، ويحتوي الجدول رقم (2) أيضا مصطلحات مقترضة من اللغة الإنجليزية وتم صوغها بطريقة الاقتراض بنسبة بلغت (2.2%) من مجموع المصطلحات التي تمّ تتبعها، وتعد هذه الآليات الثلاث من الطرق المعتمدة لدى مؤسسات التخطيط اللغوي في الوطن العربي، أما الجداول الأربع الأخرى ذات الأرقام

(3 - 4 - 5 - 6) فتحتوي على مصطلحات تم صوغها بطرق أو آليات المركبات اللفظية (الأعلام المركبة)، وهي المركب (الإضافي والاسنادي والبياني (الوصفي) والعطفية)، وأن الفرق بين المجموعتين ينعكس في بنية المصطلحات، فالمجموعة الأولى مصطلحات مفردة (وحدة معجمية مفردة)، بينما نجد المجموعة الثانية مصطلحات مركبة من أكثر من كلمة واحدة، أما من الناحية الوظيفية فقد نتج عنها جميعاً (وحدات معجمية مصطلحية بسيطة ومركبة). تعد الوحدات المعجمية البسيطة مألوفة ومعتمدة لدى مؤسسات التخطيط المصطلحي، أما الوحدات المعجمية المركبة فهي مألوفة ولكن غير معتمدة لدى مؤسسات التخطيط المصطلحي في مداخل معاجم اللغة العربية العامة والمختصة على الرغم من تداولها في الاستعمال، فلم تقرر أو تعتمد مؤسسات التخطيط اللغوي العربية هذه المركبات ضمن آليات ترقية المصطلح العلمي وتطويره، إذا أستثنينا المركبات المزجية مثل: حَضْرَمَوْت، وسيبويه ونَفْطويه.

وعندما نستعرض واقع حال اللغة العربية من حيث مواكبتها للغات الحديثة في نقل العلوم والتقانة المعاصرة إلى اللغة العربية يظهر لنا جلياً قصور آليات ترقية اللغة المعتمدة عن الوفاء بحاجتها من المصطلحات وعلى الأخص في معاجم الاختصاص. وهذا ما يدعونا إلى تحري آليات وطرق جديدة لترقية المصطلح العلمي العربي.

كما توضح الجداول (3 - 4 - 5 - 6) أعلاه، أنّ نِسْبَ إسهام المركبات اللفظية فيما بينها يتفاوت من نوع إلى آخر، حيث تأتي المركبات الإضافية في صدارة الأعداد بنسبة (39% تقريباً) تليها المركبات البيانية (الوصفية) بنسبة (32%)، وذلك بسبب ارتباط المفاهيم والمسميات بظاهرتي الأحادية والافراد، فعندما يضاف قسم إلى آخر يفيد تعريفه أو تخصيصه ويدلان على شيء أو مدلول موحد، بينما نجد استعمال مركبات الإسناد والعطف، التي يكثر استعمالهما في التراكيب النحوية ويقل ارتباطهما بالمصطلحات وفي مجال التسمية ولذلك جاءت نسبة إسهامهما أقل من إسهام مركبات الإضافة والبيان (الوصف).

وأما فيما يتعلق بدقة هذه المركبات من حيث وصف المدلول، نجد أن المصطلحات الإضافية والوصفية أكثر دقة في التسمية مقارنة مع المركبات الاسنادية والعطفية، حيث نجد علاقة قوية تربط بين المضاف والمضاف إليه وتجعل من الاسمين اسماً واحداً، كما نجد علاقة إيضاح قوية تجمع بين الصفة والاسم الموصوف، أما العلاقة التي تربط بين المسند والمسند إليه، رغم أنهما ركنان أساسيان لا يتم معنى التركيب إلا بوجودهما في المركب الإسنادي، إلا أن العلاقة بينهما أقل قوة من علاقتي الإضافة والوصف، بسبب بقاء المسند والمسند إليه شيان يكمل أحدهما الآخر، وكذلك حال العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه التي هي علاقة بين تابع (المعطوف) ومتبوع (معطوف عليه)، أي أنهما (الإسناد والعطف) لم يرتقيا إلى مستوى حالتي الإضافة والوصف في الترابط، ولذلك وردت استعمالتهما بدرجة أقل في التسمية والمصطلحات.

ومن الجدير بالذكر، أن المصطلحات أسماء لأشياء ومفاهيم، والأصل في التسمية المفرد، وجاء التركيب تالياً عندما عجزت المفردات عن التعبير عن كثير من المعاني وبالأخص الدقيقة منها، فاحتاجت اللغة إلى المركبات، لتلبية حاجة اللغة ولترقية قدرتها على التعبير عن المعاني والمفاهيم⁽¹⁾، وهنا صار اعتماد هذه المركبات مصطلحات لتؤدي وظائف الأسماء إلى جانب الألفاظ المفردة⁽²⁾. ومن خلال هذا العرض المصنّف لأنواع المصطلحات العلمية المركبة في حقل المعلوماتية، ظهر بشكل واضح حجم ضعف إسهام الآليات التقليدية المعتمدة في صوغ المصطلح العلمي في ترقية اللغة، وغزارة إسهام الآليات غير التقليدية (المصطلحات المركبة) في صوغ المصطلح العلمي، ويؤكد هذا الأمر الاستعمال اللغوي في المجالات التكنولوجية

(1) أنظر، أيمن الطيب بن ناجي العاقي، ترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1440هـ ص: 25.

(2) المرجع السابق

العلمية على وجه الخصوص، وكذلك في أنشطة وممارسات التخطيط المصطلحي المتمثلة في تصنيف المعاجم المختصة، ويوضح الجدول رقم (14) نسبة اسهام الآليات التقليدية المعتمدة لدى مؤسسات التخطيط اللغوي (33.1%)، ونسبة اسهام الآليات المقترحة في هذه الدراسة بنسبة (66.6%)، وهذا يُظهر ويبين مجلاء فاعلية الآليات المقترحة في ترقية اللغة وتطوير مصطلحاتها التكنولوجية العلمية.

فضلا عن هذا، لقد تبين للباحث في دراسة سابقة⁽¹⁾ حول اسهام المترجم في ترقية اللغة والتخطيط المصطلحي، نُشرت في العدد السابع عشر لمجلة مجمع اللغة العربية الليبي، وثبت بالعد والإحصاء أن إسهم الآليات التقليدية المعتمدة لدى المجامع اللغوية ومؤسسات التخطيط اللغوي قليلاً جداً عندما قُورن بإسهم الآليات المقترحة (الأعلام المركبة)، حيث أسهمت المركبات الوصفية في تلك الدراسة بأكثر من 51.9% من إجمالي المصطلحات التي تمت دراستها، ثم تلتها المركبات الإضافية بنسبة 32.2%، بينما اقتصر اسهام الطرق التقليدية على نسبة 15%، كما يظهر في الجدول رقم (15) أدناه، وهذا مؤشر يدل على الحاجة إلى تبني آليات وطرق جديدة في صوغ المصطلح فضلاً عن الطرق التقليدية المعروفة.

فقد استأثرت، في الدراسة السابقة، آليتي التركيب الإضافي والتركيب الوصفي (وهما ضمن الآليات المقترحة في هذه الدراسة) على نسبة تجاوزت أربعة أضعاف النسبة التي تمثل الآليات التقليدية، إلا أن الآليات التقليدية في هذه الدراسة تم تمثيلها بنسبة الثلث من إجمالي المصطلحات التي تمت دراستها، أنظر الجدول التالي:

(1) أنظر، خليفة أبوبكر الأسود اسهام المترجم في التخطيط المصطلحي دراسة في ترجمة المصطلح وتطوير معاجم الاختصاص، مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا، العدد 14، (1442هـ / 2020م).

جدول (15)

يعرض مقارنة بين توظيف الآليات التقليدية
واستعمال المركبات الإضافية والوصفية في صوغ المصطلح
(مقارنة بين هذه الدراسة ودراسة سابقة)

النسبة المئوية	عدد المصطلحات	طرق وآليات صوغ المصطلح	مصادر المصطلحات	
15.1%	602	الآليات التقليدية المعتمدة لدى مؤسسات التخطيط اللغوي	مصطلحات علمية تكنولوجية (معهد الإنماء العربي)	دراسة سابقة
84.1%	3806	المركبات الإضافية والوصفية		
32.0%	1059	الآليات التقليدية المعتمدة لدى مؤسسات التخطيط اللغوي	مصطلحات الرخصة الدولية للحاسب	الدراسة الحالية
67.9%	2244	آليات مقترحة (مركبات إضافية ووصفية واسنادية وعطفية)	الآلي ومصطلحات معجم الحاسوب	

9 - الخلاصة:

تتطلب مشكلة المصطلح العلمي العربي أن يتبنى صناع المصطلح نهج متفتح يفضي إلى اعتماد آليات جديدة إلى جانب الآليات التي اعتمدها العرب قديما لأجل ترقية العربية. يتمثل هذا النهج المتفتح في التوسع في أفق طرق وآليات صوغ المصطلح فضلا عن تجديد الايمان باللغة والإخلاص في العمل على ترقيتها بتبني جانب الاستعمال اللغوي في ترقية المصطلح بكل ثقة وشجاعة إذا صار وافيا بالغرض، وتتطلب هذه القضية أيضا تغليب تحكيم العقل بدل من الركون إلى النقل في ترقية اللغة وتطويرها، أي أنه لزاما على المصطلحي الإقرار بسياسة الأخذ والعطاء للوقوف مع اللغات الحية ندا للند، مع الاستفادة من المنهجيات الغربية في صوغ المصطلح، دون استنساخها، وهذا هو النهج

الذي يجنبنا تفادي الفجوة بين لغتنا ولغات المجتمعات المتقدمة، وتمكين العربية تطبيقاً كما نتعهدنا تنظيراً، لكي تضيق هذه الفجوة بين العربية ولغات الأمم المتقدمة على لغتنا في مجال المصطلح.

فالنهج المتشدد في تطوير اللغة يحافظ على القديم ولكنه يضيق فرص التجديد، ولم يقتصر هذا النهج المتشدد المتعصب للغة على ترقية معاجم الاختصاص في العربية وعلى المصطلح العلمي فحسب، بل عايشته العربية في مجال الدرس الأدبي وتطور الشعر العربي من الشعر الموزون المقفى إلى ما يعرف بالشعر الحر، فقد برزت المعارضة والرفض للشعر الحر في بداية ظهوره، ثم ألفته الذائقة وتبدل الرفض والاعتراض إلى قبول وإقرار، وقد أدلى عميد الأدب العربي، طه حسين، برأيه في قضية تطور الشعر العربي الحديث غير المقفى بقوله «إذا استطاع الذين يحبون (يؤيدون) هذا الضرب من الشعر الحديث أن يقدموا لنا ما يُمتّعنا فعلاً، فمن غير المحق أن ننكره ونلتوي عنه، لا شيء إلا لأنه لم يلتزم بما كان القدماء يلتزمون من القوافي والأوزان»⁽¹⁾.

ونحن نرى الرأي ذاته في ترقية المصطلح العلمي العربي، فإذا تحققت الغاية وأدّت المركبات أو الأعلام المركبة وظيفة الاسم المفرد في تسمية المفاهيم والأشياء فإننا لن ننكرها لمجرد أنّ القدماء لم يستعملوها، وذلك لأننا نعيش في زمن غير زمانهم، وقد تبدّلت أحوال مجتمعتنا من منتج للمعرفة والعلوم إلى مستهلك لهما، كما تغيّرت البيئة المحيطة باللغة، وصارت العربية في سياق جديد يختلف كثيراً عن السياق الذي كانت تعيشه في القديم.

وفي الختام، إذ أعرض هذا المقترح لا أود أن أكون حكماً عليه، بل أقول إن هذا المقترح لا يعدو كونه فكرة واجتهاد قابل للدرس والتجريب فإن لقي القبول والاستحسان فإنني أدعو المهتمين بهذا الشأن إلى توسيع دائرة الدرس والتجريب باستقصاء المعاجم المختصة وكذلك أدبيات البحوث العلمية التطبيقية والبحث والإنسانية للتحقق من مدى

(1) بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد العربي، دار الثقافة بيروت، 1985م، ص: 325.

انتشار استعمال المصطلحات المركبة في صوغ المصطلحات العلمية في الميادين المعرفية كافة للوقوف على جدوى هذه الدراسة من عدمه، هذا ما ارتأيته وما توصلت إليه من خلال هذا الجهد المتواضع، وسيراً على خطى الشيخ عبد القادر المغربي أقول فإن أصبّت في اجتهادي فتلك المثلى، وإن كانت الأخرى فليست بالأولى.

المراجع العربية:

- 1 - ابن تيمية، تقي الدين، الرد على المنطقيين، تقديم سليمان الندوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت البريدي، عبد الله، التخطيط اللغوي.
- 2 - تعريف نظري ونموذج تطبيقي، ورقة بحثية أقيمت في الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية باللغة العربية.
- 3 - مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 7-9 مايو 2013م، الرياض.
- 4 - بلعيد، صالح، «أين تكمن مشكلة المصطلح العلمي»، وقائع ندوة قضايا
- 5 - المصطلح العلمي في العلوم المادية، مجلة دراسات مصطلحية، العدد الثالث، لصدرها معهد الدراسات المصطلحية، المغرب، 2003م).
- 6 - بلعيد، صالح، فقه اللغة العربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة/ الجزائر 2003م.
- 7 - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحرير محمد رشيد رضا دار المعرفة - بيروت (1982).
- 8 - الحمزاوي، محمد رشاد، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مناهج ترقية اللغة.
- 9 - تنظيراً ومصطلحاً ومعجماً، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الأولى 1988م.

- 10 - حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لوضع المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- 11 - الحميدي، عبد الرحمن بن عبد الله، الأسماء المركبة: أنواعها وإعرابها، دراسة نحوية، مجلة الدرعية، العدد 29، رابط الموضوع: https://www.alukah.net/ixzz62h4lxjGL#/5481/literature_language/0
- 12 - الخرابشة، علاء الدين، دراسة في ترجمة المصطلحات العلمية-التقنية المركبة من الإنجليزية إلى العربية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) بجامعة مانشستر، (سالفورد)، المملكة المتحدة.
- 13 - الخطيب، أحمد شفيق (1993) حول تطوير منهجية وضع المصطلح العربي.
- 14 - وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته، مجلة اللسان العربي، العدد 39 - الرباط، ص: 154-158.
- 15 - الخفاجي، شهاب الدين أحمد، شفاء الغليل: فيما في كلام العرب من الدخيل.
- 16 - تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي ÷ مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، 1972م.
- 17 - أرسلان، زكريا، تحليل المركب المصطلحي، دراسات مصطلحية: المركب المصطلحي الطبي أنموذجا، العدد السابع 1428هـ-2008م.
- 18 - سماعنة، جواد حسني «التركيب المصطلحي طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية» منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، <http://www.m-a-arabia.com/vb/archive/index.php/t-21462.html>
- 19 - الأسود، خليفة أبوبكر، اسهام المترجم في التخطيط المصطلحي دراسة في ترجمة المصطلح وتطوير معاجم الاختصاص، مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا، العدد السابع عشر (1442هـ/2020م).

- 20 - الأسود، خليفة أبوبكر، دور المركب الإضافي في صوغ المصطلح، الندوة العلمية الرابعة: صوغ المصطلح العلمي وتوحيده، مجتمعات ندوات (1375هـ - 2007م) مجمع اللغة العربية - ليبيا 2007م.
- 21 - الأسود، خليفة أبوبكر، ترقية اللغة العربية المعاصرة (التطور اللغوي في العربية المعاصرة: دور الإضافة في تطوير المصطلح العلمي، رسالة دكتوراه، جامعة لندن (1986)، غير منشورة موسومة.
- 22 - السيد، محمود أحمد، المبادئ الأساسية في وضع المصطلح العلمي وتوليده، ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح»، مجلة مجمع اللغة العربية - دمشق، عدد خاص، المجلد 75، الجزء الثالث 2000م - 1421هـ.
- 23 - الشهابي، مصطفى، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط 2 1955م.
- 24 - الشويرف، عبد اللطيف أحمد، تصحيحات لغوية، الدار العربية للكتاب الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، طرابلس 1997م.
- 25 - طبانة، بدوي، التيارات المعاصرة في النقد العربي، دار الثقافة بيروت، 1985م.
- 26 - العاقي، أيمن الطيب بن ناجي، ترتيب الوحدات المعجمية المركبة في المعجم العربي المعاصر، مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1440هـ ص: 21-35.
- 27 - علي، عبد الصاحب مهدي، دراسة لغوية عن تطور المصطلحات العلمية في اللغة العربية، مؤسسة كيغان بول العالمية، لندن، هنلي - بوسطن، 1986م.
- 28 - العيفاوي، جميلة ودليلة شلاي (2013/2012) دور التركيب في توليد المصطلح، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة

أكلي محمد أولحاج - البويرة، dspace.univ-bouira.dz، (نسخة الكترونية) تاريخ الولوج 2021/02/01 م القاسمي، علي (د.ت) تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي ومكانة.

29 - المصطلح الموحد، مجلة اللسان العربي، العدد الثالث والعشرون مكتب تنسيق التعريب، الرباط.

30 - القاسمي، علي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2008م.

31 - القاسمي، علي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2008م.

32 - كوبر، روبرت، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، تعريب خليفة الأسود، مجلس الثقافة العام - ليبيا، 2006م.

33 - العطار، عبد العزيز، المصطلح العربي وقضايا التوليد، مجلة دراسات مصطلحية، العدد السادس، 1427 هـ-2006م.

34 - معجم مصطلحات علم المصطلح (1087)، (ISO) ترجمة على القاسمي، مجلة اللسان العربي، العدد 22، ص: 206.

35 - المغربي، عبد القادر، كتاب الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال 1908م،

36 - نخلة، محمود، أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، بيروت. (د-ت).

37 - هارون، نبيل عبد السلام، المعجم الشامل لمصطلحات مجمع اللغة العربية في العلوم التقنية والهندسية، دار الجيل، بيروت 1411 هـ-1991م.

38 - وجيه، عبد الرحمن حمد، «دور الاشتقاق في تطوير مفردات اللغة العربية المعاصرة»، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة لندن، 1981م.

المراجع الأجنبية:

- Al-Asswad, Kh. Abubaker (1994) Lexical Expansion in Modern Arabic: The Role of iDaafa in the Development of Technical Terminology, unpublished Ph. D Thesis.
- Al-Kharabsha, (2003) Translating of Different Types of Technico-Scientific Compounds from English into Arabic, PhD thesis, University of Salford (2003).
- Smeaton, B. (1973) Lexical Change Due to Technical Change, as illustrated by the Arabic of Al-Hasa, Saudi Arabia, Indiana University Publication, Bloomington
- Wajeih, A. Hamad (1981) “The Role of Derivation in the Process of Neologisation in Modern Literary Arabic“
- unpublished Ph. D Thesis Zarnikhi, Abolfazl, (2016) Towards a Systemic Model for Terminology Planning Cambridge Scholars Publishing Lady Stephenson Library, Newcastle upon Tyne.



نقاشات نحوية عن دلالات الفعل الزمنية

د. مبروكة الهاشمي علي البوعيشي

(كلية التربية - جامعة طرابلس)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وبعد:

فقد جرت عادة علماء النحو القدامى أن يقسموا الفعل ثلاثة أقسام هي: الماضي، والمضارع، والأمر، وأن يعرفوا الماضي بأنه ما دلّ على حدوث فعل قبل زمن التكلّم، والمضارع بأنه ما يدل على حدوث فعل في الحال أو في المستقبل، والأمر بأنه ما يُطلب به حدوث فعل في المستقبل. وهذا التحديد تمثله الصيغة الصرفية وهي منفردة، فقد وجد علماء العربية أن الفعل بأمثلته المختلفة يحدد منفردا زمنا من الأزمنة الثلاثة الطبيعية؛ لأن الزمن إما أن يكون لم يأت بعد أو اللحظة الآنية، أو يكون قد انقضى، وهذا تحديد مطلق يمكن أن تقوم به الصيغة وحدها دون حاجة لوجودها داخل السياق، أما عند اندراج لفظ الفعل في نص متكامل فإنه من الممكن أن يؤدي دلالات مختلفة مع احتفاظه بصيغة زمنه الوضعية، وهو ما توصل إليه علماء العربية عند دراستهم للأفعال، وبخاصة عند استخدام الفعل في القرآن الكريم، فصيغة الماضي لم تلتزم بما عرف عنها في أصل وضعها من انبعاث عقب الزمن الفائق منها، بل حلقت في آفاق أرحب لتعانق المستقبل في مزاجية عجبية بين زمنين هما على طرفي نقيض، ليُجمعا في السياق الذي يفرض الدلالة الجديدة دون أن يغير الوضع الأصلي للكلمة مما يوحي بمعان عميقة دون إسهاب وإطالة، وقد ورد ذلك على سبيل المثال في

قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبَسَّ أَلْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾⁽¹⁾ يصور القرآن الكريم مشهد فرعون وقومه في زمن قادم، بالفعل ﴿يَقْدُمُ﴾ يفيد الاستقبال، لوجود قرينة تدل على ذلك وهي قوله تعالى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فهذا اليوم لم يأت بعد، فهو ليس من الحاضر ولا من الماضي، وإنما هو يوم مستقبلي؛ مما جعل الفعل المضارع ﴿يَقْدُمُ﴾ هنا خالصا للمستقبل، ثم عطف عليه الفعل الماضي حين قال ﴿فَأُورِدَهُمُ النَّارَ﴾ حيث بين أن القدوم يليه مباشرة ورود النار، ولكنه عدل عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي ليدل على أن ورود النار لم يكن مجرد حالة، وإنما أسبابه عميقة ممثلة فيما كان يفعله فرعون في الدنيا ويأمر به، وكذا في سير قومه وراءه وامتثالهم لأوامره فكانت تلك التبعية سببا قويا لدخولهم النار، فأصبح الورود حتميا، فأشار إليه بلفظ الماضي، قال العكبري (ت 616هـ) «فأوردتهم تقديره فيوردتهم»⁽²⁾.

أما صيغة المضارع فقد اختلف العلماء في دلالة الزمنية فمنهم من يراه للمستقبل، ومنهم من يعدّه مختصا بالحال، والجمهور يرون أنه مشترك للحال وللاستقبال، وهناك من يرى أنه إذا أريد به الحال فهو بحق الأصلية، وإذا أريد به الاستقبال فهو بحق الفرعية، وهناك من يقول بعكس هذا فيجعل أصله المستقبل⁽³⁾.

وقد لا يلتزم المضارع بهذه الدلالة الزمنية أي دلالة الحال أو الاستقبال، فيتقدم بخطوات وثيدة، ويقع في زاوية الماضي؛ ليوضح معاني أعمق من أن تدلي بها صيغة الفعل الماضي إن ذكرت وحدها، بل تحتاج - مع ذكرها - إلى إطالة كلام، وإسهاب ألفاظ حتى يتم الوصول إلى تلك المعاني المطلوبة، فاختصر هذا الأمر بذكر لفظ المضارع الذي جمع كل ذلك وهو محاط بقرائن تشير إلى دلالة الماضوية من ذلك مثلا ما ورد في قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(1) هود: 98.

(2) التبيان، المكتبة التوفيقية، 79م، القاهرة ج. 2/ 45.

(3) ينظر الارتشاف، أبو حيان الأندلسي، تح: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، 1998م، القاهرة، 4/ 2027-2032.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ۖ﴾⁽¹⁾ يرى فاضل السامرائي أنَّ التعبير بالفعل المضارع هو استحضار «لهذه الصورة الشنيعة من قتل أنبياء الله فخلع على المشهد صورة الحياة والحركة يجعله ماثلاً أمام عين الراي»⁽²⁾، ولا أراه مجرد استحضار للصورة بقدر ما هو توضيح لما في ضمير أولئك اليهود المعاصرين لسيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ إنهم لم يكونوا في زمن قتل الأنبياء؛ لأنَّ ما بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما أفضل صلاة وأزكى تسليم ما يزيد عن خمسمائة سنة فلا يمكن أن يعاصروا تلك الفترة فترة قتل الأنبياء، ومع ذلك خاطبهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ ﴿تَقْتُلُونَ﴾ والتاء هنا للخطاب، وأشار إليهم هم أنفسهم بفعل القتل فواو الجماعة عائدة عليهم، ثم قال ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ليؤكد أن هذا الفعل قد حدث في الماضي، فأظنه بذلك يظهر ما في أنفسهم من رضا عن فعل أجدادهم من جهة، ومن رغبة في قتل سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهة أخرى، وقد كانت لهم محاولات بذلك والله أعلم.

وقد يعطي المضارع دلالة مستقبلية بتحول صيغته من حالة الإخبار إلى الإنشاء فيكون بذلك مفيداً للأمر. من هذا قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَضَّنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽³⁾ ومجيء الفعل ﴿يَتَرَضَّنَ﴾ في صورة المضارع خبراً للمطلقات، والموضع ليس بموضع إخبار، وإنما هو أمر ألزم الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به المطلقة إثر وقوع الطلاق لها يأخذ بعداً آخر - بحسب وجهة نظري - فالطلاق وإن كان من اختيار المرأة في بعض الأحيان هو أمر جلل يجعلها تدخل في أطوار نفسية سيئة تشعرها بحزن عميق، والرحمن سبحانه - وهو أعلم بمن خلق - جاء بالفعل في هذه المناسبة الحزينة على صيغة المضارع تلطفاً بالمطلقات، وإكراماً لهن، وأخذاً بخاطرهن، فكانت الصيغة أبليغ من صريح الأمر، وأوقع في النفس، والله أعلى وأعلم.

(1) البقرة: 91.

(2) معاني النحو، دار الفكر، ط. 3، 2008م، عمان، 289/3.

(3) البقرة: 228.

وقد لا يعطي المضارع أية دلالة زمنية بل يكون وجوده دالا على التجدد والديمومة والاستمرار في كل وقت ماض وحال ومستقبل. من ذلك قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾⁽¹⁾.

وغير ذلك من الأمثلة والآراء المتنوعة في هذا الجانب، ولكن من الباحثين المحدثين من كانت له ملاحظات حول ما كتبه القدامى فيما يخص الزمن، فمنهم من عدّ تقسيم الفعل إلى ماض ومضارع وأمر ليس تقسيما صحيحا ولا يمثل الزمن بأي حال من الأحوال «والجدير بالملاحظة هنا أن ما اشتهر عند النحاة من أقسام الفعل كالماضي والمضارع والأمر - إذا استثنينا منها الماضي - هي ليست أقساما للزمن في الفعل»⁽²⁾، ويرى صاحب (علم التصريف العربي) أن الفعل ينقسم بالنظر إلى زمنه إلى «الماضي والحاضر والمستقبل هذا هو الأصل في تقسيم الفعل باعتبار الزمن، غير أن اللغويين مراعاة لاعتبارات أخرى عدلوا عن هذا التقسيم إلى تقسيم آخر يشمل الماضي والمضارع والأمر وسيوضح أن القسمين الأخيرين لا يمثلان الزمن تمثيلا صادقا»⁽³⁾، وعند حديثه عن المضارع قال «فإن المصطلح لا يعبر عن زمن محدد كما عبر مصطلح الماضي، وقد جاءت التسمية من قبل أن المضارع يشبه الأسماء في بعض خصائصها كالإعراب»⁽⁴⁾، وكذا عند حديثه عن الأمر حيث قال «والمصطلح لا يعبر عن زمن محدد، وإن كان ما جاء على هيئاته جميعا يدل على المستقبل»⁽⁵⁾، ويقول آخر «يرى جمهور اللغويين العرب أن أنواع الفعل في العربية ثلاثة هي: الفعل الماضي، والفعل المضارع، وفعل الأمر تطبيقا للنظرية الثلاثية للزمان»⁽⁶⁾، وهذا يعطي انطبعا أن القدامى قد جعلوا هذا التقسيم للفعل - الماضي والمضارع والأمر - تقسيما له من حيث

(1) البقرة: 185.

(2) (التحليل الدلالي للفعل في اللغة العربية) د. محمد خليفة الأسود، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 7، 90م، تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 348.

(3) د. صالح سليم الفاخري، منشورات شركة (ELGA) 90م، 98/1.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، 99.

(6) التعريف بالتصريف، علي أبو المكارم، ط1، مؤسسة المختار، 2007م، القاهرة، 53.

الزمن مما جعل كتب النحو الحديثة تصرح بذلك، وبالنظر في كتب القدامى يُلاحظ أنَّ هذه الأنواع ليست تقسيماً للفعل من حيث الزمن، يقول الزمخشري (ت 538هـ) «ومن أصناف الفعل الماضي وهو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك ... ومن أصناف الفعل المضارع وهو ما تعتقب في صدره الهمزة والنون والتاء والياء ... ويشترك فيه الحاضر والمستقبل، واللام في قولك: إن زيدا ليفعل مخرصة للحال كالسين أو سوف للاستقبال»⁽¹⁾، ويرى أبو حيان (ت 745هـ) أنَّ قسمة الفعل إلى ماض ومضارع وأمر «بالنظر إلى الصيغ لا بالنظر إلى الزمان»⁽²⁾، ويكرر ذلك في الارتشاف «الفعل بالنظر إلى الصيغ ثلاثة: ماض وأمر ومضارع وكل منها أصل فالقسمة ثلاثية»⁽³⁾، وابن هشام (ت 761هـ) يوضح أساس هذا التقسيم بقوله «ينقسم الفعل باعتبارات مختلفة إلى أقسام متعددة فينقسم بحسب أمثلته إلى ثلاثة ماض وأمر ومضارع، وهذا هو الصحيح»⁽⁴⁾، وتردد هذا القول في كتب من جاء بعدهم فقليل «والأفعال جمع فعل وهي ثلاثة لا رابع لها ماض وهو ما دلَّ على حدثٍ مقترن بزمان ماض وقبل تاء التانيث الساكنة نحو: ضربت، ومضارع أي مشابه، وهو ما دلَّ على حدث مقترن بأحد زماني الحال والاستقبال وقبل نحو: لم يضرب، وأمر وهو ما دلَّ على طلب حدث في زمن الاستقبال وقبل ياء المخاطبة نحو: اضربي، فهذه حقيقة الأفعال الثلاثية نحو: ضرب ويضرب واضرب»⁽⁵⁾.

من هذا يُستنتج أنَّ علماء العربية إنَّما وضعوا هذا التقسيم لما وجدوه عند استقراءهم لمفردات اللغة من أبنية للفعل فانحصرت عندهم في هذه الأنواع الثلاثة، ولهذا فإنَّ تقسيمهم على هذا الأساس صحيح لا غبار عليه، أمَّا نقد المحدثين فإنَّ مردَّه إلى ظنهم أنَّ هذا التقسيم هو تقسيم زمني للفعل، ويُلاحظ مما ورد في كتب النحاة أنَّ هذا الظن غير صحيح.

(1) المفصل، الزمخشري، دار الحيل، بيروت، 244.

(2) التذييل والتكميل شرح التسهيل، تح: د. حسن هندواي، 98م، ط 1، دمشق، 68/1.

(3) الارتشاف 2027/4.

(4) شرح اللوحة البدرية، تح: د. هادي نهر، دار البيازوري، 2007م، عمَّان، 323/2.

(5) شرح متن الآجرومية، خالد الأزهرى، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع، ط 1، 2007م، 79-81.

ومن الباحثين المحدثين أيضاً من كانت ملاحظاتهم تحوم حول فعل الأمر ومدى صلاحيته لتمثيل فترة من فترات الزمن، فمنهم من رأى أن يُبعد من تقسيم الأفعال فقال: «ويبدو لنا أنَّ الكوفيين على حق في إبعاد الأمر أن يكون قسيماً للماضي والمستقبل، وذلك أنَّ فعل الأمر طلب وهو حدث كسائر الأفعال غير أنَّ دلالة الزمنية غير واضحة ذلك أنَّ الحدث في هذا الطلب غير واقع إلا بعد زمن التكلم، وربما لم يترتب على هذا الطلب أن يقع حدث من الأحداث»⁽¹⁾، ولكنَّ هذه الملاحظة يمكن الرد عليها من جانبين:

الأول - أنَّ الكوفيين لم يبعدوا الأمر من القسمة لهذا السبب الذي أورده وإنَّما لزعمهم أنَّ «الأمر مضارع دخلت عليه لام الأمر فجزمته، ثم حذفت وتبعته حروف المضارعة»⁽²⁾.

الثاني - ينطوي الأمر على زمن الاستقبال، ويتجسد ذلك عند تنفيذه أو عند عدم تنفيذه، فكلتا الحالتين ستكون مستقبلية، ويمكن أنَّ ينقد هذا الرأي بالقول: إن النهي أيضاً الامتثال له أو عدم الامتثال مستقبلي. أقول: الحديث الآن دائر عن الصيغة وليس التركيب، فالنهي يتركب من حرف مع الفعل، ولكن الأمر هو صيغة مستقلة بذاتها تمثل قسماً من أقسام الفعل المتداول عند العرب، ولذلك يجب أن نلاحظ الجانب الزمني في هذه الصيغة لأنَّ الأفعال «تدلُّ على الزمن بصيغتها دلالة وظيفية صرفية مطردة»⁽³⁾.

ومن الملاحظات التي سجَّلت عن فعل الأمر أنَّه «صيغة فعلية خاصة تدلُّ على إنشاء الأمر وهو طلب حصول الفعل ... ولذلك لم يذكره سيبويه في تعريفه ... وإنما ذكره فقط في معرض الحديث عن الإعراب والبناء ... وهذا هو الصحيح لذلك يمكن القول بأنَّ صيغ الفعل الدالة على الزمن في اللغة العربية هي صيغة الماضي وصيغة فعل الحال والاستقبال

(1) الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط. 2، 80م، 21-22.

(2) شرح اللوحة البدرية 323/2.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، دت، 107.

الذي اشتهر بين النحاة بالمضارع»⁽¹⁾، ويرد سيبويه (ت 180هـ) على ذلك بقوله «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، ... وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب»⁽²⁾، وبهذا أدخل فعل الأمر في تعريفه من جهة، وأوضح الدلالة الزمنية التي دل عليها وهي المستقبل، فما لم يقع هو الحدث المستقبلي من جهة أخرى.

بل إنَّ من المحدثين من أجحف بحق العلماء القدامى بقوله «والزمن جعله النحاة ثلاثة أنواع: الماضي والحال والمستقبل، وجعلوا للدلالة عليها صيغتين فقط: الفعل الماضي والفعل المضارع، وكفاهم ذلك لأنَّ أحكام الإعراب لا تكلفهم أكثر منه، ولم يحيطوا بشيء من أنواع الزمن وأساليب الدلالة عليه، وهي في اللغة العربية أوسع من هذا وأدق»⁽³⁾، وهناك من بالغ في نقده بقوله «هذا ولا نقول إنَّ علماء العربية لم يفتنوا إلى حقيقة الزمان من حيث علاقة الفعل به ... إلا أنَّهم لم يدخلوا في تفاصيلها، ولم يجعلوا لكل من الصيغ الزمنية باباً خاصاً كما قد تمَّ ذلك في كثير من اللغات، ويغلب أن يكون هذا ناشئاً من عدم علمهم بلغات أجنبية ... ويغلب أنَّهم قد ركزوا جلَّ اهتمامهم على المسائل الاشتقاقية والإعرابية والبلاغية فحسب وحرصوا في ذلك على تحقيق ثلاثة أهداف دون غيرها وهي ... النطق السليم ... القراءة السليمة ... الكتابة الصحيحة ... إذن فتكون مسألة علاقة الفعل بالزمان أمراً جانبياً بالنسبة لعلماء العربية؛ لأنَّهم حصروا مهمتهم في الأبواب المذكورة، ولأنَّه ليست للزمان صلة مباشرة بهذه الأبواب الثلاثة لذلك لم يهتموا بها، وهذا أحسن الظن بهم»⁽⁴⁾، وعلى الرغم من أهمية الإعراب في اللغة إذ هو الحارس الأمين لها، وضياعه منها والتفريط فيه يؤديان إلى ضياع العربية واندثارها أدرك العلماء ذلك فكان السبب الأساس لوضع النحو بعد أن لوحظ ظهور اللحن بأشكاله المختلفة صوتاً و صرفاً ونحواً

(1) (التحليل الدلالي للفعل في اللغة العربية) د. محمد الأسود، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 348/7-349.

(2) الكتاب، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط. 3، 83م، 12/1.

(3) إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، دار الآفاق العربية، 2003م، 6-7.

(4) (المراتب الزمنية في اللغة العربية) فريد الدين إيدن، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 15، 654-657.

وبلاغة في السنة أبناء العرب بسبب اختلاطهم بالأعاجم - لكنّه لم يشغل بال العلماء عن غيره من الموضوعات التي وردت تبعاً عند دراسة اللغة، ومن ذلك الاهتمام بالدلالة الزمنية وإن كانوا لم يجعلوها موضوعاً مستقلاً، فقد تحدثوا عنها في أثناء كتبهم موزّعة على الأبواب المختلفة التي تنتمي إليها الصيغ والتراكيب المحملة بهذه الدلالة، ولم يكن نصيب المحدثين منها إلا جمع هذا الشتات من جهة أو إدخال تقسيمات جديدة دخيلة على العربية مستقاة من لغات أخرى من جهة أخرى، وهذه محمّدة للمحدثين، ولكنّها لا تقلل من شأن ما فعله القدامى، ولا تنقص من قيمة أعمالهم، ولنبدأ التفصيل في الدخيل قبل الحديث عن جمع الشتات.

أولاً: الدخيل من الدلالات والتراكيب والتقاسيم:

1 - الفعل البسيط: ورد هذا المصطلح في كتب تحدثت عن الزمن عند الحديث عن أنواع الفعل المكون للجملة الزمنية من ذلك مثلاً «الجملة الماضية ... أنواعها ... الماضي البسيط ... الجملة الحالية ... أنواعها: زمن الحال العادي أو البسيط ... الجملة المستقبلية ... أنواعها: الجملة التي تعبر عن المستقبل البسيط»⁽¹⁾، «صيغة (فعل) البسيطة»⁽²⁾، وهو - بهذا الاستخدام - ترجمة لمصطلحات أعجمية؛ لأن هذه الكلمة (البسيط) لم ترد في المعاجم اللغوية بمعنى المجرد الذي أضفته عليها الترجمة، وإنما كانت تحمل معنى نقيض القبض وهو السعة والنشر والإطلاق⁽³⁾.

وقد أقر المعجم الوسيط معناها الجديد وهو «... ضد المركب وما لا تعقيد فيه»⁽⁴⁾، أمّا القدامى فكانوا يستخدمون لفظ (المجرد) لهذا المعنى، قال ابن الحاجب (ت 646هـ) «...»

(1) الدلالة الزمنية في الجملة العربية، أ.د. علي جابر المنصوري، دار العلمية الدولية، ط. 1، 2002م، 45-95.

(2) اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، د. محمد الريحاني، دار قباء للطباعة والنشر، د.ت، 37.

(3) ينظر العين، الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (بسط) 217/7-218.

(4) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط. 4، 2004م (بسط) 56.

قولنا: الماضي ما دل على زمان قبل زمانك أي الماضي المجرد من القرائن في أصل وضعه»⁽¹⁾.

2 - جملة (كان قد فعل): وجّه بعض الباحثين النقد للعلماء العرب عن إهمالهم - حسب وجهة نظرهم - الأبنية المركبة التي تعطي أزمنة تختلف عن زمان الفعل وهو مجرد عن ذلك التركيب، وأوعزوا السبب في هذا الإهمال لاهتمام النحاة بالجوانب الإعرابية وإغفالهم جوانب أخرى قد لا يكون لها تأثير في الإعراب مثل الزمن فقيل «وأريد بالأبنية المركبة نحو: قد فعل، وكان قد فعل، وكان فعل، وكأنّ العربية قد اتخذت من بناء (كان) فعلاً دالاً على الحدث غير مترشح للدلالة الزمنية إلا إذا كان لصيق فعل آخر، ولعلهم لم يطيلوا النظر في هذه المركبات بسبب من أنّهم لم يولوا فكرة إعراب الفعل عن الزمان العناية اللازمة؛ وذلك لانشغالهم بأشياء أخرى منها مسألة العمل في الفعل ومسألة الإعراب، فإذا أبصروا (كان) في كلام فلا بد من أن يتبينوا نقصها ويشيروا إلى اسمها وخبرها ... وعنايتهم بهذا جعلتهم لم يلمحوا هذه المركبات التي حفلت بها العربية لتستعين عن الإفصاح عن الزمان بحدود لا يفصح عنها كل من بناء (فعل) و (يفعل) دون أن تضاف إليها هذه الزوائد»⁽²⁾. وقال آخر «وتقتصر (كان) وأخواتها بالدخول على صيغة (فعل) مع بعض سوابقها مثل (قد فعل) ... قد تسبق (كان) ذاتها في الوقت الذي كانت فيه تسبق صيغة (فعل) مباشرة فيتكون التعبير (قد كان فعل) المساوي لنظيره (كان قد فعل) ... وقد جعلها النحاة لما سموه بالماضي المنقطع إذا ضامت صيغة (فعل) لكنّهم على الرغم من ملاحظاتهم الزمانية للضميمة (كان وأخواتها) - لم يولوها الاهتمام الكافي، وما لها من أثر في خلق الأزمنة المركبة في اللغة العربية، على الرغم من وجود معطياته في واقع الكلام العربي ...»⁽³⁾.

وهذه الأقوال عندما نجد ما يردّها من كتب القدامى، فيبدو من ذلك أنّ تلك الكتب ما تزال تحتاج منا إلى تنقيب وبحث مستفيض؛ لأنّها فعلاً مشاعل يستنار بها، وهذا الكلام

(1) كتاب أمالي ابن الحاجب، دار الجليل، 89م، 2/606-607.

(2) الفعل زمانه وأبنيته 24-25.

(3) اتجاهات التحليل الزمني للفعل في الدراسات اللغوية د. محمد الريحاني، دار قباء، القاهرة، 58-64.

ليس لأجل تبجيل العلماء وتمجيدهم، وإنما للإنصاف والموضوعية، إذ هم ليسوا بحاجة أن ندعي لهم ما لم يصلوا إليه، فأعمالهم كثيرة وإن نقصت شيئاً فإنَّ ذلك النقصان لا يقلل من قيمتها العلمية، ولا ينافي البركة التي حلت على أعمارهم وكتبهم، ولكن بالمقابل لا يجوز لنا أن نغفل عما ورد عنهم فهو جهدهم واجتهادهم ومن حقهم علينا أن نظهره ونبينه، وكما قلت سلفاً فإنَّ النقص الوحيد الذي أراه إلى الآن في هذه المسألة هو هذا التناول المتفرق لأجزاء هذا الموضوع - موضوع الزمن - في الأبواب المختلفة من كتب النحو، ولكنَّهم لم يغفلوا عن جل الجزئيات التي يشير إليها المحدثون، ومن ذلك اهتمامهم بما تضيفه (كان) على جملة الخبر، إذا كانت جملة فعلية، بل وما تحمله (كان) نفسها من دلالات زمنية انفردت بها عن باقي الأفعال فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر «ومن ذلك الإخبار عن ذات الله أو صفاته ب(كان) ... وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غيره، ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقاءه، بل إن أفاد الكلام شيئاً من ذلك كان لدليل آخر ... فحيث وقع الإخبار بكان عن صفة ذاتية فالمراد الإخبار عن وجودها وأنها لم تفارق ذاته، ولهذا يقررها بعضهم بما زال فراراً مما يسبق إلى الوهم إن كان يفيد انقطاع المخبر به عن الوجود لقولهم دخل في خبر كان، قالوا فكان وما زال مجازان يستعمل أحدهما في معنى الآخر مجازاً بالقرينة، وهو تكلف لا حاجة إليه وإنما معناها ما ذكرناه من أزلية الصفة ثم تستفيد بقاءها في الحال وفيما لا يزال بالأدلة العقلية وباستصحاب الحال»⁽¹⁾.

هذا جانب، وجانب آخر فإنَّ هناك ملحوظة تسجل عن تركيب من التراكيب التي تحدث عنها المحدثون ل(كان) وهي قولهم «التركيب الفعلي كان قد فعل، محتوياته كان+قد+الفعل، دلالاته تحقق وقوع الحدث في الماضي البعيد»⁽²⁾ ظهر من خلال إحصاء آي الذكر الحكيم واستقراءها أنه تركيب غير مستعمل، فهذا التركيب تحديداً لم يرد في القرآن

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، المكتبة العصرية، ط. 2، 72م، 121/4-123.

(2) اقتران الفعل ودلالاته د. محمد الأسود، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 362/8.

الكريم البتة، وما ورد منه فقط تركيب (يكون قد فعل) في قوله تعالى ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾⁽¹⁾ ونظيره (قد كان فعل) بعد استقراء أي الذكر وجد أنه لم يرد إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾⁽²⁾ أما الآيات الأخرى التي سُبقت فيها (كان) ب(قد) - وهي تحديداً خمس آيات⁽³⁾ - جاء بعد كان الفعل في صيغة (يفعل) وليس في صيغة (فعل) فالتركيب هو (قد كان يفعل).

ويبدو أنَّ التركيب الأول وهو (كان قد فعل) «... نُقل إلينا من النصوص الأجنبية التي كثرت ترجمتها إلى اللغة العربية، ولعل مصدر النقل الأول هو اللغة الفرنسية ... وهي إحدى صيغ الماضي التي تشرح حدوث أمرها قبل حدوث أمر آخر في الماضي أيضاً دون أن يكون بين الأمرين مهلة في الزمن ... كثر استعمال هذه الصيغة - كان قد فعل - واستسغناها لدرجة كبيرة، وأصبحنا نرى فيها نموذجاً من الصيغ العربية المألوفة دون أن نعي بأصلها ولا بتاريخ استعمالها، ودون أن نهتم بمراجعة الأساليب التعبيرية القديمة في لغتنا حتى نستطيع التمييز بين ما كان مستعملاً قديماً وما استحدثنا استعماله في العصر الحديث نتيجة الاحتكاك اللغوي، والاختلاط الثقافي»⁽⁴⁾.

من هذا فهذه التراكيب - الدخيل منها والقليل الاستعمال - لا يمكن أن تؤصل قاعدة لغوية أو تعطي تقنياً لدلالة زمنية معينة؛ لأنَّ الوصول إلى تلك الدلالة المستخلصة يتم عن طريق الاستعمالات المتنوعة للتركيب. أمَّا (كان فعل) و(كان يفعل) فقد استخدما

(1) الأعراف: 185.

(2) الأحزاب: 15.

(3) الآيات هي قوله تعالى ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا مَيلَ لَهَا﴾ [البقرة 174]، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران 143]، ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنَاتُ الْأُولَىٰ بِمَا كَانَتْ تُدْعَوْنَ لِهَيْبَتِهِ لِيُخْزِيَهُنَّ لَمَّا جَاءَ بِابْنٍ ذَكَرَهُ وَيَتْلُو عَلَيْهِ الْقُرْآنَ﴾ [الزمر 16]، ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون 76]، ﴿خَلِيعَةً ابْتَدَأَهُمْ رَبُّهُمْ يَوْمَ ذَٰلِكَ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم 43].

(4) (عن الأساليب التعبيرية كان + الماضي بدون - قد) د. حسن عون، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 71م،

كثيراً في القرآن الكريم وفي كلام العرب، ولم يهمل النحاة ما يوحي به هذا الاستخدام من دلالات زمنية، بل وُظف ذلك في شروحهم وتفسيرهم.

3 - تقسيم الفعل إلى ماض وحال ومستقبل: إنّ تقسيم الفعل من حيث الزمن إلى ماض بسيط ... وزمن الحال العادي والبسيط ... والجملة التي تعبر عن المستقبل البسيط⁽¹⁾ هو ترسيخ للتقسيم الزمني الحاد الذي يُلحظ في اللغات الأجنبية، الذي تنفصل فيه صيغة الحال عن صيغة المستقبل، في حين كان علماء العربية يؤكدون التقسيم الثنائي حيث قال الزجاجي «الفعل على الحقيقة ضربان ... ماض ومستقبل، فالمستقبل ما لم يقع بعد ولا أتى عليه زمان، ولا خرج من العدم إلى الوجود، والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمانان ... فأما فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم لم يخرج إلى حيز المضي والانقطاع، ولا هو في حيز الذي لم يأت وقته فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل ففعل الحال في الحقيقة مستقبل؛ لأنه يكون أولاً أولاً فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المضي، فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل»⁽²⁾ ولذلك لم تكن هناك صيغة منفصلة للحال عن الاستقبال، بل صيغة المضارع تدلّ على الحال والاستقبال في حين وجدت صيغة ينفرد بها الماضي وهي الفعل الماضي، وأخرى للمستقبل وهي فعل الأمر وذلك لأنّ «الحاضر شيء نبحت عنه فلا نجده، أو نجده على الدوام متصلاً بالاستقبال لا ينفصل عنه لحظة ... فالحاضر جزء من اثنين إما ماض وإما مستقبل وهذا الفارق الدقيق ملحوظ في تقسيم الأفعال العربية؛ لأنّها ماض ومضارع يدل على الحال متصلاً بالاستقبال، ولا يكون الفعل إلا للحال والاستقبال، أو يكون الزمن فيه مضارعاً للزمن السائر الذي لا يستقر على قرار وهذه غاية في الدقة تحسب للعقل العربي»⁽³⁾.

(1) ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية 45-95، اتجاهات التحليل الزمني للفعل في الدراسات اللغوية، 18-39.

(2) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، ط. 6، 96م، بيروت، 86-87.

(3) (رد على دعوى يدعيها اللغويون الغربيون تتصل بالزمن في اللغة العربية) د. البدراوي زهران، مجلة مجمع

اللغة العربية بالقاهرة، ج. 72، 100، وينظر اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية،

بيروت، د.ت، 35-53.

ثانياً - جمع المتفرق:

عندما لوحظ أنَّ علماء العربية لم يفصلوا الزمن - بكل ما يؤثر فيه من أفعال وما يضام إليها من أدوات سواء أكانت حروفاً أم أفعالاً ناسخة - في موضوع متصل واحد، وإنما فرقوا ذلك حسب ترتيب الموضوعات في كتبهم، ولم يغفلوا عن الإشارة إلى دلالاتهم الزمنية، ولكنها جاءت متفرقة متباعدة مما حدا بالمحدثين أن يجمعوها في موضوع واحد متصل - وهو ما يحسب لهم - ولكن ما جاؤوا به ليس جديداً، ومن خلال النماذج الآتية سيتضح التشابه الكبير أو النقل والاعتماد عما ورد في كتب القدامى، مما يدحض أي قول يتحدث عن عدم اهتمامهم بهذه الجوانب الدلالية وانشغالهم عنها بالإعراب وتوضيح المشتقات ... وغيرها.

يقول فاضل السامرائي: من أزمنة الفعل الماضي «... الدلالة على الاستقبال وينصرف إلى ذلك في مواطن منها: ... ب - الوعد أو الوعيد نحو: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾⁽¹⁾ والقصد من ذلك أن هذه الأحداث متحققة الوقوع مقطوع بمصولة بمنزلة الفعل الماضي فكما أنه لا شك في حدوث الفعل الماضي الذي تم وحصل، كذلك لا شك في حدوث هذه الأفعال إذ هي بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع...»⁽²⁾.

وقد ورد في كتب القدامى ما يوضح المواضع التي يقع فيها الماضي موقع المستقبل، قال ابن جني (ت392هـ) «وكذلك قولهم: إِنْ قُمْتُ قُمْتُ فِجْيءً بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع، وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع مترقب، وهذا تفسير

(1) الأعراف: 44.

(2) معاني النحو 274/3-275، وينظر الفعل زمانه وأبنيته 28، (التحليل الدلالي للفعل في اللغة العربية) د. محمد الأسود، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، 356/7.

أبي علي عن أبي بكر وما أحسنه⁽¹⁾، وفي موضع آخر يقول «إن قلت: فقد تقول: إن قمت غدا قمت معك، وتقول: لم أقم أمس، وتقول: أعزك الله وأطال بقاءك، فتأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال ... وكذلك أيضا حديث الشرط ... جئت فيه بلفظ الماضي الواجب تحقيقا للأمر، وتثبيته له ... ونحو من ذلك لفظ الدعاء ومجيئه على صورة الماضي الواقع ... أنما كان ذلك تحقيقا له، وتفاوتا بوقوعه أن هذا ثابت بإذن الله وواقع غير ذي شك ...»⁽²⁾، ومن إيقاع الماضي في موقع المستقبل قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾⁽³⁾ أراد ينادي لأن هذا النداء إنما يكون يوم القيامة ...⁽⁴⁾، وقيل «وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء ... وألفاظ العقود ... وإلى الاستقبال بالطلب ... وبالوعد ... وبالعطف على ما علم استقباله نحو ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾⁽⁵⁾»⁽⁶⁾ وقال الزركشي (ت749هـ) «ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهدة المتوعد بها، فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه ...»⁽⁷⁾.

فهذه الأمثلة وغيرها كثير⁽⁸⁾، توضح مدى انتباه علماء العربية لهذه الظاهرة الزمنية والدلالة المتداخلة للصيغة داخل السياق، ومما ورد عن وقوع المضارع موضع الماضي قول إبراهيم السامرائي «وقد يأتي بناء (يفعل) وهو دال على المضي وذلك لقريضة ترشحه إلى الزمان الماضي نحو قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾⁽⁹⁾»⁽¹⁰⁾، أما أبو حيان

(1) الخصائص، تحق: محمد النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت 3/ 105.

(2) المصدر نفسه 328-332.

(3) الأعراف: 50.

(4) آمالي ابن الشجري، مطبعة المدني، ط.1، 92م، 2/ 34.

(5) هود: 98.

(6) الارتشاف: 2033/4.

(7) البرهان في علوم القرآن، تحق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ط.2، 372/3.

(8) ينظر آمالي ابن الشجري: 67/1، 68-67/2، 146/2، 480، 12-13/3.

(9) البقرة: 91.

(10) الفعل زمانه وأبنيته 33، وينظر (التحليل الدلالي للفعل في اللغة العربية) د.محمد الأسود، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 356/7، معاني النحو 284-287.

فإنه يوضح لنا المواضع التي تصرف المضارع إلى معنى الماضي «وينصرف معنى المضارع إلى الماضي ب(لم) و(لما) ... وب(لو) الامتناعية ... وب(إذ) ... و(ربما) ... و(قد) في بعض المواضع ... وعطفه على الماضي ... ووقوعه خبرا لكان وأخواتها نحو: كان زيد يقوم، وإعماله في الظرف الماضي ...»⁽¹⁾، وابن هشام يبين سببا من الأسباب التي تجعلهم يعدلون عن الماضي إلى فعل الحال «أنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصدا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار ... ومثله ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾⁽²⁾ قصد بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَتُثِيرُ﴾ إحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب تبدو أولا قطعاً ثم تتضام متقلبة بين أطوار حتى تصير ركاباً»⁽³⁾، وغيرها كثير⁽⁴⁾، مما يؤيد ما قلت سلفاً من انتباه القدامى لهذا الأمر، بل واهتمامهم به.

وبعد فهذا غيض من فيض مما ورد عن القدامى والمحدثين في هذا الموضوع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسلم.



(1) الارتشاف: 2032-2033/4.

(2) فاطر: 9.

(3) مغني اللبيب، تحقق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، م01، 452/2.

(4) ينظر التذييل والتكميل: 80/1-82... وغيرها.

المصادر والمراجع:

- 1 - القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 2 - اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، د. محمد الريحاني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- 3 - إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م.
- 4 - ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
- 5 - أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م.
- 6 - الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط.6، 1996م.
- 7 - البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط.2، 1972م.
- 8 - التبيان في إعراب القرآن، العكبري، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1979م.
- 9 - التذيل والتكميل في شرح التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1998م.
- 10 - التعريف بالتصريف، علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.
- 11 - الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

- 12 - الدلالة الزمنية في الجملة العربية، أ.د. علي جابر المنصوري، دار العلمية الدولية - دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.
- 13 - شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. هادي نهر، دار اليازوري العلمية، عمان، 2007م.
- 14 - شرح متن الآجرومية، خالد الأزهرى، دار عمر بن الخطاب، القاهرة، 2007م.
- 15 - علم التصريف العربي، صالح سليم الفاخري، منشورات شركة (Elga) فاليثا، 1999م.
- 16 - الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.2، 1980م.
- 17 - كتاب أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليم قدارة، دار الجيل، بيروت، 1989م.
- 18 - الكتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط.3، 1983م.
- 19 - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ت.
- 20 - اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- 21 - اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ت.
- 22 - معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط.3، 2008م.

- 23 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط.4، 2004م.
- 24 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- 25 - المفصل في علم العربية، الزمخشري، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- 26 - الدوريات:
- 27 - مجلة كلية الدعوة الإسلامية، مجلة سنوية تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا.
- 28 - مجلة مجمع اللغة العربية، تصدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

النّسق في الصّناعة المعجميّة

الوسيط أنموذجًا

د. أيمن الطيّب بن نجي

(كلية اللغة العربية - الجامعة الأسمرية)

محتوى الدراسة

الملخص.

1 - مدخل.

2 - المُعجم الوسيط.

3 - الوحدة المُعجميّة.

4 - المدخل المعجميّ.

5 - النّسق في المعجم.

5.1 - التّرتيب.

5.2 - الوسم.

5.3 - التّعريف.

5.3.1 - حقل الأدوية.

5.3.2 - حقل الآلات.

5.3.3 - حقل الألبسة.

5.3.4 - حقل الحيوانات.

النتائج.

التّوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

المُلخَص

تسعى هذه الدّراسة إلى البحث في موضوع النّسق في الصّناعة المعجميّة العربيّة، وقد اختارت المُعجم الوسيط محلاً للدّراسة، وتهدف الدّراسة إلى رصد التّماثل والتّمطيّة في مداخل المُعجم الوسيط في التّرتيب والوسم والتّعريف، ومعرفة هل حُرّر المُعجم الوسيط بنفس المنهج والكيفيّة أم شابه الاجتهاد الفرديّ والتّأليف الدّاتي؟ ويأتي الهدف من الإجابة عن هذه الأسئلة من أهميّة أن تلتزم الصّناعة المعجميّة التّمطيّة والإنقاف، والممارسة الدّقيقة للعمل المنجز، وأن تبعد عن التّأليف والرّؤية الدّاتيّة، كما تهدف هذه الدّراسة إلى التّأكيد على أهميّة ظهور المداخل المُعجميّة بنمط واحد، لا تؤثر فيها فجوة الزّمن بين أوّل مداخل في المُعجم وآخره، ولا تؤثر فيها تعدّد الأيدي، واختلاف خلفيّاتها، وتخصّصاتها، وللوصول إلى ذلك جمعت الدّراسة نماذج مختلفة من المداخل المعجميّة للنّظر فيها، ورصد مواطن التّناقض والاختلاف، وقد انتهت الدّراسة إلى عدد من التّنتائج، أهمّها: أنّ مداخل المُعجم الوسيط تختلف في التّرتيب والوسم والتّعريف من مدخل إلى آخر في النّماذج المختارة للدّراسة، ومن التّنتائج نجد أنّ المُعجم الوسيط يرفق لعدد من المداخل صوراً توضّح هيئتها دون بقيّة التعريفات، دون ضابط أو قيد يوضّح سبب التّمييز أو الاختيار، كما نجد أنّه يذكر وسوماً لم يثبتها في المقدّمة، مثل فارسيّ للفظ الفارسيّ، مع عدم ثباته على صورة الوسم، فمرة يورده بلفظه كاملاً، ومرة بصورته المختصرة.

الكلمات المفتاحيّة: المُعجم العربيّ، المُعجم الوسيط، الوحدة المعجميّة، التّرتيب، التعريف، الوسم.



1 - مدخل:

انتقل المُعجم منذ زمن من حقل التّأليف والجهد الفرديّ إلى حقل التّخطيط والعمل الجماعيّ؛ لكثرة ألفاظ اللّغة، وتعدّد معانيها، وضخامة الجهد المبذول، فلم يعد بالإمكان أن يتصدّى فرد لبناء المعجم، بل أصبحت هناك مؤسّسات متخصصة لبناء المعاجم اللّغويّة، وأصبح علما المُعجم (Lexicology) والصّناعة المعجميّة (Lexicography) يدرّسان في الجامعات والمؤسّسات الأكاديميّة، وهو ما أثار السّاحة البحثيّة في هذا المجال، وأثار الكثير من القضايا والإشكاليّات الّتي لم تكن مطروحة من قبل، ومن بين هذه القضايا قضيّة النّسق في مداخل المعجم، سواء في تعريفها، أو ترتيبها، أو سُمها، أو غير ذلك، وتعدّ هذه القضيّة من القضايا المهمّة الّتي تُبرز مهنيّة المؤسّسة المعجميّة وعملها الجماعيّ.

وقد جاءت هذه الدّراسة لتقف على قضيّة النّسق في أحد المعاجم العربيّة، ألا وهو المُعجم الوسيط، وللوصول إلى الهدف ستحاول هذه الدّراسة الإجابة عن عدّة أسئلة مهمّة تثيرها هذه القضيّة، منها:

هل هناك اختلاف بين مدخل وآخر في المُعجم الوسيط، سواء في ترتيبه، أو سُمه، أو تعريفه؟

هل يختلف تحرير المدخل المعجميّ باختلاف المحرّر المعجميّ، وما يستتبع ذلك من اختلاف في الثّقافة، والمستوى اللّغويّ والعلميّ؟

هل الاختلافات بين المداخل -إن وجدت- مربكة لمستعمل المُعجم أم هي مقبولة؛ تعكس اختلاف التّعبير وتنوّعه في اللّغة؟

هل يمكن ضبط تحرير المداخل المُعجميّة وتنظيمها وفق منهجيّة واحدة لدى فريق محرّري المعجم؟

وللوصول إلى إجابات وافية عن الأسئلة المطروحة، ستستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لتتبع مادة المعجم الوسيط بالاستقراء والرصد والمقارنة، ثم الخروج بنتائج تجيب عن هذه الأسئلة.

ويأتي الهدف من الإجابة عن هذه الأسئلة من أهمية أن تلتزم الصناعة المعجمية التمثيلية والإتقان، والممارسة الدقيقة للعمل المنجز، وأن تبتعد عن التأليف والرؤية الذاتية، فالانتظام والتماثل في المعجم أمران ضروريان، تتميز بهما الصناعة المعجمية عن التأليف الشخصي، كما تهدف هذه الدراسة إلى التأكيد على أهمية ظهور المداخل المعجمية بنمط واحد، لا تؤثر فيها فجوة الزمن بين أول مداخل في المعجم وآخره، ولا تؤثر فيها تعدد الأيدي، واختلاف خلفياتها، وتخصصاتها، كما تبرز أهمية هذه الدراسة في دفعها باتجاه تطوير المعاجم للمعالجة الآلية، فالحاسوب يحتاج -عند تنفيذ الأوامر الموجهة له- إلى بيانات متماثلة ومنظمة داخل المعجم، وعدم التماثل وانعدام الاتساق، يعطل تنفيذ هذه الأوامر.

2 - المعجم الوسيط:

تتناول هذه الدراسة موضوع التسق والتمثيلية في المعجم الوسيط، وقد اختارت هذا المعجم لما يمتاز به عن غيره؛ فهو معجم معاصر، تدعمه مؤسسة علمية عريقة، هي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إضافة إلى أنه مؤلف جماعي لا فردي، أعده فريق من المعجميين واللغويين المختلفين في التفكير والتعبير، كما أن هذا المعجم حظي بمدة زمنية لا بأس بها منذ التفكير في إنجازه، وحتى خروج طبعته الأولى للوجود (-1936 1961)، وعند الأخذ في الحسبان أن الدراسة استعانت بالطبعة الرابعة من المعجم، فإن ذلك يمنح المعجم عدة عقود من المراجعة والتجويد، ومما يمتاز به أيضًا ويجعله موضوعًا جيدًا لهذه الدراسة هو تأكيد المعجم نفسه على تحري لجنة الدقة والإحكام

«بما يكفل تساوق الخطّة ووحدة المنهج»⁽¹⁾، وما سبق يعدّ كافياً في نظر الدراسة؛ لأن يكون هذا المعجم محلّ اهتمامها وعنايتها، وممثلاً لإحدى القضايا المهمة في الصنعة المعجمية المعاصرة، فهو بمواصفات تمكّن الدراسة من الحصول على إجابات مهمة عن سؤال النسق في الصنعة المعجمية، وقد استعانت الدراسة بالطبعة الرابعة من المعجم الوسيط، طبعة دار الشروق الدوليّة، 1425هـ/ 2004م.

يمرّ المعجم عادة بعدّة مراحل قبل وصوله إلى صورته النهائيّة، حيث يبدأ العمل بجمع المصادر اللّغويّة، ثمّ اختيار الألفاظ، واستخراج الجذور، ويبدأ المعجميّ بترتيب المداخل المعجميّة، ووسمها، وتعريفها، وإضافة المعلومات الوظيفيّة لها، ولكلّ معجم منهجه في ذلك، والقضايا في هذا المستوى كثيرة، فمنها: التّرتيب، والوسم، والتّعريف، والكتابة الصّوتيّة، والمعلومات التّحويّة والصّرفيّة، والتّأريخ، والتّأثيل، وإيراد الشّاهد، والإحالة، وغير ذلك من القضايا، التي تختلف من معجم إلى آخر، بحسب الهدف المرجوّ منه، وبما أنّ قضايا التّحرير المعجميّ عديدة، ولا تستطيع هذه الدراسة استيفاءها كاملة، فإنّها اختارت الاقتصار على ثلاث قضايا مهمّة، هي: التّرتيب، والوسم، والتّعريف.

ويُشار إلى أنّه ليس من أهداف هذه الدراسة الحكم على منهج الوسيط في القضايا المحدّدة سلفاً إيجاباً أو سلباً، بل الهدف التّحقّق من ثبات الوسيط على المنهج الذي حدّده لنفسه فيها، وهل كان العمل فيها متناسقاً متماثلاً يسير بنمط واحد أم لا؟ كما يُشار أيضاً إلى أنّ بعض القضايا المدروسة، قد لا يشير إليها الوسيط في مقدّمته تفصيليّاً، ولا يذكر المنهج المعتمد فيها على وجه الدقّة، كالّتعريف مثلاً، ولذا؛ فإنّ الدراسة ستستسقي منهج الوسيط باستقراء متنه وتتّبعه.

(1) مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الشروق الدوليّة، ط4، 2004م)، ص18.

3 - الوحدة المعجمية:

الوحدة المعجمية هي قِوام المُعجم، ولُبّه الذي يكوّن مادّته، ويشار إليها أيضًا بـ (Lexeme \ Headword \ Lexical Unit)، وتُعرّف بأنها: «الوحدة المفتاحية التي تشكّل قوائمها مداخل المُعجم»⁽¹⁾، وقد تأتي مطابقةً للمدخل المعجمي (lexical entry)، وقد تأتي متفرّعة عنه، ولأنّ مفهوم الكلمة مُلبس، فضّل المعجميون مصطلح الوحدة المعجمية لثبّتي عليه مداخل المُعجم⁽²⁾، وتختلف الكلمة عن مفهوم الوحدة المعجمية، ويعدّ استعمالها -أي: الوحدة المعجمية- في المُعجم أدقّ وأصوب، وتعتمدها اللّغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية في معاجمها، بخلاف المعاجم العربية القديمة، التي كانت تعتمد على الكلمة المفردة في مداخل معاجمها، بينما حديثاً انتقل الاهتمام للوحدة المعجمية في الصناعة المعجمية العربية.

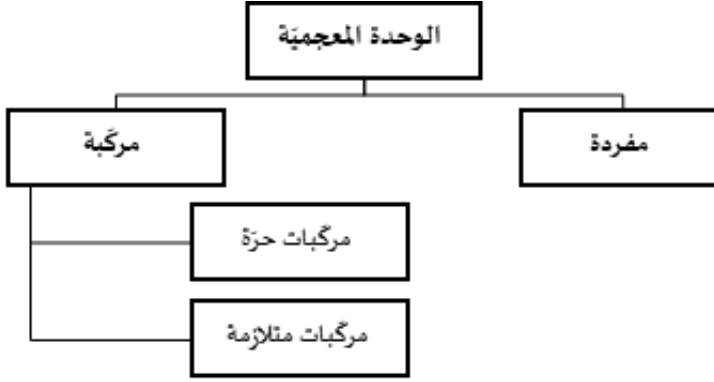
والوحدة المعجمية تكون مفردة ومركّبة، والمركّب منها يعرف في حقل الصناعة المعجمية بالوحدة المعجمية المركّبة (Multiword lexical units)، ويقسم المعجميون المركّبات إلى نوعين، مُركّبات حرّة (Free combinations)، وهي تجاور أيّ لفظين أو أكثر، دون أن يطلّب أحدهما الآخر ويتكرّر معه، مثل: خاتم فضّة، كتاب خالٍ، صندوق أزرق، ولا تدخل هذه المركّبات المُعجم⁽³⁾، ومركّبات متلازمة (Set combinations)، مثل: رأساً على عقب، حديث ذو شجون، مكّة المكرّمة، القدس الشريف، وهي قد تدخل المُعجم -حسب نوعه ومنهجه- إلى جانب الوحدات المعجمية المفردة⁽⁴⁾.

(1) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، (القاهرة: عالم الكتب، ط2، 2009م)، ص24.

(2) صناعة المعجم الحديث، مصدر سابق، ص24.

(3) M. Benson, "The Structure of the Collocational Dictionary", International Journal of Lexicography, Oxford University Press, 2 (1), (1989), p. 3

(4) أيمن الطيّب بن نجي، ترتيب الوحدات المعجمية المركّبة في المعجم العربي المعاصر: معالجة لغوية حاسوبية، (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللّغة العربية، 2019م)، ص23.



شكل (1): يوضّح أنواع الوحدة المعجميّة

4 - المدخل المعجمي:

يعتمد المُعجم على الوحدات المعجميّة لبناء مداخله المعجميّة، والوحدة المعجميّة كما بيّنا سابقاً هي الألفاظ المختارة من المدوّنة أو المصادر اللّغويّة، وعند دخولها للمعجم واصطفافها مرتبةً أسفل الجذر، وإعطائها تعريفاً معجمياً، يُطلق عليها: مدخل معجمي (Lexical entry)، وتعدّ المداخل المعجميّة الألفاظ المكوّنة للّب المُعجم وعموده الفقريّ، وهي المستهدفة بالتّعريف في المعجم⁽¹⁾، وتتضمّن عادةً معلومات حول معنى العنصر المعجمي، وتركيبه، ووظائفه، واستعماله، وعادة ما يُميّز المدخل المعجمي باللّون أو الحجم أو يوضع بين قوسين أو يضاف له رمز ليرزّه عن متن المعجم، وتُبنى المعاجم على مستويين، هما: (الجذر) و(المدخل)، وبعضها على ثلاثة، هي: (الجذر)، و(المدخل الرّئيس)، و(المدخل الفرعيّ) المتفرّع عن المدخل الرّئيس.

وفي المُعجم يجب معالجة كلّ مدخل على أنّه وحدة معجميّة مستقلة قائمة بذاتها، وأن تكون المداخل مؤلّفة بطريقة مطّردة وموحّدة، كما يجب الاهتمام بوضع المعلومات الصّوتيّة، والهجائيّة، والصّرفيّة، والاشتقاقية في صدر المادّة⁽²⁾.

(1) H. Hartmann & Gregory James, Dictionary of Lexicography. (London and New York: Routledge, 1998), p. 50

(2) L. Zgušta, Manual of Lexicography, (Mouton: Academia, 1971), pp. 248, 249.

5. النّسق في المعجم:

يفيد معنى النّسق في اللّغة انتظام الشّيء، والترتيب على نظام واحد⁽¹⁾، وتستخدم الدّراسة لفظ النّسق في حقل الصّناعة المعجميّة، بمفهوم اصطلاحيّ يراد به: اتّباع أسلوب محدّد ومنظم عند إنشاء المداخل المعجميّة، وإضافة عناصرها المرتبطة بها، مع التزام المعجميّ بالضوابط المنصوص عليها في الدّليل المعياريّ لدى مؤسّسة المعجم، وعدم الاجتهاد في أيّ مسألة واردة دون الرّجوع إلى الدّليل، سواء في الوسم، أو التعريف، أو التّرتيب، أو الاستشهاد، أو غير ذلك من القضايا، ويفترض هذا التّصور أنّ مؤسّسة المعجم، تمتلك مرجعاً مفصّلاً حول آليات صناعة معجمها، ابتداءً من جمع مادّة المدوّنة، ثمّ مروراً بالتّحرير المعجميّ، وانتهاءً بالإخراج والنّشر، ووضع ذلك كلّ في كُتيب يُلزم به أعضاء الفريق المعجميّ، ويُدرّبون على تطبيقه وتنفيذه بدقّة.

وما سبق يثير سؤالاً مهمّاً؛ وهو: هل يحقّ للمعجميّ أن يجتهد في تحرير المدخل المعجميّ؟ وما حدود هذا الاجتهاد لو كان له ذلك؟ إنّ طرح مثل هذا السّؤال يفضي إلى وجود حقيقة، وهي أنّه مهما بلغت شموليّة الدّليل المعياريّ ودقّته، فإنّه يستحيل أن يحوّل كلّ القضايا التي تواجه المعجميّين والاستشكالات أثناء تحرير المداخل المعجميّة، ذلك أنّ ألفاظ اللّغة ومعانيها بلا حصر، ولذا فإنّ القضايا المطروحة أمام المعجميّ متجدّدة حتّى آخر مدخل في المعجم، وبناءً على ذلك؛ كيف يمكن التّوفيق بين التّناقض المنشود في تحرير المداخل المعجميّة وبين استحالة استيعاب الدّليل المعياريّ لكلّ المستجدّات والمسائل المتعلّقة باللفظ والمعنى وصيغ التّعبير التي يمكن أن يعرّ بها الشّخص ويكتبها عند تعريف اللفظ - مثلاً - وربطه بمعناه المستنبط منه ومن سياقه؟ ويجاب على ذلك بالقول: إنّ هناك مواضع لا اجتهاد فيها، ويلزم المحرّر المعجميّ اتّباع الدّليل المعياريّ وعدم الخروج عنه، ومواضع يترك للمعجميّ

(1) معجم الدوحة التّاريخيّ للغة العربيّة، مادّة: ن س ق، تمّ الاسترجاع في 15 سبتمبر 2021، من الرّابط:

<https://dohadictionary.org/نسق>

فيها حرية تحرير العبارة وصياغتها، مع إلزامه بعدد من القواعد والضوابط، وفيما يلي تفصيل لهذا الإجمال:

5.1 - الترتيب:

يُعدّ الترتيب من حيث بنيته الكبرى (Macrostructure) والصغرى (Microstructure) من المسائل الفنية والتقنية، شأنه شأن الإخراج والنشر، وغايته أن يسهل على المستخدم إيجاد اللفظ المراد، وأن يوفر الفائدة التي تتطلب البحث عن العلاقات بين الكلمات، وربط الفرع بالأصل، والمشتق بما اشتق منه، والترتيب من القضايا التي تختلف المعاجم العربية فيه كثيراً فيما بينها، فهو يشكل عقبة أحياناً لدى المستخدم، وخاصة في المعاجم القديمة، فأكبر عقبة تصادف الباحث في المعاجم اللغوية، هي عدم ترتيب المواد ترتيباً داخلياً⁽¹⁾، ولذا لا يسلم أيّ معجم عربي - غالباً - من النقد عند إرادته ترتيب المداخل المعجمية، ولكن هذا النقد في سياق البحث عن أفضل ترتيب لجذور المعجم ومداخله ومعانيه، وما يهمننا في موضوع الترتيب في هذه الدراسة، هو الالتزام والتمطية عند التنفيذ.

تري الدراسة أنّ الترتيب من القضايا التي لا اجتهاد فيها إطلاقاً، فمتى حدّدت مؤسسة المعجم طريقة ترتيبها للمداخل المعجمية، فإنّ على المعجميّ التنبّه والالتزام عند ترتيب المداخل المعجمية سواء المفردة أو المركبة، وآلا يرتبها اجتهاداً من عنده أو يضبط ترتيب المداخل في مواضع ويتركها في مواضع أخرى، ومن خلال استقرار مقدّمة الوسيط ومتمنه نرى أنّه رتب الجذر في ترتيبه الخارجي (Macrostructure) ترتيباً هجائياً، حسب الحرف الأول، فالثاني، فالثالث من جذر الكلمة، في حين التزم في الترتيب الداخلي (Microstructure) للمداخل بترتيب معيّن، بدأه بالأفعال المجردة، فالمزيدة، وبترتيب ألفبائي للأسماء، فأصبح لدينا ترتيب يجمع بين الاشتقاقي والهجائي، والسؤال المطروح هنا؛

(1) أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، (دمشق: دار النواذر، 1424هـ/ 2013م)، ص 10، 11.

هل التزم المُعجم الوسيط بهذا التَّمط من التّرتيب أم خالف ذلك؟ والإجابة عن هذا السّؤال متضمّنة في الجدول التّالي:

	المدخل	الموضع	الجذر	الترتيب	ملاحظات
1	•(سقى بطّنه)	مدخل رئيس	س ق ي	أَسفل جذر اللفظ الأوّل	-
2	(حبل الوريد)	مدخل فرعيّ	ورد	أَسفل جذر اللفظ الثّاني	وورد في موضع آخر، دون وسم القوسين، أسفل المدخل الفرعيّ (الحبل) مع تعريف له، مختلف عن التّعريف الأوّل، ودون إحالة على بعضهما.
3	(التّسعيرُ الجبريُّ)	مدخل فرعيّ	س ع ر	أَسفل جذر اللفظ الأوّل	وورد في موضع آخر، دون وسم القوسين، أسفل المدخل الفرعيّ (الجبريُّ) مع تعريف له، مختلف عن التّعريف الأوّل، ودون إحالة على بعضهما.
4	(اسم فعل)	أَسفل المدخل الفرعيّ	ت ي د	أَسفل جذر مختلف	ورد في هذا الموضع فقط بين قوسين، ولم يعرّفه، وورد في مواضع أخرى، ولكن على سبيل ذكر المعلومة النحويّة للمدخل، ولم يعرّف في أيّ موضع من المُعجم.
5	(دورة المجلس النّيابيّ)	أَسفل المدخل الفرعيّ	د و ر	أَسفل جذر اللفظ الأوّل	-

6	(التدبير المنزليّ)	أسفل المدخل الفرعيّ	د ب ر	أسفل جذر اللفظ الأوّل	-
7	القرآن الكريم	أسفل المدخل الفرعيّ		جذور مختلفة	تكرّر هذا المركب تسع مرّات في الوسيط، ولم يسمّه أو يعرفه، وإنّما جاء في ثنّايا الشرح والتعريف عن المصحف أو السّورة في القرآن أو غير ذلك.
8	جُمادى الآخرة	أسفل المدخل الفرعيّ	ر ج ب	أسفل جذر اللفظ الأوّل	ورد مرّة واحدة في المُعجم ضمن التعريف بشهر رجب، دون وسم أو تعريف به.
9	ذاتُ الجنب	أسفل المدخل الفرعيّ	ب ر س م ج ن ب	أسفل جذر مختلف + أسفل جذر اللفظ الثّاني	ورد أسفل مدخل (البرسام)، مع تعريف مختلف عن التعريف الموجود أسفل مدخل (الجنب)، دون إحالة أحدهما على الآخر.

جدول (1): يوضّح ترتيب المداخل المعجميّة في المُعجم الوسيط

من خلال الجدول السّابق، يمكن الحديث عن منهج الوسيط في تعامله مع الوحدات المعجميّة المركّبة⁽¹⁾، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

مواضع ورود:

نجد أنّ المُعجم الوسيط أورد بعض الوحدات المعجميّة المركّبة مداخل رئيسة، وبعضها مداخل فرعيّة، وبعضها أسفل المداخل، دون أن يقدّم تفسيرًا لمّ صنع بها هكذا؟

(1) لم تقف الدّراسة على ملاحظات تخصّ ترتيب الوحدات المعجميّة المفردة.

ولتأكيد ما سبق، يمكننا مراجعة الوحدات المعجمية المركبة التالية في المعجم الوسيط: لِسَان الثَّوْر، لِسَان الحَمَل، لِسَان العُصْفُور؛ لنجد أنه أوردتها مداخل فرعية، في حين أورد المجموعة المشابهة التالية: لِسَان القَوْم، لِسَان الحَال، لِسَان الحِذَاء، لِسَان المِيزَان، لِسَان الثَّار، أسفل المداخل الفرعية.

انتظام الترتيب:

نجد الوسيط رتب خمس وحدات معجمية مركبة من أصل تسعة من العينة المدروسة، أسفل جذر لفظها الأول، وما رتبته أسفل جذر اللفظ الثاني في حالتين، لا تعليل لهما إلا أنهما خرج عن القاعدة، كما نجد رتب ثلاثة مركبات أخرى أسفل جذور لا تنتمي لها دون علة ظاهرة، ولتأكيد ما سبق نجد أنه رتب الوحدات المعجمية المركبة الآتية في المعجم الوسيط: لِسَان الثَّوْر، لِسَان الحَمَل، لِسَان العُصْفُور، التَّجْوِيف البريتوني، جَابَةُ البَطْن، جَبَان الوجْه، جَبَان الكَلْب، جَذَر العَدَد، أسفل جذر لفظها الأول، في حين رتب: ابن جَمِير، ابنة الجَبَل، أبو جَعْرَان، أم جُنْدُب، أم الجَذَع، أسفل جذر لفظها الثاني.

5.2 - الوسم:

ويقصد به «العملية التي يقوم فيها صاحب المعجم بوضع علامات يسم بها مداخله»⁽¹⁾، والغرض منها إيصال معلومات للقارئ بطريقة مختصرة ومنظمة، وقد يكون الوسم لفظاً، أو اختصاراً للفظ، أو حرفاً واحداً، أو رمزاً معيناً، ويوضع عادةً قبل المدخل المعجمي أو بعده، والهدف منه تقديم معلومات دلالية معجمية، ومعلومات نحوية وصرفية، ومعلومات علمية وموسوعية، وترى الدراسة أن الوسم من القضايا التي لا اجتهاد فيها إطلاقاً، فلا يحق للمعجمي أن يسم اللفظ الواحد بوسمين مختلفين، أو أن يستعمل الوسم الواحد للفظين مختلفين، أو أن يسم اللفظ مرةً ويتركه مرةً، أو أن يستعمل الوسم الواحد

(1) سلام بزي حمزة، «الوسم في المعجم المدرسي»، مجلة اللسانيات، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع19، 20، (2014م)، ص2.

للدلالة على أكثر من مدلول، فهذا ممّا يربك مستخدم المعجم، إضافةً إلى أنّه يتنافى مع مبادئ الصنعة المعجمية التي تلتزم الدقة والضبط، وتناى بنفسها عن التأليف والاجتهاد الفردي، ولا تتأثر بتغيّر محرري المعجم، أو بطول مدّة الإنجاز⁽¹⁾.

وقد اعتمد الوسيط في مقدّمته طائفةً من الوسوم في متن المعجم، مثل: (مو) للمولّد، و(مع) للمعرب، و(د) للدخيل، و(معج) للمجمعي، و(محدث) للمحدث، و() للدلالة على المدخل الرئيس، و() للدلالة على المدخل الفرعي، وللتحقّق منها، جمعت الدراسة نماذج من هذه الوسوم في محاولة للإجابة عن السؤال الآتي: هل استعمل المعجم الوسيط هذه الوسوم بكيفية منتظمة ونمط موحد أم لا؟ وللإجابة؛ نستعرض الجدولين الآتيين:

م	المدخل المعجمي	التعريف
1	(الترزي):	الخياط. (دخيل معرب من «دَرْزِي» بالفارسية).
2	(الرهوم):	المَهْزُولَة من الغنم. و- دواء ملطف تطلّى به الجروح ونحوها ومواضع الألم. (معرب).
3	(السادج):	الخالص غير المشوب، وغير المنفوش. وهي ساذجة. يقال: حُجَّةٌ ساذجةٌ: غير بالغة. (معرب، فارسيته: سادّه).
4	(السرقي):	شَقُّق الحَرِير. أو أَجودَة. الواحدة: سَرَقَة. (مع).
5	(السرقيين):	السَّرَجِين. (مع).
6	(السودقي):	الصَّفَر، أو الشاهين. (مع). (ج) سَوَادِق.
7	(الطرنشول):	نباتٌ من الفصيلة المركّبة تتّجه نَوْرَتُهُ إلى الشمس معرب تورنسول الفرنسية.
8	(الهندام):	حُسْنُ القَدِّ وتنظيمُ الملابس. [معرب أندام بالفارسية].

(1) المُعْتَز بالله السَّعِيد، «نمذجة المعجم العربي»، مجلّة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع76، (2016م)، ص384.

الأجرة على العمل. و - عَقْدَ يَرِدُ عَلَى الْمَنَافِعِ بَعْوَضَ. (محدثة).	لا ج	(الإِجَارَةُ):	9
الحُمْرَةُ فِي الْوَجْهِ. و- مِقْدَارٌ مَا يُرْوَى مِنَ الْمَاءِ. و- الْحَسَاءُ. (محدث).		(الشُّرْبَةُ):	10
الْمَحْبَسُ. و- مَا يُغَطَّى بِهِ الْفِرَاشُ لِلنَّوْمِ عَلَيْهِ. وَمَحْبَسُ الْمَاءِ وَنَحْوُهُ: أَدَاةٌ تَحْرَكُ، فَتَفْتَحُ أَوْ تَقْفَلُ؛ فَتَتَحَكَّمُ فِي مَرُورِ سَائِلٍ أَوْ غَازٍ. (مح).		(الْمَحْبَسُ):	11
الشَّرِيدُ. و- الْمَتَبَطِّلُ الْمَتَسَكِّعُ. (محدث).		(الْمَتَشَرِّدُ):	12
طَبِيبٌ يَتَوَلَّى تَوَلِيدَ الْمَرْأَةِ. (محدثة).		(الْمَوْلِدُ):	13
صَوْتُ يُزَجَرُ بِهِ الْهَرُّ. (مو).	هـ ج	(يَسْ):	14
الشَّيْءُ الرَّقِيقُ. و - الدَّفُّ. (مو).		(الرَّقُّ):	15
الصَّيِّ: رَالٍ. (مو).		(رَيْلٌ):	16
الْكُتْلَةُ مِنَ التَّمْرِ. و - الثَّرِيدُ. (مو).		(الْفَتَّةُ، وَالْفِتَّةُ):	17
خُبْزَةٌ تُؤَدَّمُ بِزُبْدٍ أَوْ نَحْوِهِ؛ وَلَهَا أَنْوَاعٌ. (مو) (ج) فطائر.		(الْفَطِيرَةُ):	18
الْخِيَاطُ. (دخيل معرَّب من « دَرَزِي » بالفارسية).	و ج	(الْتَّرَزِي):	19
صَكُّ الْمَعَاشِ. و- دَفْتَرُ تَسْلِيمِ الرِّسَالِ وَتَسَلُّمِهَا. و- دَفْتَرُ الْعُمَالِ الْيَوْمِيِّ. (كلُّه دخيل).		(السَّرَكِي):	20
ضَرْبٌ مِنَ النَّسِيجِ الْخَفِيفِ الْمَنْقُوشِ الْمَصْنُوعِ مِنَ الْقُطْنِ. (د).		(الشَّيْتُ):	21
نَوْعٌ صَغَارٌ مِنَ الْقَرَعِ، مِنَ الْفَصِيلَةِ الْقَرَعِيَّةِ، تَطْبَخُ ثِمَارُهُ. (د).		(الْكُوسَةُ):	22
الصَّعْفُ. و- الصَّنْجُ الَّذِي يُضْرَبُ بِالْأَصَابِعِ. [كلاهما دخيل].		(الْوَنْ):	23

تسجيل هذه الأحوال. (مج).	٧٠ ٣	(التَّارِيخُ):	24
المنفرد، أو الخارج عن الجماعة... (مج). (ج): شواذ.		(الشَّاذُّ):	25
ثوبٌ يُحِيطُ بِالتَّصَفِّ الْأَسْفَلَ مِنَ الْبَدَنِ «يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ»... (مج).		(الْإِرْزَارُ):	26
بيان الملامح العامة لسطح الأرض طبيعية كانت أو مصنوعة. (مج).		(الطَّبَوغَرِيَّاتُ):	27
(في الطب): أَلَمٌ عَصَبِيٌّ أَوْ رُومَاتَزِيٌّ فِي الرَّجْلِ الْعُصْعُصِي.		(الْعُصْعَصَةُ)	28
أول المقامات السبعة الأصلية في الموسيقى. (فارسي).	٧٠ ٣	(رَسْتُ):	29
فروة من جلود الثعالب. (فارسي معرَّب).		(السَّبَبْجُونَةُ):	30
مادةٌ حلوةٌ تستخرج غالبًا من عصير القصب... (وهو فارسيٌّ معرَّب).		(السُّكَّرُ):	31
العَلَمُ الكبير. (فارسي مع).		(الْبَنْدُ):	32
إناءٌ من زجاجٍ أو خزفٍ، تُحْفَظُ فِيهِ الْمُرَبِّيَّاتُ وَنَحْوُهَا. فارسي الأصل، ولفظه عندهم: (مرتبان).		(الْبَرْطَمَانُ):	33

جدول (2): يوضح نماذج للوسوم المستعملة مع الوحدات المعجمية المفردة في المُعْجَم الْوَسِيطِ

م	الوسم	المدخل المعجمي المركب
1	• ()	• (اللام المفردة)، • (أمريكة الجنوبية)، • (سقى بطئه).
2	()	(العهد الجديد)، (العهد القديم)، (الجزر الأصم)، (جوز الهند)، (الحجُّ الأكبر)، (الحسابُ الجاري).
3	دون وسم	القرآن الكريم، حسابُ الجمَل، جُمَادَى الْآخِرَةِ، ذاتُ الجنب.

جدول (3): يوضح نماذج للوسوم المستعملة مع الوحدات المعجمية المركبة في المُعْجَم الْوَسِيطِ

بعد قراءة الجدولين السابقين، أصبح بالإمكان الحديث عن منهج الوسيط في تعامله مع الوسم، وفيما يلي توصيف لذلك:

1 - استعمل الوسيط وسمًا لم يثبتها في مقدّمة المعجم، مثل: فارسيّ للفظ الفارسيّ، و () للدلالة على أنّ هذا اللفظ مدخل رئيس في المعجم، و () للدلالة على أنّ هذا اللفظ مدخل فرعيّ في المعجم.

2 - يُلاحظ أنّ المُعجم الوسيط يستعمل الوسم مرّة في صورتها اللفظيّة الكاملة، ومرّة في صورتها المختصرة -دون توجيه علميّ يشفع لذلك- عدا (مو) للمولّد، و(مج) للمجمعيّ، وفارسيّ للفارسيّ، التي جاءت في صورة واحدة لم تتغيّر.

3 - اختلفت صور التعامل مع الوسم في مناج كثيرة، منها: عدم انتظام استعمال الوسم، فمرّة بلفظه (معرب) ومرّة مختصرًا (مع)، ومنها: أنّه يورده مرّة مع اللفظ واللغة المعرب عنها، ومرّة لا يذكر ذلك⁽¹⁾، ومنها: أنّه يضع وسم (معرب) مرّة بين قوسين ()، ومرّة بين معكوفين []، ومرّة يتركه في المتن دون تمييز.

4 - اختار الوسيط أن يكون وسم (محدثة) لفظًا كاملاً دون اختصار خلافاً لباقي الوسوم التي نصّ عليها في مقدّمته، ثمّ نجده في متن المُعجم يورد هذا الوسم بثلاث صيغ مختلفة مخالفاً ما أثبتته في المقدّمة، فجاءت هكذا: (محدث)، (محدثة)، (مع).

5 - في وسم (دخيل) نجد الوسيط، يورده مرّة مختصرًا (د)، كما جاء في المقدّمة، ومرّة في صورتها اللفظيّة (دخيل)، إضافةً إلى أنّ الوسم يأتي مرّة وحده بين قوسين، ومرّة يضمّ له ملاحظات كان الأجدر أن ترد في متن المعجم لا مع الوسم.

(1) وقد جمعت الدراسة من ذلك أمثلة كثيرة عند استقراءه، منها: (معرب تورنول الفرنسية)، (معرب فهرست الفارسية)، (معرب أنبر)، (معرب ونه)، (معرب بيانو)، (معرب دسته)، (معرب زنده كرد)، (معرب گما نجه الفارسية)، (معرب نموده بالفارسيّة)، (فارسي معرب تالسان أو تالشان)، (فارسي معرب وهُو بالفارسيّة هريد)... إلخ.

6 - في وسم فارسيّ تسجّل الدّراسة اختلافات كثيرة بخصوصه، منها: أنّ هذا الوسم لم يشر له في المقدّمة أصلاً، ومع ذلك ورد في المُعجم وعومل معاملة الوسم، ومنها: أنّه ورد مرّات ضمن قوسين ()، ومرّة لا، ومنها: أنّه يرد مرّة إلى جانبه وسم آخر، ومرّة لا، ومنها: أنّه يرد مرّة وحده، ومرّة تضمّ له ملاحظات توضيحيّة.

7 - استعمال الوسيط للوسم مع الوحدات المُعجميّة المركّبة به خلل، فمرّة يضع المركّب بين قوسين مع نقطة سوداء كبيرة، ومرّة بين قوسين فقط، ومرّة دون أقواس.

5.3 - التّعريف:

يختلف التّعريف من مُعجم إلى آخر، وهذا يعتمد على نوع المُعجم الذي يوجد به، هل هو مُعجم مختصّ أم عامّ؟ ومن هو الجمهور المستهدف؟ ونوعيّة الجمهور المستهدف هي التي تحدّد طبيعة المعجم، هل هو أحاديّ اللغة أم مزدوج اللغة؟ وهل هو مخصّص للناطقين بالعربيّة أم للناطقين بغيرها؟ وهل هو موجّه للمثقفين والباحثين أم لعامة النّاس؟ ومهما كانت الإجابة؛ فإنّ هذه الدّراسة لن تنظر في طبيعة التّعريف، وهل هو جيّد بما يكفي للجمهور المستهدف منه؟ وإتّما محلّ التّظن هو النسق في التّعريف.

وترى الدّراسة أنّ التّعريف من المسائل التي يقيّد فيها مجال الاجتهاد في مواضع ويطلق في مواضع أخرى، وفق ضوابط وشروط، وسبب ترك المجال جزئيّاً للمعجميّ وعدم تقييده هنا كما في الوسم والترتيب، راجع إلى أنّ تعبير الفرد يتغيّر بين اليوم والغد، فلو كتب إنسان اليوم عن موضوع معيّن، وأراد الكتابة عن نفس الموضوع في يوم آخر، فإنّه سيستعمل ألفاظاً مختلفة، فمن الصّعوبة تقييد اختيار الألفاظ والدّلالات للشّخص الواحد، بلّه كلّ العاملين في المُعجم وتوحيدهم على ألفاظ وتعبير محدّدة، ولكن بالإمكان وضع خطوط عريضة، وضوابط واضحة، تمكّن جماعة المُعجم من العمل وفق تصوّر واحد، مع ترك المساحة والحرّيّة لاختيار الألفاظ

والدلالات المناسبة، والمقصود بما سبق بصورة أوضح، أنّ للتعريف عدّة طرق، فهناك التعريف المنطقي، والتعريف بالمرادف، والتعريف بذكر المضاد أو التقيض، والتعريف بذكر المحتوى (التضمّن)، والتعريف بذكر الوظيفة، والتعريف الاشتقاقي، والتعريف السياقي، والتعريف باستعمال الأمثلة التوضيحية، وغير ذلك من أنواع التعريف، وفي مثل هذه الحالة يجب أن يكون لدى مؤسّسة المعجم منهج واضح في أنواع التعاريف المستخدمة في المعجم، كأن يكون منهج المعجم أنّ الحقول الدلالية المتضمنة لكذا وكذا، يستعمل معها التعريف المنطقي وهو المقدم، وفي حالة صعوبة استعماله أو استحالة تعريف الشيء به، ينتقل المعجمي إلى التعريف بالمرادف أو ذكر التقيض، وهكذا دواليك، وفي حقل كذا وكذا نقدّم التعريف بكذا، فإن امتنع ينتقل إلى التعريف بكذا، ... إلخ، وتصنع في ذلك قائمة بأنواع التعريف لكلّ حقل دلالي مرتبة حسب الأولوية، فما يستعصي تطبيقه يتركه المحرّر إلى الذي يليه، وفي كلّ حقل عند استعمال تعريف ما، يكون هناك قالب محدد لهذا للتعريف، فمثلاً في حقل الأدوية، يُشترط -مثلاً- أن يبدأ بكلمة دواء، ثم تذكر هيئته وصفته، ثم لونه، ثم رائحته، ثم كيفية استعماله، ثم من يستعمله، ثم نتائج استعماله، ولا يشترط تواجد كلّ ما سبق، بل ما توفّر منها، ثم يدرّب فريق المعجميين على طرق التعريفات، وكيفية بنائها، وترى الدراسة أنّ التقيّد بما سبق يوصل لمستوى عالٍ من التسق في تعريف المداخل المعجمية المنتمية لحقل دلالي واحد، بخلاف ما سنراه فيما بعد في المعجم الوسيط، الذي لم تضبط فيه هذه المسائل بشكل كافٍ، وتركّت لمَلَكَة المعجمي ولغته.

فإذا ما نظرنا في نماذج مختارة من مداخل المعجم الوسيط، فإنّنا سنجد تفاوتاً في التعريف بين مدخل وآخر، وفيما يلي عرض لعدد من المداخل المعجمية في عدد من الحقول الدلالية، وقراءة تحليلية تعقبها:

5.3.1 - حقل الأدوية

م	المدخل المعجمي	التعريف
1	(الحُقْنَةُ):	دواء يُحَقَّنُ به المريض.
2	(الدَّقُوقُ):	دواء يُدَقُّ للعَيْنِ فيُدْرَ فيها.
3	(المُرْقِدُ):	دواءٌ يُرْقِدُ متعاطيه، كالأفيون.
4	(السُّلْوَانُ):	دواء يشربه الحزين فيُسْلِيهِ ويفرّح.
5	(العَفْصُ):	دواءٌ قابِضٌ مجفّف، وربّما اتَّخَذُوا مِنْهُ حَبْرًا أو صَبْغًا.
6	(القَشُورُ):	دواءٌ يعالج به الوجه ليصفو لونه.
7	(اللَّبْحَةُ):	دواء كالمرهم يوضع حارًّا أو باردًا فوق العضو عند الألم.
8	(الَلَّازُوقُ):	دواءٌ للجرح يلزمه حتّى يبرأ.
9	(المليّنُ):	دواء يسهّل إخراج الفضول من الأمعاء.

جدول (4): يوضّح نماذج من صيغ التعريف المستعملة في حقل الأدوية في المُعْجَم الوسيط

يحتوي الجدول (4) على نماذج لمداخل معجمية في حقل الأدوية، وبقراءتها يتّضح للقارئ عدد من الملاحظات، نستعرضها فيما يأتي:

يبدأ المُعْجَم عند تعريف أيّ مدخل من هذه المداخل بذكر أنّ هذا اللفظ دواء، ويلاحظ أنّه لا نمط محدّد في التعريف الذي يستعمله، فأحياناً يقدّم الفائدة ويكتفي بها، وأحياناً يضيف إليها الاستعمال ويكتفي، وفي أحيان أخرى يذكر الاستعمال فقط.

لجأ المُعْجَم للتعريف بالمرادف في (3)، و(7)، ولكنّه مرّة جعله في نهاية التعريف، ومرّة استفتح به التعريف.

أهمّل المُعْجَم وصف الدّواء وهيئته في سبعة تعريفات، وذكره -باقتضاب- في اثنين، هما: (5)، (7).

أهمل المُعجم ذكر فائدة الدّواء في أربعة مداخل، وذكرها في خمسة أخرى، هي: (3)، (4)، (5)، (6)، (9).

ذكر المُعجم في (4)، (6)، (7)، (8) المتعاطي لهذا الدّواء، ومتى يكون ذلك؟ وأهمل هذا في ستّة تعريفات أخرى.

ذكر المُعجم كيفيّة تعاطي الدّواء في (1)، (2)، (7)، وأهمل ذكر الكيفيّة في ستّة تعريفات أخرى.

5.3.2 - حقل الآلات:

م	المدخل المعجمي	التعريف
1	(الإبرة):	أداةٌ أحدُ طرفيها مُحدّد والآخَر مثقوب، يُخاط بها.
2	(المِثْرَة):	أداة تترك في الشيء أثرًا خاصًا يتميز به.
3	(الأذينة):	آلة السمع.
4	(المِخْبَرَة):	(في علم الطبيعة): أداة تتركّب من مُوصِّلٍ يُجعل عادةً على شكل قُرْصٍ صغير، وله يدٌ عازلة تُستخدم في اختبار الشّحنات الكهربائية.
5	(الرَّباب) ² :	آلة وترية شعبية ذات وتر واحد.
6	(الرَّجَاجَة):	(في علم الكيمياء): آلة تستخدم في عمليات الرّجّ.
7	(المِروحة) ³ :	أداة يُجَلَّب بها نسيمُ الهواء في الحرّ. باليد أو بالكهرباء.
8	(المِسْوَجة):	اسم آلة للحائك يَسُوج بها نسيجه.
9	(المِنْطَار):	آلة بصرية تستخدم إمّا لرؤية الأجسام الصغيرة وتسمّى: المجهر [الميكروسكوب]، أو لرؤية الأجسام البعيدة وتسمى: [التلسكوب].

جدول (5): يوضّح نماذج من صيغ التعريف المستعملة في حقل الآلات في المُعجم الوسيط

يحتوي الجدول (5) على نماذج لمداخل معجمية في حقل الآلات، وبقراءتها يتّضح للقارئ عدد من الملاحظات التي يمكن صوغها على النحو الآتي:

1 - ليس هناك منهج واضح أو نمط محدّد في التعريفات المستخدمة في حقل الآلات، فمرة تعرّف بذكر مكوّنات الشيء ومحتوياته (تعريف تضمّن)، ومرة تعرّف بذكر المرادف والشّبيه، ومرة تعرّف بذكر وظيفتها وطبيعة استعمالها، وأحياناً يقدم المعجم الوظيفة على الوصف في مثل: (2)، (6)، (7)، وأحياناً أخرى يقدم الوصف على الوظيفة في مثل: (1)، (3)، (5).

2 - لا صفة محدّدة يستعملها المعجم في تمييز هذه الآلات، فمرة ينعتها بالآلة، ومرة بالأداة، فهل يقصد المعجم التفريق بين ما هو آلة وما هو أداة؟ على الرّغم من أنّ تعريف لفظ (آلة) بدأه بكلمة (أداة)، وتعريف لفظ (أداة) بدأه بكلمة (آلة)؛ أم إنّ هذا من اختلاف الأسلوب بين محرّري المعجم؟

3 - ترى الدّراسة أن عدداً من التعريفات لا يصحّ أن يطلق عليها كذلك، بل هي «إيهام بالتعريف»، ففي المثال (2)، (3)، (6)، (7)، (8) لا يخرج القارئ بمعلومات كافية، عدا أنّ هذه الآلة تُستخدم لغرض معيّن أو يستعملها شخص معيّن، فلا ذكر لأوصاف الآلة وهيئتها، مع أنّ هذا هو الأهمّ بالنسبة للقارئ.

4 - مُيّز التعريفان (4)، (6) بأنّهما مصطلحان مختصّان بعلم محدّد دون بقية التعريفات، فهل نفهم من هذا أنّ (المنظّار) و(الأديّنة) -مثلاً- لا يستعملان في علم محدّد؟

5 - مُيّز لفظاً (الرّباب)، و(المروحة) في التعريف بإرفاق صور لهما توضّح هيئتهما دون بقية التعريفات، والسّؤال هنا؛ ما المنهج أو الضّابط في ذلك؟ ومن يقدّر أنّ هذا اللفظ يحتاج لصورة لتوضيحه أو لا يحتاج؟ فالمقدمة لا تقدّم ضوابط التعريف بالصّور، كما أنّ التقدير الدّاعي يستوجب أنّ لفظي (المخبرة) و(المسوجة) أولى بالصّور من المروحة.

5.3.3 - حقل الألبسة:

م	المدخل المعجمي	التعريف
1	(الِزَارُ):	ثوبٌ يُحِيطُ بِالتَّصَفِّ الْأَسْفَلَ مِنَ الْبَدَنِ.
2	(الإِسْكِيم):	ثوب الراهب.
3	(الجُبَّة):	ثوب سابغ، واسع الكمين، مشقوق المُقَدِّم، يلبس فوق الثياب.
4	(الْبُرْنِيطَة):	لباس الرأس عند الفَرَنْج.
5	(السُّبْجَة):	ثوبٌ له كُمٌ صَغِيرٌ تَبْتَذِلُهُ الْمَرْأَةُ فِي بَيْتِهَا.
6	(السَّرَاوِيل):	لباسٌ يُعْطِي السَّرة والركبتين وما بينهما.
7	(المُرَقَّعة):	من لباس الصُّوفية؛ لما فيها من الرُّقْع.
8	(القَمِيصُ):	لباسٌ رقيق يرتدى تحت السَّرة غالبًا.
9	(المِمْطَرُ):	ثوبٌ لا يَنْفُذُ مِنْهُ الْمَاءُ يُلبَسُ فِي الْمَطَرِ.

جدول (6): يوضح نماذج من صيغ التعريف المستعملة في حقل الألبسة في المعجم الوسيط

يحتوي الجدول (6) على نماذج لمداخل معجمية في حقل الألبسة، وبقراءتها يتضح للقارئ عدد من الملاحظات التي يمكن صوغها على النحو الآتي:

ليس هناك نمط محدد في التعريفات المستخدمة في حقل الألبسة، ومعظمها حظيت بتعريفات مقتضبة، ففي التعريف (1)، (2)، (4)، (7)، لا نجد شيئاً يفيد القارئ الرّغب في الاعتماد على هذا المعجم في معرفة معنى اللفظ، فلم يذكر في هذه التعريفات مادة الثوب أو هيئته وصفته، وعلى هذا فلم يبق شيء في التعريف، وإن أوهم المحرّر بخلاف ذلك!

يبدأ التعريف في هذا الحقل مرّة بلفظ (ثوب)، كما في (1)، (2)، (3)، (5)، (9)،

ومرة بلفظ (لباس) كما (4)، (6)، (7)، (8) دون ضابط محدّد لم وُصف هذا بالتّوب وهذا باللبّاس؟

لم تقدّم التعريفات السابقة أيّ معلومات عن مادّة الصّنع والخامة المكوّنة منها. أثبت المُعجم معلومات الهيئة والوصف في أربع تعريفات هي: (3)، (5)، (8)، (9)، وأغفلها في بقيّة التعريفات.

أثبت المُعجم ذكر من يرتدي هذه الألبسة في (4)، (7)، (2)، وأغفلها في بقيّة التعريفات.

أثبت المُعجم طريقة ارتداء هذه الألبسة في (1)، (3)، (6)، (8)، وأغفلها في بقيّة التعريفات.

5.3.4 - حقل الحيوانات:

م	المدخل المعجمي	التعريف
1	(الإران):	الثور الوحشي، يطلق على الذكر من الفصيلة البقرية، وهو من العواشب أي آكلات العشب المجترّة.
2	(الأرنّب):	جنس من فصيلة الأرانب ورتبة القوارض، وهي حيوانات كثيرة الانتشار، ويغطّي جسمها فروّ ناعم، ومنها البرّي والداجن (يكون للذكر والأنثى، أو الأرنب الأنثى والحزّز الذكر).
3	(الأسد) ⁴ :	جنس من الفصيلة السنّوريّة، يشمل الذكر والأنثى، ويطلق على الأنثى أسدّة ولبؤة، وهو من الوحوش الضارية، وله في العربيّة أسماء كثيرة.
4	(ابن آوى):	حيوان من الفصيلة الكلبية، وهو أصغر حجماً من الذئب.
5	(البقر) ⁵ :	جنس من فصيلة البقرّيات يشمل الثور والجاموس، ويطلق على الذكر والأنثى، ومنه المستأنس الذي يتخذ للبن والحراث، ومنه الوحشيّ.

6	(الْيَحْمُورُ):	حيوان لبون مجترّ من فصيلة الأيائل.
7	(الرَّئَةُ)	حيوان ثديي صواري مهاجر، يتبع فصيلة الظبي.
8	(الشَّيْهَمُ):	حيوانٌ من القوارض له شوك طويل كأَنَّهُ المسالّ، من فصيلة القنافذ؛ ويسمى الدُّلدل أيضاً.
9	(الفَأْرُ): ⁶	حيوان تنسب إليه الفصيلة الفأريّة من رتبة القوارض، وهو يشمل الجرّذ والفأرة: أي الكبير والصغير. وتسهّل الهمزة فيقال: فار.
10	(الْوَشَقُ): ⁷	حيوان من فصيلة القطّ، ورتبة اللواحم، من الثدييات، وهو بين القطّ والنمر؛ رأسه كبير، وعلى طرفي كلّ من أذنيه خُصلة من الشعر، وذيله قصير، يقطن الغابات، كما يوجد في الصحاري والمناطق الزراعية.

جدول (7): يوضّح نماذج من صيغ التعريف المستعملة في حقل الحيوانات في المُعجم الوسيط

يحتوي الجدول (7) على نماذج لمداخل معجميّة في حقل الحيوانات، وبقراءتها يتّضح للقارئ عدد من الملاحظات التي يمكن صوغها على النحو الآتي:

1 - استعمل الوسيط التعريف المنطقيّ في كلّ تعريفات هذا الحقل، غير أنّه أضاف إلى بعض التعريفات معلومات وظيفيّة وموسوعيّة، ليس مكانها المُعجم العام، ممّا أوصل تعريف الوشق إلى (32) كلمة مع إضافة صورة توضيحيّة له، وظلّ تعريف ابن آوى عند (9) كلمات مع عدم إرفاق صورة توضيحيّة له.

2 - لو أمعنا النظر في الألفاظ الآتية: (جنس)، (فصيلة)، (رتبة) لوجدنا المُعجم ذكرها حيناً وأغفلها حيناً آخر، أو قدّم إحداها في موضع وآخره في موضع آخر، دون تفسير منهجيّ لذلك.

3 - أثبت المُعجم لفظ (جنس) في ثلاثة مواضع بلفظها، هي: (2)، (3)، (5)، وأغفله في بقيّة المواضع.

4 - أرفق الوسيط ل(الأسد، والبقر، والفأر، والوشق) صوراً توضح هيئتها دون بقيّة التعريفات، وقد سبق أن فعل ذلك في حقل الآلات، كما رأينا سابقاً، ونعيد السؤال هنا مجدّداً، ما الضابط الذي يعتمد في هذا الشأن؟ ومن يقدر أنّ هذا اللفظ يحتاج صورة لتوضيحه أو لا يحتاج، فالمقدمة لا تقدّم ضوابط التعريف بالصّور، كما أنّ التقدير الدّائّي يستوجب أنّ ألفاظ (الإرّان، واليحمور، والشّيهم) أولى بالصّور من (الأسد، والبقر، والفأر)!

5 - ذكر المعجم هيئة الحيوان وصفته في أربعة مواضع فقط، هي: (2)، (4)، (8)، (10) وأغفل ذكر شكل الحيوان وهيئته في بقيّة التعريفات الأخرى.

6 - أثبت المعجم سلوك الحيوان وطبيعته المميّزة له في ثلاثة مواضع فقط، هي: (1)، (5)، (10) وأغفلها في بقيّة المواضع.

7 - أثبت المعجم نوع الحيوان في أغلب المواضع عدا التعريف (4)، (8)، (9)، (10)، فلم يذكر هل هذا الحيوان بريّ أم داجن؟ لحميّ أم عشبيّ؟ وحشيّ أم مستأنس؟ وغير ذلك.

النتائج

انتهت الدّراسة بحمد الله إلى عدد من النّتائج، نستعرض أهمّها فيما يأتي:

1 - تختلف مداخل المعجم الوسيط في عناصر التّرتيب والوسم والتّعريف من مدخل إلى آخر في التّماذج المختارة للدّراسة.

2 - في التّرتيب يورد المعجم الوسيط بعض المركّبات مداخل رئيسة، وبعضها مداخل فرعيّة دون ضابط يوضّح سبب ذلك، كما نجده يرتّب بعضها أسفل جذر اللفظ الأوّل، وبعضها أسفل جذر اللفظ الثّاني في اختلال منهجيّ، كما جاء في الجدول (1).

3 - في الوسم، نجد المعجم الوسيط يذكر وسومًا لم يثبتها في المقدّمة، مثل فارسيّ للفظ الفارسيّ، كما يلاحظ عدم ثباته على صورة الوسم، فمرّة يورده بلفظه كاملاً، ومرّة بصورته المختصرة، كما جاء في الجدول (2).

4 - في التّعريف يستعمل الوسيط التّعريف المنطقيّ بصور مختلفة داخل الحقل الواحد، فتجده مرّة يتوسّع في التّعريف، ومرّة يأتي به مقتضبًا كما في لفظي (الوشق) و (ابن آوى) في حقل الحيوانات.

5 - يرفق المعجم الوسيط لعدد من المداخل صورًا توضّح هيئتها دون بقيّة التعريفات، دون ضابط أو قيد يوضّح سبب التّمييز أو الاختيار، كما أنّ بعض المداخل الموضّحة بصور هي أوضح من مداخل أخرى لم توضّح بصور، ويمكن التّأكد من ذلك عن مقارنة مداخل (الإرّان، واليحمور، والشّيهم) بمداخل (الأسد، والبقر، والقار).

6 - لوحظ أنَّ المُعْجَم الْوَسِيطَ يَضْبُطُ بَعْضَ أَلْفَاظِ التَّعْرِيفِ وَيَتْرَكُ الْبَعْضَ أَوْ يَضْبُطُهُ جُزْئِيًّا، وَبَعْضُ مَا ضُبِّطَ لَيْسَ مُشْكَلًا مُقَارَنَةً بِغَيْرِهِ مِمَّا تَرَكَ دُونَ ضَبْطٍ، وَيُمْكِنُ الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الْمَجْمُوعَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ لِرُؤْيَا ذَلِكَ:

- مضبوط: (اتَّخَذُوا)، (حَبَّرَا)، (أَدَاةً)، (الْمَطَر).
- غير مضبوط / ضُبِّطَ جُزْئِيًّا: (كَالْأَفْيُونِ)، (كَالْمِرْهَمِ)، (وَتْرِيَّةً)، (الْمِيكْرُوسُكُوبِ)، (التَّلْسُكُوبِ)، (الْمَجْتَرَّةُ)، (صَوَارِي).

7 - تَرَى الدِّرَاسَةُ أَنَّ ضَعْفَ بَعْضِ التَّعْرِيفَاتِ، وَالِاقْتِضَابَ الشَّدِيدَ فِي بَعْضِهَا الْآخَرِ، يَخْلُ بِالْفَائِدَةِ، وَيُجَوِّجُ الْقَارِئَ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى مُعَاجِمٍ أُخْرَى طَلَبًا لِلْفَهْمِ، يَنْظُرُ مِثْلًا تَعْرِيفَ: (الْحُقُقَةُ)، (السُّلُوانُ)، (العَفْصُ)، (المَلِينُ)، (المِثْرَةُ)، (الأَذْيَنَةُ)، (الرَّجَاجَةُ)، (المِسْجُوعَةُ)، (الإِسْكِيمُ)، (البُرْنِيظَةُ)، (المُرْقَعَةُ)، وَغَيْرَهَا.

8 - اجْتَهَدَتِ الدِّرَاسَةُ فِي تَحْدِيدِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى ظُهُورِ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّمَايُزِ فِي تَحْرِيرِ مَدَاخِلِ الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ؛ لِيُمْكِنَ تَجَنُّبُهَا فِي الطَّبَعَاتِ الْقَادِمَةِ أَوْ فِي أَيِّ مُعَاجِمٍ أُخْرَى، وَالْأَسْبَابُ هِيَ:

- الدَّلِيلُ الْمُعْيَارِيُّ لِلتَّحْرِيرِ الْمُعْجَمِيِّ فِي الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ (أَوْ مَا يَنْوِبُ مِنْهُ مِنْ شُرُوطِ وَضُوبِاطٍ) غَيْرُ دَقِيقٍ بِمَا يَكْفِي، وَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَى التَّفَاصِيلِ الدَّقِيقَةِ فِي عِلْمِيَّاتِ التَّرْتِيبِ وَالْوَسْمِ وَالتَّعْرِيفِ.
- الْعَامِلُونَ فِي الْمُعْجَمِ يَغْفَلُونَ التَّقْيِيدَ بِضُوبِاطِ التَّحْرِيرِ الْمُثَبَّتَةِ فِي دَلِيلِ التَّحْرِيرِ فِي الْمُعْجَمِ.

- التَّبَايُنُ فِي الْمُسْتَوَى اللَّغَوِيِّ وَالثَّقَافِيِّ بَيْنَ الْعَامِلِينَ فِي الْمُعْجَمِ.
- طُولُ الْمَدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِي فَصَلَتْ بَيْنَ مَوَادِّ الْمُعْجَمِ، فَبَعْضُهَا حُرِّرَ فِي ثَلَاثِينَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي، وَبَعْضُهَا فِي الْأَرْبَعِينَاتِ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ إِلَى سَنَةِ النَّشْرِ ١٩٦١، ثُمَّ مَا أَعْقَبَ ذَلِكَ مِنْ مُرَاجَعَاتٍ وَتَنْقِيحَاتٍ طَالَتْ بَعْضَ الْمَدَاخِلِ، وَتَجَاوَزَتْ الْبَعْضَ الْآخَرَ.

التوصيات:

ختامًا، توصي الدّراسة بما يأتي:

- 1 - ضرورة بناء دليل تحرير شامل ومفصّل قبل البدء في تحرير أيّ معجم، وأن يكون هذا الدّليل محيّنًا بما وصلت إليه الدّراسات المعجميّة وصناعة المعاجم في العالم المعاصر.
- 2 - ضرورة تدريب الفريق المعجميّ على ضوابط العمل الجماعيّ، والتّقيّد بالدّليل المعياريّ، وترك التّأليف والاجتهاد الفرديّ للكتب والأبحاث؛ لأنّ المعجم مشروع يقوم على الصّناعة المُحكّمة والعمل الجماعيّ الدّقيق والمنسّق.
- 3 - الاعتماد على الحاسوب والبرامج الحديثة في جمع المادّة اللّغويّة وتحريرها ونشرها قدر المستطاع.
- 4 - تدعو الدّراسة الباحثين والمهتمّين بالبحث المعجميّ والصّناعة المعجميّة، إلى إقامة بحوث مماثلة في الوسيط وغيره من المعاجم العربيّة المعاصرة، والتّظّر في عناصر المدخل المعجميّ المبحوث فيها في هذه الدّراسة أو غير المبحوث فيها، مثل: الشّاهد، والمعلومات الصّوتيّة والتّحوية والصّرفيّة، ومعلومات التّأريخ والتّأثيل، وغير ذلك، هل جاءت على نسق ونمط واحد أم اختلفت؟ وما أسباب هذا الاختلاف؟ وما التّتائج المتربّبة عليه؟

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربيّة:

- 1 - أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، (دمشق: دار النوادر، 1424هـ/2013م).
- 2 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث (القاهرة: عالم الكتب، ط 2، 2009م).
- 3 - أيمن الطيّب بن نجي، ترتيب الوحدات المعجميّة المركّبة في المعجم العربيّ المعاصر: معالجة لغويّة حاسوبية، (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدوليّ لخدمة اللغة العربيّة، 2019م).
- 4 - سلام بزي حمزة، «الوسم في المعجم المدرسي»، مجلّة اللسانيّات، مركز البحث العلميّ والتّقنيّ لتطوير اللغة العربيّة، الجزائر، ع 19، 20، (2014م)، ص 497 - 521.
- 5 - مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الشروق الدوليّة، ط 4، 2004م).
- 6 - المُعتز بالله السّعيد، «نمذجة المعجم العربيّ»، مجلّة اللسان العربيّ، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع 76، (2016م)، ص 375-415.

باللغة الإنجليزيّة:

- 7 - H. Hartmann & Gregory James, Dictionary of Lexicography. (London and New York: Routledge, 1998).
- 8 - L. Zgusta, Manual of Lexicography, (Mouton: Academia, 1971).
- 9 - M. Benson, "The Structure of the Collocational Dictionary", International Journal of Lexicography, Oxford University Press, 2 (1), (1989), 1 - 14.

مواقع إلكترونيّة:

- 10 - معجم الدوحة التاريخي للغة العربيّة، مادّة: ن س ق، تمّ الاسترجاع في 15 سبتمبر 2021، من الرّابط: <https://dohadictionary.org/> /نسق

أدبيات

الوحدات الوزنية في العروض العربي

أ. علي الهادي شونة

(كلية اللغات-جامعة طرابلس)

(1)

مدخل وتمهيد

يخضع إيقاع الشعر العربي، وشعر بعض الأمم الأخرى، إلى توالي المتحركات والسواكن، وفق نظام مخصوص، يختلف من بحر إلى آخر، حرصاً على استقلالية كل بحر، وتحديد جنسه، على أن تداخل بعض الأبحر والتباس بعضها ببعض، بسبب بعض التغيرات التي قد تتعرض لها بعض هذه المتحركات والسواكن أمر محتوم الوقوع، على قلته.

ومن المسلم به أن هذه الحروف المتحركة والساكنة المتوالية والمتتابعة في شعر العرب ونثرهم يتقدم فيها دائماً الحرف المتحرك على الحرف الساكن؛ فالعرب لا تبدأ بساكن، ولا تقف على متحرك، غير أن الساكنين يمكن أن يجتمعا في الوصل في الكلام المنثور، على الحد، أو على غير الحد، كما هو معروف ومقرر، ولا يجتمعان أبداً في حشو البيت الشعري، ويمكن التقاؤهما في آخر الضرب، وآخر العروض، إذا كان البيت مصرعاً⁽¹⁾.

والذي لا يمكن أن يماري فيه أحد مدى عسر تمييز الحرف الساكن من الحرف

(1) أما التقاء الساكنين في عروض المتقارب المقصورة، والضرب غير مقصور، كما في قول الشاعر:

فُرْمُنَا الْقِصَاصُ، وَكَانَ النَّقَاصُ حُكْمًا وَعَدْلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ
فعل خلاف بينهم، فجوزه المبرد وغيره، وجعله بعضهم من قبيل الشذوذ. ينظر: العيون الغامزة على خبايا الرامزة، لبدر الدين الدماميني، ص. 128، 129.

المتحرك في كثير من الألفاظ المعول في ضبطها على السماع؛ فهي مشكلة جد عويصة، تتطلب من الشادي في علمي اللغة والعروض طلب المعونة ممن هم أكثر منه علماً، وأوسع دراية، أو معاينة المعجمات للوقوف على ضبط اللفظ الوارد في الشعر المراد معرفة بجره، وإلا فعلة لا يستطيع العثور على ضالته، والخير كل الخير في بناء معجم لغوي ثر المفردات، غزير الألفاظ، قدر الوسع والطاقة، والإحاطة بالمباحث الصرفية المعول عليها في ضبط بعض أحرف الكلمة، كأبنية الأفعال، والمصادر، والمشتقات، بأنواعها المختلفة، وإذا ميز المتحرك من الساكن، لم يعد المرء محتاجاً إلى معرفة نوع الحركة؛ فتلك مسألة لا تعني علم العروض في شيء.

غير أنني رأيت بعض حذاق هذا العلم يوصون، من أجل حل هذه المعضلة بغير ما أوصي به، فهذا الأخفش الأوسط المختلف في تاريخ وفاته، فقيل: إنه توفي سنة 215هـ، تقريباً، وقيل: في غيرها، صاحب أقدم كتاب عروضي يصل إلينا يقول: «اعلم أن الساكن من الحروف هو الموقوف الذي ما ليس⁽¹⁾ فيه رفع، ولا جر، ولا نصب، نحو: ميم عَمَرُو، وراء بَرْد، وإنما يعرف الساكن من المتحرك أن تنقصه مما هو عليه، فإن وصلت إلى نقصه فليس بساكن، وإن لم تصل إلى نقصه فهو ساكن، ووجه آخر أن تروم فيه الحركة، فإن قدرت على زيادة تحريك عرفت أنه قد كان ساكناً، وأنه لو كان متحرراً لم تقدر على أن تدخل فيه حركة أخرى، ألا ترى أن راء بَرْد لا تستطيع أن تنقصها، وأنت تستطيع أن تحركها، فتقول: بَرْد، وبَرْد، وبَرْد، وإن كان ليس في الكلام، غير أنك قد تستطيع أن تتكلم به، وكذلك جميع السواكن، فأما المتحرك فكل حرف مضموم، أو مكسور، أو مفتوح، نحو بَاء: كَبَر، وكَبَر، وكَبَر، وإنما يعرف المتحرك بأن تروم فيه السكون، فإن وصلت إلى ذلك فهو متحرك؛ لأن الساكن أقل من المتحرك، ومع هذا أنك إذا أزلته إلى غير السكون لم يزل إلا إلى حركة أخرى، فلو أزلت كَبَر إلى الفتح، لقلت: كَبَر، وإلى الضم، قلت: كَبَر، فيصير إلى تحريك لا

(1) هكذا في الأصل، والمرجح زيادة «ما» بين الذي وليس، زيادة في غير موضعها، ويجوز أن تكون موصولة مؤكدة، من قبيل التوكيد بالمرادف، ولا تكون نافية مع وجود ليس.

يكون في غيره إلا أن تثقله؛ فيصير حرفين»⁽¹⁾.

ويقول أبو الحسن العروضي المتوفى سنة 342هـ: «اعلم أن معرفة الساكن من المتحرك هو أصل علم العروض، ومن لم يكن في طباعه معرفة ذلك، فليس يصل إلى علم العروض البتة⁽²⁾، وقد رأيت أقوامًا يعسر عليهم علم ذلك، ولا ينطبع في حواسه، ومثل هؤلاء ليست بهم حاجة إلى العناية في تعلمه وطلبه، ولا بد لمن ينظر في العروض أن يكون قد شدا من علم العربية شيئًا، ونظر فيه؛ فإن ذلك يعينه على فهمه، ويزيد في المعرفة به، فإذا أردت أن تعرف الحرف الساكن من الحرف المتحرك، عمدت إلى الحرف الذي الشك فيه: هل هو ساكن، أو متحرك؟⁽³⁾ فامتحنته بالحركات الثلاث، وهي الفتحة، والضمّة، والكسرة، فإن جرت الحركات الثلاث فيه، فأزالته عن بنيته وصورته في اللفظ، فاعلم أن ذلك الحرف ساكن، وإن لم تغيره عن بنيته وصورته في اللفظ، بل كان لفظه على إحدى الحركات، إما الضمة، أو الكسرة، أو الفتحة⁽⁴⁾، فهو -لا محالة- متحرك، مثال ذلك قولك: سَهْل، إذا أردت أن تعلم: هل الهاء ساكنة، أم متحركة⁽⁵⁾، نقلت الحركات فيها، كما أخبرتك، فقلت: سَهْل، وسَهْل، وسَهْل، فقد دخلت الثلاث على الهاء، وغيرتها عما كانت عليه، وانضمت، وانكسرت، وانفتحت، وقد كانت قبل دخول هذه الحركات فيها على غير هذه الألفاظ، فقد وجب أن تكون ساكنة، لتتنقل الحركات فيها، وتغيرها إياها عن اللفظ الذي كان لها، فإن كان الحرف الذي شككت فيه متحركًا، مثل قولك: عَمَل، فاحتجت أن تعلم: هل الميم ساكنة، أم متحركة⁽⁶⁾، قلت فيه: عَمَل، وعَمَل، وعَمَل، فقد دخلت الحركات الثلاث على الميم، فغيرتها الضمة والكسرة، وما تغير عن لفظ الفتحة، فقد صح أنها متحركة، وعلى هذا

(1) كتاب العروض، تحقيق: أحمد محمد عبد الدائم، ص. 112، وتحقيق: د. سيد البحراوي، ص. 38.

(2) يجوز في البتة وصل الهمزة، وقطعها، سماعًا.

(3) هل لطلب التصديق، لا التعيين، والصواب إحلال الهمزة محلها، فيقال: الذي الشك فيه أساكن هو، أم متحرك؟

(4) الأفصح إحلال إما محل أو.

(5) الصواب أن يقال: إذا أردت أن تعلم آلهاء ساكنة، أم متحركة؟

(6) الصواب أن يقال: فاحتجت أن تعلم ألميم ساكنة، أم متحركة؟

فقس جميع ما تحتاج إليه من معرفة الساكن والمتحرك⁽¹⁾.

لقد نقلت البابين كاملين، على طولهما؛ لأثبت للقارئ أن صاحبيهما لم يقولا شيئاً فيهما، يفيد شدة علم العروض، على الرغم من أنهما، وغيرهما من العروضيين، قد حرصوا على ذكر هذا الباب، وإسهاب الحديث عنه؛ لمساعدة متعلم علم العروض المبتدئ، وأنا مجتهد، ومتحرك في ظليهما؛ ذلك أن علمين شائحين كالأخفش الأوسط، وأبي الحسن العروضي يمكن اعتراف أمثالنا بعدم فهم ما يعنيان، لكون لغتهما أمس ليست بلغتنا اليوم، ولا يمكن القدح في أفكارهما، أو أساليبيهما، بيد أن فهمي القاصر قد حملني على الاعتقاد أن الرجلين لا يعالجان مشكلة تمييز الساكن من المتحرك في سياقها العروضي العملي، وهي تواجه امرأ شاديًا، مبتدئًا في تعلم العروض، وقد تصدى لمعالجة بيت غير مضبوط بالشكل، وإنما هما يعرفان كلاً منهما، ويحددان الفروق النظرية بينهما، فالساكن هو الحرف الذي تعرى من الحركات الثلاث، والمتحرك هو الذي تحرك بإحداها، ولا شك أن المتحرك أطول من الساكن، فإذا قبل الحرف الإنقاص منه عند النطق كان متحرِّكًا، وإذا لم يقبل النقص منه كان ساكنًا، وربما كان صنيع أبي الأسود الدؤلي قبلهما أدق، وأوضح، وأكثر بيانًا، عند ما قال لكتابه القيسي، وهو يضع نقط الإعراب: إذا رأيتني فتحت شفتي، فضع نقطة فوق الحرف، وإذا رأيتني قد ضممتها، فضع نقطة إلى جانب الحرف، وإذا رأيتني كسرتهما، فضع نقطة تحت الحرف، فإذا أتبت شيئًا من ذلك غنة، فضع بدل النقطة نقطتين⁽²⁾، فقد ميز أبو الأسود الحركات الثلاث عمليًا بوضوح تام، ملموس، يمكن الناظر أن يراه، أما الساكن فهو غالبًا الحرف الذي ينطبق أحد طرفي مخرجه، عند النطق به على الآخر، ويلتصق به غالبًا مع انحباس الصوت، وقد يكون الانطباق غير تام، كما في الفاء،

(1) الجامع في العروض، والقوافي، ص. 51، وينظر: كتاب العروض، للزجاج، ص. 136، وكتاب العروض، للربيعي، ص. 5.

(2) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص. 20.

والواو، غير أن بعض الأحرف -وهي قليلة- لا ينطبق عليها هذا الحكم، كأحرف الحلق والمد التي يحول دون انطباقها طبيعة مخارجها الخلقية، لكن يمكن السيطرة عليها بمرور الوقت عن طريق كثرة التدرب والممارسة العملية⁽¹⁾، وصنيع أبي الأسود، على عمليته، لا يحل مشكلة الشدة المتحدث عنهم؛ ذلك أن الواحد منهم يجد نفسه أمام كلمات، بعضها معروف الضبط، وبعضها مجهول، ولا يعينه إلا معجمه اللغوي والصرفي، أو أساتذته، ونحوهم، على أنه أحياناً لا يفيد بعض من ذكرت؛ لاشتمال الشعر أحياناً على مخالفات لغوية؛ فقد يسكن فيه اضطراراً المتحرك، ويحرك الساكن، كما أن بعض الأحرف يجوز فيها لغةً وجهان، كالميم الدالة على الجمع، وياء المتكلم، لكن لا يجوز منهما أحياناً في البيت الذي يعالجه الشادي إلا وجه واحد، يضاف إلى كل ما تقدم مصار بعض الأحرف الساكنة بعد التركيب أحرفاً متحركة، فراراً من التقاء الساكنين؛ ولذلك كنت كثيراً ما أنبه طلابي لوجوب ضبط هذا الحرف، في أثناء الكتابة العروضية، حتى لا يعامل على أصله، عند نقلها إلى رموز عروضية.

فالذي يحتاج إليه الشادي، وهو يعالج بيتاً يستطيع قراءته قراءة صحيحة، هو نطق الكلمات، وما تألف منها نطقاً صحيحاً، وتكرار لفظ الكلمة التي التبس فيها عليه الحرف، من حيث الحركة والسكون أكثر من مرة، وهو في محاولاته تلك يهتدي بصنيع أبي الأسود الذي ذكرت، فانضمام الشفة، وانكسارها، وانفتاحها، دليل على أن الحرف متحرك، والتصاق أحد طرفي مخرج الحرف بالآخر غالباً -على ما احترست- دليل على أنه ساكن؛ ذلك أن كثيراً من المبتدئين من طلابي يستطيعون قراءة البيت المطلوب إليهم معالجته عروضياً قراءة صحيحة، كما قرأته لهم، بيد أنهم عند بلوغ مرحلة ترجمة الكتابة العروضية إلى رموز عروضية يضطربون أحياناً، ويلتبس عليهم الساكن بالمتحرك.

غير أن جميع هذه المشكلات محلولة عند المرء المتضلع من علم العروض؛ لأن

(1) ما عرضته وصف لما أشعر به، في أثناء نطق الحروف الساكنة، والمتحركة، وليس تقعيدياً علمياً؛ فأنا لست من المشتغلين بعلم الأصوات.

الوزن يعين الوزن على معرفة الساكن من المتحرك، ولكنه قطعاً لا يساعده على تحديد نوع الحركة دائماً.

(2)

علة وضع الخليل للتفعيلات

ليس من قبيل المبالغة والادعاء الزعم أن الأحرف المتحركة والساكنة عند التحقيق يمكن التعويل عليها في معرفة البحر، وامتحان الشعر من حيث الاستقامة والكسر، لولا عقبتان: أولاهما- عسر الاعتماد عليها؛ بسبب صغر الحجم وكثرة العدد، وبطء المحصلة تبعاً لذلك، وثانيتهما- تعرض هذه الحروف المتحركة والساكنة أحياناً لتغييرات بالحذف، أو تسكين المتحرك، وهو ما يترتب عليه اختلاف الأعداد من ناحية، واختلاف أطوال المصارع من ناحية أخرى، وقد كان أبرز ما يعول عليه في ضبط الوزن اتفاق المصارع في هذين الأمرين، وهذا ما أدركه الخليل رَحِمَهُ اللهُ وأوحى إليه أن يبحث عن وحدات وزنية أكبر، معتدلة من حيث الطول، والقصر، ومعتدلة -أيضاً- من حيث عددها في كل مصراع. يقول د. شكري عياد: «الأساس اللغوي الذي أقام عليه الخليل عروضه بسيط جداً، وهو التمييز بين الحركة والسكون، ولكنها بساطة خادعة؛ فإننا، إذا شرعنا في تتبع النظام الذي تجري عليه الأوزان المختلفة، من حيث تعاقب الحركات والسكنات، طالعنا أشكال بالغة التعقيد؛ ولذلك فقد ضببت هذه الأشكال بكلمات مشتقة من حروف فعل المستخدمة في الميزان الصرفي، وهذه هي التفاعيل، فالتفاعيل لا تعدو في واقع الأمر أن تكون تصويراً للنظام العروضي، لا تحليلاً له»⁽¹⁾.

على أن أقوى دليل على إمكان التعويل على المتحركات والسواكن ما اقترحته على أضعف طلابي، ممن فقدوا الأمل في اجتياز المادة، ولم تفلح معهم سائر الوسائل المتبعة في

(1) موسيقا الشعر العربي، ص. 29.

نسبة البيت الشعري إلى بحره، وهو دعوتهم إلى حفظ أوزان البحور الشعرية، مستعينين بما اصطلح على تسميته بمفاتيح البحور، ونقل التفعيلات إلى رموز عروضية، تقابل المتحركات والسواكن فيها، وترجمة الكتابة العروضية لأي بيت يراد معرفة بحره إلى رموز عروضية، ثم مقابلة رموز التفعيلات العروضية برموز البيت الشعري المراد معرفة بحره، وهكذا ينجح الطالب في معرفة البحر، لكن - لسوء الحظ - يتحقق المراد، على نحو آلي، بعيد عن الذوق والعاطفة، وكلما قلت تغييرات متحركات أحرف البيت المراد معرفة بحره وسواكنه كانت فرصة الطالب في تحديد البحر أسرع وأدق.

فقد كان يمكن القول، مثلاً - إذا قبلنا فرضية اعتماد الوزن على السواكن والمتحركات في تحديد البحر -: إن وزن مصراع بحر الطويل يبدأ بمتحركين، يمكن حذف أولهما، يليهما ساكن، يمتنع حذفه، بعده متحرك، ممتنع الحذف، فساكن يجوز حذفه، فمتحركان، ممتنع الحذف، بعدهما ساكن، لا يجوز حذفه، يليه متحرك ممتنع الحذف، فساكن يجوز حذفه، فمتحرك ممتنع الحذف، فساكن يجوز حذفه، ولكن لا يجوز حذفه والذي قبله معاً، فمتحركان، لا يجوز حذفهما، بعدهما ساكن، لا يجوز حذفه، فمتحرك ممتنع الحذف، فساكن يجوز حذفه، فمتحركان ممتنع الحذف، بعدهما ساكن، لا يجوز حذفه، فمتحرك ممتنع الحذف، بعده ساكن محذوف وجوباً غالباً، فمتحرك، بعده ساكن، وله ثلاث صور، على هذا النحو:

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

أوهذا:

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

أوهذا:

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

0/0//0/0/0//0/0//0/0/0//

وقس عليه سائر البحور.

ولما أدرك الخليل أنه من الصعب على الوزن، أو شادي العروض حفظ أوزان البحور، استنادًا إلى رموز المتحركات والسواكن العروضية، فيقول، مثلاً: إنها عندما تتوالى على النحو كذا يكون اسم البحر كذا، عمد إلى حصر كل مجموعة من المتحركات والسواكن في وحدة إيقاعية، سماها التفعيلة، أو الأفعول، أو الجزء، أو الركن، فتكونت له التفعيلات العشر المعروفة، المتحدث عنها بعد، يتولى الوزن تطبيقها على متحركات البيت الشعري وسواكنه، فإذا لم يبق من هذه المتحركات والسواكن شيء خارج هذه التفعيلات، كان البيت متزنًا مستقيمًا، وإذا بقي شيء منها خارج الوحدات الوزنية، أوفقدت إحدى الوحدات حرفًا أو أكثر فقدًا غير مشروع، كان البيت -أيضا- مختلاً.

(3)

المقاطع العروضية المؤلفة للتفعيلات، والخلاف فيها

بنى الخليل تفعيلاته على المقاطع العروضية، غير أن علماء العربية المعنيين بالعروض قد ذهبوا فيها مذاهب مختلفة، فمنهم من اكتفى بذكر الأسباب، والأوتاد، وأهمل الفاصلتين، ومن هؤلاء الأخفش الأوسط، القائل: «وإنما ذكرنا هذا لإجراء الشعر وتأليفه؛ لأنه لا يكون جزء أقل من حرفين، الآخر منهما ساكن، نحو: قل، وذكرنا لك السبب، والسبب حرفان الآخر منهما ساكن، وهو كل موضع يجوز فيه الزحاف، وقد يقرن السببان، فيكون: فل فل، وهو صدر مستفعّلن، وهما السببان المقرونان، ويكونان مفروقين، ويكون سبب في أول الجزء، وسبب في آخره، ويكون السبب المقرون⁽¹⁾ متحرك الثاني، فيكون فل فل، نحو صدر متفاعّلن، وآخر مفاعلتن، فأما الود فهو الموضع الذي لا يجوز فيه زحاف، وهو ثلاثة أحرف، وأما الود المجموع فهو فعل، نحو: علن من مستفعّلن، والود المفروق فهو فعل،

(1) في النسخة التي حققها د. أحمد عبد الدائم المفروق بدل المقرون، وما أثبت من النسخة التي حققها د. سيد البحراوي.

نحو: لات من مفعولات»⁽¹⁾.

يلاحظ في كلام الأخفش السابق تصريحه بثلاثة مقاطع عروضية، هي: السبب الخفيف، والوتد المجموع، والوتد المفروق، وظاهر كلامه أن السبب الثقيل فرع الخفيف، فقد يقترن السببان الخفيفان، كما هما في أول مستفعلن، وقد يكون أولهما متحرك الثاني، كما في متفا في أول متفاعلن، وعلتن في آخر مفاعلتن، ومهما يكن من أمر فإن النص السابق يؤكد أن الأخفش الأوسط أول الذاهبين إلى أن التفعيلات العروضية تتألف من أسباب، وأوتاد، ليس غير، ولا تصريح فيه بالفاصلتين.

ومن الذين لم يذكروا الفاصلتين، عند الحديث عما تتألف منه التفعيلات، ابن عبد ربه، المتوفى سنة 328هـ.⁽²⁾، ومحمد بن علي المحلي، المتوفى سنة 673هـ.⁽³⁾، وحازم القرطاجني، المتوفى سنة 684هـ؛ فلم يذكر الفاصلتين عند سرده المقاطع المؤلفة للتفعيلات، وإن أضاف مقطعين جديدين، متأثراً بعلم الإيقاع الموسيقي، هما: السبب المتوالي، وهو ما تألف من حرف متحرك، بعده ساكنان، ووتد متضاعف، وهو متألف من حرفين متحركين، بعدهما حرفان ساكنان⁽⁴⁾، والعلامة الدماميني، المتوفى سنة 837هـ.، فقال: «فإن قلت: إلى ماذا أشار بقوله: «لا سوى»؟، قلت: إما على أن المراد بالجزئين لفظا التفعيل: الخماسي، والسباعي، فأشار به إلى نفي أن تكون البحور مركبة، بحسب الأصالة من غير الجزئين: الخماسي والسباعي، فلا يركب شيء منها في دائرته من سواهما، وإما على أن المراد بالجزئين السبب والوتد، فأشار به إلى نفي الفاصلتين: الصغرى، والكبرى، فإن بعض العروضيين ذهب إلى عدهما في ما تتفرع عنه الأجزاء، وهو باطل؛ لأن الصغرى مركبة من سبب ثقيل، فسبب خفيف، فلا حاجة معهما إلى عدها، والكبرى لا تكون إلا في جزء مزاحف، وهو مستفعلن الذي يخجل

(1) كتاب العروض، تحقيق، ودراسة: د. أحمد محمد عبد الدائم، ص. 124، 125، وينظر: تحقيق، ودراسة: د. سيد البحراوي، ص. 44.

(2) ينظر: العقد الفريد، 271/6.

(3) ينظر: شفاء الغليل في علم الخليل، ص. 52، 61.

(4) ينظر: منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ص. 236.

بجذف سينه وفائه، فينقل إلى فعلتن، فهذه الأحرف الأربعة المتحركة إنما اجتمعت فيه بعد التغيير، وليس الكلام فيه، وإنما الكلام في الجزء الأصلي السالم من التغيير⁽¹⁾.

فالدمايني يبطل ادعاء المدعي أن التفعيلات تتألف من أسباب، وأوتاد، وفواصل، ويؤكد أنها بحسب الأصل لا تتألف إلا من الأوتاد والأسباب، ولا مدخل للفواصل فيها، مبرها⁽²⁾ على مذهبه، بما هو ظاهر في النص السابق.

وذهب مذهب الدمايني محمد بن علي الصبان، المتوفى سنة 1206هـ، الذي قال: «وأسقطت الفاصلة المقسومة إلى صغرى -وهي ثلاث متحركات فساكن كجبلن-، والكبرى -وهي أربع متحركات فساكن كسمكتن- تبعاً لكثير؛ لأن الصغرى مجموع سبب ثقيل، فسبب خفيف، والكبرى مجموع سبب ثقيل، فوتد مجموع، ومنهم من زادهما، ونسب للخليل، ومنهم من زاد الكبرى فقط، والأول هو الذي أيده الدمايني، وغيره⁽³⁾».

لكن الصبان على صوابه في موافقته للدمايني لم يسلم من الخطأ، عندما ادعى كغيره من المتعرضين للفاصلة الكبرى أنها مؤلفة من سبب ثقيل، ووتد مجموع، بالنظر إلى صورة التفعيلة الحالية المزاحفة زحافاً مركباً بالخليل، وإهمال الأصل الذي ينفي دعواه، ويؤكد أنها مؤلفة من متحركي سببين خفيفين، ووتد مجموع.

ومنهم من ذكر الفاصلة الصغرى إلى جانب الأسباب والأوتاد، ولكنه لم يجعلها مقطوعاً عروضياً مستقلاً، وإنما جعلها مرادفة لمجموع سببين: ثقيل، وخفيف، ومن هؤلاء أبو إسحاق الزجاج، المتوفى سنة 311هـ، الذي لم يكن عن أستاذه الأخفش الأوسط ببعيد، فقد قال في «باب الأسباب، والأوتاد»: «اعلم أن السبب حرف متحرك، وحرف ساكن، وذلك نحو: من، وهل، وهو على ضربين: سببان مقرونان، وسببان مفروقان، فأما المفروقان فهما اللذان يقوم كل واحد منهما بنفسه، أي: يكون حرف متحرك، وحرف ساكن، يتلوه

(1) العيون الغامزة على خبايا الرامزة، ص. 23.

(2) اسم فاعل من أبره، إذا استدل، وقدم البرهان.

(3) شرح الصبان على منظومته في العروض، ص. 4.

حرف متحرك⁽¹⁾، نحو: مستف من مستفعِلن، ونحو عيلن من مفاعيلن، وسببان مقرونان، وهما اللذان يسميان فاصلة صغرى، وذلك قولك في متفاعِلن: متفًا، وفي مفاعِلتن: علتن، فمتفًا قد قرنت السببين بالحركة، ويجوز إسقاط الحركة الثانية، أبدأً في الشعر، حتى يصير السببان مفروقين، ومثله علتن من مفاعِلتن يجوز أن يسكن اللام، فيصير علتن، فينقل في التقطيع إلى عيلن ... والأوتاد على ضربين: وتد مقرون، وهو الذي عليه أكثر الشعر، وهو حرفان متحركان، والثالث ساكن، على وزن: بلى، وعلى ... وتود مفروق، وهو على وزن: قال، وباع، وتعدلها في التقطيع لات من مفعولات، وإنما سمي مفروقًا؛ لأن الحرف الساكن فرق بين متحركيه⁽²⁾.

لقد نقلت هذا النص حرفيًا، على طوله؛ لأثبت أن الزجاج، تلميذ الأخفش المتأثر به على نحو جلي، قد وافقه في بعض الأمور، وخالفه في أخرى، فقد وافقه في تألف التفعيلات من نوعين من المقاطع العروضية، هي: الأسباب، والأوتاد، ولم يصرح مثله بمصطلح السبب الثقيل، فكأنه جعله مثله فرع الخفيف، وخالفه في مصطلح السببين المتتالين المؤلف كل منهما من متحرك وساكن، فساهما الأخفش مقرونين، تحرك ثاني أولهما أم بقي على سكونه، وساهما الزجاج مفروقين، إذا تواليا خفيفين ومقرونين، إذا تحرك ثاني أولهما، والمفروقان عند الأخفش هما السببان المتباعدان اللذان يكون أحدهما في أول الجزء، والآخر في آخره، مثل: فاعلاتن، كما خالفه في التصريح بكون مجموع السببين المتحرك ساكن الأول منهما فاصلة صغرى، ولم يتعرض الزجاج للفاصلة الكبرى البتة، والزجاج بهذا يكون قد حسم أمر الخلاف بين العروضيين قدامى ومحدثين مبكرًا، فوضع الأمور في نصابها الطبيعي، ووصف الواقع كما ينبغي أن يوصف؛ لأنه عبر عن مجموع السببين: الثقيل، والخفيف، بالفاصلة الصغرى، ولم يجعل الفاصلة مقطعًا عروضيًا مستقلًا من

(1) هكذا في النسختين المحققتين، والمثال غير موافق للممثل له، والظاهر سقوط لفظ ساكن، وكأن الأصل: أي:

يكون حرف متحرك، وحرف ساكن يتلوه حرف متحرك، وحرف ساكن، وإلا فإنه يعرف التود المفروق

(2) كتاب العروض، ص. 139، 140.

المقاطع التي تتألف منها التفعيلات، وهي مفردة، ولم يتحدث عن الفاصلة الكبرى؛ لأنها لا تكون إلا في مستفعلن المخبولة، وهي مركبة.

غير أن اللافت للنظر هنا ما لاحظته الأستاذ سليمان أبو ستة، محقق «كتاب العروض»، للزجاج، الذي نبه لمسألة، لا ينبغي إهمالها، وهي مسألة الشك في وضع الخليل لجميع مصطلحات علم العروض، يؤكد ذلك غياب مصطلح السبب الثقيل في ما أثر عن الأخفش الأوسط، والزجاج، وابن السراج المشرقي، صاحب كتاب «الأصول في النحو»، المتوفى سنة 316هـ، القريبين من الخليل قياساً بغيرهم، أستعمل الخليل المصطلحات المتعلقة بالسبب التي استعملها الأخفش الأوسط، والزجاج، وابن السراج؛ فنشأ مصطلح السبب الثقيل بعدهم جميعاً، أم إن هذا المصطلح من وضع الخليل، وهؤلاء الرجال أرادوا أن تكون لهم مصطلحاتهم؟⁽¹⁾ بيد أن الذي يؤكد المذهب الذي يرى أن الخليل لم يضع كل مصطلحات هذين العلمين تصريح أبي الحسن العروضي أن الخليل لم يذكر أسماء بعض التغيرات⁽²⁾، واختلاف العلماء في كثير من مصطلحات القافية.

ومن هؤلاء الزمخشري، المتوفى سنة 538هـ، الذي قال: «اعلم أن أساس بناء الشعر شيئان: أحدهما مركب من حرفين: إما متحرك وساكن، واسمه سبب خفيف، ... وإما متحركين، واسمه سبب ثقيل ... والثاني مركب من ثلاثة أحرف: إما متحركين، يتوسطهما ساكن، واسمه وتد مفروق ... وإما متحركين يعقبهما ساكن، واسمه وتد مجموع»⁽³⁾، وبعد أن قرر هذا تحدث عن الفاصلتين، وظاهر كلامه عليهما أنه لم يجعلهما أصليين، بل جعلهما فرعين، عند ما قال: «وإذا اقترن السببان، متقدماً الثقيل منهما على الخفيف سمي ذلك الفاصلة الصغرى، مثل: متفا من متفاعلن، وإذا اقترن الثقيل والتد المجموع، متقدماً السبب على التود سمي ذلك الفاصلة الكبرى، مثل: فعلتن، ومنهم من سمي الأولى

(1) ينظر: المرجع المذكور، مقدمة التحقيق، ص. 107.

(2) ينظر: الجامع في العروض، والقوافي، ص. 143.

(3) القسطاس في علم العروض، ص. 25، 26.

فاصلة، والثانية فاضلة، بالضاد المعجمة⁽¹⁾. وواضح وقوعه في الخطأ كغيره، عند حديثه عن تركيب الفاصلة الكبرى.

ولعل أدق هذا الفريق، وأكثرهم إفصاحاً عن المراد، ابن السراج الشنتريني الأندلسي، المتوفى سنة 550هـ؛ فقد اقتصر عند الحديث عن المقاطع العروضية التي تتألف منها التفعيلات على ذكر الأسباب والأوتاد بأنواعها، فقال: «وأصول الأجزاء المترتبة من الأسباب، والأوتاد أربعة»⁽²⁾، ثم ذكر التفعيلات، وفي موضع بعيد، وعلم آخر غير العروض ذكر الفاصلتين، عندما تحدث عن ألقاب القوافي، فقال: «أحدها المتكاس، وهو ما كان في آخره فاصلة كبرى، وهي أربع متحركات، بعدها ساكن ... والثاني المتراكب، وهو ما كان في آخره فاصلة صغرى، وهي ثلاث متحركات، بعدها ساكن ...»⁽³⁾.

فلا شك أن منهجه في تناول الأسباب والأوتاد والفواصل هو المنهج الصحيح الذي ينبئ عن فهم سليم، مؤداه أن التفعيلات لا تتألف إلا من نوعين من المقاطع العروضية هما الأسباب والأوتاد، وأن الشعر عامة يتألف منها، ومن الفواصل، وإذا كانت الفاصلة الكبرى محددة الموضع، وهي محل اتفاق، فإنه لم يحدد موضع الفاصلة الصغرى، كما فعل غيره، بحصرها في أول متفاعلين، وآخر مفاعلتين، فهي يمكن أن تكون في مواضع أخرى كثيرة، على ما سآبينه.

أما عبد الوهاب الزنجاني، المتوفى سنة 660هـ، فقد نقل كلام الزمخشري حرفياً، ووقع في ما وقع فيه من خطأ⁽⁴⁾.

ومنهم ابن واصل الحموي، المتوفى سنة 697هـ، إلا أنه صرح بعدم الحاجة إلى الفاصلتين بالقول: «واعلم أنه لا حاجة إلى الفاصلتين المذكورتين؛ فإن التركيب يتم

(1) المرجع المذكور، ص. 26، 27.

(2) المعيار في أوزان الأشعار، ص. 11.

(3) المرجع المذكور، ص. 117، 118، وينظر، ص. 39.

(4) ينظر كتاب معيار النظر في علوم الأشعار، ص. 6.

بالأسباب والأوتاد فقط؛ لأن الصغرى في الحقيقة إنما هي مركبة من سبب ثقيل، وخفيف، والكبرى مركبة من سبب ثقيل، ووتد مجموع، فكان بالأسباب والأوتاد غنية عنهما⁽¹⁾، ولم يسلم ابن واصل، على تراجعته عن كون الفاصلتين من أجزاء التفعيلات من الخطأ في جعل الكبرى مؤلفة من سبب ثقيل، ووتد مجموع.

ومنهم من جعل التفعيلات مؤلفة من أسباب، وأوتاد، وفواصل، ومن هؤلاء ابن السراج المشرقي، فقد قال: «وقد بنى الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ أبنية، يكيل بها الشعر، وجعلها أوزانًا لأجزاء الأبيات، وألفها من أسباب، وأوتاد، وفواصل»⁽²⁾، فهو ينص نصًا صريحًا على تألف التفعيلات من مقاطع عروضية، تعرف بالأسباب، والأوتاد، والفواصل، ولكنه عندما عرفها لم يتعرض للسبب الثقيل، مثلما فعل الأخفش الأوسط قبله، والزجاج، وعرف الوتد بنوعيه، وعرف الفاصلتين، فقال: «إذا اجتمع ثلاثة متحركات، والرابع ساكن، سمي فاصلة، مثل: متفأ، وليس في الشعر أربعة أحرف متتالية متحركة إلا في مزاحف، وهو قليل»⁽³⁾، وقال: «وتذهب السين والفاء، فيصير فعلتن، ويسمى مخبولا، وهما هنا اجتمعت أربعة متحركات في هذا الزحاف، فالعروضيون يسمون ما كان كذا - أيضا - فاصلة كبرى، ويسمون ما اجتمعت فيه ثلاثة متحركات، وآخره ساكن، فاصلة صغرى، إلا أن الصغرى تكون أصلا، وهذه لا تكون إلا في زحاف»⁽⁴⁾. ولم يقع في الخطأ الذي وقع فيه سواه من الذاهبين هذا المذهب؛ لأنه لم ينص على ما تتألف منه الفاصلة الصغرى، ولا على ما تتألف منه الفاصلة الكبرى، غير أنه يؤخذ عليه قوله: إن الفاصلة الصغرى تكون أصلا؛ أي: مقطعا عروضيا مستقلا برأسه، غير مؤلف من سببين ثقيل وخفيف، والحق أنها تكون في غير متفاعلين، ومفاعلتين، في تفعيلة مزاحفة، أو من تفعيلتين، زوحفت أولاهما، على ما سيبين في موضعه.

(1) الدر النضيد في شرح القصيد، ص. 88، 89.

(2) كتاب العروض، المنسوب إليه، ص. 294.

(3) المرجع المذكور، ص. 293.

(4) المرجع المذكور، ص. 310.

ومنهم -أيضا- ابن جني، المتوفى سنة 392هـ، الذي قال: «واعلم أن شعر العرب مركب من سبب، ووتد، وفاصلة»⁽¹⁾، وعرف هذه المقاطع العروضية، كما فعل غيره، إلا أنه انفرد بنعت الفاصلتين، منكرتين بصغيرة، وكبيرة، بدلا من صغرى، وكبرى، وفقا لقوانين العربية⁽²⁾.

ومنهم إسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى سنة 393هـ⁽³⁾، والصاحب بن عباد، المتوفى سنة 385هـ، فقد قال: «والشعر مبني على سبب، ووتد، وفاصلة ... ولا يتوالى في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركات»⁽⁴⁾، وعلي بن عيسى الربيعي، المتوفى سنة 420هـ، القائل: «أجزاء أصول العروض التي مثل بها الخليل ثمانية أجزاء: فعولن، مفاعيلن، فاعلاتن، فاعلن، مستفعلن، مفاعلتن، متفاعلن، مفعولات، ستة سباعية، واثنان خماسيان، وهذه الأجزاء مؤلفة من أسباب، لقبها الخليل بذلك، وأوتاد، وفواصل ... والفاصلة على ضربين: الفاصلة الصغرى -وهي أربعة أحرف آخرها ساكن، والباقي متحرك ... - والكبرى زيادة حرف، أربعة منها متحركة، والأخير ساكن، وليس في الأجزاء الصحيحة نظير لها، ولكن في المعتل، نحو: فعلتن»⁽⁵⁾، غير أنه أحسن عندما لم يقع في الخطأ بالقول: إن الكبرى مؤلفة من سبب ثقيل، ووتد مجموع. ومن هذا الفريق -أيضا- الخطيب التبريزي، المتوفى سنة 502هـ، الذي قال: «والشعر كله مركب من سبب، ووتد، وفاصلة»⁽⁶⁾، وعرف المقاطع العروضية الثلاثة، ولكنه لم يقع في ما وقع فيه غيره من الأخطاء، فلم يصرح بتركيب الفاصلتين. ومنهم -أيضا- ابن القطاع، المتوفى سنة 515هـ؛ فقد قال: «وأصول أجزائه سببان،

(1) كتاب العروض، ص. 60.

(2) ينظر المرجع المذكور، ص. 60، 61.

(3) ينظر: عروض الورقة، ص. 2.

(4) الإقناع في العروض، وتخريج القوافي، ص. 3.

(5) كتاب العروض، ص. 3، 4.

(6) كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص. 17.

ووتدان، وفاصلة⁽¹⁾، وعرف كلاً منها.

ومنهم الإنسوي، المتوفى سنة 772هـ، غير أنه نبه على أن الفاصلة الكبرى يمكن تصورها في مستفعلن بعد الخبل⁽²⁾.

والذي ينبغي ملاحظته، بعد كل ما تقدم، أن بعض العروضيين صرح بأن هذه المقاطع العروضية تتألف منها التفعيلات، وبعضهم جعل الشعر يبنى عليها، والعبارة الأخيرة محتملة للحقيقة والمجاز، فإن أخذنا بالمجاز كان المقصود التفعيلات، وإن أخذنا بالحقيقة كان المقصود الشعر عامة، وهذا هو الصواب؛ لأن الفاصلة الصغرى خاصة ليست محصورة في متفاعلين، ومفاعلتين، ولعل خير من عبر عن هذه الحقيقة بوضوح أبو بكر بن السراج الشنتريني، دون جميع الذين سبق ذكرهم، على ما أومأت إليه من قبل، فالأفاعيل لا تتألف إلا من الأسباب والأوتاد، أما الشعر عامة فيتألف منها، ومن الفواصل، والفاصلة الكبرى محددة الموضع، فلا تكون إلا في مستفعلن المجموعة الوتد، مخبولة في البسيط، والرجز، والسريع، والمنسرح؛ فتصير بهذا الزحاف المركب متعلن، وتنقل إلى فعلتين، وهي حينئذ مؤلفة من متحركي سببين خفيفين، ووتد مجموع، وليس من سبب ثقيل، ووتد مجموع، كما زعم جل من تعرض لتركيب هذه الفاصلة، وهي ممنوع تألفها من تفعيلتين، بسبب زحاف آخر الأولى، وأول الثانية، وأما الفاصلة الصغرى فلا توجد، غير مترتبة على زحاف إلا في أول متفاعلين، وآخر مفاعلتين، مؤلفة من سبب ثقيل، يليه سبب خفيف، وفي غير هذين الموضعين تكون موجودة، بسبب زحاف، وهي عندئذ إما أن تكون في تفعيلة، كما في مفتعلن مطوية في البسيط، والرجز، والسريع، والمنسرح؛ فتكون، حينئذ مؤلفة من متحرك سبب خفيف، ووتد مجموع، وليس من سببين: ثقيل، وخفيف، كما ادعي، وفعلتين مخبونة، أينما وردت، وهي ترد في المديد، والرمل، والخفيف، والمجث، وهي حينئذ مؤلفة من متحرك سبب خفيف، ووتد مجموع، وفي فعلن مخبونة، في المديد، والبسيط، والمتدارك، وهي حينئذ

(1) كتاب البارع في علم العروض، ص. 69.

(2) ينظر نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، ص. 82.

تتألف من متحرك سبب خفيف، ووتد مجموع، وفي السريع، وهي حينئذ تتألف من متحركي سببين خفيفين، والأول والثاني من الوجد المفروق، وفي فعلات زحاف مفعولات مخبولة في المنسرح، وهي حينئذ مؤلفة من متحركي سببين خفيفين، وأول وثاني الوجد المفروق، وإما بين تفعيلتين، كما في لمفا في فعول مفاعيلن، وهي مؤلفة حينئذ من متحرك السبب الخفيف في فعول، والوجد المجموع في مفاعيلن، وكما في لمفا من مفاعيل مفاعلتن، أو لفعو من مفاعيل فعولن في الوافر المنقوص التفعيلة الأولى أو الثانية، وهي حينئذ مؤلفة من متحرك سبب خفيف، ووتد مجموع، وكما في لمفا من مفاعيل مفاعيل في الهزج، وهي حينئذ مؤلفة من متحرك السبب الخفيف، والوجد المجموع، وكما في علفا من مستفع ل فاعلاتن في الخفيف، والمجتث، وهي حينئذ مؤلفة من متحرك الوجد المفروق الثاني، ومتحرك السبب الخفيف والسبب الخفيف، وكما في لفعو من فعول فعولن في المتقارب، وهي حينئذ مؤلفة من متحرك السبب الخفيف والوجد المجموع، وقد منع جمهور العروضيين الفاصلة الصغرى في الخفيف مؤلفة من فاعلات مكفوفة، ومتفعّلن محبونة، غير أن الأخفش الأوسط جوزها في هذا الموضع، محتجا بقوله:

ثُمَّ بِالذَّبَرَانِ دَارَتْ رَحَانَا وَرَحَى الْحَرْبِ بِالْكَمَاءِ تَدُورُ⁽¹⁾

وهي ممنوعة باتفاق بين مفاعيلن، وفاع لاتن في المضارع، لامتناع حذف ياء، ونون مفاعيلن معاً؛ فإن بينهما مراقبة؛ أي: إنهما لا يحذفان معاً، ولا يثبتان معاً، وقد كنت أهملت الفاصلتين في منظومتي العروضية المسماة: «المنظومة الوافية»، بجل مباحث العروض والقافية⁽²⁾، بيد أن اهتمام بعض المعنيين بعلمي العروض والقافية بالمقاطع العروضية، وحرصه على ضرورة تحقيق مذاهب العلماء القدماء فيها حملني على إعادة النظر في المنظومة، فأضفت إليها ملخصاً لما نثرت قبل قليل، بعد قولي فيها:

(1) البيت مجهول القائل، وهو في كتاب العروض، للأخفش، تحقيق: د. أحمد عبد الدائم، ص. 159، ونسبه إلى شاعر جاهلي، والجامع في العروض، والقوافي، ص. 207.

(2) نشرت بمجلة اللسان المبين، ع. 8، س. 2013م، ص. 187 208.

وَمَا دَعَاهُ بَعْضُهُمْ بِالْفَاصِلَةِ فَلَا تَظُنِّي كُنْتُ جَاهِلَهُ
لَكِنِّي أَعْرَضْتُ عَنْهُ رَاغِبًا فَلَيْسَ عِنْدِي ذَاكَ أَمْرًا وَاجِبًا
أضفت:

لَكِنَّ بَعْضَ الْأَفْضَلِينَ سَاءَ لَا عَنْ سِرِّ هَذَا التَّرْكِ، ثُمَّ جَادَلَا
فَقُلْتُ لِلْسَّائِلِ: إِنَّ الصُّغْرَى مِنْ سَبَبَيْنِ بُيِّتَ، وَالْكُبْرَى
لَيْسَ لَهَا فِي الْأَصْلِ مِنْ مَكَانٍ فَهِيَ نِتَاجِ الرَّحْفِ لِلثَّوَانِي
وَذَاكَ فِي مُسْتَفْعِلُنْ مَحْبُولُهُ وَلَا تَرَى فِي غَيْرِهَا مَثِيلَهُ
وَشَاعَتِ الْأُولَى بِبَحْرِ الْوَافِرِ وَكَامِلِ الْأَجْحَرِ، وَهُوَ ظَاهِرُ
وَسَطِ الْبَسِيطِ، حِينَ تَمَّ، وَالْحَبَبِ وَفِي السَّرِيعِ بَعْضَ حَيْنٍ قَدْ نَجَّبَ
وَفَعِلَاتُنْ فِي الْمَدِيدِ، وَالرَّمْلِ وَفِي الْخَفِيفِ، وَالَّذِي اجْتَنَّتْ قُبْلَ
مُفْتَعِلُنْ خَيْرٌ مِمَّا لَ قَدْ بَرَزَ فِي أَجْحَرِ الْبَسِيطِ -أَيْضًا- وَالرَّجَزِ
ثُمَّ السَّرِيعِ، وَكَذَاكَ الْمُنْسَرِّحِ وَغَيْرُهَا فِي الضَّرْبِ تَمَّ لَا تُبَحِّ
وَفِيهِ جَاءَتْ فَعِلَاتٌ بَدَلًا مِنْ جُزْئِهِ الْأَوْسَطِ، حِينَ خُبِلَا
وَرُبَّمَا كَوَّنَهَا الْجُزْءَانِ إِنَّ زَوْجَفَ الْأَوَّلِ لَيْسَ الثَّانِي
مِثَالُهَا فِي لُفْعَا فِي الْوَافِرِ وَلُفْعُو -أَيْضًا-، كَذَا يَا شَاعِرُ
وَسَطِ الطَّوِيلِ، وَكَذَاكَ عِلُّ فَا وَسَطِ الْخَفِيفِ، فَهُوَ -أَيْضًا- أُلْفَا
لَكِنَّهُمْ قَدْ مَنَعُوا فِي تُمْتَفٍ فِيهِ، وَفِي مَا شَدَّ عَنْهُمْ قَدْ عُرِفَ
وَهِيَ بِبَحْرِ الْمُتَقَارِبِ أَتَتْ فِي لُفْعُو، إِنَّ زَوْجَفَتْ مَا سَبَقَتْ
وَمَنَعُوا الْكُبْرَى بَتَاتًا مِنْهُمَا وَفَاعِلَاتٌ فَعِلُنْ رَدَّهُمَا
مَعًا؛ فَقَدْ رُدَّ اجْتِمَاعُ الرَّحْفِ بِالْحَيْنِ فِي تَالِيَةِ، وَالْكَفِّ
فِي مَا مِنَ التَّفْعِيلَتَيْنِ سَبَقَتْ وَقِسُّهُ حَيْثُ كَانَ؛ فَهُوَ قَدْ ثَبَتَ
فَفَعِلَاتُنْ بَعْدَ فَاعِلَاتٍ لَمْ يَرَوْهَا قَطُّ لَنَا الرُّوَاهُ

وَأَمْنَعُ سُقُوطَ الْيَاءِ، وَالتُّونِ مَعَا مِمَّا مَفَاعِيلُنْ، وَحَيْثُ وَقَعَا
فَكَانَ لِلصُّغْرَى أَسَاسَ الْمَانِعِ فِي حَشْوِ بَحْرِ نَادِرٍ مُضَارِعِ
لَكِنْ إِذَا كُفَّ الْعَرُوضُ ثَبَتَتْ بَيْنَ الْعَرُوضِ، وَالَّتِي كَانَتْ تَلَتْ.

فادعاء جل العلماء الذين ذهبوا إلى أن مما تتألف منه الوحدات الوزنية الفاصلتين باطل بلا جدال، على ما بينته من أمرهما، وكان يمكنهم أن يخرجوا من المشكل بالقول: إن الفاصلة الكبرى صارت على صورة المتألفة من سبب ثقيل، ووتد مجموع، وإن الفاصلة الصغرى في غير أول متفاعلتين، وآخر مفاعلتين صارت على صورة المتألفة من من سبب ثقيل، يليه سبب خفيف، أما الزعم أن الفاصلة الصغرى في جميع حالاتها مؤلفة من سببين: ثقيل، وخفيف، فهذا مما يدحضه التحليل السابق لها.

والعجيب في الأمر أن بعض العروضيين تمادى، فأهمل الأصل غير المزاخف، ونظر إلى التفعيلة في صورتها الحالية المزاخفة، فادعى لتركيبها مقاطع جديدة، ومثل لها بأبيات، ومن هؤلاء العبيدي شارح «الساوية» الذي يعد شرحه من أحسن كتب العروض، لولا أنه لوته بهذه الترهات التي لا يقبلها إلا من لا خبرة له بالعروض عميقة، يقول العبيدي: «وقد يجيء بيت مركب من السبب الخفيف، كقوله:

إِسْمَعْ مِئِّي، يَا بَنَ الدُّنْيَا تَعْمَلْ خَيْرًا تَزْدَدُ حُسْنًا⁽¹⁾

ومن السبب الثقيل لا يمكن أن يجيء؛ لتوالي الحركات الواقعة فيه أكثر من أربعة؛ لأنه لا يجيء فيه السكون، وقد يجيء من الوند المجموع، كقوله:

فَطَالَ مَا، وَطَالَ مَا، وَطَالَ مَا سَقَى بِكَفِّ خَالِدٍ، وَأَنْعَمَا⁽²⁾

(1) البيت مجهول القائل، ولم أعر عليه في غير المرجع المقتبس منه.

(2) البيتان لأبي النجم العجلي من أرجوزة في مدح خالد بن عبد الله القسري، ضاع أكثرها، كما يقول المحقق، والمثبت منها في ديوانه 14 بيتا مشطورا، على الأرجح، وقد جاء قوله: وطالما، وطالما، وطالما البيت السادس في الأرجوزة، وقوله: سقى بكف خالد، وأطعما البيت الثالث عشر فيها، ينظر: ديوانه، ص. 403 405. والعروضيون يجعلون البيتين المشطورين المتباعدين بيتا واجدا تاما، يحتجون به على خبن جميع الأجزاء في الرجز. ينظر: الوافي في العروض، والقوافي، ص. 106، والبارع في علم العروض، ص. 139، والمعيار في أوزان =

ومن الوجد المفروق، كقوله:

لَا أَرَى مِنَ الْفُؤَادِ قَدْ أَرَاكَ أَنْ يَمِيلَ نَحْوَ شَادِنٍ سَوَاكَ⁽¹⁾

ومن الفاصلة الصغرى:

أَرَأَيْتَ لِحَاضِرِهِمْ أَثَرًا؟ وَسَمِعْتَ لِعَائِيهِمْ خَبَرًا؟⁽²⁾

ومن الفاصلة الكبرى:

وَيْثَقُلْ مَنْعَ خَيْرٍ طَلَبٍ وَعَجَلْ مَنْعَ خَيْرٍ تُؤَدُّ⁽³⁾»⁽⁴⁾.

فقد جعل كل تفعيلة من تفعيلات البيت الأول مؤلفة من سببين خفيفين بالنظر إلى صورتها الحالية المغيرة، والثابت أنه لا يوجد بين تفعيلات الخليل تفعيلة رباعية خالية من الوجد، بل إن بعض المتبعين لهذا المنهج زعم أن التفعيلة فاعلن بعد خبئها صارت مؤلفة من فاصلة صغرى، مؤلفة من سبب ثقيل، وسبب خفيف، فأضمرت بتسكين الثاني المتحرك، فصارت على فعلن بسكون العين.

وجعل كل تفعيلة من تفعيلات البيت الثاني مؤلفة من وتدين مجموعين، ومعلوم أنه لا توجد بين تفعيلات الخليل تفعيلات تتألف من أوتاد فقط، فلا بد عنده أن يدخل في تركيب التفعيلة وتد واحد، ومعه سبب واحد، إذا كانت خماسية، وسببان، إذا كانت سباعية. وجعل كل تفعيلة من تفعيلات البيت الثالث الاثنتي عشرة على فعل مؤلفة من وتد مفروق، إلا أن تفعيلتي العروض والضرب قد زادتسا ساكنًا على الوجد المفروق فيهما، وليس هناك تفعيلة ثلاثية بين تفعيلات الخليل تتركب من وتد فقط، على ما أوضحنا، وهذا منتهى الإسفاف، فالبيت منظوم على بحر الرمل، وقد جاءت فيه أربع تفعيلات مكفوفة، أما

= الأشعار، ص. 76، وغيرها.

(1) البيت مجهول القائل، ولم أجده في غير المرجع المقتبس منه.

(2) البيت مجهول القائل، ولم أطلع عليه في غير المرجع المقتبس منه.

(3) البيت مجهول القائل، وهو في أغلب كتب العروض، ومنها: الوافي في العروض، والقوافي، للتبريزي، ص. 107،

والبارع في علم العروض، ص. 140، والمعبّر في أوزان الأشعار، ص. 76.

(4) الوافي في علمي العروض والقوافي 188/1، 189.

تفعيلتا العروض والضرب فقد جاءتا سالميتين صحيحتين، وجعل كل تفعيلية من تفعيلات البيت الرابع مؤلفة من فاصلة صغرى؛ أي: مؤلفة -بحسب زعمه وزعمهم- من سبب ثقيل يليه سبب خفيف، ولا توجد بين التفعيلات الخليلية تفعيلية رباعية، وخالية -أيضا- من الوتد، وأصل كل تفعيلية فاعلن، قد خبنت، فهي مؤلفة من متحرك السبب الخفيف، والوتد المجموع، والبيت منظوم على المتدارك.

وجعل كل تفعيلية من تفعيلات البيت الأخير مؤلفة من سبب ثقيل، ووتد مجموع، بحسب زعمه، وزعم غيره، وإنما أصل كل تفعيلية، على ما أوضحت مستفعلن، خبلت، فهي مؤلفة من متحرك السببين الخفيفين، والوتد المجموع، والبيت منظوم على الرجز التام.

(4)

سبب عدول الخليل عن

المقاطع الصوتية إلى المقاطع العروضية

كان بوسع الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ يقسم الوحدات الوزنية إلى مقاطع صوتية، كما تمنى بعض المحدثين؛ ذلك أنه كان عالم اللغة الأول، ألم يكن واضع أول معجم في العربية، مرتب وفق مخارج الحروف، بادئاً بحرف العين من الأحرف الحلقية، وبها سماه؟، وألم يكن عالماً بالموسيقا، وجانبها الإيقاعي، كما هو معلوم، يقوم على النقرات الخفيفة والثقيلة، والنقرة الخفيفة تقابل المقطع القصير، والنقرة الثقيلة تقابل المقطع الطويل عند بعض القدامى والمحدثين، والمقطع المتوسط بنوعيه عند بعض المحدثين؟ ونظام المقاطع الصوتية ليس غريباً على العلماء القدامى، علماء لغة، وعروض كانوا، كالأخفش الأوسط، أم علماء أصوات وموسيقا، كالفارابي، المتوفى سنة 339هـ، وابن سينا، المتوفى سنة 427هـ، أم علماء عروض، وموسيقا، كعلي بن مسعود الفرخان المزعوم أنه توفي سنة 548هـ⁽¹⁾، أو في أواخر

(1) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، 480/1، الهامش.

القرن السادس، وأول القرن السابع⁽¹⁾، والمرجح عندي أن نظام المقاطع الصوتية معروف المدلول عند بعض علماء اللغة، ولكن مصطلحه الموافق لمصطلح المحدثين استوحاه علماء الموسيقى، من علم الإيقاع الموسيقي، فقد تضمن مدلوله قول الأخفش في «كتاب العروض»: «اعلم أن الكلام أصوات مؤلفة، فأقل الأصوات في تأليفها الحركة، وأطول منها الحرف الساكن؛ لأن الحركة لا تكون إلا في حرف، ولا تكون حرفاً، والمتحرك أطول من الساكن؛ لأنه حرف، وحركة، وقولهم ساكن؛ أي: لا حركة فيه، فالمتحرك أطول من الساكن؛ لأنه حرف وحركة، وقولهم ساكن؛ أي: لا حركة فيه⁽²⁾، فالمتحرك حرف حي، والساكن ميت، وكل متحرك فهو ترجيع، والساكن مد.

وأقل ما ينفصل من الأصوات، فلا يوصل بما قبله، ولا بما بعده حرفان: الأول منهما متحرك؛ لأنه لا يبتدأ إلا بمتحرك، والثاني ساكن؛ لأن كل ما تقف عليه يسكن، ولا تصل إلى أن تفرد من الأصوات أقل من ذا، وهذا نحو: ها، وقَطْ، ولم يوصل إلى المتحرك؛ أي: يفرد؛ لأنه يقف عليه، فيسكن، والساكن لا يبتدأ به، وأقل ما يفرد بعد الحرفين أن تزيد عليهما ساكناً، تقول في قط: قَطْ، فتثقل الطاء، وتقول في ها: هاء، بمد الألف، ولا تزيد أقل من ذا؛ لأنك إن زدت الحركة لم تقدر عليها في الوقف، ولكن أقل ما تزيد على الحرفين، إذا وصلتتهما الحركة؛ لأنك تقدر عليها في الانفصال؛ لأنها تعتمد على ما بعدها، وذلك أنك تهمز ألفها فتقول: ها هاء، وتحرك قط، فتقول قط قط⁽³⁾.

أولم يظهر لنا المقطع القصير، ممثلاً في الحرف المتحرك، والمقطع المتوسط، ممثلاً في الحرف المتحرك الذي يليه ساكن، والمقطع الطويل بنوعيه في الحرف المتحرك الذي يليه ساكنان، إذا قرأنا كلام الأخفش الأوسط السابق بمصطلحات بعض المحدثين، مثل: د. تمام حسان؟

(1) ينظر: مقدمة تحقيق المستوفي في النحو، 12/1.

(2) العبارة مكررة، وقد فطن إليها المحقق، فعلق في الهامش عليه.

(3) العروض، تحقيق ودراسة: د. أحمد عبد الدائم 123، 124 وتحقيق ودراسة: د. سيد ال بحراوي، ص. 44.

وإذا كان الأخفش قد ملح إلى نظام المقاطع الصوتية، على ما يظهر مما اقتبس منه، فإن بعض علماء الأصوات والموسيقا، كالفارابي، وابن سينا، قد صرح بالمقاطع الصوتية تصريح المحدثين؛ فقد عرف الأول المقطع القصير بقوله: «وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير، قرن به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات»⁽¹⁾، وعرف المقطع الطويل بقوله: «وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسميه المقطع الطويل»⁽²⁾.

ويفهم من الفارابي أن المقطع الطويل على ضربين: أولهما المصرح به سابقاً، وهو الذي يقابل المقطع المتوسط المفتوح، عند بعض المحدثين، وثانيهما المعبر عنه بالسبب الخفيف في قوله: «وكل حرف متحرك أتبع بحرف ساكن، فإن العرب يسمونه السبب الخفيف»⁽³⁾، وهو يقابل عند بعض المحدثين المقطع المتوسط المغلق، والذي يؤكد هذا الزعم قوله: «وكل مقطع طويل فإن قوته قوة السبب الخفيف، فلذلك يعد من الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة»⁽⁴⁾.

لقد كان يمكن الفارابي -على ما وجدناه في آثاره- أن يهتدي إلى جميع المقاطع الصوتية التي اهتدى إليها المحدثون، لكن المرجح أنه تناول ما الحاجة إليه عنده ماسة، وأهم ما لم يحتاج إليه.

وعرف الثاني المقطعين: القصير، والطويل، بالقول: «والحرف الصامت، إذا صار بحيث يمكن أن ينطق به على الاتصال الطبيعي سمي مقطوعاً، وهو الحرف الصامت الذي شحن الزمان الذي بينه، وبين صامت آخر يليه بنغمة مسموعة، فإذا كان ذلك الزمان قصيراً، سمي مقطوعاً مقصوراً، وهو حرف صامت، وحرف مصوت مقصور، وإن كان طويلاً

(1) الموسيقا الكبير، ص. 1075.

(2) المصدر المذكور، الصفحة نفسها.

(3) المصدر المذكور، ص. 1076.

(4) المصدر المذكور، ص. 1078، 1079.

سمي مقطوعاً ممدوداً، وهو حرف صامت، وحرف مصوت ممدود، أو ما هو في زمان دوران أقصر زمان، وهو صامت، ومصوت مقصور، وصامت⁽¹⁾. ويقول ابن سينا في هذا السياق: «والمقطع الممدود يسميه العروضيون السبب، والمقصور، إذا اقترن به الممدود سموه الوتد»⁽²⁾. أما علي بن مسعود الفرخان الذي يظن أنه أول عروضي قرن العروض بالموسيقا، فقد سمى المقطع القصير بالسن القصيرة، والمقطع الطويل بالسن الطويلة⁽³⁾، وكل من الفارابي، وابن سينا، والفرخان، فعلوا ما فعلوا متأثرين بعلم الإيقاع الموسيقي الذي تجعل فيه النقرة الخفيفة بمنزلة الحرف المتحرك، مثل: ت، والنقرة الثقيلة بمنزلة الحرف المتحرك الذي يليه ساكن، مثل: تن، والخليل رَحْمَةُ اللَّهِ عالم موسيقا قبل أن يكون عالم عروض، وأن له فيها كتابين مفقودين: أحدهما في النغم، والآخر في الإيقاع، وهو يعرف أسس علم الإيقاع، مثلما عرفها غيره من علماء الموسيقا، ولكن لم يظهر أي أثر في عروضه للموسيقا، والسر يكمن في أن الرجل أدرك منذ وقت مبكر أن علمي الإيقاع الموسيقي والعروض متشابهان، وليسا متطابقين، فلكل منهما في التقنين والتعديد.

فإذا عرفنا كل ما تقدم، كان الأخرى أن نبحت عن سبب لجوئه إلى نظام المقاطع العرضية بدل نظام المقاطع الصوتية.

والحق أن المرء لا يحتاج إلى كثير روية لاكتناه هذا السر، وهو أن الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ لاحظ -وما أدق ملاحظاته!- أن المقاطع الواردة في الكلام المنظوم على ضربين: ضرب يتعرض ثانيه للتغيير، وضرب يمتنع تغيير ثانيه، أينما حل، فأراد تمييز هذين النوعين من المقاطع، فالمقطع المتوسط المسبوق بمقطع قصير غير المتعرض ثانيه للحذف سماه وتدًا مجموعًا، والمقطع المتوسط المتعرض ثانيه للحذف سماه سببًا خفيفًا، فإذا كان المقطع المتوسط الذي يمتنع حذف ثانيه متلوا بمتحرك سماه وتدًا مفروقًا، فلو أنه اقتصر على نظام المقاطع

(1) الشفاء: الرياضيات: جوامع علم الموسيقا، ص. 123، 124.

(2) المرجع المذكور، ص. 124.

(3) ينظر: الإبداع في العروض، اللوحة 12.

الصوتية في بناء تفعيلاته، لألبس على الناس، ولوقفوا من قوله موقف المشكك الراض غير المسلم؛ إذ كيف يجوز حذف ثاني المقطع في موضع، ولا يجوز هذا الحذف عنه في موضع آخر، فلجوء الخليل إلى نظام المقاطع العروضية أفضى إلى تقنين مقنع، يعتمد عليه المرء، ولعله من المؤسف ألا يلتفت إلى مثل هذا عالم كبير كالكتور إبراهيم أنيس رَحِمَهُ اللهُ فإذا هو يقول من غير روية: «ولقد نهج الخليل في عروضه نهجاً خاصاً، غير مؤسس على الأسس العلمية، من الناحية الصوتية، وإننا حين نحلل ما سماه بالتفاعيل، باحثين عن الأسس التي تخضع لها، نصطدم بأمور متناقضة، فيها ناحية صناعية، بعيدة عن الناحية الموسيقية، والترتيب المقطعي للكلام، فنحن نراه قد جعل من مستفعلن تفعيلتين، ومن فاعلاتن تفعيلتين، حرصاً على أسبابه، وأوتاده، وما يصيبها حسب تقسيمه من زحافات وعلل، والحقيقة أن مستفعلن سواء كتبت هكذا، أو صورت في صورة أخرى، مثل: مستفع لن، فهي هي من الناحية الصوتية، كما يحللها العلم الحديث بمقاييسه الحديثة»⁽¹⁾.

هي هي لفظاً حقاً، بيد أنهما مختلفتان في التركيب المقطعي العروضي، وبرهان الاختلاف أن كلا منهما لا تتعرض لما تتعرض له الأخرى من تغيير، فمستفعلن التي ترسم فيها العين متصلة باللام تتعرض لحذف الثاني الساكن والرابع الساكن، ولكليهما معاً، ولا تتعرض لحذف السابع الساكن، ومستفع لن التي ترسم فيها العين منفصلة عن اللام تتعرض لحذف الثاني الساكن، والسابع الساكن، ولكليهما معاً، ولا تتعرض لحذف الرابع الساكن، فالتغيير المشترك بينهما الوحيد هو حذف الثاني الساكن، وفاعلاتن التي تتصل فيها العين باللام تتعرض لحذف الثاني الساكن وحذف السابع الساكن ولكليهما معاً، أما فاع لاتن التي تنفصل فيها العين عن اللام فتتعرض لحذف السابع الساكن ليس غير، ولا تحذف نون فاعلن في المديد، والبسيط، والمتدارك، وفقاً للقواعد الخليلية، كما لا تحذف نون مستفعلن في البسيط، والرجز، والسريع، والمنسرح، ولا تحذف نون متفاعلن، ولا ألف مفاعلتن، ومفاعيلن في الطويل، والهجج، ولا ألف فاعلاتن الأولى في المضارع،

(1) موسيقا الشعر، ص. 50، 51.

ولا ألف فاعلاتن الثانية في المديد، والرمل، والخفيف، ولا ألف مفعولات في المنسرح، والسريع، والمقتضب، ولا واو فاعولن في الطويل والمتقارب، وجميع هذه الأحرف وفقاً لمذهب علماء اللغة المحدثين هي ثواني مقاطع صوتية طويلة عند بعض، ومتوسطة عند بعض، وهذا الاختلاف البين، إذا لم تكن له ضوابط تحكمه -وهي الضوابط التي فطن إليها الخليل- لم يمكن الشدّة درء الاختلال الوزني الناجم عن حدوث التغيير في غير موضعه في ما قد ينظمونه، إذا أخذ بمذهب د. أنيس الذي يجعل لكل من مستفعلن، وفاعلاتن، نوعاً واحداً لا نوعين، وجعل التفعيلات العروضية كلها مؤلفة من مقاطع صوتية قصيرة وطويلة ليس غير.

وقد سار في أثر د. إبراهيم أنيس نفر كثيرون من المحدثين والمعاصرين الذين كفوا بنظام المقاطع الصوتية، وحاولوا إحلاله محل المقاطع العروضية، ورمزوا إلى المقطع القصير بالباء التحتية غير المعجمة، وإلى المقطع الطويل بشرطة أفقية، هكذا: - متأثرين بالأوربيين، يقول عبد الصاحب المختار: «وأما العروض، عند الأوربيين، فقد جرى على اعتبار الخط الأفقي رمزاً للحرفين المتحرك والساكن، والخط المقوس رمزاً للحرف المتحرك، وهو ما اعتمده الأستاذ صفاء خلوصي في كتابه «فن التقطيع الشعري، والقافية»، باعتباره أقرب إلى تمثيل أوزان الشعر»⁽¹⁾، وقد توهموا أنهم بهذا أسهموا في تيسير العلم، وتطويره، وتصحيح مساره، بيد أن المنصف المتجرد للحقيقة المحضة لا يلبث أن يعي أنهم زادوه صعوبة؛ إذ يعسر على المتعلم، بله غير المبتدئ، سرعة إدراك أن الباء غير المنقوطة ترمز إلى حرف متحرك، والشرطة الأفقية ترمز إلى حرفين: متحرك، وساكن، ولا شك أن مقابلة الحرف المتحرك بشرطة أفقية، أو مائلة، ومقابلة الحرف الساكن بدائرة صغيرة أقرب إلى الواقع، وألصق به. وقد رأيت فيهم من يبالغ في العناية بالمقاطع الصوتية المؤلفة للتفعيلات؛ فيرسمها مقطعة الأوصال متفرقة، هكذا: مفاعلين، مسفعلين، مفاعلين، مفاعلين، مفاعلين، وهلم جرّاً، وأنت ترى أنه لا يلتزم منهجاً موحدًا، فهو يحرص على وصل المقطع القصير

(1) دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي، ص. 13.

بالمقطع الطويل، عندما يتكون منهما معًا الوند المجموع، وهذا -بلا ريب- اعتراف بالوند المجموع الذي دعا إلى التخلي عنه غير مشعور به، والوحدات الوزنية، كما هو متفق عليه، ليست المقاطع الصوتية، أو المقاطع العروضية؛ حتى يباح فصل بعضها عن بعض، وإنما هي التفعيلات المؤلفة من هذه المقاطع، وهذه التفعيلات كلمات، والكلمة في العربية يجب وصل ما يقبل الوصل من أحرفها بعضها ببعض.

والرموز العروضية الشائعة اليوم التي يقابل فيها الحرف المتحرك بشرطة، والحرف الساكن بدائرة صغيرة، هي التي ينبغي أن تشتمل عليها المصنفات العروضية، ويعلمها الطالب، وأقدم رموز عروضية، وصلت إلينا في «العقد الفريد»، لابن عبد ربه لا تعكس الواقع، ولا تلامسه، فقد جعلت الدائرة رمزًا إلى الحرف المتحرك، والشرطة المائلة رمزًا إلى الحرف الساكن، كما ظهرت على الدوائر العروضية التي رسمها⁽¹⁾، ونظمها في قوله:

فَاسْمَعْ، فَهَذِي صِفَةَ الدَّوَائِرِ وَصَفَ عَلِيٍّ بِالْعُرُوضِ خَابِرِ
دَوَائِرُ تَعْيَا عَلَى ذِهْنِ الْحَذِقِ، خَمْسٌ عَلَيْهِنَّ الْخُطُوطُ، وَالْحَلَقُ
فَمَا لَهَا مِنَ الْخُطُوطِ الْبَائِنَةِ دَلَائِلُ عَلَى الْحُرُوفِ السَّاكِتَةِ
وَالْحَلَقَاتِ الْمُتَجَوِّفَاتِ عِلَامَةٌ لِلْمُتَحَرِّكَاتِ⁽²⁾

وفعل ابن واصل⁽³⁾، والإسنوي⁽⁴⁾، والدمامي⁽⁵⁾ ما فعله ابن عبد ربه، وغير بعيد منهم جعل بعض المحدثين الدائرة رمزًا إلى الحرف المتحرك، والنقطة رمزًا إلى الحرف الساكن⁽⁶⁾، أما ابن جني فقد خالف الجميع برمزه إلى المتحرك مرة بما يشبه الرقم تسعة

(1) ينظر: 284/6 - 289.

(2) المرجع المذكور، 283/6.

(3) ينظر: الدر النضيد، ص. 102، 105، 106، 108، 110.

(4) ينظر: نهاية الراغب، ص. 179.

(5) ينظر: العيون الغامزة، ص. 49.

(6) ينظر: الشفاء، الرياضيات، جوامع علم الموسيقى، هوامش ص. 127 - 133، وغيرها.

الهندي⁽¹⁾، ومرة بما يشبه الرقم الهندي ثمانية، إذا وقع في محيط الدائرة الشمالي، والرقم سبعة، إذا وقع في محيط الدائرة الجنوبي، أو الزاوية الحادة⁽²⁾، إذا وقع في محيط الدائرة الشرقي، وهي معكوسة، إذا وقع في محيط الدائرة الغربي، ورمزه إلى الساكن بحرف الألف.

غير أن الخليل الذي أدرك مدى صعوبة الاعتماد على المتحركات والسواكن، أو المقاطع العروضية، منفردة معزولة، في تحديد أوزان البحور الشعرية - على ما أومأت إليه في صدر هذا البحث - فكر في حصر كل مجموعة من هذه المتحركات والسواكن المتوالية في وحدات وزنية أكبر، رآها تحقق ما يشترطه، وجعلها عشرًا: اثنتان خماسيتان؛ أي: إن كل واحدة منهما مؤلفة من خمسة أحرف، وثمان سباعية؛ أي: إن كل واحدة منهن مؤلفة من سبعة أحرف.

(5)

الخلافا في عدد الأفاعيل العروضية، وأثره

اختلف العروضيون الذين جاءوا بعد الخليل في عدد الوحدات الوزنية (التفعيلات)، مثلما اختلفوا في المقاطع العروضية المؤلفة لها، على ما سبق تفصيله، فوافقه بعضهم موافقة مباشرة، وذهب مذهبه، فصرح بأنها عشر، لفظًا، وتركيبًا، أو غير مباشرة، فصرح بأنها ثمان، غير أنه ما لبث أن اعترف بمستغف لن، وفا علاتن، المفروقتي الوتد في أبجرهما، وخالفه بعضهم، فأنكر بعض التفعيلات، ومن الذين وافقوه الأخفش الأوسط⁽³⁾، وأبو إسحاق الزجاج⁽⁴⁾، وأبو بكر بن السراج المشرقي⁽⁵⁾، وأحمد بن عبد ربه الأندلسي⁽⁶⁾، وأبو الحسن

(1) ينظر: كتاب العروض، ص. 81، 98، 117، 147، 158.

(2) ينظر: المرجع المذكور، ص. 82، 99، 118، 148، 159.

(3) ينظر: كتاب العروض، ص. 53، 54، 55، 56، 57، 58.

(4) ينظر: كتاب العروض، ص. 140، 144، 149، 150، 151، 153، 155، 157، 161، 162، 165، 170، 171، 172.

(5) ينظر: كتاب العروض المنسوب إليه، ص. 297، 302، 307، 312، 316، 322، 325، 328، 334، 337، 339.

344، 346، 347.

(6) ينظر: العقد الفريد، 271/6، 277، 319، 320.

العروضي⁽¹⁾، والصاحب بن عباد⁽²⁾، وأبو الفتح بن جني⁽³⁾، وعلي بن عيسى الربيعي، غير أنه لم يتعرض لفاع لاتن، ولا دليل على إهماله لها، ما دام الاعتراف بمستفح لن مصرحاً به⁽⁴⁾، والخطيب التبريزي⁽⁵⁾ وابن القطاع⁽⁶⁾، وجار الله الزمخشري، ولم يصرح بفاع لاتن، بيد أن الشواهد تدل على اعترافه بها⁽⁷⁾، وابن السراج الشنتريني، وقد جعلها إحدى عشرة: العشر التي قررها الخليل، والتفعيلة (فاعلاتك) المهملة⁽⁸⁾، والزنجاني⁽⁹⁾، وأمين الدين المحلي⁽¹⁰⁾، وابن واصل الحموي⁽¹¹⁾، وعبد الرحيم الإسنوي⁽¹²⁾، وعبيد الله العبيدي (من علماء القرن الثامن)⁽¹³⁾، والدمايني⁽¹⁴⁾، ومحمد بن علي الصبان⁽¹⁵⁾، ومحمد الدمنهوري (ت. 1288هـ)⁽¹⁶⁾.

ولعل أول من فتح باب القدح في عمل الخليل الأخفش الأوسط؛ فقد عارض بعض أرائه في وقت مبكر، غير أن الذي يعنينا هنا هو تشكيكه في مفعولات في بحر السريع، ليس غير، عندما قال: «وكان الخليل يقول: لم يجز الزحاف في فاعلان؛ لأن أصله مفعولات، فقد أسكنوا تاء مفعولات، وهي النون من فاعلان، فضعف الجزء، ولم يزاحفوا في فاعلن؛

(1) ينظر: الجامع في العروض، والقوافي، ص. 97، 103، 108، 114، 120، 127، 131، 135، 142، 147، 152، 153، 157، 160، 162، 166.

(2) ينظر: الإقناع في العروض، وتخريج القوافي، ص. 4، 62، 65، 68.

(3) ينظر: كتاب العروض، ص. 61، 62، 135، 139، 144.

(4) ينظر: كتاب العروض، 3/1، 53، 55، 56، 59.

(5) ينظر: الكافي في العروض، والقوافي، ص. 19، 109، 113، 117، 118، 123.

(6) ينظر: كتاب البارع في علم العروض، ص. 71، 167، 168، 174.

(7) ينظر: القسطاس، ص. 28، 30، 116، 120، 122.

(8) ينظر: المعيار في أوزان الأشعار، والكافي في علم القوافي، ص. 12.

(9) ينظر: معيار النظار في علوم الأشعار، ص. 6، 7.

(10) ينظر: شفاء الغليل في علم الخليل، ص. 60.

(11) ينظر: الدر النضيد في شرح القصيد، ص. 90، 91.

(12) ينظر: نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، ص. 82، 84.

(13) ينظر: الوافي في علمي العروض، والقوافي، 190/1.

(14) ينظر: العيون الغامرة على خبايا الرامزة، ص. 26، 30.

(15) ينظر: شرح محمد بن علي الصبان على منظومته في العروض، ص. 4.

(16) ينظر: الحاشية الكبرى، ص. 2.

لأن أصله مفعولات، وقد حذفوا من وتده التاء، فضعف الجزء، وهذا ادعاء؛ لأنه لم يعلم أن أصل هذا كان مفعولات، والحجة فيه أنه لم يجيء⁽¹⁾. فلما جاء إسماعيل بن حماد الجوهري، جعل التفعيلات العروضية سبعة، فأنكر مفعولات، مطلقاً، وكذلك مستفع لن، وفاع لاتن المفروقتا الودت، قال: «وأما الأجزاء التي يقطع عليها الشعر فسبعة: اثنان منها خماسيان، وهما: فعولن، وفاعلن، وخمسة سباعية، وهن: مفاعيلن، فاعلاتن، مستفعلن، مفاعلتن، متفاعلن، وأما مفعولات فليس بجزء صحيح، على مايقوله الخليل، وإنما هو منقول من مستفعلن، مفروق الودت؛ لأنه لو كان جزءاً لتركب من مفردة بحر، كما قد تركب من سائر الأجزاء»⁽²⁾؛ فقد أنكر مفعولات، وهي التفعيلة الوحيدة من تفعيلات الخليل المختومة بمتحرك، زاعماً أنها التفعيلة الرجزية: مستفعلن المجموعة الودت قد تعرضت لتغيير، سماه الفرق، بتقديم النون التي هي ساكن الودت المجموع على اللام التي هي الحرف الثاني من حرفيه المتحركين، فصارت على مستفعلن، ونقلت إلى مفعولات⁽³⁾، وظل يعالجها معالجة الخليل لها، ولم يكن إنكاره لها بسبب كونها مختومة بمتحرك، أوهي مفروقة الودت، بل لأنه استقر في خلد أن يدمج أبجر السريع، والمنسرح، والمقتضب في الرجز، والبون بينها إيقاعياً، عند التحقيق بعيد، فلم يكن بد أمامه إلا أن يدعي أن تفعيلتي العروض والضرب في السريع، وتفعيلة المنسرح الثانية في الصدر والعجز، وأولى تفعيلات صدر وعجز المقتضب، ليست مفعولات، بل هي مستفعلن المجموعة الودت، وقد تعرضت لتغيير بالفرق، وهو تصيير وتدها المجموع وتداً مفروقاً، بتقديم النون على اللام فصارت على مستفعلن (/O/O/O/)، وهي بوزن مفعولات تماماً، ولا يخلو عمله من تخطيط واضطراب لا يتسع المقام للحديث عنه مفصلاً، لكنه يبلغ ذروته حين يتحدث عن زحافات الخفيف، فيذكر بينها الطي، وهو إنكار لمستفع لن المفروقة الودت⁽⁴⁾، بيد أنه لا يلبث أن يورد

(1) كتاب العروض، تحقيق: د. أحمد عبد الدائم، ص. 155.

(2) ينظر: عروض الورقة، ص. 2، 3.

(3) ينظر: المرجع المذكور، ص. 31.

(4) ينظر: المرجع المذكور، ص. 36.

شاهدين من الشواهد العروضية الشائعة التي تكون فيها مستفعل لن مكفوفة في الأول، ومشكولة في الثاني⁽¹⁾، ويذكر الخن بين زحافات المضارع، ويورد مثلاً لبعض المحدثين، خبنت فيه فاع لاتن⁽²⁾، فأنت تراه هنا يثبت الشيء وينفيه في وقت واحد، ليس له مبدأ، ولا مستقر على حال.

وقد نحا نحواً قريباً من الجوهري علي بن مسعود الفرخان الذي يظن أنه أول مصنف عروضي قرن العروض بالموسيقا، وحاول إخضاع أوزان الشعر العربي للإيقاع الموسيقي، فأنكر مفعولات، ومستفعل لن، وفاع لاتن، المفروقي الوتد، قال في حق مفعولات: «ومفعولات هذا يقعد به عن رتبة الكمال نوعان من النقص: أحدهما: تتالي الأمثال الكثيرة في أوله، وهو أشين مما لو كان في آخره، والآخر: هو تحرك التاء في آخره يحوج فيه إلى التغيير، ومفعولات هذا لا نجده مستعملاً في شعر العرب إلا في موضع واحد هو الحشو في كل واحد من دوري المنسرح، وأطيب منه ما يجعل زحافاً له، وهو فاعلات»⁽³⁾.

وإذا كان قد أمكنه الفرار من مفعولات عروضاً وضرباً للسريع بإدماجه في الرجز⁽⁴⁾، فإنه -وقد ضاق عليه مثل هذا السبيل في بحري المنسرح، والمقتضب- لم يجد بداً من الادعاء أن إيقاع كلا البحرين يتألف من فعل، فهو من الأبحر الصافية المتفقة، فقال، متحدثاً عن المنسرح: «ينقسم عند البحث إلى فعل، وفعل، ثماني مرات، وقد علمت في باب المقتضب أن فعل في الضرب، و-أيضاً- في العروض، يتعين فيه الإعلال بالقلب، فيصير فعل، فإن حملنا الجزء الثاني والسادس من هذه الأجزاء على مثل هذا القلب، تبعاً للعروض فيه والضرب، أوجب الحق مراعاته في المنسرح هذا أن يكون عند التحقيق من المتفق، وإن كان ليس في الظاهر، ووجه التعليل لاتباع هذا القلب العلي، لا الزحافي، أن فعل يصح في

(1) ينظر: المرجع المذكور، ص. 36، 37، 38.

(2) ينظر: المرجع المذكور، ص. 41، 42.

(3) الإبداع في العروض، اللوحة، 18أ.

(4) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة، 22أ.

أول البيت مرة واحدة، والواحد هو الفرد الأول، وبعده الإعلال، ثم يصح في الحشو ثلاث مرات، والثلاثة هي الفرد الثاني، بعدها الإعلال، وتكون المسافة بين أول البيت وبين الإعلال الأول على النصف في المسافة، بين الإعلال الأول والإعلال الثاني، وإذا انتهى البيت من أوله إلى الإعلال الثاني -وهو الإعلال العروضي- فقد تم المصراع الأول، وتم بتمامه الدور الكامل، بل الأكمل، وحكم المصراع الثاني حكم المصراع الأول، وكأنه معاده، مما يدعو إلى الإعلال لما هو الدور الأصلي في هذا الباب، وهو فعل أنه قد تكرر في البيت الواحد اثنتي عشرة مرة، فلو لم يعل لأدى إلى الملال، فهذه الجهة هي جهة رواج هذا الجنس من الأوزان على الذوق⁽¹⁾.

وقال من قبل، متحدثاً عن وزن المقتضب: «وفعل يحصل من تضعيفه المقتضب، بشرط تقديم المتحرك في آخره على الساكن، إذا وقع ضرباً، و-أيضاً- عروضاً، فيحصل مثال المقتضب:

فعل فعل فعل فعل فعل فعل فعل

وهو فاعلاتن مفتعلن، مرتين، وقد أوجدناك سبيلاً إلى مثل هذا التصرف، في ما يتحرك آخره من الأفاعيل⁽²⁾.

فالتغيير بالقلب -وهو تقديم المتحرك على الساكن- عند الفرخان يكون علة في العروض والضرب، ويكون زحافاً في غيرهما، وهو الفرق عينه، عند الجوهري، وإن اختلف المصطلح.

أما إنكار الفرخان لفاع لاتن المفروقة الوجد فقد عبر عنه بقوله، متحدثاً عن زحاف بحر المضارع: «وذكر الخليل أنه لا يجوز الخين في فاعلاتن هذه، من حيث إن الألف من فاع بإزاء الألف من لات، وإن هذه لا تحذف زحافاً، كما لا

(1) المرجع المذكور، اللوحة، 38 ب.

(2) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة، 14 أ.

تحذف تيك، وأنت تذكر كلامنا في هذا بل، فنقول⁽¹⁾: هذا الألف من فاعلاتن في: مفاعيل فاعلاتن لا تحذف، لا من حيث إنها بإزاء الألف من لات، بل من حيث إن حذفها يؤدي إلى تنالي الأربع من المتحركات، هي: ل فعلا، وهذا لا يحتمل، فأما في: مفاعِلن فاعلاتن، فلا يمتنع الحذف منها، يبقى الوزن: مفاعِلن فعلاتن مفاعِلن فعلاتن⁽²⁾.

وأما فرضه لمستفع لن المفروقة الوند فيظهر في قوله، متحدًا عن زحاف الخفيف: «وطي، وهو حذف الفاء من مستفعِلن، على خلاف فيه»⁽³⁾، وقوله: «وذهب الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى تجويز الكف في مستفعِلن، ظنًا منه أن لن هنا هو سبب خفيف، بعد تفع، وهو وتد مفروق، من حيث إنه يطابق لات في مفعولات من المنسرح، أو غيره بزعمه، عند الفك، ولو كان كذلك لأدى إلى جواز الحذف الزحافي في ألف لات، من حيث إنه يطابق فاء تف في مستفعِلن، فيخرج ألف لات عن التحصن عن الزحاف، فيسقط لات عن أن تحتزل بإزائه تفع من مستفعِلن، فيخرج لن عن احتمال الزحاف، فحينئذ يعود الغرض في التعليل على موضوعه بالنقض، ومن ثم؛ أي: في الامتناع عن الطي في مستفعِلن، بناء على أن تفع وتد مفروق، ولن سبب خفيف، وعلى هذا جواز الجمع بين الخبن، والكف في مستفعِلن، حتى يصير مفتعل، فينقل إلى مفاعل، وبحسب ذلك راعى المعاقبة بين نون مستفعِلن، وفاء فاعلاتن، بعدها، وليس شيء من هذا بمسوغ، لا بالقياس العقلي، ولا من طريق الفطرة الذوقية، وما أنشد من قول القائل:

يَا عُمَيْرُ، مَا تُظْهِرُ مِنْ هَوَاكَ أَوْ تُجْنُنْ، يُسْتَكْثَرُ، حِينَ يَبْدُو⁽⁴⁾

(1) لا يجوز قوله: بل فنقول إلا على تقدير أن الجملة الواقعة بعد بل محذوفة، وإلا لزمه حذف الفاء.

(2) ينظر: الإبداع في العروض، اللوحة، 39 ب.

(3) المرجع المذكور، اللوحة، 36 أ.

(4) ورد البيت في كثير من المراجع العروضية، منها: الجامع في العروض، والقوافي، ص. 154، والإقناع في العروض، وتخريج القوافي، ص. 63، والوافي في العروض، والقوافي، ص. 144، والبارع في علم العروض، ص. 167.

ووزنه:

فاعلاتٌ مستفعلٌ فاعلاتٌ فاعلاتٌ مستفعلٌ فاعلاتن⁽¹⁾فمردود غير مقبول، إن لم يكن متكلفًا، ولا مصنوعًا⁽²⁾.

وإذا كان الفرخان قد أسقط من تفعيلات الخليل ثلاثًا، على ما أومأت إليه، فإنه أضاف عددًا، لا بأس به من التفعيلات، مستعينًا في ذلك بقرن الأسنان الخفيفة؛ أي: المقاطع الصوتية القصيرة بالأسنان الطويلة، أي: المقاطع الصوتية الطويلة، أو المتوسطة، وتغيير موضع كل منها بالتقديم، والتأخير، أو التوسيط، ورتبها بحسب الأسنان، أصنافًا: ثنائية الأسنان، مثل: فعل، بفتح الفاء، وسكون العين، وفعل، بفتح الفاء، والعين، وسكون اللام⁽³⁾، وهما أقصر أنواع التفعيلات المعتدلة، عنده، وثلاثيتها، مثل: فعلن، بفتح الفاء، وكسر العين، وضم اللام، وسكون النون⁽⁴⁾، ومفعول، بفتح الميم، وسكون الفاء، والواو، وضم العين، واللام⁽⁵⁾، ورباعيتها، مثل: مستفعلن⁽⁶⁾، وخماسيتها، نحو: متفاعلن⁽⁷⁾، مميّزا دائمًا ما يروج على الذوق مما لا يروج، وما حقه الطرح منها مما حقه الاستعمال، ومما قد يكون غريبًا على من لم يقترب من الفرخان أن جميع تفعيلات الخليل المغيرة جعلت عنده أحيانًا أصلية، ومن التفعيلات التي ولدها: مفاعلاتن⁽⁸⁾، ومفتعلاتن⁽⁹⁾، ومستفعلاتن⁽¹⁰⁾، ومستفعلتن⁽¹¹⁾،

(1) ورد البيت في كثير من المراجع العروضية، منها: الجامع في العروض، والقوافي، ص. 154، والإقناع في العروض، وتخريج القوافي، ص. 63، والوافي في العروض، والقوافي، ص. 144، والبارع في علم العروض، ص. 167.

(2) الإبداع في العروض، 36.

(3) المرجع المذكور، اللوحة، 14أ.

(4) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة، 14ب.

(5) المرجع المذكور، اللوحة، 15أ.

(6) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة السابقة.

(7) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة السابقة.

(8) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة، 19ب.

(9) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة، السابقة.

(10) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة، 20أ.

(11) ينظر: المرجع المذكور، اللوحة السابقة.

وكل ما ألمعت إليه من فكر الفرخان العروضي هو غيض من فيض، وإذا لم يُعَيَّن الزمان اليوم على طول الوقوف معه، فقد طال الوقوف، في أثناء إعداد الرسالة الدكتورية التي كان فكر الفرخان محورها.

أما حازم القرطاجني المتوفى سنة 684هـ. الذي لم يكن عن عصر الفرخان ببعيد، المتأثر -أيضاً- بالإيقاع الموسيقي في معالجة أوزان الشعر العربي، على نحو أقل منه، فقد أنكر مفعولات، وفاع لاتن المفروقة الوند -أيضاً- محتجاً على نفي الأولى بأن السبب الثقيل، والوند المفروق، لا يقعان في نهاية جزء، وإنما يقعان في صدور الأجزاء، وتضاعفها، وأكد دعواه بطلان مفعولات بادعائه، متحدثاً عن بحر السريع أن وزنه الأصلي: مستفعلن مستفعلن فاعلان⁽¹⁾، وقوله: «ودعوى العروضيين أن نظامه مأخوذ من دائرة المنسرح باطلة»⁽²⁾، وتخلص من مفعولات في المنسرح بجعل وزنه: مستفعلاتن مستفعلن فاعلن⁽³⁾، ومنها في المقتضب بجعل وزنه: فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن⁽⁴⁾، أما طرحه لفاع لاتن فقد كان أشنع؛ لأنه طرح معها بحرهما، فقال: «فأما الوزن الذي سموه المضارع فما أرى أن شيئاً من الاختلاق على العرب أحق بالكذب، والرد منه؛ لأن طباع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من إنتاجها، وما أراه أنتجه إلا شعبة بن برسام، خطرت على فكر من وضعه قياساً، فإيا ليته لم يضعه، ولم يدنس أوزان العرب بذكره معها؛ فإنه أسخف وزن سمع، فلا سبيل إلى قبوله، ولا العمل عليه، أصلاً»⁽⁵⁾.

أما مستفعلن لن المفروقة الوند فقد اعترف بها، يفهم ذلك من قوله: «والوجه الرابع مما يجب اجتنابه من الزحافات حذف السواكن التي يؤدي حذفها إلى توالي ثلاثة متحركات،

(1) ينظر: منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ص. 236.

(2) المرجع المذكور، الصفحة السابقة.

(3) ينظر: المرجع المذكور، ص. 242.

(4) ينظر: المرجع المذكور، ص. 234.

(5) المرجع المذكور، ص. 243.

عقيب توالي أربعة سواكن، كالنون من مستفعلن في الخفيف»⁽¹⁾، وقوله: «ومما بني على الأسباب الخفيفة، والأوتاد المجموعة، والمفروقة، والمضاعفة، الضرب الأول من المجث، وقد غاب عن العروضيين كونه من المجث، وجعلوه ضربًا ثالثًا من البسيط، وقدروا شطر الضرب منه:

..... مستفعلن فاعلن فاعلان

وقوانين البلاغة تقتضي أن يكون تقديره: مستفعلن فاعلاتن فاعلان»⁽²⁾.

وإذا كان حازم قد أسقط تفعيلتين من تفعيلات الخليل، فإنه أضاف تفعيلات جديدة، منها: فاعلان⁽³⁾ الواقعة عروضًا وضربًا للسريع، أصلية عنده غير مغيرة، وهذه التفعيلة تعكس أثر الإيقاع الموسيقي في عمله؛ لأنه مبني على أربعة أنواع من النقرات: الخفيفة المطلقة، مثل: ت، وثقيلة الخفيفة، مثل: تن، وخفيفة الثقيلة، مثل: تان، وهي التي استوحى منها هذه التفعيلة، والرابعة الثقيلة مطلقًا، مثل: تارن، بتتالي ثلاثة أحرف ساكنة⁽⁴⁾، بعد متحرك، ومنها: متفاعلتن⁽⁵⁾، وهي أساس وزن الخبب عنده، ومستفعلاتن⁽⁶⁾، ومستفعلتن⁽⁷⁾، وهي⁽⁸⁾ من مؤسسات وزن الدوبييت، عنده.

فإذا بلغنا الزمان الحديث والمعاصر، وجدنا نبرات المشتغلين بعلم العروض تعلو

(1) المرجع المذكور، ص. 26.

(2) المرجع المذكور، ص. 237.

(3) ينظر: المرجع المذكور، ص. 236.

(4) هكذا تسمى هذه النقرات، عند علماء الموسيقى القدامى، كعلي بن مسعود الفرخان، بيد أن بعض المحدثين اقتصر على النقرة الخفيفة، مثل: ت، والنقرة الثقيلة، مثل: تن، وسترى عدم الاتفاق في الاصطلاح في كلام عبد الصاحب المختار الآتي.

(5) ينظر: المرجع المذكور، ص. 229.

(6) ينظر: المرجع المذكور، ص. 242، 238.

(7) ينظر: المرجع المذكور، ص. 242، 241.

(8) الضمير راجع إلى التفعيلة مستفعلتن وحدها، وإنما سكت عن التفعيلة التي قبلها، وهي مستفعلاتن؛ لأن الحديث عنها ذو شجون؛ فهي من مؤسسات بحر المنسرح، وبحر آخر قائم برأسه، وزنه: مستفعلاتن، أربع مرات عند حازم القرطاجني. ينظر: المرجع المذكور، ص. 242، 238.

وتشتد، وعقائهم ترتفع؛ فقد أسقط د. إبراهيم أنيس كلاً من مستفع لن، وفاع لاتن، المفروقتي الودت، وهو ينظر إلى التفعيلات بعيون العروضيين الذين أنكروهما، فقال: «على أننا نحمد الله أن بعضاً من العروضيين قد أنكروا التفعيلتين المصنوعتين: مستفع لن، وفاع لاتن، وقصروا تفاعيل الخليل على ثمانية»⁽¹⁾، غير أنه كان صاحب مشروع، فقد رأى أن التفعيلات التي يمكن أن يتألف منها إيقاع عشرة أبحر، غير الوافر والكمال؛ لقبولهما، والمضارع والمقتضب؛ لكونهما مقدوحاً فيهما - ست هي: فعولن، وفاعلن، ومستفعلن، وفعولاتن، وفاعلاتن، ومستفعلاتن⁽²⁾، والبحور العشرة التي عناها هي: الطويل، وقد أحل فيه فعولاتن محل مفاعيلن، والمتقارب، والبسيط، والرجز، والسريع، فيكون قد أسقط منه مفعولات، وجعل فاعلن عروضاً وضرباً له تفعيلة أصلية، والمنسرح الذي أسقط منه -أيضاً- مفعولات، وجعل وزنه: مستفعلاتن مستفعلن فاعلن، والخفيف، والمجث، والرمل، والمديد⁽³⁾، فمجموع التفعيلات الخليلية التي أسقطها د. إبراهيم أنيس ثلاث، هي: مستفع لن، وفاع لاتن، المفروقتا الودت، ومفعولات، وأبقى منها: فاعلن، وفعولن، وفاعلاتن، ومستفعلن، المجموعتي الودت، ومتفاعلن، ومفاعلتن، وأحل فعولاتن محل مفاعيلن، فإن كان يعني أنها جمع فعول فقد أخطأ خطأ أشنع مما فعله الخليل، وإن كان يقصد أنها جمع فعولة فقد كان أكثر توفيقاً من الخليل؛ لأن التاء التي في آخرها لتقوية المبالغة، وهي التي سوغت هذا الجمع المنون تنويناً قياسياً تقتضيه التفعيلة، أما مفاعيلن التي وضعها الخليل فلا تنون، لكونها ممنوعة من الصرف، ولكنه صرفها لحاجته إلى حرف سابع ساكن، فتنوينها في الميزان الشعري محمول على تنوينها اضطراراً في الميزان الصرفي وزناً لاسم مجموع؛ لأن الخليل جعل تفعيلاته العروضية من بين التفعيلات الصرفية، يقول الفرخان: «وقد جرت العادة أن تتخذ الأمثلة هذه من ف ع ل، وما عسى يلحقها من

(1) موسيقا الشعر، ص. 51.

(2) ينظر: المرجع المذكور، ص. 139.

(3) ينظر المرجع المذكور، ص. 139، 140.

الزوائد، كما في صناعة التصريف، وعلى حد ما تتألف الأصول من هذه الحروف، والزوائد في مفردات الألفاظ، لتكون أروج على الطباع⁽¹⁾، ويرى د. محمد عمر بن حسين أن جميع التفعيلات مبنية، أو محكية⁽²⁾، ويقوي مذهبه إلى البناء صيرورة التنوين في كآين الحرف الأخير من الكلمة، وهو مبني على السكون.

وإذا عدنا إلى د. أنيس وجدنا أنه قد أضاف تفعيلة واحدة جديدة هي: مستفعلاتن. أما د. عبد الله الطيب المجدوب فقد جعل السريع من الرجز، وجعل وزن مشطوره: مستفععلن مستفععلن مستفعيل⁽³⁾

ومستفعيل هذه صخرة صماء ثقيلة ألقاها د. عبد الله، وذهب، ولم يتحدث عنها بشيء، وإذا فتح باب الاحتمالات من أجل معالجتها، نيابة عنه، أمكن القول: إما أن يكون أصلها مستفععلن، وقد حذا حذو الجوهري، من حيث يدري، أو لا يدري، فارتكب الفرق، بتقديم النون على اللام، فآلت إلى مستفععلن، ثم تعرضت لعله الوقف، ولم ينقلها إلى مفعولات، كما فعل الجوهري، بل اكتفى بقلب النون ياء مدية؛ لأن البيت لا ينتهي بحرفين صحيحين ساكنين، على الراجح، فإذا اجتمع الساكنان في آخر الضرب، إذا كان غير مصرع، أو في آخر كل من العروض والضرب، إذا كان مصرعاً، وجب أن يكون الأول مدّاً، أو ليناً، وإما أن يكون الأصل مستفععلن -أيضاً- واجتمع فيها الزحاف بالزيادة، وهو مذهب بعض العروضيين، وعلة النقص، وهي القطع.

وجعل السريع التام مستمدّاً من الرجز، وأنكر أن يكون أصل تفعيلتي العروض والضرب فيه مفعولات، وقال: إن وزنه العمدة هو:

مستفععلن مستفععلن فاعلن مستفععلن مستفععلن فاعلن⁽⁴⁾

(1) الإبداع في العروض، اللوحة، 11ب.

(2) ذكر هذا الرأي في جلسة علمية، في بيتي، يوم الثلاثاء، 2020/9/1م. الساعة الحادية عشرة ليلاً.

(3) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب 117/1.

(4) ينظر: المرجع المذكور، 180/1.

وذهب إلى أنه ربما عدل به في البدايات عن الرجز؛ ليناسب الحداء بالإبل المحملة⁽¹⁾، ولم يزد على ما قاله ما يكشف الغموض، ويزيل اللبس، ويصلح جواباً للسؤال: أصلية فاعلن فيه عروضاً وضرباً، أم مغيرة عن مستفعلن؟، ولم يسقط مفعولات من المنسرح، الذي جعل وزنه:

مستفعلن فاعلون مفتعلن مستفعلن فاعلون مفتعلن⁽²⁾

عند تعرض مفعولون للطبي، وقد أحسن، عندما استبدل بها مفعولون؛ لأن هذه التفعيلة محرّكة الآخر، ممتنعة التنوين، أما مفعولات فإنها ممكنة التنوين، ولكن الخليل اضطر إلى عدم تنوينها؛ لأن تنوينها يترتب عليه صيرورتها ثمانية، والملاحظ أن المجموع جمع مؤنث سالمًا لا يمنع تنوينه عدم الصرف، ولا البناء؛ لأن التنوين فيه للمقابلة، وإحلال (مفعولون) محل مفعولات تغيير شكلي محض، ولا يظهر أن د. المجدوب أضاف غير مستفعلاتن من التفعيلات الجديدة التي جعلها من مؤسسات بحر الخفيف الإيقاعية؛ فقد جعل وزنه:

فاعلاتن مستفعلاتن فعولن فاعلاتن مستفعلاتن فعولن⁽³⁾

وإذا كان أثر الإيقاع الموسيقي في عمل د. عبد الله الطيب لا يكاد يذكر، فإن عبد الصاحب المختار قد جعل النقرات الثقيلة الخفاف⁽⁴⁾ الأربع: تن تن تن تن أساساً لتوليد التفعيلات العروضية، مستفيداً من مسألة تحريك الساكن في الإيقاع الموسيقي، قال: «الأصل الرباعي للألحان المتمثل في أربعة أصوات ذات حركة فسكون تتمثل في أربع نقرات خفيفات: دن دن دن دن»⁽⁵⁾، والتفعيلات الأصلية المولدة من هذه النقرات

(1) ينظر: المرجع المذكور، 182/1.

(2) ينظر: المرجع المذكور، 215/1.

(3) ينظر: المرجع المذكور، 216/1.

(4) استعملت هنا المصطلح القديم، ولاحظ كيف جعل عبد الصاحب النقرات الأربع خفيفة، ولم أر هذا عند غيره.

(5) دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي، ص. 15.

سبع، بحسب قوله، هي: مفاعيلن، وفاعلاتن، ومستفععلن، ومفعولات، وفعلون، وفاعلن، ومفعول⁽¹⁾، والتفعيلة الأخيرة ليست من تفعيلات الخليل، وقد سبقه إليها الفرخان، على ما مر بيانه، أما كل من متفاعلن، ومفاعلتن فليستا بأصليتين؛ لأن «متفاعلن (دن دن ددن)، ومفاعلتن (ددن د ن دن) لا تختلف عن هذه الألحان الرئيسة إلا بالحركة الوقتية المتمثلة بعلامة الفتحة على نقرة خفيفة، كما سنرى، فهي-إذن- موازين فرعية، وليست الحركة الطارئة عليها من الحركات الأصلية»⁽²⁾، ويظهر هنا استعارته تجويز تحريك ساكن النقرة، وهو مما يسمى في علم الإيقاع الموسيقي بالتضعيف⁽³⁾؛ أي: التصرف في الدورة الإيقاعية بالزيادة، وقد عبر الفرخان عن هذه الوسيلة بوضوح، وهو يتحدث عن أنحاء التصرف في العروض المشابهة لأنحاء التصرف في الإيقاع، فقال، متحدثاً عن ضرب الصورة الرابعة من صور بحر الكامل: «ومثال النحو الرابع: تحريك عين فعلن، إذا وقعت ضرباً للنوع الرابع من أنواع الكامل، وعروضه فعلن، بتحريك العين -أيضاً- بعد أن وقعت، وهي ساكنة العين ضرباً للثالث»⁽⁴⁾، والحق أن التفعيلات التي ولدها عبد الصاحب ثمان؛ فقد اعترف بفاع لاتن المفروقة الوند، عندما قال، متحدثاً عن المضارع: «وعلى هذا يصح وزن المضارع على: مفاعيلن فاع لاتن فعولن، مع مفروق الوند في وسط الشعر:

ددن دن دن دن د دن د دن ددن دن فعو مفعولات مستفعلاتن»⁽⁵⁾.

بيد أنه أنكر مستفع لن المفروقة، يفهم ذلك من قوله: «ومن الزحاف في الخفيف يتضح أن القول بأن مستفععلن تتحول إلى مستفعل بالكف، أو إلى مفاعل، لا محل له في

(1) ينظر: المرجع المذكور، ص. 44.

(2) المرجع المذكور، الصفحة السابقة.

(3) ينظر: الشفاء، الرياضيات، جوامع علم الموسيقى، ص. 94، وتعليق المحقق، ص. 100، الهامش، والإبداع في العروض، اللوحة، 7ب.

(4) الإبداع في العروض، اللوحة، 8ب.

(5) دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي، ص. 161.

الخفيف، أو المجتث⁽¹⁾، وقد جعل وزن الخفيف: فاعلن مفعولات مستفعلاتن، وفيه نظر من ثلاث نواح: الأولى أن مفعولات بمقاييس الخليل مشتملة على وتد مفروق، وحينئذ يكون عدم الاعتراف بمستفعل لن المفروقة الودد صورياً، بسبب تغير التجزئة التي ترتب عليها تغير مواضع الزحاف، والثانية: أن مستفعلاتن هنا ينبغي أن تكون أصلية غير مغيرة، ولم يذكرها بين التفعيلات التي ولدها، والثالثة: تألف الوزن من ثلاث تفعيلات غير متجانسة، وقد تحامى الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ الناحيتين الثانية، والثالثة، على ما سيعرف في موضعه.

ولم يبلغ أحد من المشتغلين بالعروض الذين تقدم ذكرهم، وغيرهم، بحسب مبلغ علمي الحد الذي بلغته دة.⁽²⁾ هنية الكاديكي في تقليل تفعيلات الخليل، فقد أنكرت نصفها، وهي: مفعولات، وفاع لاتن، ومستفعل لن المفروقتا الودد، ومتفاعلن، ومفاعلتن، فقالت: «وعلى كل، فالتفاعيل عندي التي يقطع عليها الشعر العربي خمس، فقط: اثنتان صغيران⁽³⁾، هما: فعولن، وفاعلن، وثلاث كبرى⁽⁴⁾، هي: مفاعي لن، وفاع لاتن، ومس تف ع لن⁽⁵⁾».

وعللت إسقاطها متفاعلن، ومفاعيلن من التفعيلات الأصلية بالقول: «عددت تفعيلة متفاعلن ... هي تفعيلة الرجز، مستفعلن ... انحل مقطعها الطويل الأول إلى مقطعين قصيرين، كما عددت تفعيلة مفاعلتن ... هي تفعيلة مفاعيلن ... انحل المقطع الطويل الأول، بعد الودد إلى مقطعين قصيرين، فلم أذكرهما ضمن التفاعيل الأصلية، والخليل نفسه أرجع

(1) المرجع المذكور، ص. 157.

(2) أقترح الرمز: دة. اختصاراً للكلمة دكتور، ود. اختصاراً للكلمة دكتور، تمييزاً للمؤنث من المذكر، فقد يقع اللبس، عند اشتراك النوعين في الاسم، من نحو قولك، مفهرسا: فن التقطيع الشعري، والقافية، د. صفاء خلوصي، فليس هناك قرينة تعين من لا يعرفه على جنسه.

(3) صغيران، غير مراد منها التفضيل، عند الدكتور، هنا، وإلا لزم القول: أصغر.

(4) كبرى، غير مراد منها التفضيل، عند الدكتور، هنا، وإلا لزم القول: أكبر.

(5) ينظر: مجلة اللسان المبين، ع. 7، س. 2012 م. ص. 235، 236.

ميزان الكامل إلى الرجز، والوافر إلى الهزج ... كما ورد عند عبد الصاحب المختار، في كتابه «دائرة الوحدة»، ص. 44، في الهامش⁽¹⁾.

وهي في رد مفعولات، ومستفع لن، وفاع لاتن المفروقتي التود كانت مجارية للعروضيين الذين سبقوها، أما جعلها متفاععلن ومفاعلتن تفعيلتين غير أصليتين، فرعي مستفععلن ومفاعيلن، فقد استندت فيه إلى علم الأصوات الذي يجعل المقطع الطويل مساوياً لمقطعين قصيرين، والسبب الخفيف مساوياً للسبب الثقيل، زمنياً، والعكس، ومن الصوتيين الذين عبروا بجلاء عن هذه المسألة د. محمد صالح الضالع، أستاذ علوم الصوتيات، في كلية الآداب، بجامعة الإسكندرية⁽²⁾، وهي في ما ذهبت إليه -أيضاً- تابعة تبعية غير مباشرة لعبد الصاحب المختار الذي اتكأ على علم الإيقاع الموسيقي في الوصول إلى هذه النتيجة.

ويمكن القول، ردّاً على الجميع: أ ما مفعولات فهي من التفعيلات الخليلية التي لا سبيل إلى إنكارها، ولكن يعاتب الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ عِتَابًا رقيقاً على أنه جعل السريع التي تمثل عروضه، وضربه، بحسب الأصل أساس دائرة المشتبه، مع أن مفعولات فيه لا تظهر صريحة أبداً، فإن ظهرت فيه ظهرت مغيرة، وكان الأولى به أن يجعل المنسرح الذي كثيراً ما تظهر فيه على أصلها غير مغيرة أساس هذه الدائرة، بعدما انقطع السبيل أمامه إلى جعل المضارع أساسها؛ بسبب وروده ناقصاً في الاستعمال، ومفعولات هذه، وغيرها من تفعيلات الخليل، دعائم قوية بنى عليها نظامه العروضي المتناسق، المتناغم، البديع، وأي مساس بها يترتب عليه تخريب جزء من هذا النظام، وانهيأه، فما الذي حققه الذين رفضوها، وحاولوا التخلص منها؟ رفضها الجوهري، فلم يزد على أن فسر الماء بالماء، وكان عمله شكلياً محضاً؛ فقد ترك مفعولات التي تركها له الخليل، وتلمسها من طريق الفرق المزعوم، فإذا مستفععلن

(1) ينظر: مجلة اللسان المبين، ع. 7، س. 2012، ص. 236، الهامش، وبحوثها: متفاععلن ومفاعلتن، تفعيلتان ليستا أصليتين. مجلة مجمع اللغة العربية، ليبيا، ع. 17، س. 1442 هـ. = 2020 م. ص. 255-280.

(2) ينظر: وحدة المورا في الفونولوجيا العروضية، ص. 10-12، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية.

في آخر الأمر تعود مفعولات، وأنكرها الفرخان، وتحايل عليها، فكانت العاقبة أن أفسد نظام الخليل، من حيث لا يدري، عندما أدمج السريع ومنهوك المنسرح في الرجز، فترتب على هذا الإدماج اجتماع علتي النقص والزيادة في العروض والضرب مفعولان، وهما لا تجتمعان أبدًا في عروض الخليل، ووقوع علة الحذف في العروض والضرب في غير موضعها، وتحايل عليها في المقتضب، بجعله من الأبحر الصافية المؤلف إيقاعها من فعل، بفتح الفاء، وسكون العين، فلم يتخلص بما فعل لا من الوجد المفقود، ولا من انتهاء التفعيلة بمتحرك، وتحايل عليها في المنسرح -أيضًا- فأوقع نفسه في مشكلة مجيء مفعولات فيه على أصلها، قياسًا مطردًا، التي لا يفلح في علاجها التقديم والتأخير، ولم يكن أمامه من سبيل إلا ادعاء الزحاف بالزيادة، وهذا الادعاء يعود به إلى توالي الأمثال الذي حاول الفرار منه، وهو تخريب آخر لنظام الزحافات، ورفضها حازم القرطاجني، وجعل وزن المقتضب: فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن، وكانت المحصلة الوقوع في ما وقع فيه الفرخان، وجعل وزن المنسرح: مستفعلاتن مستفعلتن فاعلن، وقد زاد تعقيدًا بتألف إيقاعه من ثلاث تفعيلات غير متجانسة، وكل ما حدث بعد اختفاء مفعولات هو تغير موضع الزحاف؛ بسبب اختلاف التجزئة، أما المقاطع الخليلية فهي هي، وكان رفض د. عبد الله الطيب لها في مشطور السريع، وإحلال مستفعل محلها لا مسوغ له، إذا كان قد استبدل بها (مفعولون) في حشو المنسرح الموازنة لها إيقاعيًا، بيد أن مفعولات في نظام الخليل تحقق التناغم والانسجام، فهي موازنة للأجزاء العروضية المقابلة لها، عندما يأتي الناظم بها سالمة، غير مغيرة، وهي تلبي رغبة الخليل -على ما سيشار إليه قريبًا- في كون ما تركب من الأوزان لا يتألف إيقاعه من أكثر من تفعيلتين غير متجانستين، قصدًا للتيسير، ثم إنها في النظام الدائري تعزز فرضية فك وزن من آخر، وتقوي وجود مستفع لن، وفاع لاتن، المفروقتي الوجد، من حيث إن المقطع العروضي لات يقابل المقطعين العروضيين تفع في الخفيف، والمجتث، وفاع في المضارع، وهذه المقابلة، مع عدم سماع الطي في مستفع لن، والخبث في فاع لاتن، تجعل وجود هاتين التفعيلتين أمرًا محتومًا، لا جدال فيه.

أما ما ذهب إليه عبد الصاحب المختار، ودة. هنية الكاديكي في أمر متفاعلين، ومفاعلتين فهو من الناحية الصوتية والإيقاعية الموسيقية صحيح، لا عيب فيه؛ فقد عهد في الإيقاع الموسيقي تحريك الساكن - على ما بينت - أو صيرورة نقرة ثقيلة نقرتين خفيفتين، وهو ما يعني في علم الأصوات مصار مقطع طويل مقطعين قصيرين، وقوانين علم اللغة تسمح بهذا التحول الذي لا يخل بالوزن، بسبب تعادل متفاعلين، ومستفاعلين، إيقاعياً، وكذلك مفاعلتين، ومفاعيلين؛ لأن الحرف المتحرك في العلمين يكاد يكون مساوياً للساكن في الزمان، إن لم يكن مساوياً له حقاً، يقول الفارابي: «وكل حرف ساكن، تبع السبب الخفيف، فإنه يقوم مقام نقرة لينة، تتبع نقرة تامة، ساكنة»⁽¹⁾، والمقصود بالنقرة اللينة النقرة الخفيفة التي تقابل في الإيقاع القولي حرفاً متحركاً، والمقصود بالنقرة التامة الساكنة النقرة الثقيلة الخفيفة التي تقابل في الإيقاع القولي السبب الخفيف، ويقول الأستاذ غطاس خشبة، محقق «كتاب الموسيقى الكبير»: «وهذا من قبل أن زمان النطق بالحرف المتحرك الذي وقف عليه في الوجد المفروق مساوٍ لزمان الحرف الساكن الذي وقف عليه في الوجد المقرون، بإيقاع الوجد المقرون بالسكون هو بعينه إيقاع الوجد المفروق، وإنما يختلفان في النطق، بتسكين الحرف الأخير، أو بتحريكه، دون أن يجعل ممتداً»⁽²⁾، ويقول - أيضاً -: «هو من قبل أن الحرف الساكن، لما وقف عليه في نهاية سبب خفيف، كان مجموعهما أشبه بإيقاع وتد مقرون، وحينئذ يقوم الحرف الساكن مقام نقرة لينة، أو خفيفة، تعقب نقرة تامة، وكل من النقرتين مكمل⁽³⁾ للأخرى في جزء واحد، فلا يزيد زمان النقرة اللينة التي يوقف بها عن نصف، أو ثلث، أو ربع زمان النقرة التامة التي بدئ بها»⁽⁴⁾، بيد أن الذي ينبغي التنبه له أن علمي الإيقاع الموسيقي والعروض متشابهان، وليسا متطابقين، ومنهجهما في التععيد ليس واحداً، وأن الأول أسبق من الثاني بزمن طويل،

(1) الموسيقى الكبير، ص. 1080.

(2) المرجع المذكور، هامش ص. 1081، وينظر: وحدة المورا في الفونولوجيا العروضية، ص. 10.

(3) هكذا في الأصل، مراعاة للفظ كل.

(4) الموسيقى الكبير، هامش ص. 1080.

وهذه الحقيقة التي يحاول بعضهم غض الطرف عنها قد فطن إليها بعض علماء العربية القدامى، كالأخفش الأوسط القائل: «من زعم أنه يأخذه بالترنم والغناء، فإن الترنم يكسر الشعر؛ وذلك لأنه لا يقدر على المد إلا في حروف المد، وليس في كل موضع يمد فيه من البيت فيه حرف مد، فإذا لم يجد حرف مد زاد حروف مد من عنده، ولا بد من ذلك، فالزيادة في الحروف كسر»⁽¹⁾. والعجيب أن يتمسك كثير من أهل النظم ووزنه بامتحان المنظوم بالتحين؛ لمعرفة استقامة وزنه من كسره. وأدرك الفرق بين الإيقاعين العروضي والموسيقي ابن سناء الملك، حينما استعصى عليه وضع عروض لبعض الموشحات، فقال: «والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير، والعدد الذي لا ينحصر، والشارد الذي لا ينضبط، وكنت أردت أن أقيم لها عروضًا، يكون دفترًا لحسابها، وميزانًا لأوتادها، وأسبابها، فعز ذلك، وأعوز؛ لخروجها عن الحصر، وانفلاتها من الكف، وما لها عروض إلا التحين، ولا ضرب إلا الضرب، ولا أوتار إلا الملاوي، ولا أسباب إلا الأوتار، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور، والسالم من المزحوف، وأكثرها مبني على تأليف الأرغن، والغناء بها على غير الأرغن مستعار، وعلى سواه مجاز»⁽²⁾.

ويكفي في هذا السياق اعتراف د. شكري عياد الذي اقترح مشروع دراسة علمية؛ لإعادة النظر في علم العروض، على أساس علم الأصوات والإيقاع الموسيقي باختلاف الإيقاعين، فقال: «وأساس هذا التمييز في الموسيقى هو النبر، وقد لاحظنا في الفصل السابق أن الشعر -أيضا- لا يخلو من النبر، وإن جاز أن يعتمد في إيقاعه على التناسب الزمني بين المقاطع التي تكون مجموعة واحدة أكثر من اعتماده على النبر، وهذا فارق يثبت لنا أن الأخوين: الشعر، والموسيقا، قد اختط كل منهما طريقًا مختلفًا بعض الاختلاف، وإن

(1) كتاب العروض، تحقيق: د. أحمد عبد الدائم، ص. 132.

(2) دار الطراز في عمل الموشحات، ص. 35.

جمعهما الأصل الواحد⁽¹⁾، ويمضي د. عياد، مبيناً الفرق بين الإيقاعين، فيقول: «إن الموسيقى تتمتع داخل المجموعة ذات النظام الذي ينتج من تكرارها الوزن (وتسمى، عند الموسيقيين الحقل، أو القدر Measure) بمزيد من الانضباط والمرونة في نفس الوقت، إذا قورنت بنظيرتها في الشعر، وهي التفعيلة، أو القدم؛ ولذلك فإن الغناء يكشف ما في الشعر من الزحاف الذي لا يخرج عن كونه نوعاً من التسامح في كم المقاطع، كالذي روي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقد سمع إبراهيم بن المهدي يتغنى بالشطر:

دَهَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْ دَهَبَتْ مِنِّي

لا يجوز في الغناء إلا أن تقول: ذهبته، بالواو، فإن قلت: ذهبت، ولم تمدها، انقطع اللحن والشعر، وإن مددتها قبح الكلام، وصار على كلام النبط⁽²⁾، ويضيف د. عياد فرقاً ثالثاً يميز الإيقاع الموسيقي من الإيقاع العروضي، فيقول: «ومن ناحية أخرى نجد أن الموسيقى أنغاماً بغير كلمات تستطيع أن توزع الزمن بين الأنغام المفردة كما تريد، فتجعل للنغمة الواحدة أي كم زمني تشاء، من الزمن الكامل (وهو وحدة لقياس زمن النغمة في الموسيقى، لا تحدد تحديداً مطلقاً، بالثنائي، أو كسورها، بل تحديداً تناسبياً بالعلاقة بين الزمن الكلي، وكسوره) إلى أي كسر من كسوره، وقد يكون هذا الكسر جزءاً من اثنين وثلاثين جزءاً من الزمن الكامل، وربما شغلت الموسيقى القدر الواحد بعدد من النغمات، يقل أو أكثر، وربما شغلته بنغمة واحدة، تعادل في مقدارها الزمني مجموع تلك النغمات، وواضح أن العروض -ووحدة الزمنية هي المقاطع اللغوية- لا يمكن أن يتصرف في طول المقاطع (حتى، ولو⁽³⁾) كان العروض غير كمي، حسب الاصطلاح) إلا تصرفاً يسيراً، لا يمكن أن يقارن بتصرف الموسيقى في طول النغمات، وهذه فروق يجب أن نظل على ذكر منها، حين

(1) موسيقا الشعر العربي، ص. 57.

(2) المرجع المذكور، ص. 58.

(3) يمتنع اقتران حتى بالواو بعدها، والصواب هنا حذف حتى.

نسترشد بالموازين الموسيقية، في دراسة الموازين الشعرية⁽¹⁾.

ولا يتسع السياق لأكثر مما تمثل به؛ لبيان الفرق بين الإيقاعين.

إن الخليل عالم موسيقا، قبل أن يكون عالم عروض، وإنه صنف في ركنيها الأساسيين كتابين: أحدهما في النغم، والآخر في الإيقاع، بيد أنهما -لسوء الحظ- لم يصلا إلينا، وإن الخليل -وقد وجد نفسه في عصر تقعيد العلوم، ومنها علم النحو الذي يعد من ألمع مؤسسيه- أراد أن يضع للشعر العربي قوانين، تعصم من يتقنها من الزلل في الوزن، على غرار قوانين النحو التي تمنع من يجيدها من اللحن، فأخذ يستقري أشعار العرب، ويشافه الشعراء، والرواة، وبعد أن اطمأن إلى ما تجمع لديه، شرع في الفحص عنه، والتصنيف، والتبويب والتفصيل، والتقسيم، حتى استقامت له قوانينه العروضية التي بين أيدينا الآن، وقد لاحظ الخليل، وهو يضع تفعيلاته، بناء على ما بين يديه من شعر أن متفاعلاً يمكن أن تحور مستفعلاً، ولكن مستفعلاً لا تصير متفاعلاً، فلا مكان لمتفاعلاً في بحر البسيط، ولا بحر المنسرح، بجميع صورته، ولا بحر السريع الذي عروضه وضربه على فاعلن، أو عروضه على فاعلن، وضربه على فاعلان، أو فعلن، بسكون العين، ولا في صورتيه المشطورتين، ولا توجد قصيدة لفحل، راسخ القدم في قرض الشعر، منظومة على ما ذكرت من الأبحر، وفيها متفاعلاً؛ لأن ورود متفاعلاً فيها يعد اختلاً وزنياً، واضطراباً إيقاعياً، ولا تجتمع متفاعلاً وفعلتن، أو فعولن، في بيت، ولو كان تاماً ولا تكون في بيت مشطور، أو منهوك، فلا وجود لمتفاعلاً في ما نظم على الرجز في العصر الجاهلي، أو في العصر الإسلامي، فالأراجيز الواردة في دواوين العجاج، وابنه رؤبة، وأبي النجم العجلي، وغيرهم تخلو تماماً من متفاعلاً، ولا توجد في جميع ما نظمته العرب من أراجيز أبيات مجزوءة، جاء الضرب فيها على مستفعلاً، أو مستفعلاتن؛ لأن هذين الضربين لا يوجدان إلا حيث توجد متفاعلاً، أو تكون ممكنة الوجود؛ ولذلك تنسب القصيدة التي ضربها مستفعلاتن،

(1) المرجع المذكور، ص. 58، 59.

أو مستفعلان، طالت، أم قصرت إلى الكامل، وإن لم ترد فيها متفاععلن البتة، وكذلك الشأن في مفاعيلن في بحر الطويل، فهي لا تصير مفاعلتن أبدًا، ومن يتتبع أشعار الفحول المنظومة على بحر الطويل، مذ زمن المهلهل، وامرئ القيس إلى اليوم لا يمكنه أن يظفر بتفعيلة واحدة من تفعيلات الطويل جاءت على مفاعلتن؛ لأنه حينئذ يعد اختلالاً وزنيًا، فلا تجتمع متفاععلن، ومستفعلن، إلا في بحر الكامل، فتكون متفاععلن أصلاً، ومستفعلن فرعاً فيه، ولا تجتمع مفاعلتن، ومفاعيلن، إلا في بحر الوافر، فتكون مفاعلتن أصلاً، ومفاعيلن فرعاً فيه، كل ذلك بحسب استقرار الخليل للشعر العربي، الذي عليه قرر إثبات كل من: مستفعلن، ومتفاععلن، ومفاعيلن، ومفاعلتن بين تفعيلاته العشر، تفعيلات أصلية. وقد أكد هذه الحقيقة بعض علماء الموسيقى المحدثين، كالكتور، أحمد رجائي في ما نقل على شبكة المعلومات الدولية من كتابه «أوزان الألفان» بقوله: «وزحاف الفاصلة يكون في الشعر بتسكين المتحرك الثاني منها، وبذلك تتحول (لم لا) إلى (لم لا)، أي: إن زحاف الفاصلة يحولها إلى سببين خفيفين، أما في الموسيقى فقد سبقت الإشارة إلى أن الفاصلة يمكن اعتبارها سببين: أحدهما ثقيل، والآخر خفيف، كما أشرنا إلى أن من المسموحات الارتجالية إجراء التبادل بينهما، نظرًا لتساويهما في المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما، غير أن زحاف الفاصلة في الشعر هو التحول من الثقيل إلى الخفيف، ويجب أن نعرف أن العكس؛ أي: إحلال السبب الثقيل محل السبب الخفيف، غير مسموح به في الشعر»⁽¹⁾. والذي يعنينا من النص السابق ما ختم به د. رجائي كلامه، أي: منع مزار مستفعلن متفاععلن، ومفاعيلن مفاعلتن في الإيقاع الشعري، وهو سائق في الإيقاع الموسيقي.

فقد نهج الخليل في وضع قوانين العروض -إذن- نهجه في استنباط قوانين علم النحو الذي كان من ألمع مؤسسيه، معتمداً على السماع، والقياس، والتعليل، «والسماع عنده أنما يعني نبعين كبيرين: نبع النقل عن القراء للذكر...، ونبع الأخذ عن أفواه العرب الخالص الذين يوثق بفصاحتهم، ومن أجل ذلك رحل إلى مواطنهم في الجزيرة، يحدّثهم، ويشافهمهم،

(1) alarood.htm - أوزان الألفان.

ويأخذ عنهم الشعر، واللغة، ويروى أن الكسائي سأله، وقد بهره كثرة ما يحفظ: من أين أخذت علمك هذا؟، فأجابه: من بوادي الحجاز، نجد، وتهامة⁽¹⁾، قال الأخفش الأوسط: «أما وضع العروض فإنهم جمعوا كل ما وصل إليهم من أبنية العرب، فعرفوا عدد حروفها، ساكنها، ومتحركها، وهذا البناء المؤلف من الكلام هو الذي تسميه العرب شعراً، فما وافق هذا البناء الذي سمته العرب شعراً في عدد حروفه، وساكنه، ومتحركه، فهو شعر، وما خالفه - وإن أشبهه في بعض الأشياء - فليس اسمه شعراً؛ لأن الأسماء لا تقاس، وإنما تسمي ما سمي بالاسم الذي وضعوا عليه»⁽²⁾، وقال: «فإن قيل: هل أحطمت بالأبنية كلها؟ ألسنت لا تدري لعل أبنية كثيرة لم تسمع بها؟ قلت: بلى، غير أنني لا أبين إلا ما سمعت، كما أنه لو قلت: مررت بأبوك غيرته، وإن كنت لا أدري لعل هذه لغة للعرب، وكذلك يعتبر ذلك البناء الذي لم نسمع به»⁽³⁾.

ويظهر القياس العروضي في أجلى صوره في قول الأخفش الأوسط: «وإنما أجزنا حذف نون فاعلاتن، ولم ينجى في الرمل؛ لأنها قد وجدناها حذف فيها النون في المديد، والخفيف، فقسناها عليها، وكذلك نون فاعلاتن في المجتث، فإن لم تقس الجزء بالجزء، لزمك ألا تراحف في الجزء إلا في الموضع الذي وجدته مزاحفاً»⁽⁴⁾، وقوله، وهو يعالج مسألة من أعقد مسائله: «فإن قال: كيف جمعت الأجزاء المزاحف فيها في البيت، وأنتم لم تجدوا ذلك مجتمعاً وكيف زاحفتم في كل جزء وجدتم فيه الزحاف في موضع أو موضعين، وعسى أن يكون ذلك في أول البيت، أو آخره، أو وسطه، خاصة، فأجزتموه أنتم في كل موضع منه؟»⁽⁵⁾، ويمضي الأخفش، مجيباً عن هذا السؤال المهم الكثيرين - وأنا منهم - قائلاً: «قلت: فلأن من الأجزاء ما قد رأينا العرب زاحفت فيه في غير موضع، وأكثروا من الزحاف فيه،

(1) المدارس النحوية، ص. 46، 47.

(2) كتاب العروض، تحقيق: د. أحمد عبد الدائم، ص. 126.

(3) المرجع المذكور، ص. 127.

(4) المرجع المذكور، ص. 152، 153.

(5) المرجع المذكور، ص. 128.

فحمله على الأكثر من كلامهم، ولا نحمله على الشاذ، ألا ترى أنا إذا وجدنا ياء، أو واوًا، في أكثر من ثلاثة أحرف، أو ألفًا، لا ندري ما أصلها، حملناها أبدًا على الزيادة، وإذا جاءت الهمزة في أول الاسم على أربعة أحرف، نحو: أفكل، جعلناها زائدة، فمن لم يقل ذلك لم يقل ذا⁽¹⁾. وذيل حديثه عن هذه المسألة المهمة بسرد شواهد، بعضها منسوب، وبعضها غير منسوب، وردت جميع التفعيلات مزاحفة في ثمانية منها: أولها للبيد، وهو منظوم على المنسرح، وثانيها لعبد الله بن الزبيري، وهو منظوم على الهزج المجزوء، وثالثها للعجاج، وهو منظوم على الرجز المشطور، ورابعها غير منسوب، وهو منظوم على الكامل التام، وخامسها لامرئ القيس الكندي، وهو منظوم على بحر الطويل، وسادسها لعنترة العبسي، وهو منظوم على بحر الكامل، وسابعها غير منسوب، وهو منظوم على مجزوء الرمل، وثمانها غير منسوب، وهو منظوم على مجزوء الرجز، وتاسعها غير منسوب، وهو منظوم على بحر الطويل، مزاحف الصدر فقط⁽²⁾.

وخلص من كل ما ساقه إلى ما يؤكد أن منهج تقعيد العروض مطابق لمنهج تقعيد مسائل العربية، ومنها النحو، وهو الاعتماد على السماع، والقياس، فقال: «وهذا -مع جمعنا إياها، وإنما وجدناها متفرقة- مثل تأليفنا مسائل العربية، ولم نسمع ذلك التأليف من العرب، وإنما سمعناها متفرقة، فيكون جمعنا إياها جائزًا»⁽³⁾.

والحق أن الشواهد المزاحفة جميع التفعيلات موجودة في الشعر العربي، ولكنها قليلة؛ ولذلك اتهم بعضهم الخليل بصنع شواهد بعض الزحافات، ومنها المركبة، ولعل خير ما يقال في هذه المعضلة أن الخليل قاس على القليل النادر، واضطر بسبب هذه القلة إلى أن يتمثل بأمثلة من نظمه.

وكأني بالخليل، بعد أن ضرب في الجزيرة العربية قد عاد إلى خصه بالبصرة، وشرع

(1) المرجع المذكور، الصفحة السابقة.

(2) ينظر: المرجع المذكور، ص. 129 - 131.

(3) المرجع المذكور، ص. 13.

يصنف ما جمعه في ذهنه، وبين يديه، ويقسمه إلى خمسة عشر قسمًا، بل لنقل: إلى ثلاثة عشر قسمًا، ظنًا بادي الرأي أن الكامل والرجز بحر واحد، وأن الوافر والهنزج كذلك، ثم أخذ يقطع أشعار هذه الأقسام المختلفة، ويغوص فيها، محدّدًا صورها، وما شذ عن القياس منها، وتفعيلاتها، وما تألفت منه من أسباب، وأوتاد، والتغيرات الطارئة عليها، فأدرك، استنادًا إلى المسموع، أن كلا من الكامل، والرجز، والوافر، والهنزج، بحر مستقل، وأن تيسير الأوزان يقتضي التماثل في الوحدات الوزنية، فإن كان غير ممكن ينبغي ألا يكون تنوع التفعيلات في البحر كبيرًا، فجعل الوزن مؤلفًا إما من تفعيلة واحدة متكررة، وإما من تفعتيلتين ليس غير، ثم أراد حصر أوزان شعر العرب، على نحو ما حاول في «معجم العين» حصر ألفاظها، فعمد إلى الأبحر المبدوءة بأوتاد - ما خلا أساس دائرة المشتبه -، وجعلها في دوائر؛ لتكون الأساس المنفك منه غيره؛ فاستقام له ذلك، فإذا كل بحر منفك ينتهي على محيط دائرته، عند مبدأ المنفك منه، من غير وجود فراغ، أو فاصل بينهما، ووجد أن الوزن المنفك قد يكون مستعملًا، وقد يكون مهملاً، فنص على ذلك، وصورة البحر الدائرية قد تكون مستعملة، وربما تكون في الاستعمال مغيرة، بزحاف، أو علة، أو جزء، أو شطر، أو نهك، وإذا كانت صورة الكامل المثالية الدائرية مستعملة، وكذلك صورة بحر الطويل، عند التصريح، على سبيل التمثيل، إلى جانب صورهما المغيرة في الاستعمال، فلماذا لا نقبل صور بعض الأبحر الأخرى المثالية الدائرية، كالمديد، والهنزج، والوافر، ونحوها، هذا هو النظام العروضي البديع المتناسق، والصرح الشامخ الذي شاده الخليل، وكل من رد شيئًا فيه، وسفهه، كان كمثل الذي يهدم ركنًا من أركانه.

والعجيب في هذا السياق أن الذين أدمجوا بعض الأبحر في بعض من القدامى، كالجوهري الذي لا علم له بالإيقاع الموسيقي، على ما يبدو، والعروضيين المتضلعين منه الذين حاولوا جاهدين إخضاع ميزان الشعر العربي له، كعلي بن مسعود الفرخان الذي أدمج على أساسه السريع، ومنهوك المنسرح، ومجزوء البسيط في الرجز، والمديد في الرمل، لم يحاولوا إدماج الرجز في الكامل، والهنزج في الوافر، والعكس كان متاحًا للمتضلعين من الإيقاع

الموسيقي الذي يسمح لهم بتحريك الساكن، ومع ذلك جعلوا كلاً من الكامل، والرجز، والوافر، والهزج بحرًا مستقلاً برأسه⁽¹⁾.

أما بعض المحدثين والمعاصرين فقد دعا نفر منهم إلى مثل هذا الإدماج، من طريق جعل الرجز من زحافات الكامل، والهزج من زحافات الوافر، وهؤلاء هم العروضيون الخالص، ومنهم د. أحمد محمد عبد الدائم عبد الله الذي قال، بعد أن أدمج الهزج في الوافر، وساق أدلته، وأمثلته الشعرية: «ولا أدري، بعد هذا العرض ما المانع من اعتبار الهزج مجزوء الوافر؟ اللهم إلا الخوف من الخروج على دوائر العروض الخليلية»⁽²⁾، وقال، متحدثاً عن إدماجه الرجز في الكامل: «ولا أدري لماذا اختص الخليل -رَحِمَهُ اللهُ والعروضيون من بعده- الرجز بالمشطور، والمنهوك، دون الكامل، إلا إذا كانت دوائر الخليل هي السبب في ذلك، وأستطيع أن أجزم أن الشاعر القديم لا يفرق، بل لا يدري الفرق بين الكامل المضمّر، والرجز، إلا من حيث محاولته ضبط النغم، والإيقاع في قصيدته؛ حيث إنه لم يكن هناك فارق بين البحرين إلا تسكين الثاني المتحرك، فقط، وعندي أن الرجز والكامل بحر واحد، ذو أضرب متعددة، أو قل: ما الرجز إلا ضرب من أضرب الكامل، وإذا كانت صور المشطور والمنهوك وردت كلها مضمرة، فإنه، نظرياً، لا مانع عندي من مجيء صور ليست مضمرة، أحياناً على متفاعلين، في كل من المشطور، والمنهوك»⁽³⁾، وقد مثل من نظمه لصورتي الكامل المشطورة، والمنهوك⁽⁴⁾، غير أن مثل هذا عده بعض العروضيين من الشاذ، قال الدماميني: «والكامل لا يستعمل مشطوراً إلا شذوذاً، كما في قوله:

- (1) ينظر: عروض الورقة، ص. 17، 20، 25، 28، والإبداع في العروض، اللوحتان، 20، 31 ب.
- (2) قضايا، وبحوث في النحو، والصرف، والعروض، ص. 249، ومنتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة الدولية، وأشار الباحث في ختام بحثه إلى أنه منشور في كتابه «فن العروض، قضايا، وبحوث»، ص 84، وما بعدها، ط. 3.
- (3) المرجعان المذكوران، ص. 261 في الأول، وقد أشار الباحث في ختام بحثه إلى أنه منشور في كتابه «فن العروض، قضايا، وبحوث»، ص. 118، وما بعدها، ط. 2.
- (4) ينظر: المرجعان المذكوران، ص. 261، 262 في الأول.

إِبْنُ الْيَزِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَتَى الْعَشِيرَةِ»⁽¹⁾

وساق بيتين مشطورين آخرين، بعده، وقال: «وهذا كله شاذ، لا يعرفه الخليل»⁽²⁾.

والذي يقال للدكتور عبد الدائم ما قيل لغيره، ويزاد عليه هنا أن من حق كل من أراد التجديد في بحر من البحور أن يأتي بأمثلة من نظمه لما ذهب إليه، وأن يقيس على الشاذ، ولكن هذا لا يعني أنه يمكنه أن يبيح للقدامى أن يفعلوا ما فعله، على الرغم من أنهم لم يفعلوا؛ لأن الخليل، كما بينت، اعتمد على السماع في تقعيد العروض، مثلما اعتمد عليه في تقنين النحو، و من المحدثين من جعل الكامل من مزاحفات الرجز، والوافر من مزاحفات الهزج، أي: إنهم أدمجوا الكامل في الرجز، والوافر في الهزج، والعكس، وهؤلاء هم أهل العروض، والإيقاع الموسيقي، ومنهم عبد الصاحب المختار.

أما دعوى أن الرجز أصل الأوزان، ولا يستبعد أن يكون الكامل تطويراً للرجز، فهي دعوى جعلها د. عبد الله الطيب من قبيل الأساطير، عندما قال: «من الأساطير الشائعة المقبولة بين الأدباء أن الرجز هو أقدم أوزان العرب»⁽³⁾، ودحضها بعض علماء اللغة، كاللكتور، إبراهيم أنيس الذي يقول: «أما قول بعض مؤرخي الأدب: إن الرجز أقدم الأوزان فليس هناك ما يؤيد هذا القول، بل إن النظر في مقاطع هذا الوزن، ومقارنتها بمقاطع الكامل، تجعلنا نرجح أن بحرًا، كالكمال قد سبق الرجز في الوجود، وليس ببعيد أن بحر الرجز تطوير للبحر الكامل؛ ذلك أن المقاطع العربية، بوجه عام قد تطورت من النوع المتحرك إلى النوع الساكن؛ ولذلك يقل حتى في الكلام»⁽⁴⁾ العادي توالي المقاطع المتحركة التي هي أقصر أنواع المقاطع العربية»⁽⁵⁾، ويقول في هذا السياق، متحدثاً عن بحر الهزج: «ويظهر أن الهزج تطور لمجزوء الوافر، جاءت به عصور الغناء، أيام العباسيين، ولم يكن معروفًا، أيام

(1) العيون الغامزة، ص. 176، والبيت مجهول القائل، ولم أره في غير النص المقتبس الوارد فيه.

(2) المرجع المذكور، الصفحة السابقة.

(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب، 282/1.

(4) مثل هذا التعبير غير مأثور عن فصحاء العرب؛ لامتناع حذف المعطوف عليه، إذا كان عاطف حتى.

(5) موسيقا الشعر، ص. 129.

الجاهليين، فقد تطور الوافر أولاً باقتطاع التفعيلة الأخيرة منه، وبذلك تكون المجزوء، ثم نظم هذا المجزوء، بحيث يوافق الغناء العباسي، فجاءنا الهزج⁽¹⁾.

وإذا كانت دة. هنية الكاديكي قد جعلت متفاعلين تفعيلة غير أصلية، فإن د. أحمد عبدالدائم قد جعلها أم التفعيلات، قال: «أنا أسأل: ما الفارق بين مستفعلين المضمرة من متفاعلين التي يتركب منها الكامل، أحياناً، ومستفعلين التي يتركب منها الرجز؟ في الحقيقة لا فرق بينهما إلا في ذهن الخليل يرحمه الله وفي باطن دائرته، ومن ثم رأيت أن كل التفاعيل، بدون استثناء -وليس مستفعلين، فقط- تعود في أصل استخدامها إلى متفاعلين، وأقصد من هذا أن متفاعلين هي التفعيلة الأم لكل التفاعيل الأخرى⁽²⁾. وقد استأنس في ما ذهب إليه بالذين سبقوه، كالسكاكي الذي جعل الوافر أصل البحور، والدكتور إبراهيم أنيس الذي جعل فاعلاتن أصل التفعيلات⁽³⁾، وكان عليه بدل أن يزيد الطين بلة أن يختصر عمله بشرح مقترح السكاكي، وأن يعالج مفاعلتين، على النحو الذي عالج به متفاعلين التي اقترحها، على أنه لا خير في مثل هذه المقترحات المفترضة الخيالية التي لا وجود لها إلا في أذهان الذين ادعوا، أما التفعيلات الخليلية فهي حقيقة ماثلة للعيان، تنطق بها أشعار العرب التي استقراها الخليل رَحْمَةُ اللَّهِ واستنبطها منها، وقد بينت في ما مر أن متفاعلين ومستفعلين لا يجتمعان في غير الكامل، ومستفعلين حينئذ في غيره تفعيلة أصلية بلا جدال.

وخلاصة مذهب الدكتور عبد الدائم أن بحر الكامل أصل البحور، عنه تفرعت، ومنه أخذت، وهو، بعد أن يبين طريقته في توليد التفعيلات من متفاعلين، مثل لكيفية تحولات الكامل، وصيرورتها بحوراً أخرى، ويفهم من الأمثلة التي ضربها أن توليده التفعيلات من متفاعلين لم يكن في سياقها الانعزالي، بل كان في السياق البحري، ومن أجل ذلك جعل الكامل أحياناً ثمانية؛ ليتمكن من توليد تفعيلات الأبحر الثمانية، وهي: الطويل، والبسيط،

(1) المرجع المذكور، ص. 109.

(2) قضايا، وبحوث في النحو، والصرف، والعروض، ص. 204.

(3) ينظر: المرجع المذكور، ص. 201 203.

والمتقارب، والمتدارك؛ فافترض أن أصل بحر البسيط -على سبيل التمثيل- متفاععلن، ثماني مرات، تعرضت فيه متفاععلن الأولى والثالثة في كل من الصدر والعجز للإضمار؛ فصارت مستفععلن، وتعرضت الثانية، والرابعة في كل من الصدر والعجز لحذف السبب الثقيل من أولها؛ فصار فاععلن، ويفترض أن أصل بحر المتقارب مفاعلتن، ثماني مرات، وأن تفعيلاته تعرضت للقطف؛ فصارت فعولن، وأن بحر المتدارك قلبت فيه فعولن إلى فاععلن.⁽¹⁾

كل هذه الفروض التي ذكرها د. عبد الدائم لا دليل عليها، وهي تخيل محض، وبعيد، إذا ما قوبلت بعمل الخليل المنطلق من الواقع المحسوس، مهتدياً بنظرية التوافق والتباديل الرياضية، كما اهتدى بها في وضع معجم العين، وبارقة الأمل الوحيدة في فروض د. عبد الدائم التي تدعم مذهبه، ويستمد منها الدليل عليه -لوتحقق- ورود متفاععلن في البحر البسيط، وهي لم ترد فيه قط، إلا في محاولات الشدة المعاصرين النظامية الأولى المختلة، وشتان ما بين الغايتين: غاية د. عبد الدائم، والخليل، فغاية د. عبد الدائم جعل متفاععلن أصل جميع التفعيلات، وبحر الكامل أصل البحور، وهي غاية لا غناء فيها -ولو أقيم عليها الدليل، مع ما يصاحب الوصول إليها من تعقيد، واضطراب- سوى إدماج بعض الأبحر في بعض، وغاية الخليل من نظامه الدائري استغلال كل طاقات الإيقاع المتخذ أصلاً، بتقليب مقاطعه العروضية، تقديمًا، وتوسيطًا، وتأخيرًا، فتنفك منه الإيقاعات الأخرى، مثلما كانت غايته في «معجم العين» من هذا التقليب توليد ألفاظ جديدة، فجعل الأبحر المبدوءة بأوتاد أساسًا لدوائره، ما خلا دائرة المشتبه، لما سبق ذكره، فتولدت منها أبحر، منها المهمل، ومنها المستعمل في شعر العرب، فالمهم عنده إحصاء الإيقاعات، وحصرها، لا مراعاة مدى تقاربها وتباعدها إيقاعياً، فعمله، كما تقتضيه نظرية التوافق والتباديل، مبني على التعاكس والتضاد، فبعض التفعيلات في الدوائر مقلوبات بعضها، وبعض الأبحر فيها مقلوبات بعضها، فمتفاععلن في دائرة المؤتلف مقلوبة مفاعلتن، وبحر الوافر مقلوب بحر الكامل، ولا بد من هذه الدائرة؛ لأن كلا من متفاععلن، ومفاعلتن تفعيلة أصلية فرضها السماع، ولا

(1) ينظر: المرجع المذكور، ص. 206.

يمكن إيجادها في دائرة المجتلب المشتمة على الهزج، والرجز، والرمل.

وإذا عدنا إلى الحديث عن طريقة توليد البحور على مذهب د. عبد الدائم اصطدمنا ببعض الاختلاف بين ما جاء في خطواته، وبين ما ذكره، حين مثل لتوليد البسيط والمتقارب، ففي أثناء سرد الخطوات بين أن الحصول على فاعلن من متفاعلن يكون بقلب فعولن المتولدة عن قطف مفاعلن⁽¹⁾، وعندما بين كيفية مصار الكامل بسيطًا جعل الحصول على فاعلن بحذف السبب الثقيل، ووضح أنه لم يلتزم بما قرره قبل الشروع في توليد التفعيلات من أنه سيخالف د. إبراهيم أنيس في التوليد بالجوء إلى الزحافات والعلل، وحذف السبب الثقيل ليس منها، بل اريب، وكان قد بدأ بحثه بمثال لأصل مصراع بحر البسيط، مفعلا على هذا النحو:

متفاعلن متفعل متفاعلن متفا

ووصف فيه التفعيلتين الأولى والثالثة بأنهما مضمرتان، والتفعيلة الثانية بأنها مقطوعة⁽²⁾، وهي ليست مقطوعة، فحسب، بل مخزولة، أيضًا، ووصف التفعيلة الأخيرة في المصراع بأنها حذاء، وهذه التفعيلات الأربع تصير: مستفعلن فاعلن مستفعلن فعولن، وهو وزن بحر البسيط المستعمل، ويظهر التخط في مثالي البسيط الذي بدأ به بحثه، والذي ختمه به، إضافة إلى أنه جعل أصل المتقارب مفاعلن، ثماني مرات، قطف، ولا أدري أكان يعني ما قال، كما فعل غيره، أم قصد الاختصار، فلم يتدرج من متفاعلن إلى مفاعلن هذه التي قطف، ومثل ما ذكر من القفز في المتقارب يقال في تمثيله للمتدارك، ومهما يكن من أمر، فإن المفهوم من مذهب د. عبد الدائم تعرض البحور الشعرية قبل الاستعمال وبعده لتغيرات عليية وزحافية، فأصل فعول -على سبيل التمثيل- في المتقارب مفاعلن، ثم قطف قبل الاستعمال، وحذفت نونها عند الاستعمال، فإذا تنوسي القطف، كانت مقبوضة، وإذا لم يتناس، وراعينا الأصل، لم يكن هذا قبضًا، بل هو عقل، وأصل فعولن في البسيط

(1) ينظر: المرجع المذكور، ص. 205.

(2) ينظر: المرجع المذكور، ص. 201.

متفاعِلن - كما في المثال المختوم به البحث - حذف منها السبب الثقيل قبل الاستعمال، والألف عند الاستعمال، فهي مخبونة، إذا تنوسي الأصل، وإن لم يتناس فهي مطوية، فهذا المقترح الذي يظن أن به يتخلص من نظام الدوائر، من أجل ضم بعض الأبحر المتجانسة إلى بعض⁽¹⁾، ليس إلا زيادة في التعقيد، وذلك أظهر ما يكون، إذا تعقبت التفعيلات في البحور الأخرى، على النحو الذي ذكرته في فعول في بحر المتقارب، وفعلن في البسيط. ولعل الذي ينسف مقترح د. عبد الدائم من أساسه بناء بعض تفعيلات الحشو على ما لا يجوز فيها من التغييرات العلية.

والذي لا مرأ فيه أن العرب لم تكن تعرف التفعيلات، حين نظمت شعرها، وإنما كانت تراعي توالي المتحركات والسواكن في كل بحر، وفق نظام مخصوص، يترتب عليه اختلاف الأوزان، والخليل هو الذي استخرج هذه التفعيلات من أشعار العرب بعد تقطيعها، وتفعيلها، فلم يضعها وضعاً، ويفرضها على الأوزان.

(6)

منهج الخليل في وضع التفعيلات انعزالياً، وبحرياً

لم يكن استنباط الخليل للوحدات الوزنية، أو التفعيلات عشوائياً، غير مدروس، بل إنه راعى فيها الاعتدال بالأ تكون قصيرة جداً، ولاطويلة؛ لأن كلاً من القصر والطول المفرطين عيب، كما أنه حرص على أن تكون كل منها على مثال لفظ مستعمل في لغة العرب، ومبالغة في التيسير والتمكين من حفظ أوزان البحور حرص على أن تكون التفعيلات المؤلفة لوزن البحر العروضي متماثلة، فإن لم يمكنه جعلها متماثلة حرص على تقليل عدم التماثل - على ما بينت -، فزاده يجعل جميع إيقاعات الأبحر المركبة مؤلفة من تفعيلتين، ليس غير، تتكرران مرتين في الصدر، ومرتين في العجز تكراراً تناوبياً، كما

(1) ينظر: المرجع المذكور، الصفحة السابقة.

هو الحال في الطويل، والمديد بحسب الأصل، والبسيط، أو تتكرر إحداها مع الاتصال في أول المصراع، كما في السريع، أو مع الاتصال في آخر المصراع، كما في المجث، والمقتضب، بحسب الأصل، أو مع الانفصال، كما في الخفيف، والمنسرح، والمضارع بحسب الأصل.

فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

وإذا اعتمد التفعيلة الثلاثية، فعل، بفتح الفاء، والعين، وتسكين اللام، أمكنه تجزئته على هذا النحو:

فَعَلَ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعِلُنْ فَعَلَ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعِلُنْ

فَعُولُنْ فَعَلْ فَعْلُنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ

وفي كل أربع تفعيلات غير متجانسة.

أو على هذا النحو:

فَعْلُ فَاعِلَاتْنِ فَاعِلَاتْنِ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ فَاعِلَاتْنِ فَاعِلَاتْنِ مَفَاعِيلُنْ

وفيه ثلاث تفعيلات غير متجانسة.

وإذا اعتمدت التفعيلة الثلاثية، فعل، بفتح الفاء، وسكون العين، وضم اللام،

أمكن تجزئته هكذا:

فَعْلُ فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلَاتْنِ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

أو هكذا:

فَعْلُ فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

ويمكن تجزئته على غير ما ذكر، والغاية التمثيل، وليس الحصر.

وانظر كيف كان بوسعه أن يعالج بحر المديد، فقد كان يمكنه أن يجعله مقلوب

البسيط، ويكون وزنه، بحسب الأصل:

فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

وكان يمكنه أن يجعل وزنه الأصلي، إذا اعتمد التفعيلات الثلاثية، والرباعية، على

هذا النحو:

فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

وكان يمكنه أن يجعل وزنه الأصلي على:

فَاعِلَاتْنِ فَاعِلَاتْنِ فَعْلُونْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنِ فَاعِلَاتْنِ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ

أو يجعل وزنه على:

فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ

وغيرها من التجزئات المفترضة الممكنة.

فإذا اعتمدت تجزئة المديد الأولى أمكن أن يكون في صورته الأولى استعمل تأمًا غير مجزوء، ويكون كل من العروض والضرب قد تعرض لحذف خمسة أحرف هي تفعلن (o//o/)، ولم يبق منهما إلا مس (o/)، فينقل إلى فع، أو فل (o/)، ويكون وزن الصورة المديدية الأولى:

فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُ

وفي ذلك منتهى الإجحاف.

وغير الصورة الأولى من صور المديد تكون مجزوءة، فالصورة التي تكون محذوفة العروض، مقصورة الضرب، في تجزئة الخليل، تكون، وفق المقترح الأول، صحيحة العروض، مذيلة الضرب، بزيادة حرف ساكن في آخر فاعلن، فيصير فاعلان.

أما الصورة المحذوفة العروض والضرب في تجزئة الخليل فيكون فيها العروض والضرب صحيحين سالمين، ويصير الضرب في الصورة التي يكون فيها أبتري في تجزئة الخليل مقطوعاً، بحسب المقترح الأول هنا، أما الصور المحذوفة العروض والضرب المخبونتها، فتختفي منها علة الحذف.

ويمكن أن يكون استعمل مجزوءاً في جميع صورته، وفي هذه الحالة يكون كل من عروضه وضربه في الصورة الأولى قد تعرض لعله من علل الزيادة، تعرف بالترفيل، فيصير كل منهما فاعلن تن (o//o/o/)، وينقل إلى فاعلاتن.

فإذا تأملت المقترح الثاني وجدت أن لا مشكلة في جزئه، فهو يكون على النحو الآتي:

فَعُلْ فَعُلُنْ فَعُلْ فَعُلُنْ فَعُولُنْ فَعُلْ فَعُلُنْ فَعُولُنْ فَعُلْ فَعُلُنْ فَعُولُنْ

ولكن الخطب أطم في بعض مسائله الأخرى، فقد تنوعت التفعيلات فيها، غير متجانسة، وهي أربع: فعل، وفعلن، وفعلون، وفاعلن، فمن العسير حفظ وزن هذا البحر، على هذا النحو من التركيب، وتقتضي التفعيلة الثلاثية فعل في سبيل تحديد ما تتألف منه الخروج على نظام الخليل المعتمد القائم على الأسباب والأوتاد؛ لأنها على هذا النحو مؤلفة

من سبب خفيف، وحرف متحرك، لا يندرج تحت أي من تقسيماته، ولا يمكن جعلها مؤلفة من وتد مفروق؛ لأن ثانيها هنا يحذف، وتعرض التفعيلة الرباعية فعلن، بسكون العين لحذف الرابع الساكن، المسمى عند الخليل بالطي، وهو يقابل الكف في الصورة المعتمدة، ومصار خبن فاعلاتن الواقعة عروضاً وضرباً في الصورة المعتمدة حذف للرباع الساكن من فعلن، بسكون العين، وانتقال علل الحذف، والقصر، والبت، من فاعلاتن في الصورة المعتمدة إلى فعولن في الصورة المتخيلة.

وإذا تأملت المقترح الثالث وجدت أن مجزؤه:

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعُولُنْ

وأن التجزئة جيدة؛ لتألف إيقاعه من تفعيلتين: هما: فاعلاتن، وفعلون، تتكرر إحداهما، وهي فاعلاتن مرتين في الصدر، ومرتين في العجز، مع الاتصال في أول كل من المصراعين، وكان بوسع الخليل أن يقبل هذه التجزئة، لولا تنوع التفعيلات فيها، بحسب الأصل، ففاعلن عروضاً وضرباً للصورة الأصلية غير المستعملة هي التي منعت من قبول هذه التجزئة، والعدول عنها إلى التجزئة المعتمدة، ويلاحظ أن خبن فاعلن قد انتقل إلى فاعلاتن الثانية، وفق التجزئة الجديدة، وخبن فاعلاتن التي كانت عروضاً وضرباً صار كفاً لفاعلاتن الثانية في التجزئة الجديدة، وانتقلت علل الحذف والبت والقصر إلى فعولن، وهذه التجزئة لا عيب فيها لو جعلها الخليل بديلة لتجزئته المعروفة.

أما المقترح الرابع فإن تجزئته تكون على:

فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

وعليه تنوع التفعيلات، فهي ثلاث: فاعلن، وفعلن، وفعلون، والتفعيلة الوسطى هي التفعيلة الغربية، أما التغيرات فقد تركت مواضعها، فقد صار كف فاعلاتن الأولى في الصورة المعتمدة خبناً في التفعيلة الثانية الغربية، بناء على المقترح الجديد، وعاد خبن فاعلن في الصورة المعتمدة حذفاً للرباع الساكن من فعلن في الصورة الجديدة المقترحة، وحار

خبين فاعلاتن الواقعة عروضا وضربا في الصورة المعتمدة قبضا في فعولن التي قبل العروض والضرب في الصورة المفترضة، أما العلل كلها فقد انتقلت إلى فعولن.

ويمكنه -لولا لم يكن همه التيسير والتخفيف- معالجة بحر البسيط، على نحو يكون وزنه فيه:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

أو:

فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

أو:

فَعْلُنْ فَعْلُ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَاعِلُنْ

أوغيرها.

لكن عيب الوزن المقترح الأول تنوع التفعيلات، فهي: مستفعلن، وفاعلاتن، وفاعلن، ويلاحظ على هذه الصورة انتقال الخبن من فاعلن إلى فاعلاتن، وخبين مستفعلن الثانية صار كفاً لفاعلاتن قبلها، أما تفعيلتا العروض والضرب فلم يطرأ عليهما أي تغيير؛ لعدم تغييرهما.

أما عيب الصورة المقترحة الثانية فهو تنوع التفعيلات، وهي: فعْلن الرباعية، وفعولن، وفاعلن، وبقاء فعْلن على حرفين، عند تعرضها لزحاف مركب، بحذف العين والنون، وحذف الرابع في الصورة المعتمدة مصطلح على تسميته بالطي، وحذف نون فعولن الأولى في كل من الصدر والعجز في هذه الصورة قبض، وهو خبن لفاعْلن الثانية في المصراعين في الصورة المعتمدة، وحذف نون فعولن الثانية في المصراعين -أيضا- قبض في الصورة المفترضة، وهو خبن لمستفعْلن في الصورة المعتمدة، وحذف ألف فاعْلن في الصورة الجديدة خبن، وهو طي لمستفعْلن في الصورة المعتمدة، وتغييرات كل من العروض والضرب ثابتة.

وعيب الصورة المفترضة الثالثة تنوع التفعيلات، فهي: فعْلن الرباعية، وفعل الثلاثية

المؤلفة من وتد مجموع غير المستعملتين بين التفعيلات الخليلية المعتمدة، وفاعلن، وتعرض في هذه الصورة فعلن للخبيل، وتعرض فاعلن هنا للخبين، كما تتعرض له في الصورة المعتمدة، وهما في نفس الموضع، وتعرض كل من العروض والضرب للتغيرات التي يتعرضان لها في الصورة المعتمدة.

وكان يمكن الخليل -لو لم يحرص على مبدأ الاعتدال والتماثل- أن يجعل وزن بحر الوافر من قبيل المركب، على هذا النحو:

فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ

فالتفعيلات كثيرة وقصيرة يصعب استدعاؤها، على أن التنوع الذي يزيد على تفعيلتين مفقود هنا، فالوزن يتألف من تفعيلتين: هما فعل وفعلن، تتكرران على النحو الذي رأيت، والتفعيلة فعلن، بتحريك الفاء والعين واللام مؤلفة من سببين: ثقيل، وخفيف، وهي موضع التغير في هذه الصورة المقترحة، فتعرض في الحشولتسكين الثاني المتحرك، وهو فيها إضمار، وفي مفاعلتين، في الصورة المعتمدة عصب، وتعرض لحذف الثاني المتحرك، وهو هنا وقص، وفي الصورة المعتمدة عقل، وتعرض لزحاف مركب يكون بإسكان الثاني، وحذف الرابع، وهو زحاف مركب، يسمى الخزل، أما في الصورة المعتمدة فيسمى النقص، وتعرض تفعيلتا العروض والضرب لعله الحذف، وزحاف الإضمار، جاريًا مجرى العلة، وهذان التغيران يقابلان القطف في الصورة المعتمدة.

وكان بوسعه أن يجعل وزن بحر الكامل -لو لم يكن حريصا على ما ذكر- هكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ

وهو عكس الوافر، قدمت فيه التفعيلة الرباعية على الثلاثية، وإذا نظر إلى تغيراته في الصورة المفترضة، لوحظ تعرض فعلن هنا للإضمار، والوقص، والزحاف المركب المعروف بالخزل، غير أنه يكون هنا بتسكين العين، وحذف النون، لكن ما يحدث في بعض الأحيان في العروض والضرب غير مألوف، وهو حذف تفعيلتي العروض والضرب عند التعرض

لعلة الحذف، فيصير البحر، وفقاً لهذه الصورة المقترحة مجزوءاً، وعندما تتعرضان للحذف مع الإضمار تحذف التفعيلتان، ويجب إضمار التفعيلتين السابقتين للتفعيلتين الأخيرتين، في كل من الصدر والعجز، وإذا استعمل مجزوءاً وجب حذف التفعيلتين الأخيرتين من كلا المصراعين، وإذا تعرض لعلة القطع، حذفت اللام من فعل، وسكنت العين، والحديث عن هذا البحر طويل؛ لتألفه من تسع صور.

وتفصيل القول في سائر البحور على النحو السابق يطول، فرأيت الاختصار فيها على ذكر أوزان كل منها المفترضة المحتملة التي يمكن الخليل أن يلجأ إليها، لو لم تكن غايته مما فعل الاختصار، تيسيراً، وتركت التفصيل، معولاً على حصافة الصفوة المتوجه إليهم بهذا البحث.

ويمكن الخليل - لو لم يكن حريصاً على ما تكررت الإشارة إليه - أن يجعل وزن بحر الهزج الأصلي هكذا:

فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِلُنْ
أو هكذا:

مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ
أو هكذا:

فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ
أو هكذا:

فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِلُنْ
أو هكذا:

مَفَاعِلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ
أو هكذا:

فَعُولُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

وأن يجعل وزن بحر الرجز التام هكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ

أوهكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ

أوهكذا:

فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتْنِ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتْنِ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

أوهكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ

وأن يجعل وزن بحر الرمل التام هكذا:

فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ

أوهكذا:

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ
أو هكذا:

فَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ
أو هكذا:

فَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ
وأن يجعل وزن بحر السريع التام الأصلي هكذا:

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ
أو هكذا:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ مَفْعُولَاتُ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ مَفْعُولَاتُ
أو هكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ
أو هكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولُ
أو هكذا:

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولُ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولُ
أو هكذا:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولَاتُ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولَاتُ
أو هكذا:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ
أو هكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولَاتُ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتْنِ مَفْعُولُ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتْنِ مَفْعُولُ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ

أوهكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ

وأمكنه أن يجعل وزن المنسرح التام، على هذا النحو:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُنْ فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلَاتْنِ فَعْلُ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلَاتْنِ فَعْلُ

أوهكذا:

فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

وكان بوسعه أن يجعل وزن الخفيف التام على هذا النحو:

فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ
أو هذا:

فَاعِلَاتُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
أو هذا:

فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعُولُنْ
أو هذا:

فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
وكان يمكنه أن يجعل وزن المضارع الأصلي على هذا النحو:

فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ
أو هذا:

فَعُولُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ فَعْلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ
أو هذا:

مَفَاعِيلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ
أو هذا:

فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ
أو هذا:

فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ
ويمكنه جعل وزن بحر المقتضب الأصلي على هذا النحو:

فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ
أو هذا:

فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعُولُنْ فَاعِلُنْ

أو هذا:

فَعْلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ

أو هذا:

فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُنْ

أو هذا:

فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُنْ

أو هذا:

فَعْلُنْ فَعْلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

أو هذا:

فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

ويمكنه جعل وزن بحر المجتث الأصلي هكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ

أو هكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ لُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُونْ مُسْتَفْعِلُنْ لُنْ فَاعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُونْ

أو هكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُونْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُونْ فَعْلُنْ فَعْلُونْ مَفَاعِيلُنْ فَعْلُونْ

أو هكذا:

فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

أو هكذا:

مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ

ويمكنه جعل وزن المتقارب التام على هذا النحو:

فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ
أو هذا:

فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ
أو هذا:

فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ
أو هذا:

فَعَلْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
أو هذا:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلَاتْنْ
أو هذا:

فَعَلْ فَعَلْ فَعُلْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَعَلْ فَعُلْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
أو هذا:

فَعَلْ فَعَلْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعَلْ فَعَلْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ
ويمكنه جعل وزن المتدارك التام هكذا:

فَاعِلَاتْنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ
أو هكذا:

فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعُولُنْ فَعَلْ
أو هكذا:

فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعَلْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتْنْ فَعَلْ
أو هكذا:

فَعَلْ فَعُلْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَلْ فَعُلْنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

أوهكذا:

فَعْلٌ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلٌ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَاعِلُنْ فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلُنْ فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلُنْ

أوهكذا:

فَاعِلَاتُنْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ فَعْلُونْ

أوهكذا:

فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعْلٌ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَعْلٌ فَاعِلُنْ

أوهكذا:

فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلٌ فَعْلٌ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلٌ فَعْلُنْ

أوهكذا:

فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلٌ فَعْلٌ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلٌ فَعْلُنْ فَعْلٌ فَعْلٌ مُسْتَفْعِلُنْ

بيد أن متأمل الأوزان المفترضة غير الخليلية السابقة على سبيل الإجمال لا بد أن يقتنع بأن عيوبها يمكن إيجازها في:

1 - كثرة التفعيلات في كل مصراع، حتى إن الأبحر السداسية التفعيلات المتماثلتها في الصورة المعتمدة، صارت اثنا عشرية⁽¹⁾ مركبة ممزوجة، كالكمال، والوافر.

2 - تنوع التفعيلات فيها جميعاً، وقد تألف بعضها من أكثر من تفعيلتين من التفعيلات غير المتماثلة، ولا يوجد بينها وزن غير مركب، وهذا ما سعى الخليل إلى اجتنابه،

(1) صار اللفظ عندي مركباً تركيباً مزجياً معرباً من مكان واحد، فهو خبر صار، منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، ومثله في الإعراب من مكان واحد الملحق بجمع المذكر السالم المنسوب فقط، أو المنسوب، والمجموع، كالسبعينيات في قولك: البضائع في السبعينيات أرخص منها اليوم، فلفظ السبعينيات مجرور بفي، وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره، ولا التفات إلى الياء النائية عن الكسرة.

فهو يحرص -على ما بينت- على أن يكون وزن البحر مؤلفاً من تفعيلات متماثلة؛ أي: يكون مؤلفاً من تفعيلة واحدة مكررة عدة مرات في الصدر، ومثلها في العجز، فإن استعصت عليه هذه البغية، قلل من التنوع والاختلاف، فكان أقصى ما يتألف منه الوزن في هذه الحالة تفعيلتين، على ما سبق أن أشرت.

3 - انتفاء الاعتدال، ففيها تفعيلات ثلاثية قصيرة، بعضها تألفت من وتد مجموع ليس غير، مثل: فعل، بفتح الفاء والعين، وسكون اللام، وبعضها مؤلفة من سبب خفيف، بعده حرف متحرك، لم يذكر بين المقاطع العروضية الخليلية، مثل: فعل، بفتح الفاء، وسكون العين، وضم اللام، كما وجدت بينها تفعيلات رباعية، مؤلفة من سببين خفيفين، مثل: فعلن، أو من سبب ثقيل، يليه سبب خفيف، مثل: فعلن، بفتح الفاء، وكسر العين، وضم اللام، وسكون النون، وهذا ما تجاوزه الخليل، فقد حرص على أن تتألف التفعيلة من وتد، معه سبب، إن كانت خماسية، أو سببان، إن كانت سباعية، ولا يوجد بين تفعيلاته ما تألفت من وتد وحده، أو سبب، ليس معه وتد.

4 - وجود تفعيلات مختومة بحرف متحرك، مثل: فعل، ومفعول، ولا يوجد في عمل الخليل من هذا النوع من التفعيلات غير مفعولات التي اضطره إليها أبحر المنسرح، والمقتضب، والسريع، أما التفعيلات التسع الباقية فمختومة بساكن.

5 - بقاء بعض التفعيلات، مثل: فعل، بفتح الفاء وضم اللام، وسكون العين في بعض الأوزان المفترضة على حرفين متحركين، ليس غير، عند تعرضها للخب، وفعلن، بفتح الفاء وضم اللام وسكون العين والنون، عند تعرضها للخب، وهو ما لا يقبله المنطق، ولا وجود له في عروض الخليل، فلا بد من وجود ساكن على الأقل مع متحركات التفعيلة، سالمة، أو مغيرة.

6 - الوصول إلى الصورة المجزوءة بحذف تفعيلتين من آخر كل مصراع في بعض هذه الأوزان المفترضة.

7- ترتب حذف تفعيلة كاملة على حدوث العلة، كما هو الحال في بحر الكامل، عند تعرضه لعدة الحذف.

وإذا كانت أوزان البحور الخليلية، بحسب أصل الوضع، إما أحادية، أو صافية، أو بسيطة، وإما مركبة، أو ثنائية، أو ممزوجة، فإنها بحسب الاستعمال قد تتنوع فيها التفعيلات وتختلف؛ بسبب التغيرات المباحة الطارئة عليها، فوزن بحر الكامل في الاستعمال يمكن أن يكون:

مُتَفَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مَفْعُولُنْ
أو:

مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ
ووزن بحر الرمل يمكن أن يكون:

فاعلاتن فعلاتن فاعلن فعلاتن فاعلاتن فعلن
ووزن المتدارك يمكن أن يكون:

فَاعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

وهذا التنوع التفعيلي في التجزئات الخليلية، مرده إلى حرص الخليل والعروضيين على نقل ما بقي من التفعيلة، بعد تعرضها للتغيرات إلى تفعيلة أخرى -إذا كان ذلك ممكنا- لأسباب يطول الحديث عنها، وقد بسطت القول عنها في كتابي المسمى «المنهج في العروض والقافية»، ولكنني اقترحت هناك، وأقترح هنا -أيضا- عدم النقل، وترك ما بقي من التفعيلة بعد التعرض للتغيير على الحالة التي آلت إليها؛ لأن ذلك يساعد من لاخبرة له طويلة في علم العروض على معرفة نوع التغيير الطارئ عليها.

وإذا كانت التفعيلات التي تقل أحرفها عن الخمسة معدومة فيها، بحسب الأصل، فإنها موجودة بحسب الاستعمال؛ بسبب التغيرات الطارئة على التفعيلات، فقد جاءت التفعيلات الباقية على حرفين، يشبهان السبب الخفيف، أو ثلاثة، تشبه الوند المجموع في

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ (أَوْ قُلْ)

وبعد كل ما قلت أعترف بأنني فعلت بعض ما لمت عليه غيري، عندما أشرت في بحثي المسمى «بجر المتدارك، المعضلة التي رغب الخليل عن حلها»⁽¹⁾، وأنا أتحدث عن تداخل الأوزان إلى إمكان إدماج الكامل في الرجز، والوافر في الهزج، اعتماداً على تحريك الساكن، كما في علم الإيقاع الموسيقي⁽²⁾، وارتضيت جعل التفعيلات الخليلية ثماني في قولي في منظومتي العروضية:

لَكِنَّهَا فِي مَذْهَبِي ثَمَانِي مُحَقَّقًا لِثِقَلِ الْمِيزَانِ (3)

(7)

نتائج البحث

يمكن حصر جماع نتائج البحث في:

1 - كثرة اهتمام علماء العربية القدامى بالأحرف المتحركة والساكنة في صدور تصانيفهم العروضية، غير أنه يؤخذ على بعضهم عدم إدراك المشكلة الحقيقية التي يعانها شدة العروض، ومتعلموه المبتدئون، عندما يحاولون معالجة بعض الأبيات المكتوبة عروضياً،

(1) ينظر: مجلة اللسان المبين، 7.ع، 7.س، 2012، ص. 182-222.

(2) ينظر: المرجع المذكور، ص. 188، 189.

(3) ينظر: المرجع المذكور، ع. 8، س. 2013م، ص. 189.

فكلُّ من فراغ معجم بعضهم اللغوي من الألفاظ المسموعة، وضعف الحصيلة الصرفية التي تعنى بضبط بعض الألفاظ، يحول دون قدرتهم على تمييز المتحركات من السواكن، كما أن أغلبهم لم يعن الطلاب على الحل، وهم يعرضون طرائقهم في التمييز، فكأنهم يخاطبون بها من يعرف الساكن من المتحرك، فقولهم: إن قابل الحركات الثلاث ساكن، وقابل التعري منها متحرك لا يفهم منه غير ما ذكرت، وكان الأولى إرشادهم الطلاب إلى صنيع أبي الأسود، وهو يبين لكتابه مواضع نقط الإعراب، فما ظهرت معه من الأحرف حركات الشفتين التي حددها أبو الأسود متحرك، وما لم تصاحبه تلك الحركات كان ساكنًا، وهذا إنما يكون في المنطوق من الأبيات، أما المكتوب فلا حل له إلا بإغناء معجم الطالب اللغوي، غير أن المتضلع من علم العروض يكون مساعدًا له على تمييز الساكن من المتحرك في حالات لا يعرف فيها ضبط الحرف.

2 - اختلاف علماء العروض القدامى في المقاطع العروضية التي تتألف منها التفعيلات، فبعضهم حصرها في نوعين من المقاطع، هي: الأسباب، والأوتاد، ومن هؤلاء الأخفش الأوسط، وتلميذه أبو إسحاق الزجاج، والداميني، ومحمد بن علي الصبان، وبعضهم زعم أنها مؤلفة من ثلاثة مقاطع عروضية، هي: الأسباب، والأوتاد، والفواصل، ومن هؤلاء: ابن السراج، وعلي بن عيسى الربيعي، وابن القطاع، ومحمد بن علي المحلي، وابن واصل الحموي، وعبد الرحيم الإسنوي، على أن بعضهم صرح بأن الشعر مؤلف من هذه المقاطع العروضية الثلاثة، وهذه العبارة محتملة للمجاز، والحقيقة، فإن أخذنا بالمجاز كان المقصود قصدًا غير مباشر التفعيلات، وإن أخذنا بظاهر اللفظ كان ما ذهبوا إليه مذهبًا سديدًا فيه حل لمشكلة الفاصلتين المتنازع في أمرهما، ولعل ابن السراج الشنتريني أدقهم جميعًا في اقتصاره على الأسباب والأوتاد عند الحديث عن مؤلفات التفعيلات، والتعرض للفاصلتين عند ذكر أنواع القوافي، فقد جاء ذكره للفاصلتين في علم آخر هو علم القوافي، غير العلم الذي ذكرت فيه الأسباب والأوتاد، وهو علم العروض.

3 - وقوع أغلب علماء العروض في الخطأ الفادح عند الحديث عما تتألف منه الفاصلتان، فقد حملوا الفاصلة الصغرى، أينما وردت عليها، في أول متفاعلين، وآخر مفاعلتين، فجعلوها مؤلفة دائماً من سبب ثقيل، وسبب خفيف، وهو خطأ بين يمكن الاستدلال عليه بمتابعة الفواصل الصغرى الكثيرة الواردة على مستوى التفعيلة، أو على مستوى بعض أحرف التفعيلتين السابقة واللاحقة لها، أما الفاصلة الكبرى فلا وجود لها إلا في التفعيلة مستفعلن المجموعة الوجد، وأخطؤوا، عندما جعلوها مؤلفة من سبب ثقيل، ووجد مجموع؛ إذ هي، كما بينته في موضعه مؤلفة من متحركي سببين خفيفين، ووجد مجموع.

4 - تخطئة بعض المحدثين، كالكتور إبراهيم أنيس وغيره، الخليل؛ لإحلاله المقاطع العروضية محل المقاطع الصوتية، من غير ما سبر لأغوار مذهبه، والتأني في القدح فيه، وهو عالم لغة، وموسيقا، قبل أن يكون عالم عروض، فلم يكن نظام المقاطع الصوتية غريباً عليه، إذا علمنا أنه مستوحى من علم الإيقاع الموسيقي، فالنقرة الخفيفة تقابل المقطع القصير، والنقرة الثقيلة الخفيفة تقابل المقطع المتوسط، أو الطويل، عند بعضهم، وطاب لبعضهم أن يستعمل رموز المقاطع الصوتية التي استعملها الأوربيون، ولعل بعضهم يظن أن المقاطع الصوتية نفسها وافدة إلى العربية منهم، وهي معروفة لدى علماء العربية، منذ زمن بعيد، فلا بد أن يكون الخليل قد عرفها، وعرفها بعده الأخفش الأوسط، والفارابي، وابن سينا، وصرحا، عند الحديث عنها بمصطلحات المحدثين.

5 - محاولات العروضيين، عبر الزمان، منذ إسماعيل بن حماد الجوهري إلى اليوم، الطعن في بعض التفعيلات الخليلية، حتى أسقط نصفها، استناداً إلى دعاوى لا تثبت عند التمحيص، والخليل رَحِمَهُ اللهُ قد حرص على مراعاة الدقة، والاعتدال، والاختصار، والتيسير، في وضعه للوحدات الوزنية، وهي تتوالى، مؤلفة أوزان البحور الشعرية، على نحو لا مثيل له، فريد، لا يسوغ إحلال غيره محله.

6 - سعي بعض العروضيين القدامى والمحدثين إلى إخضاع أوزان الشعر العربي لقوانين الإيقاع الموسيقي، ولم يدرك بعض هؤلاء أن علم العروض وعلم الإيقاع الموسيقي

متشابهان، ومتقاربان، وليساً متطابقين، وأن الخليل رَحِمَهُ اللهُ قد أدرك هذه الحقيقة؛ فخلا عروضه من أي أثر فيه للموسيقا، وقد بنى قوانينه على السماع من العرب الفصحاء، بعد أن شافهم في بوادي الحجاز، ونجد، وتهامة، واستمع إليهم، وهم ينشدون الشعر، فلو بدا له منهم ما يزعمه الذين يحاولون ربط العروض بالموسيقا، ما تردد في النص عليه بين قوانينه.

7- أن بعض الآراء التي سقت في هذا البحث كانت -من حيث يدرى أصحابها، أولاد يرون- كاهدم للصرح الشامخ، والنظام المتناسق البديع الذي بناه الخليل، والخير كل الخير اليوم في أن أدعو نفسي والمعنيين بالدراسات العروضية إلى الكف عن نقد عروض الخليل سلبياً؛ لكونه معنياً بقوانين الشعر العربي في مرحلة معينة، قد انقضت، وأن نبداً مهمتنا اليوم من حيث توقف الخليل؛ لأن الشعر العربي اليوم مختلف عن الشعر الذي أرسى قوانينه، ولا نعدم وسيلة لتوليد صور وزنية جديدة، عن طريق تطويل الصور القديمة، وتقصيرها، والاستفادة من التغيرات الزحافية والعلية في ابتكار هذه الصور، على النحو الذي فعله شعراء العربية القدامى، على أن باب الاجتهاد في إيجاد مناهج جديدة أقرب إلى فهم الطلاب والشداة ينبغي أن يظل مفتوحاً أمام كل ذي قدرة على الإبداع.



مسرد المصادر والمراجع:

أولا - الكتب المخطوطة:

1 - الإبداع في العروض، لعلي بن مسعود الفرخان، نسخة رقمها 4105 محفوظة بمكتبة نور عثمانية، في إستنبول، تركيا.

ثانيا - الكتب المطبوعة طباعة ورقية:

1 - ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، لا مط.. لا ب.. 1984م.

2 - الإقناع في العروض، وتخريج القوافي، للصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، لا ط.. منشورات المكتبة العلمية، لا ب.. لا ت.

3- الحاشية الكبرى، لمحمد الدمنهوري، لا تحقيق، لا ط.. المطبعة الميمنية، القاهرة، 1307هـ.

4 - الجامع في العروض والقوافي، لأبي الحسن العروضي، تحقيق، وتقديم: د. زهير غازي زاهد، وأ. هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، 1416هـ = 1996م.

5- دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي، لعبد الصاحب المختار، لا ط.. تونس، 1985م.

6 - دار الطراز في عمل الموشحات، لابن سناء الملك، تحقيق، ونشر: د. جودة الركابي، لا ط.. لا مط.. دمشق، 1368هـ = 1949م.

7 - الدر النضيد في شرح القصيد، لابن واصل الحموي، تحقيق، ودراسة: د. محمد عامر حسن، لا ط.. لا مط.. لا ب.. 1408هـ.

8 - ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد جمران، لا ط.. مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، 1427هـ = 2006م.

- 9- شرح الصبان على منظومته في علم العروض، لمحمد بن علي الصبان، لا تحقيق، لا ط.، المطبعة الخيرية، لا ب.، 1321هـ.
- 10 - الشفاء، الرياضيات، جوامع علم الموسيقى، لابن سينا، تحقيق: زكريا يوسف، لا ط.، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1376هـ = 1956م.
- 11 - شفاء الغليل في علم الخليل، لمحمد بن علي المحلي، تحقيق: د. شعبان صلاح، دارالجيل، بيروت، 1411هـ = 1991م.
- 12 - عروض الورقة، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: د. محمد سعدي جوكني، لا ط.، لا مط.، أرضروم، 1994م.
- 13 - العقد الفريد، لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني، ط. 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ = 1983م.
- 14 - العيون الغامزة على خبايا الرامزة، لبدر الدين الدماميني، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، ط. 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ = 1994م.
- 15 - فن التقطيع الشعري، والقافية، د. صفاء خلوصي، ط. 5، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1397هـ = 1977م.
- 16 - القسطاس في علم العروض، لجار الله الزمخشري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط. 2، مكتبة المعارف، بيروت، 1410هـ = 1989م.
- 17 - قضايا، وبحوث في النحو، والصرف، والعروض، د. أحمد محمد عبد الدائم، لا مط.، لا ب.، 1423هـ = 2002م.
- 18 - كتاب البارع في علم العروض، لابن القطاع الصقلي، تحقيق: د. أحمد محمد عبد الدائم، ط. 3، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405هـ = 1985م.
- 19 - كتاب العروض، لابن جني، تحقيق، وتقديم: د. أحمد فوزي الهيب، ط. 2، دارالقلم للنشر، والتوزيع، الكويت، 1409هـ = 1989م.

20 - كتاب العروض، المنسوب إلى ابن السراج، تحقيق: د. طارق مختار المليجي، نسخة مستلة من مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم العربية، ع. 13، شوال، 1430هـ.

21 - كتاب العروض، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: سليمان أبو ستة، نسخة مستلة من مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج. 6، ع. 3، 1425هـ = 2004م.

22 - كتاب العروض، للأخفش الأوسط، تحقيق ودراسة: د. أحمد محمد عبد الدائم، لا ط.، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1409هـ = 1989م، وتحقيق ودراسة: د. سيد البحراوي، لا ط.، لا مط.، لا ب.، لا ت.

23 - كتاب العروض، لعلي بن عيسى الربيعي، تحقيق: محمد أبو الفضل بدران، دار نشر الكتاب العربي، برلين، والشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1421هـ = 2000م.

24 - كتاب الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، ط. 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ = 1994م.

25 - كتاب معيار النظار في علوم الأشعار، لعبد الوهاب الزنجاني، تحقيق ودراسة وشرح: د. محمد علي الحفاجي، لا ط.، دار المعارف، القاهرة، 1991م.

26 - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، للدكتور: عبد الله الطيب، لا ط.، لا مط.، لا ب.، لا ت.

27 - المستوفى في النحو، لعلي بن مسعود الفرخان، تحقيق، وتقديم، وتعليق: د. محمد بدوي المختون، لا ط.، دار الثقافة العربية، القاهرة، لا ت.

28 - المعيار في أوزان الأشعار، والكافي في علم القوافي، لأبي بكر بن السراج الشنتريني، تحقيق، وشرح: د. محمد رضوان الداية، ط. 3، مكتبة الملاح، لا ب.، 1400هـ = 1979م.

- 29 - منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تقديم، وتحقيق: د. محمد الحبيب ابن الخوجة، لا ط.، دار الغرب الإسلامي، لا ب.، لا ت.
- 30 - موسيقا الشعر، للدكتور، إبراهيم أنيس، ط. 2، مكتبة الأنجلو المصرية، ومطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1952 م.
- 31 - موسيقا الشعر العربي، د. شكري محمد عياد، ط. 2، دار المعرفة، القاهرة، 1978 م.
- 32 - الموسيقا الكبير، لأبي نصر الفارابي، تحقيق، وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، لا ط.، دار الكاتب العربي، للطباعة، والنشر، لا ب.، لا ت.
- 33 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ط. 3، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1405 هـ = 1985 م.
- 34 - نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، لعبد الرحيم الإسنوي، تحقيق: د. شعبان صلاح، دار الجيل، بيروت، 1410 هـ = 1989 م.
- 35 - الوافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط. 4، دار الفكر، دمشق، سورية، 1407 هـ = 1986 م.

ثالثًا- الرسائل الجامعية:

- 1 - كتاب الوافي في العروض والقوافي، لعبيد الله بن عبد الكافي بن عبد المجيد العبيدي، رسالة مسترة، أعدتها: صباح يحيى إبراهيم باعامر، مقدمة إلى كلية اللغة العربية، بجامعة أم القرى، السعودية، سنة 1419 هـ، 1420 هـ.

رابعًا- الأعمال المنشورة بالمجلات:

- 1 - «بحر المتدارك، المعضلة التي رغب الخليل عن حلها»، أ. علي الهادي شونة، مجلة اللسان المبين، الصادرة عن قسم اللغة العربية، بكلية الآداب، في جامعة طرابلس، ع. 7، س. 2012 م.

2 - «فاع لاتن ومستفع لن، تفعيلتان مفروقتا الودت مرفوضتان»، دة. هنية علي يوسف الكاديكي، مجلة اللسان المبين، الصادرة عن قسم اللغة العربية، بكلية الآداب، في جامعة طرابلس، ع. 7، س. 2012م.

3 - «متفاعلن ومفاعلتن تفعيلتان ليستا أصليتين، دراسة في علم العروض العربي»، أ. د. هنية علي يوسف الكاديكي، مجلة مجمع اللغة العربية، الصادرة عن مجمع اللغة العربية، بليبيا، ع. 17، س. 1442هـ = 2020م.

4 - «المنظومة الوافية، بجل مباحث العروض والقافية»، أ. علي الهادي شونة، مجلة اللسان المبين، الصادرة عن قسم اللغة العربية، بكلية الآداب، في جامعة طرابلس، ع. 8، س. 2013م.

خامساً- المواقع الإلكترونية:

- 1 - alarood. htm - أوزان الألمان.
- 2 - منتدى مجمع اللغة العربية، على الشبكة الدولية. [www. m-a-arabia. Com](http://www.m-a-arabia.Com)
- 3 - وحدة المورا في الفونولوجيا العروضية. [view<article<arts<index. bfa. arts. alexu. edu. Eg. php](http://view<article<arts<index. bfa. arts. alexu. edu. Eg.php)

سادساً- الجلسات العلمية، والمقابلات:

- 1 - جلسة علمية، في بيتي، يوم الثلاثاء، 2020/9/1م، الساعة الحادية عشرة، ليلاً.

الصورة الشعرية في شعر العنبري

د. عبد المجيد الشتيوي علي شتل

(كلية التربية - جامعة الزاوية)

مقدمة عن الشاعر

نسبه وحياته:

لعله من نافلة القول ذهابنا إلى أنَّ وجود دراسةٍ حول هذا الرجل هي حتى يومنا هذا في حكم العدم، ولا نعلم ما هو سبب عزوف الباحثين عن دراسته وزهدهم في تناوله مع كونه في اعتقادنا يستحق أن تكون له دراسة مستقلة عليها تكون بداية لتناول غيره من المغمورين الذين لم يقدر لهم أن تتناولهم أقلام الباحثين مع جودة شعرهم، وقد بحثت جاهداً لعلّي أجد ولو نظرة عابرة بل سطحية في شعر هذا الشاعر الذي وصفه ابن المعتز «.....دخل العراق ومدح ملوكها. ولو أقام بها لخضعت له رقاب الشعراء»⁽¹⁾، فهذا القول من رجل في حجم ابن المعتز الأدبي والنقدي يتعين الالتفات إليه ووضع في الحسبان وتتبعه والاهتمام به، وهذا ما دفعني للنظر في جهد هذا الشاعر وعمله، لعل ذلك يوصلنا إلى بعض ما رمى إليه ابن المعتز من أهمية وجودة شعر هذا الشاعر، فإذا عدنا لشخص العنبري فهو «علي بن عاصم العنبري»⁽²⁾،

(1) طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط 3، دار المعارف بمصر (د، ت)، ص 354.
(2) المصدر السابق، ص 354. هذا كما يشير ابن المعتز، وهناك «ابن عاصم» - الأعلام للزركلي، ط 17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007، ج 4، ص 459 - ترجم له الزركلي، وأرجح أنه ليس العنبري، لاختلاف محل الإقامة بينه وبين رواية ابن المعتز السابقة.

ويمكننا القول أنّه عرف بـ«العنبري الأصبهاني»⁽¹⁾ حيث وصفه بذلك ابن المعتز عندما ترجم له فقال: «أخبار العنبري الأصبهاني»⁽²⁾، ولم يذكر الذين ترجموا له أكثر من ذلك بخصوص اسمه، كما لم تذكر كتب التراجم تاريخ ميلاده، أو وفاته، وهذا يجعل الباحث أحياناً يحتكم إلى الاحتمال دون اليقين في بعض المواقف، وسنحاول جهدنا أن يكون الجزم هو ديدننا، ويمكننا القول إنّّه ليس من أهل العراق استناداً إلى ما ذكره ابن المعتز من إنّّه «...دخل العراق ومدح ملوكها. ولو أقام بها لخضعت له رقاب الشعراء»⁽³⁾، وبالرغم مما وصل إليه شعره من جودة فقد استقر أو أوشك في الذهن أنّ الغموض قد لَفَّ حياته وسيرته، ولا نكذب حقيقة بذهابنا إلى الحكم بصعوبة الغوص في سيرة المغمورين، وبخاصة الشعراء منهم، ولكن قد تدفعنا دوافع وتحفزنا أخرى إلى ذلك بالنظر إلى ما قدمه هؤلاء المغمورون من نتاج قد يفوق غيرهم، وليس لنا أن نقيم ذلك أو ننعه، وسوف تكون مواقع هذا الرجل ووقائعه هي الفيصل في مجمل الأمور، وإنّا لنعلم بمسلكنا هذا نخالف النظرة التي مؤدّاها الاهتمام بأعلام الأدب والبارزين منهم، وبهذا نكون أكثر يقيناً بأنّ البحث العلمي ليس من آرائه أو بعضها الاستثناء بسبب قلة أو غزارة ما قدمه هذا أو ذاك، وإنّما بالكيفية والطريقة والغاية التي تغياها لما تم القيام به أو تقديمه، وإن كنّا لم نجد في شعره ما يدلّ على تاريخ ميلاده أو وفاته فيمكننا الاستدلال على ذلك من خلال وجوده في (طبقات ابن المعتز)، وهذا يقودنا إلى أنّه عاش ما بين عامي (132 / 296هـ)، وهي الفترة التي يغطيها كتاب طبقات الشعراء⁽⁴⁾، وبوسعنا القول الذي لا يخالطه الشك ولا يتطرق إليه التخمين أنّه ولد قبل سنة 226 هـ، وهي سنة وفاة أبي الدلف

(1) طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 354.

(2) طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 354.

(3) المصدر السابق، ص 354.

(4) ينظر مع المكتبة العربية دراسة في أمهات المصادر والمراجع المتصلة بالتراث، د. عبد الرحمن عطية، ط 2، دار الأوزاعي، 1404 / 1984م، ص 147. وطبقات الشعراء، ص 5.

(1)، الذي أنشد له أرجوزة في هجاء الماهيات⁽²⁾، وكذلك كونه من الشعراء الذين قاموا بمدح الخلفاء العباسيين وأمراءهم ووزرائهم وقوادهم وهي الفئة التي قصر ابن المعتز كتابه عليها⁽³⁾.

ومن المرجح أن يكون الشاعر من قرية أصبهان التي نسب إليها⁽⁴⁾، ولا يمتد هذا الترجيح ليسحب على كونه من أبناء أصبهان هذه أم من مواليتها، وحتى القصيدة نفسها لم نجد بين أبياتها ما نسترشد به على ذلك، هذا إذا جاز لنا استبعاد مستوى القصيدة، فالجودة وعدمها لا تنهض دليلاً يمكن الركون إليه في واقعة الحال، فلا يوجد من الفوارق ما يميز شعر هذا عن ذاك في نظرنا، بل يرى الدكتور يوسف خليف: أنَّ مسلم بن الوليد، وأبا العتاهية من أبرع شعراء الكوفة وهما من الموال⁽⁵⁾، وحتى إذا وضعنا في اعتبارنا هذا الحكم، فليس في مكتنتنا سحبه ضمناً أو صراحة على أناس من حقهم ألا يسحب عليهم.

ويشير صاحب معجم الشعراء العباسيين عندما ترجم له إلى طبقات الشعراء ومعجم الشعراء كمصادر لهذا الشاعر⁽⁶⁾، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من شح المعلومات والمصادر التي يمكن أن نستبين من خلالها ما يزيل الغموض عنه، ويضعه في مرتبة الشعراء البارزين، وهذا لا يعني عدم أهمية البحث بشأنه ولكن يوضح صعوبة ذلك لقلة ما بين أيدينا، من أدلة ومعالم تميظ اللثام عن حياة هذا الشاعر ونسبه، إلا بالقدر الذي سبق بيانه.

(1) ينظر الأعلام للزركلي، ج 5، ص 179.

(2) ينظر طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 354.

(3) ينظر المصدر السابق الصفحة نفسها.

(4) لقد ذكر ابن المعتز «العنبري الأصبهاني»، المصدر السابق الصفحة ذاتها.

(5) ينظر حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. يوسف خليف، ص 690.

(6) ينظر معجم الشعراء العباسيين، معجم بيبليوغرافي يعزف بالشعراء ومصادر دراساتهم ومراجعتها، إعداد، عفيف عبد الرحمن، ص 348.

أهم أعماله الشعرية:

لقد أورد له ابن المعتز، هذه القصيدة⁽¹⁾، وخمسة أبيات، اثنان منها في الهجاء⁽²⁾، وثلاثة في ملاحظة صاحب حاجته له⁽³⁾، كما أورد له المرزباني ستة أبيات⁽⁴⁾ من هذه اللامية مع اختلاف في ترتيب الأبيات بين ابن المعتز والمرزباني.

أهم الخصائص الفنية العامة لشعر الممدح في العصر العباسي:

وبما أننا ندرس قصيدة العنبري التي يمدح فيها ابن هلال، سوف نقصر الحديث عن الخصائص الفنية لشعر الممدح في العصر العباسي، دون التطرق لبقية الأغراض الأخرى من هجاء وفخر وغيرهما.

لقد ظلّ شعراء بني العباس ينظمون في الموضوعات التي سبقهم إليها أسلافهم من الجاهليين والإسلاميين، وبهذا يكونون قد حافظوا على الشخصية الموروثة للشعر العربي، وقد شمل ذلك المديح وغيره من الأغراض الأخرى، واستمروا في دعم الشخصية الموروثة لذلك الشعر ملائمين بينها وبين أذواقهم الرفيعة وخصوبة حياتهم العقلية، مما أنتج تجديداً في جميع نواحيها، لا يقوم على المفاضلة بين القديم والحديث بل على وثيق التواصل⁽⁵⁾.

ولقد استتبق شعراء الممدح في العصر العباسي المقدمات القديمة، وأضافوا لها الكثير ليلائموا بينها وبين عصرهم الذي يعيشون، وقد تتسع تلك الإضافات وقد تضيق، ولكنها في كل صورها تعكس عقلية وخيال الشاعر العباسي⁽⁶⁾.

على هذا النسق ازدهر الممدح على لسان شعراء بني العباس، ليس بما جاء في قصائدهم

(1) ينظر طبقات الشعراء، ص 354، 355، 356، 357، 358.

(2) ينظر المصدر السابق ص 354.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص 358.

(4) ينظر معجم الشعراء للمرزباني أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى، المتوفى سنة 384هـ تحقيق، عبد الستار أحمد فراج ص 140.

(5) ينظر تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د. شوقي ضي ف، ط 6، دار المعارف بمصر، 1966م، ص 159.

(6) ينظر المصدر السابق، ص 163.

من بطولات وصور وأحداث بل بالعناصر الجديدة التي أضافوها إليها، والتي استمدوها من حضارة عصرهم وملكاتهم العقلية وحالتهم النفسية، ودفعت بهم دقة عقليتهم إلى أن يلائموا بين المدائح والمدوحين، من خلفاء وقواد وقضاة، وغيرهم وقد استشعروا إبان ذلك ثاقب الفكر ورشيق التعبير⁽¹⁾.

لامية العنبري الأصهباني⁽²⁾:

1. نُحِرَتْ جِمَالُكُمْ عَلَى الْأَطْلَالِ كَمْ تَتَبَعُونِي وَقِفَةَ الْأَحْمَالِ -
2. كَمْ تَعَذَلُونِي قَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي فَسَدَدْتُهَا عَنْ نِعْمَةِ الْعَذَالِ
3. كَمْ تَعْنِفُونَ عَلَى الَّذِينَ صَدُورَهُمْ طُوِيَتْ عَلَى الزُّفَرَاتِ وَالْبَلْبَالِ
4. مَطَرْتُ خَدُودَهُمْ سَحَابُ شُئُونِهِمْ فَعَفْتُ طُلُوهُمْ مَعَ الْأَطْلَالِ
5. فَتَكَادُ تَبْدُوهُمْ لَطُولُ وَقُوفِهِمْ فِي الْمَنْزِلِ الْأَطْلَالِ بِالتَّسَالِ
6. بَعَثَ الرَّحِيلَ بِصَبْرِهِ أَيْدٍ سَبَا حِينَ الْحَسَانُ بَرَزْنَ لِلتَّرْحَالِ
7. زَمَّ الْعَزَاءُ غِدَاةَ زَمِّ مَطِيَّهِمْ فَحَدَا الْحُدَاةُ بِهِ مَعَ الْأَجْمَالِ
8. بَيِضُ سَلْبِنِ مَهَا الصَّرِيمِ عَيُونُهَا وَمِنْ الصَّرِيمِ مَا كِمَ الْأَكْفَالِ
9. قُضِبٌ عَلَى كُثْبٍ ثَقُلَ أَهْلُهُ تَرَكْتُ أَهْلَتَنَا بَغِيرَ جَمَالِ
10. أَخَذْتُ لَنَا أَهْبَ الْبِعَادِ وَقَرَّبْتُ آجَالَنَا بِمَحَاوِرِ الْآجَالِ⁽³⁾

(1) العصر العباسي الأول، ص 166.

(2) هو: علي بن عاصم العنبري الأصهباني... وقد تم الاستدلال على هذا الاسم من خلال ما أورده عنه ابن المعتز، ينظر طبقات الشعراء، ص 354. هذا كما يشير، ابن المعتز، وهنالك «ابن عاصم» - الأعلام للزركلي، ج 4، ص 459 - ترجم له الزركلي، وأرجح أنه ليس العنبري، لاختلاف محل الإقامة بينه وبين رواية ابن المعتز السابقة.

(3) «الآجال الأخيرة هنا: القطعان من بقر الوحش والظباء» طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 355.

11. من كل بهْكَنَةٍ^(١) يُريكَ سُفُورها قَرْنَ الغزاة فوق جيد غزال
12. غَصَّتْ خَلاخِلُها وِجال نَطاقها ونَطاقها فأَقل من خَلْخال
13. قَطَعَ الحَواذِثُ وِصلَهُنَّ بِرَيبها فكأنما قَطَّعَن من أَوْصالِ
14. سَقياً لأَيام مَضيَن سِوالفا قَصَرَ الحَبائِب طولها بِوِصال
15. ما كان طَولُ سرورِها لما انقَضت إِلَّا اِكتِحالَ مَتِيَم بِحَيال
16. والحادِثات متى فَعَرْنَ لَغَصَّتِي أَلَقَمَتِهِنَّ شَجِي بِوُخْد جِمال
17. ونضوْثُ سِرْبِالِ المِفاوِزِ بالسُّرى وجعلت أَرديّة الدُّجى سِرْبالي
18. ونَشَرْتُ من جِبرِ القِصائِدِ يَمَنَةً^(٢) نَجَمْتُ^(٣) أَهْلَتَها عَلى ابنِ هِلالِ^(٤)*
19. فالشَّعر لَيس بِنافع أو يَرتدى أَلَى وَأَلَّ مَطيَّتي بِالأَلِ^(٥)
20. والتُّجَع في كَنَفِ الدُروبِ مَقيَلِه لا في مَقيَلِك عَن بَنى الأَقبال
21. قَطَّعُ التَّنائِفِ وَصَلُ ما أَمَلتِه فَصَلِ الغَدُوَّ بِها إلى الأَصال
22. بِأَبى مَعاذِ فَاسْتَعِذْ بِلِ جِودِه لَكَ عَوْدَةٌ من لَزْبَةٍ^(٦) الإِحال

(1) «البكهنة الجارية الخفيفة الطيبة»، المصدر السابق الصفحة نفسها.

(2) «الحبر جمع حبرة وهي البرود اليمنية. واليمنة البرد اليمني» طبقات الشعراء لابن المعتز ص 355.

(3) في معجم الشعراء «لاحت»، معجم الشعراء للمرزباني، ص 140.

(4) * هو «...عبد الله بن هلال المعروف في...»، المصدر السابق، ص 139، وقد ذكره الشاعر في قصيدته في البيت الثالث والعشرين بقوله «قل يا عبيد الله يابن هلاله»، طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 356، ولم نجد من ترجم لهذا الممدوح، ومن المرجح أن يكون من رجال بني العباس، وذلك تأسيساً على ما ذكره الدكتور عبد الرحمن عطية، من أن طبقات الشعراء قد قصره مؤلفه على: الشعراء الذين قاموا بمدح الخلفاء العباسيين وأمرائهم ووزرائهم وقوادهم، ينظر في ذلك، المكتبة العربية، ص 147.

(5) «أل في مشيه: أسرع أو اهتز واضطرب. والآن: أطراف الجبل ونواحيه وفي الأصل: إلى وآل مطيقي بالال» طبقات الشعراء لابن المعتز ص 355.

(6) «اللزب: الشدة» طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 357.

23. رَدُّ لُجَّةِ المعروف تَرَوُ بفيضه حَتَّامٌ أَنْتَ تحوم في الأوشال
24. قل يا عبيد الله يا بن هلاله تَزُلُ الحوادثُ عنك كلَّ مزال
25. ملك ترى الأملاك عنه إذا بدا خَوَلاً من الإِعظام والإِجلال⁽¹⁾
26. مغناه مصرع أجمَل وأيانق وذَرَاهُ مَطَرَحٌ أخلُسِ وِرْحال
27. وندهاء معروف تدفق حَوْلُهُ⁽²⁾ لُجَجٌ من الإِنعام والإِفْضال
28. وإذا الكُماة تخالسوا مُهْجَاتِهِمْ⁽³⁾ ضَرْباً بِكُلِّ مَهْنَدٍ قَصَال
29. وحسبت غمغمة الفوارس في الوغى زَأَرَ الأسود زَأْرَنَ في الأغِيال⁽⁴⁾
30. صنعت بأرواح العُدَّة سيوفُهُ⁽⁵⁾ ما كان يصنع جوْدُهُ في المال
31. نفسى فداؤك أَى ليث كريهة ندعو به والمُعْلَمون⁽⁶⁾ نَزَال
32. والخيَل قاصدة على قصد الفتى نحو الحتوف كأنهنَّ مَتَالِي⁽⁷⁾
33. مدَّت سَنابكُهَا عليك سرادقاً نسجت مَضاربه من القَسْطال⁽⁸⁾
34. في حومة مَا إن يبين من الوغى إلّا: هَلَا في زجرهن وهَالِ⁽⁹⁾

(1) في معجم الشعراء «ملك يرى الأملاك خولا عنده من شدة الاعظام والاجلال» معجم الشعراء للمرزباني، ص 140.

(2) في معجم الشعراء «بحر تدفق حوله لعفاته» المصدر السابق الصفحة نفسها.

(3) في معجم الشعراء «أرواحهم» المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(4) في معجم الشعراء «بغرار كل» المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(5) في معجم الشعراء «تراع بالأغيل» المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(6) في معجم الشعراء «صنعت بأرواح الكماة سيوفه»، معجم الشعراء ص 140.

(7) «أعلم الفرس: علق عليه صوفاً ملوناً في الحرب. وأعلم نفسه وسم نفسه بسيما الحرب». طبقات الشعراء لابن المعتز ص 357.

(8) «التالي: الأمهات إذا تلاها أولادها». المصدر السابق الصفحة نفسها.

(9) «القسطال: الغبار الساطع في الحرب»، المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(10) «هالا: زجر للخيَل. وهال أمر من هالاه: فازعه.....» طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 357.

35. ليل من العَمَرات أنت سراجُه ونجومُه هِنْدِيَّةٌ وعوالى
36. بيض وسمَر إن عَرِيْنَ تَسْرِبَلَتْ بَدَلِ الجُفُونِ^(١) جَاجِمَ الأبطال
37. أوردتَهَنَّ تواضِعاً لُجج الرَدَى فصدَرُنْ في قُمُص من الجُريال
38. أضحكت سِنَ الدِّين بعد عبوسه في فَرَسَجِين وقِعة الضُّلال
39. غادرت أيام الضلال لِيالِاً وليالي الإسلام غير لِيال
40. والدينَ مَتَزَّراً بثوب جماله والكُفَرَ مَتَزَّراً بثوب نَكال
41. كانت كُما تُهْمُ لَدِيكَ كَعانَةٍ^(٢) لَعِبَتْ بهنِّ برائن الرُّبَال
42. شَبَّهَتْ يومك يوم حُجَرٍ وَصِنُوهُ عمرو صَبيحة ليلة الأَجبال
43. ما ضَرَّ دارمَ يوم قمتَ بمجدها أن لا تقوم مُجاشِعُ بَجَلال
44. بأبى وأى أنْتُمْ من معشر بكمُ الملاذة ساعة الزلزال
45. من يعتصم بِقُرَاهُمُ في مثلها يُلقِ العَصا بمعاقل الأوعال
46. أُسَدٌ متى نُدِبَتْ ليوم كَريهة أَحْذَرُنْ^(٣) في غيل من الآسال
47. وإذا الكِماء تنازلوا أَلْفِيَتَهُمُ كالأُسَدِ حانِيَةً على الأشبال
48. لولا مُحاسِن من عَلاهم لم تَسِر في الخافِقَيْنِ مُحاسِن الأمثال
49. يامَنُ تَكْفَلُ بِأُسَهمُ وسماحه للناس بالأكثار والإقلال

(1) «الجفون هنا: الأغمد». المصدر السابق الصفحة نفسها.

(2) «العانة: القطيع من حمر الوحش». طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 357.

(3) «أحذرن لعلها من الحذر بمعنى الاستعداد والتأهب» أو هي محرفة عن أحزن يقال أحزن المكان الرجل أصبح له ماجاً. أو أخذرن. والآسال يراد بها هنا الرماح وكل حديد رهيف من سيف وسكين. المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

50. لما خلعت أعِنَّة الأموال عطفْتُ عليك أعِنَّة الآمال
51. أين المَحِيص لحازم أو عازم عند النوائب عنك يا ابن هلال
52. وجَناب دارك مسكن الآمال وغرار⁽¹⁾ سيفك مسكن الآجال⁽²⁾.

1 - بناء القصيدة:

لا يمكننا ونحن نتناول الصورة الشعرية لهذه اللامية الالتفات عما أظهره ابن المعتز من إعجاب بها، وذلك بما وصفها به⁽³⁾، وأثار حولها من أهمية أدبية بقوله: «وكان علي بن عاصم هذا من الشعراء المجيدين، فإنَّه كان أكثر محاسن شعر من مسلم⁽⁴⁾، وأبي الشيص⁽⁵⁾، وطبقتهما، وهو صاحب القصيدة اللامية التي ليس لأحدٍ مثلها»⁽⁶⁾، وحيث أنَّه لكل دراسة علمية منهج تخضع له، وتفرضه الأعراف العلمية، فإنَّني سوف أتبع في دراسة هذه القصيدة المنهج الوصفي التاريخي، ومن خلال مطالعة القصيدة تبين، أنَّ الشاعر قد افتتح قصيدته بالوقوف على الأطلال على عادة أسلافه الجاهليين، ولكنَّه ما لبث أن خالفهم وفي أول كلمة ذكرها خلال وقفته هذه، فقد جاء بأول كلمة فيها بفعل مبني للمجهول، وهو ما لم نجد

(1) «الغرر من معانيه: حد السيف والرمح والسهم». المصدر نفسه، ص 357.

(2) المصدر السابق، ص 354، 355، 356، 357، 358.

(3) «ابن المُعْتَز (247 – 296 هـ = 867 – 909 م) عبدالله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.....» الأعلام للزركلي، ج 4، ص 118.

(4) صَرِيع الغَوَاني (208 هـ / 823 م) مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني: شاعر غزل، وهو أول من أكثر من «البديع» وتبعه الشعراء فيه. «وهو أول من أهل الكوفة. نزل بغداد ،» الأعلام للزركلي، ج 7، ص 223.

(5) أَبُو الشَّيْص (196 هـ / 811 م) محمد بن علي بن عبد الله بن رزيق بن سليمان بن تميم الخزاعي: شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ. من أهل الكوفة. غلبه على الشهرة معاصره صريع الغواني وأبو نواس..... المصدر السابق، ج 6، ص 271.

(6) طبقات الشعراء لابن المعتز، ص 354.

عند أصحاب المعلقّات بصفة خاصة ⁽¹⁾، هذا اذا جاز لنا اعتبار قصائدهم هي قصائد النخبة في ذلك العصر أي العصر الجاهلي.

وإن كنا نجزم الاعتقاد ونذهب مع الذاهبين إلى أنّه لا يزال اتفاق النقاد قائماً على كون شعر الجاهليين شاهداً أميناً على العبقرية الشعرية عند العرب ولا يزالون في حالة اتفاق على صيرورة هذا الشعر قبلة شعراء العرب فيما تقدم وتأخر من عصورهم، فنظروا إليه نظرة مثلهم الرفيع والأعلى في الصنعة الشعرية، فذهبوا يستوحونه لكونه ذلك المثل الأعلى عند صناعة قصائدهم، ومع ذلك رموه بتهم وجدت مستقراً لها مع جورها في أذهان بني الإنسان كأنّها حقائق لا يساورها الاحتمال ولا يتطرق اليها الظن، فذهبوا لتلمس تحليل أو وجهٍ لذلك، وذهب بهم ما ساورهم من زعم مذاهب شتى أو شك أن يكون بعض تلك المزاعم ضرباً من الضلال الأعمى ⁽²⁾.

وبالنظر إلى القصيدة تبين أنّه صبّ قصيدته في اثنين وخمسين بيتاً، كان ستة عشر بيتاً في ذكر الأطلال، وانتقل بعد ذلك إلى مدح ابن هلال، ويلاحظ بالنظر في تلك المقدمة أنّه قد اختلفت من حيث موضوعها، وهو ذكر الطلل عن موضوع القصيدة، وهو مدح ابن هلال، وبهذا يمكننا القول إنّ القصيدة لا وحدة عضوية بها، لتناولها لموضوعين مختلفين، وقد سبقنا إلى هذا الرأي الدكتور حسين عطوان، حيث يذهب إلى انعدام الوحدة العضوية بين المقدمة والموضوع ⁽³⁾.

(1) ينظر مطالع تلك القصائد في شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة 338هـ، تحقيق أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، (د.ت)، القسم الأول ص 98، 207، 299، 359، والقسم الثاني ص 453، 541، 613، 685، 733.

(2) ينظر الرحلة في القصيدة الجاهلية، د. وهب رومية، ط 3 مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م، ص 9.

(3) ينظر مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ط 2، دار الجيل، 1987 م، ص 255.

ولقد نظمها في قافية من القوافي الذلل⁽¹⁾ اللام، وهي من «أحلى القوافي»⁽²⁾.

2 - البديع:

أ - ففي البيت الأول جاء بالتصريع الكامل، وهو الذي يتم فيه فهم كل مصرع أو شطر من البيت المصرع، دون الحاجة إلى الشطر الذي يليه، وقد اعتبر ابن الأثير هذا النوع من التصريع، أعلى درجة من درجاته⁽³⁾.

ب - وقد تأخر الجناس في هذه القصيدة إلى البيت الحادي عشر، وفي البيت الثامن عشر، جاء الشاعر بقوله: «أهلتها»، وقوله «هلال»، وهو كما يقول ابن الأثير: «وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد»⁽⁴⁾.
أمّا قوله: «آمال» و«آجال»، و«حازم» و«عازم»، وأموال وآمال، وهذا ما قال فيه ابن الأثير أنه «... المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس»⁽⁵⁾.

ج - أمّا الطباق فقد وجد في هذه القصيدة في البيت التاسع بين كلمتي «البعاد» و«قربت»، وكذلك قوله «عضت» و«جالت»، في البيت الثاني عشر، و«قطع» و«وصل» في البيت الواحد والعشرين، و«الغداة» و«الآصال» في نفس البيت، و«بيض» و«سمر» في البيت السادس والثلاثين، وقوله «أوردتهن» وقوله «فصدرن» في البيت السابع والثلاثين، وقوله «الدين» و«الكفر» في البيت نفسه.

(1) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، تأليف د. عبد الله الطيب المجدوب ط1، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955م ص44 وما بعدها وص64 وما بعدها.

(2) المصدر السابق، ج1، ص46.

(3) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، حققه وعلق عليه، الشيخ كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1998م، ج1، ص235.

(4) المصدر السابق. ج1، ص239.

(5) المثل السائر، ج1، ص245.

د - أمّا الإيجاز، أو ما يقول عنه ابن الأثير⁽¹⁾، «حد الإيجاز: هو دلالة اللفظ على المعنى غير أن يزيد عليه»⁽²⁾، وهذا ينطبق على قوله (الحداة) في البيت السابع، فذكر الفعل يكفي في البيت ولا حاجة لذكر الفاعل وهذا من باب الإيجاز الذي عناه ابن الأثير.

3 - المعاني:

وإذا نقلتُ الحديثُ إلى حروف الجر، وجدت ابن الأثير يقول: «.. حروف الجر فإنَّ الصواب يشذ عن وضعها في مواضعها، وقد علم أن (في) للوعاء، وعلى للاستعلاء،...»⁽³⁾. من الواضح أنَّ الشاعر أكثر من استخدامه لحروف الجر، وقد أفرط في استخدامه لحرف «في» وقد جاء به أربع عشرة مرة، على النحو الآتي: مرة في الخامس، ومرتين في البيت العشرين، ومرة في الثالث والعشرين، ومرتين في التاسع والعشرين، ومرة في الثلاثين، وأخرى في الثامن والثلاثين، وكذلك مرة في البيت الخامس والأربعين، ومرة في السادس والأربعين، ومرة في الثامن والأربعين، وقد استخدم حرف «من» اثنتي عشرة مرة، وذلك، مرة في الثامن، ومرة في الحادي عشر، ومرة في الثاني عشر، ومرة في الثالث عشر، ومرة في الثامن عشر، ومرة في الثاني والعشرين، ومرة في الخامس والعشرين، ومرة في السابع والعشرين، ومرة في السادس والأربعين، ومرة في الثامن والأربعين، أمّا حرف «على» فقد وُجد في القصيدة تسع مرات، وذلك مرة في البيت الأول، ومرتين في الثالث، ومرة في التاسع، ومرة في الثامن عشر، ومرة في الثاني والثلاثين، ومرة في السابع والأربعين ومرة في البيت الخمسين، وحرف «اللام» سبع مرات، وكانت مرة في كل بيت من الأبيات: الخامس والسادس، والعاشر، والرابع عشر، والثاني والعشرين، والسادس والأربعين، والتاسع والأربعين، وحرف

(1) «ابن الأثير الكاتب (558 637 هـ = 1163 / 1239 م) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب: وزير من العلماء الكتاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر، وتعلم بالموصل حيث نشأ أخواه.....». الأعلام، للزركلي، ج 8، ص 31.

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، ج 2، ص 55.

(3) المثل السائر، ج 2، ص 34، 35.

«عن» خمس مرات: مرة في البيت الثاني، وأخرى في العشرين، ومرة في الرابع والعشرين، ومرة في البيت الخامس والعشرين، ومرة في الواحد والخمسين.

ومرجع استخدامه لحرف الجر (في)، هو محاولته حصر كافة الأمور في ممدوحه.

وقد جاء بالحرف (على) ثماني مرات، مرة في البيت الأول، ومرتين في الثالث، وأخرى في الثامن، وهجرها حتى البيت السابع عشر، وعاد لها في البيت الواحد والثلاثين، واستعملها في البيت السادس والأربعين، وكذلك في التاسع والأربعين.

مما سبق يتبين أنَّ الشاعر لم يكثر من استعماله لحرف الجر (على) لما فيه من -استعلاء على مذهب ابن الأثير⁽¹⁾-، وهو لا يود ولوج هذا الباب خلال مدحه لممدوحه، وكأنَّه يتجاهل طرق هذا الجانب متعمداً لكي لا يشعر ممدوحه إلا بمقامه الرفيع دون غيره، كما يصوره الشاعر.

ومن خلال السياق الذي استعمل فيه الحرف هذا - أي الحرف (على) - نلاحظ أنَّ الشاعر تدفعه حالة من الضرورة، لهذا الاستعمال، وليس في مكنته استعمال غيرها.

وإذا نظرنا إلى حرف (اللام) وجدنا أنَّه جاء به سبع مرات فكانت الأولى في البيت الرابع، والثانية في الخامس، والثالثة في الثالث عشر، والرابعة في الخامس عشر، والخامسة في الواحد والعشرين، والسادسة في الأربعين، والسابعة في الثامن والأربعين.

ففي هذه المرة استعمل حرف (اللام) أربع مرات في معرض حديثه عن الأطلال، في الأبيات الرابع، والخامس، والثالث عشر، والخامس عشر، وثلاث مرات أثناء حديثه عن ممدوحه، جاء باثنتين منها مرتبطة بالممدوح نفسه في البيتين الواحد والعشرين، وكذلك في البيت الأربعين، وأخرى بالناس كما هو ثابت في البيت الثامن والأربعين.

ولعل مرجع عدم اهتمام الشاعر بحرف (اللام) لأفضلية حرف (في) في الدلالة على

(1) ينظر المثل السائر، ج 2، ص 35.

الرسوخ من حرف (اللام)⁽¹⁾.

ولاحظتُ أنَّ الشاعر لم يستخدم الحروف: خلا، وحاشا، ورب، ومذ، ومنذ، وحتى،
وكي، أمّا متى فقد دخلت على أفعال وليس أسماء.

ولعل مرجع ذلك عدم وجود ما يربطها بالمعاني التي تغنيها الشاعر، حيث كان
يخاطب عقل ممدوحه لا أذنيه.

وهناك كاف الخطاب والتي يدلُّ مجيء الشاعر بها على خبرته وتمرسه بمخاطبة
الملوك والممدوحين، فقد استخدمها تسع مرات، جاء بها بعد حروف الجر خمس مرات،
وذلك بقوله (لك) في البيت الثاني والعشرين، وقوله (عنك) في البيت الرابع والعشرين،
(وعليك) في البيت الثالث والثلاثين، وقوله (بكم) في البيت الرابع والأربعين، وخمس
مرات في غير ما سبق، وذلك بقوله (لديك) في البيت الواحد والأربعين، و(يومك) في البيت
الثاني والأربعين، و(دارك) و(سيفك) في البيت الأخير من القصيدة.

وللمدح ألفاظٌ تخصّه وكذلك للذم، وهناك من ذهب إلى أنّه من الأدب عدم مخاطبة
الملوك.....بكاف الخطاب، وهذا مجافٍ للصواب، فقد حُوطب ملك الملوك عزَّجَلَّ
بالكاف في فاتحة الكتاب⁽²⁾.

«وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة إلا أنّي قد رجعتُ نظري
في ذلك فرأيتُ الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم والعوائد لا حكم لها، ولا شك أن العادة
أوجبت للناس هذا التعمق في ترك الخطاب بالكاف، لكنني تأملتُ أدب الشعراء والكتاب في
هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب في الشعر...»⁽³⁾.

4 - الصور والأخيلة:

(1) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد
الكريم ابن الأثير الجزري ج 2، ص 35.

(2) ينظر المصدر السابق، ج 2 ص 277.

(3) ينظر المثل السائر، ج 2، ص 277.

وإذا نظرنا إلى التصوير عند هذا الشاعر لاحظنا خبرته وتمرسه في هذا المجال مما يدلُّ على طول باعه في الشعر، فهناك الاستعارة التصريحية⁽¹⁾، في البيت الرابع، فقد شبَّه الدموع بالمطر وحذف المشبَّه وهو الدموع كما حذف أداة التشبيه، وكذلك في البيت الخامس عشر فقد شبه الحادِثات بالحيوان المفترس الذي فتح فاه لعضه، وحذف المشبَّه به وهو الحيوان المفترس وأداة التشبيه، وذكر صفة من صفاته وهي العض فقد جاء هنا بالاستعارة المكنية⁽²⁾، كما جاء بالتشبيه التمثيلي⁽³⁾، في البيت الرابع والثلاثين، فقد شبَّه ساحة الحرب بالليل، وشبه ممدوحه بالسراج، وشبَّه السيوف في لمعانها بالنجوم. أمَّا الألفاظ فكانت من قاموس الجاهليين أقرب منها إلى عصر الشاعر، ولعل مرجع ذلك محاولته النسج على منوالهم.



(1) ينظر معنى الاستعارة التصريحية، في البلاغة العربية، علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985م، ص 186.

(2) ينظر معناها في البلاغة العربية علم البيان ص 186.

(3) «التشبيه التمثيلي: هو تشبيه صورة بصورة. والصورة عادة ما تكون مركبة من عدة اجزاء، وللخيال عادة دور كبير في رسم التشبيه التمثيلي...» في رحاب اللغة العربية، نصوص قواعد بلاغة عروض تدريبات، د. عبد الرحمن عطية، ط 3، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1985م، ص 120.

ملخص البحث

لقد تمّت دراسة أطول قصيدة وجدناها لهذا الشاعر، كي تكون عيّنة كافية لنقد عمله وتوضيح معالم ذلك العمل ورد النتائج إلى أسبابها، وقد صبّها في قافية اللام، وذلك لجمال هذه القافية⁽¹⁾، ولا أكذب حقيقة إذا ذهبت إلى أنّ هذه أول مرة تتمّ الترجمة لهذا الشاعر المغمور وبهذا الوضوح، وذلك بالرجوع إلى المصادر المختلفة ومحاولة إيجاد القرائن والأدلة في كل حالة، وذلك لغيب الترجمة الواضحة والصريحة له في المصادر المختلفة. كما تمّت المقارنة بين هذه القصيدة وما أورده المرزباني من أبيات، وبيان وجه الاختلاف بينهما.

ولاحظت أكثر الشاعر من استعماله لحرف الجر «في» وأرجعت ذلك إلى محاولته حصر كافة الأمور في ممدوحة دون غيره.

وأثبتت الدراسة أنّ الشاعر لم يكثر من استعماله لحرف الجر (على) لما فيه من -استعلاء على مذهب ابن الأثير⁽²⁾، وهو لا يود ولوج هذا الباب خلال مدحه لممدوحه، وكأنّه يتجاهل طرق هذا الجانب متعمداً لكي لا يشعر ممدوحه إلا بمقامه الرفيع دون غيره، كما يصوره الشاعر، ولكي يشعر ممدوحه أنّه وحده على رأس الهرم.

كما تبين من خلال البحث أنّ السياق الذي استعمل فيه هذا الحرف - أي الحرف (على) - أنّ الشاعر كان رهين حالة من الضرورة، لهذا الاستعمال، وليس في مكنته استعمال غيرها.

وانتهت الدراسة إلى أنّ مرجع عدم اهتمام الشاعر بحرف (اللام) لأفضلية حرف (في) في الدلالة على الرسوخ من حرف (اللام)⁽³⁾، وأنّ معاناة الأفضلية في هذه القصيدة

(1) فهي من (أحلى القوافي) المرشد إلى فهم أشعار العرب،

(2) المثل السائر لابن الأثير، ص 35.

(3) ينظر المثل السائر، ج 2، ص 35.

عاشها الشاعر قبل ممدوحه، مرسلًا رسالة واضحة في اتجاهه.
وكشفت الدراسة أنَّ الشاعر لم يستخدم الحروف: خلا، وحاشا، ورب، ومذ، ومنذ،
وحتى، وكي، أمَّا متى فقد دخلت على أفعال وليس أسماء.
وعلَّل ذلك بعدم وجود ما يربطها بالمعاني التي تغنيها الشاعر، حيث كان يوجَّه خطابه
إلى عقل ممدوحه.

وقد اتضح من خلال النظر في القصيدة استخدام الشاعر ل: كاف الخطاب مما يدلُّ
على اعتياد الشاعر وتمرسه في مجال المدح.
وهناك الصور والأخيلة التي جاء الباحث ببعض الأمثلة منها، والتي انتهى من
خلاها، إلى الوقوف على خبرة الشاعر وتمرسه في الشعر عامة، لا في مجال المدح دون غيره.
﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (1).

(1) هود: 88.

المصادر والمراجع:

- 1 - المصحف الشريف.
- 2 - الأعلام للزركلي، ط 17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007.
- 3 - تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط 6، دار المعارف بمصر، 1966م.
- 4 - شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة 338هـ، تحقيق أحمد خطاب، بغداد: دار الحرية للطباعة، (د.ت)، القسم الأول والثاني.
- 5 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه د. إميل بديع يعقوب، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية.
- 6 - حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. يوسف خليف، (دون بيانات نشر).
- 7 - الرحلة في القصيدة الجاهلية، د. وهب رومية، ط 3 مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م.
- 8 - طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط 3، دار المعارف بمصر (د.ت).
- 9 - عيار الشعر، لمحمد أحمد بن طباطبا العلوي، بتحقيق وتعليق د. محمد زغلول سلام، ط 3، دار منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، ط 3، (د.ت).
- 10 - في البلاغة العربية، علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985م.
- 11 - في رحاب اللغة العربية، نصوص - قواعد - بلاغة عروض تدريبات، د. عبد الرحمن عطبة، ط 3، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1985م.
- 12 - لسان العرب المحيط، لابن منظور، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي،

أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، بيروت: دار الحيل / دار لسان العرب، 1988م.

13 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، حققه وعلق عليه، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

14 - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصنعتها، د. عبد الله الطيب المجدوب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955 م.

15 - معجم الشعراء للمرزباني، أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى، المتوفى سنة 384هـ، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، (دون بيانات نشر).

16 - معجم الشعراء العباسيين، معجم بليوغرافي يعرف بالشعراء ومصادر دراساتهم ومراجعتها، إعداد، عفيف عبد الرحمن.

17 - مع المكتبة العربية: دراسة في أمهات المصادر والمراجع المتصلة بالتراث، د. عبد الرحمن عطية، ط 2، دار الأوزاعي، 1404هـ / 1984م.

18 - مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، د. حسين عطوان، ط 2، دار الحيل، 1987م.

19 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط 3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986 م.

20 - الموشح، للمرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د.ت.).

21 - النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، د. أحمد كمال زكي، ط 2، بيروت: دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، 1981م.



المديح النبوي في الشعر الليبي المعاصر

توثيق وتحليل

د. خديجة أحمد البدوي

(جامعة طرابلس - كلية التربية/جنزور)

بسم الله الرحمن الرحيم

دوافع البحث وأهميته :

- غزارة المادة الشعرية التي نظمها الشعراء الليبيون المعاصرون في هذا الغرض .
- ما يتمتع به هذا اللون الشعري من تجارب شعرية عميقة وصادقة، ومقومات فنية جديرة بأن تحظى بدراسات نقدية وتحقيقية.
- كشف تجليات محبة رسول الله ﷺ في الوجدان الليبي على مستوى الأفراد والجماعات.

أهداف البحث:

- التعريف بالشعر الليبي المعاصر في المديح النبوي ألوانه وخصائصه .
 - عرض نماذج منه تمثل التجارب الشعرية الليبية المعاصرة في هذا اللون.
 - تقديمها وتحليلها بما يجلي بعض المقومات الجمالية، الفكرية والفنية فيها.
- الدراسات السابقة: لم أجد من خص هذا الموضوع بدراسة سابقة، وكانت فكرة البحث وأهميته حاضرة في ذهن منذ زمن، وقد تمت الإشارة إليها في موضعها من مقدمة أطروحة الدكتوراه للباحثة. (1)

(1) نظم الدرر، للحسن الرهوني في ترجيز كتاب الأحكام من أي خير خير الأنام ﷺ، لأبي علي محمد -

حدود البحث :

المكانية: لم يقتصر البحث على مناطق ليبية بعينها، وأورد نماذج من شعر شعراء من مناطق مختلفة.

الزمانية: النماذج الشعرية الواردة في البحث هي لشعراء يمثلون الفترة الزمنية المعاصرة وينتمون إليها .

تساؤلات البحث:

سوف يجيب البحث عن التساؤلات الآتية :

- ماذا يقصد بالمديح النبوي ؟
- هل ثمة حضور للمديح النبوي في الشعر الليبي المعاصر ؟
- ما أسباب هذه الظاهرة وتجلياتها في الشعر الليبي المعاصر؟
- ما الخصائص الفكرية والفنية لهذا اللون الشعري؟
- الكلمات المفتاحية:** المديح، النبوي، الشعر، الليبي، المعاصر .

منهج البحث: تمّت الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي في بعض جوانب البحث بما يوافق الأهداف العامة التي رسمها، وذلك من خلال رصد وتوثيق وتحليل نماذج مختلفة من النصوص التي قيلت في المديح النبوي في الفترة التي تم تحديدها، ولأنّ القيمة الأدبية للنصوص تزداد بقدر ما تحمل من وجوه التأويل والتفسير والتنقيب والتحليل، وأنّ خصوبة النصّ وأصالته لا تنكشف إلا حين تعرضه لعدد من مناهج النقد التي تفضي به إلى تأويلات متنوعة؛ فقد تمّ توظيف منهج شمولي تكاملي يجمع ما بين المناهج المتعارف عليها في النقد الأدبي الحديث، ويقوم على الحوار

= الحسن ابن القطان ج/1 ص125. بتحقيق الباحثة. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية 2010 .

والفاعل بين جميع هذه المناهج، ويتجلى في البحث عن الظواهر الفكرية والتركيبية ، وتصنيف الحقول الدلالية، ومحاولة تفسيرها وتأويلها، وكشف ما تزخر به النصوص من مقومات لغوية وأسلوبية وبلاغية وإيقاعية وغيرها، بما يؤدي إلى التعمق في دراستها وإظهار مواطن الإبداع فيها.

خطة البحث:

سوف يقوم هذا البحث على خطة تحتوي على، تمهيد ومبحثين وخاتمة جاءت كما يلي: تمهيد.

- المدح في الشعر العربي، لغة واصطلاحاً.

- المدائح النبوية: نشأتها وتطورها.

المبحث الأول: قصيدة المدح النبوي في الشعر الليبي المعاصر:
أولاً: البنية الشكلية .

ثانياً: المضامين .

ثالثاً: التناص ومصادره في المدحة النبوية الليبية المعاصرة .

المبحث الثاني: الخصائص الفنية للنصوص المختارة:

أولاً: التجربة الشعرية .

ثانياً: المعجم الشعري .

ثالثاً: التركيب النحوي .

رابعاً: التركيب البلاغي :

خامساً: البنية الإيقاعية .

خاتمة وتوصيات .

تمهيد

المدح في الشعر العربي: المدح لغة: الثناء وذكر المناقب والشمائل، ورد في لسان العرب: المدح: نقيض الهجاء وهو حسنُ الثناء؛ يقال: مدحته مدحةً واحدةً ومدحه يمدحه مدحاً ومدحةً. هذا قول بعضهم، والصحيح أنَّ المدح المصدر والمِدحةُ الاسم، والجمع مدحٌ، وهو المديح، والجمع المدائح والأماديع⁽¹⁾.

واصطلاحاً: هو فن من فنون الشعر الغنائي، له خصائصه ومقوماته ولغته، فيه يتغنى الشاعر بالمآثر والفضائل والشمائل والمناقب التي تجسّد النموذج الأخلاقي في الممدوح.

كان العرب يتمدحون بالقيم الإنسانية الرفيعة التي تجسّدت لديهم في كثير من الصفات والفضائل النفسية كالعقل والحكمة والحياء والبيان والعفة والشجاعة والعدل والإيثار والوفاء، وغيرها، وزادوا عليها الفضائل العرضية أو الجسمية؛ كالجمال والأبهة وسعة الدنيا وكثرة العشيرة، وكانوا يخلعون على الممدوح من الصفات والفضائل ما يلائم مكانته؛ فيمدح الملوك بالحكمة والكرم والحلم، والقضاة بما يناسب العدل والإنصاف ولين الجانب وانبساط الوجه، والقادة بالشجاعة والنخوة والجود، والوزراء الكتاب بحسن الروية وسرعة الخاطر وقلة الغفلة والبلاغة وحسن الخط وغير ذلك⁽²⁾. كانت هذه مقومات شعر المدح بصفة عامة، قبل أن ينحرف فريق من الشعراء إلى المدح التكسبي، ولكن المدح بالمفهوم الأول بقي يسير جنباً إلى جنب في جميع العصور.

المدائح النبوية: فن أصيل من فنون الشعر الديني، له مكانته في الشعر العربي على مر العصور؛ فمنذ إشراقة الدعوة الجديدة، كان للشعر دور بارز في مناصرة الحق وتعزيز القيم الإسلامية والمبادئ السامية، وشارك أعلام من الشعراء الصحابة في الفتوحات والغزوات، يواجهون الأعداء بالسيف ويوثقون بأشعارهم الأحداث في الغزوات والسرايا،

(1) مادة مدح .

(2) انظر ابن رشيّق . العمدة 2 / 132.

وينافحون عن الإسلام بالرد على شعراء المشركين في مكة، ويمدحون الأبطال ويصفون بطولاتهم وبلاءهم في سبيل نصره الدعوة والذود عن حياض الدين الجديد⁽¹⁾، ومدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإشادة بآثره والاعتذار إليه، وشكل شعر المديح النبوي في تلك المرحلة مكانة سامية لأنه «متعلق بصاحب الدين والمثل الإنساني الأعلى، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شخصية إنسانية فريدة، هي أعظم شخصيات التاريخ الإنساني»⁽²⁾، وبمرور الزمن وتعاقب الأجيال اكتسب هذا النمط الشعري السامي عمقاً وتنوعاً وكان له حضوره الواسع وظلاله الوارفة، وانتشر انتشاراً كبيراً بين العامة والخاصة في المجتمعات الإسلامية لأنه «الفن الشعري الصادق الذي لا يخالطه رياء ولا يشوبه غرض»⁽³⁾، وفيه يعبر الشعراء عن محبتهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومناجاته والصلاة عليه وإبراز شمائله وآثره وذكر معجزاته ووصف حنينهم إلى البقاع المقدسة وتصوير مشاعرهم العميقة وآملهم في الانضواء تحقيقت لوائه وطلب شفاعته .

المبحث الأول

قصيدة المديح النبوي في الشعر الليبي:

احتفى الشعر الليبي عامة بقصيدة المديح النبوي، ودججت فيه القصائد الطوال، وتذكر المصادر أن من بين من اشتهر في هذا المجال الشيخ أحمد البهلول ت: 1113 هـ 1702 م⁽⁴⁾، وهو الذي أنشأ ديواناً في المديح النبوي، حظي باهتمام كبير على مستوى العامة والخاصة؛

(1) انظر: محمد عثمان علي، في أدب الاسلام. كلية الدعوة الإسلامية. ط 3. 1994. طرابلس. 44 : 51.

(2) محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي 12 / 1 . دار الفكر، 1417 هـ.

(3) م . س 13 / 1

(4) الفقيه الأديب النحوي اللغوي أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن علي بن سيد الناس الملقب ب (أحمد البهلول) نحو (1650م - 1702 م) وارتحل إلى الأزهر، والتقى بطائفة من علماء عصره منهم: الشيخ أحمد الشبشي، والشيخ محمد الخرشبي، والشيخ عبد القادر الزرقاني وغيرهم، وأخذ عنهم الحديث والتفسير والكلام واللغة والأصول والنحو والصرف والقراءات. من مؤلفاته: منظومة في العقائد، منظومة فقهية: الأوجه الجامعة. المقدمة النورية. أحمد النائب الأنصاري. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. مكتبة الفرجاني. طرابلس -

حيث كان المغرمون بالمدائح والأدكار يواظبون على قراءته «إبان المولد النبوي الشريف بمدرسة عثمان باشا الكائنة بمدينة طرابلس»⁽¹⁾، ثم كان ازدهار هذا اللون الشعري فيما بعد في الفترة المعاصرة لدى الشعراء الشباب خاصة لعوامل مختلفة، منها الانتماء إلى مجتمع يضع محبته صلى الله عليه وسلم في الأولويات، هذه المحبة المتجذرة في المجتمع الليبي على مر العصور، ومنها التعبير عن النخوة والحمية في مواجهة الإساءات الإعلامية المعادية والمتكررة للمقدسات الإسلامية.

أولاً: البنية الشكلية:

1 - عناوين ومقدمات قصيدة المديح النبوي الليبي المعاصر:

لقد أولت الدراسات النقدية الأدبية المعاصرة العنوان وتحليله أهمية بالغة في الأعمال الإبداعية؛ نظراً لما يؤديه من وظائف جمالية ووظيفية في النص، ذلك لأن «كل عنوان يرتبط بالنص الذي يليه برابط ما، يتجلى في قول العنوان شيئاً ما عن هذا النص إما بصورة مباشرة واضحة أو بصورة رمزية غير مباشرة»⁽²⁾ وهو ما جعله يشكل في الدراسات النقدية المعاصرة «مفتاحاً منتجاً ذا دلالة ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل، بل يمتد حتى البنية العميقة، ويستفز فواصله ويدفع السلطة الثلاثية (المبدع - النص - المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة»⁽³⁾ لأنه عتبة من العتبات النصية نظراً لدوره في النص ودوره ووظائفه في النقد.

= الغرب. 372، ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل. التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار. عني بنشره. الطاهر أحمد الزاوي. المطبعة السلفية. 1349. القاهرة. 248.

(1) ينظر فرج بن ونيس بن الساعدي بن الصيد، نسمات القبول على ديوان البهلول. ج/ 1. دار الكتب الوطنية. بنغازي. 2009. 1.

(2) مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه مرقونة. جامعة وهران. 2013. 33، 2014.

(3) محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية والإطلالة على مدار الرعب. الدار التونسية للنشر. تونس 1992، 18.

إنَّ المتتبع للنصوص الشعرية الواردة في هذه الفترة؛ يلاحظ أن الشعراء جعلوا لقصائدهم عناوين مختلفة، بعضها كلمة واحدة، مثل: مناجاة⁽¹⁾، علاء الأسطى⁽²⁾، وبعضها مركبة من أكثر من كلمة: مناجاة محمدية⁽³⁾، رضا جبران⁽⁴⁾، بسمه الغيب⁽⁵⁾، زكريا الفاخري⁽⁶⁾، الرحمة المهداة⁽⁷⁾، علاء الأسطى، مولد النور⁽⁸⁾، عمرو النامي⁽⁹⁾، أو شبه جملة

- (1) رسالة خاصة من الشاعر بتاريخ: 25 . 3 . 2019.
- (2) علاء الدين محمد الأسطى (ابن عائشة الأندلسي) مواليد تاجوراء 1975، أستاذ بجامعة طرابلس. حاصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة، 2014، له مجموعتان شعريتان: ما زلت معي، رهين الغريبتين، نشرت منهما قصائد في مجلات عربية - له كتاب شعر السجن في العصر الأموي دراسة فنية، دار مكتبة الآداب، بالقاهرة، 2014م، بحث بعنوان: «أحوال السجناء من خلال شعر السجن»، بمجلة التراث والحضارة بجامعة قناة السويس بمصر، العدد 3 أغسطس 2014م، بحث بعنوان: «بلاغة العدول في التعبير القرآني سورة الضحى أنموذجاً»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب جامعة المرقب، ع. 2، ديسمبر 2016م. له نشاطات ثقافية في كثير من المؤسسات الثقافية الوطنية والدولية.
- (3) رسالة خاصة في 7/ 7/ 2018.
- (4) رضا محمد جبران، مواليد 1977 بطرابلس. متحصل على درجة الدكتوراه من جامعة محمد بن عبد الله بفاس المغرب 2012. شارك في تأليف كتاب تأبين الشاعر الفلسطيني الراحل سميح القاسم مشاركة مع جامعة النجاح بفلسطين سنة 2014. له ديوان شعر بعنوان (مناوشات) وآخر بعنوان (أهازيج وأفراح) كلاهما مخطوط.
- (5) -قصيدة بسمه الغيب. شبكة الألوكة. 26. 4. https://www.alukah.net/literature_102197/language/0
- وقد رشحت القصيدة للمرحلة النهائية في جائزة كتارا لشاعر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نسختها الأولى لعام 2016.
- (6) زكريا يونس محمد الشريف الفاخري، هو شاعر وكاتب وإعلامي، شارك في عدة ملتقيات أدبية وشعرية محلية وعربية وله ديوانان شعريان مطبوعان: (أشواق التوليب) و(اعتكاف الشعر)، وله رواية مطبوعة بعنوان (الأجلك يا جنهم)، له مجموعات شعرية ونثرية لم تطبع بعد، له مشاركات في برامج أدبية وثقافية في قنوات فضائية. <https://www.katarapoet.com/tag..>
- (7) رساله خاصة . 25/ 3/ 2019
- (8) مولد النور. سلسلة من الأعمال الشعرية اعتنت بنشرها كريمه الشاعر: سميه النامي. دار الكتب الوطنية. بنغازي. 2018.
- (9) عمرو خليفة النامي: من النخب الوطنية الليبية في فترة الستينيات والسبعينيات، ولد بنالوت عام 1939، كاتب وشاعر، حاصل على الدكتوراه في الدراسات: «العربية والإسلامية من جامعة كامبردج عام 1971»، وعمل استاذاً جامعياً، في بنغازي وطرابلس، اضطهد، ونفي، واعتقل، ثم انقطعت أخباره منذ عام 1986، ولم يعثر له على أثر، له سلسلة من الأعمال الشعرية اعتنت بنشرها كريمته سميه النامي، كما أن له عدداً من المقالات النقدية. <https://www.marefa.org>

جار ومجروح: في حضرة المصطفى⁽¹⁾، في مدح طه⁽²⁾، في طلعة النور⁽³⁾ فاطمة العويمري⁽⁴⁾، على الجودي⁽⁵⁾: حسن إدريس⁽⁶⁾ وبعضها جملة اسمية أو فعلية: مولاي عبدك بين اليأس والأمل⁽⁷⁾ عبد المولى البغدادي⁽⁸⁾، يمضي إليك العاشقون⁽⁹⁾، وحدك الشمس في أفق النبوءات⁽¹⁰⁾، ربيعك لا يمر به الخريف⁽¹¹⁾، محمد المزوغي. وتعد مطالع القصائد من أبرز التقاليد الشعرية الراسخة في القصيدة العربية عامة، وانشغل بها الأدباء ونقاد الشعر وبينوا أنواع المطالع ومقومات جودتها ومضامينها، وكتبوا في براعة الاستهلال وحسن التخلص، ذلك لأن «مقدمات القصائد تعكس الموضوع الرئيس الذي يتحققث عنه الشاعر فيما بعد، ولا بُدَّ أن يكونَ جهدُ الشاعر واضحاً في مقدمته؛ لما يقع عليها من دورٍ في لفت

(1) في حضرة المصطفى، مجلة : غذاء الروح والفكر وفرسان الشعر. <https://ghazaaalroohwalfekr.blog-pos/11/blogspot.com/2017>

(2) في مدح طه . صحيفة المنبر . 24 مارس 2018 almenbr.org

(3) في طلعة النور- صحيفة المنبر ، 20 . 2018 < 1almenbr.org

(4) فاطمة حميد العويمري. أستاذة بالمعهد المتوسط للحاسوب بالعزيرية. خريجة معهد عال، تخصص لغة عربية، لديها مجموعة من النصوص، نشرت في بعض المواقع الإلكترونية، عضوة في عدة مجموعات ومنتديات <http://www.tieob.com>

(5) رسالة خاصة يناير 2018

(6) حسن أحمد الطاهر إدريس :مواليد 1990. طرابلس، حاصل على بكالوريوس في الهندسة المدنية . 2012. جامعة طرابلس، ويعمل معيداً بها، مهتم بالأدب عموماً والشعر العربي خصوصاً، وله ديوان مخطوط، وله مشاركات شعرية في عدة مهرجانات واحتفالات محلية ودولية، وحاصل على جوائز في عدد من المسابقات الشعرية ، مهتم بفنون أخرى من أبرزها فن الخط العربي الذي يتقن بعض أنواعه . <http://www.tieob.com>.

(7) عبد المولى البغدادي . مولاي عبدك بين اليأس والأمل . دار الفكر العربي . 2005.

(8) د. عبدالمولى البغدادي، شاعر الكلمة الملتزمة، والفكر النير، ولد بطرابلس 1938م، عضو هيئة التدريس بجامعة طرابلس، متحصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر بمرتبة الشرف الأولى . عام 1971، شغل منصب عميد كلية التربية بجامعة طرابلس 1974م ، ثم نائب رئيس الجامعة عام 1975م، أوفد إلى جامعة اديس ابابا لتدريس اللغة العربية عام 1982م، ثم إلى جامعة مالطا عام 1992 م ، صدر له ديوان شعر بعنوان : على جناح نورس عام 1999م ، وله قصائد أخرى كثيرة متنوعة، شارك في عدة مهرجانات ومنتديات شعرية وأدبية محلية ودولية ، منها مهرجان الشعر العربي الفرنسي وعكاظية الشعر العربي بالجزائر <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(9) يمضي اليك العاشقون . 15 . 12 . 2018 . www.facebook.com/photos

(10) وحدك الشمس في أفق النبوءات <http://www.tieob.com>

(11) ربيعك لا يمر به الخريف، رسالة خاصة بتاريخ 28 / 10 / 2019.

انتباه القارئ أو المتلقي»⁽¹⁾، كما أن من النقد من ربط بين مقدمات الشعراء وشخصياتهم وخواطرهم وأحوالهم النفسية⁽²⁾.

ويلاحظ أن الهيكل العام لقصيدة المديح النبوي الليبي المعاصر جاءت في اتجاهين :
الأول: نماذج جاء بمقدمات ثم خلصت إلى موضوع المديح النبوي، ومن أبرز أمثلتها قصيدة: علي الجودي؛ وهي تصور رحلة روحية بدأها الشاعر بمطلع فلسفي يقول فيه:⁽³⁾

أَنْسَابُ شِعْرًا كَمَا لَوْ لَمْ أَكُنْ بَشَرًا أَلْقِي عَصَايَ؛ لَعَلِّي إِنْ فَعَلْتُ أَرَى

ثم يخلص إلى الموضوع بعد أبيات فيقول في البيت السادس مستخدماً كاف الخطاب في قوله :

أَسْرِي وَأَجْتُ فِي أَلْوَجٍ مَنْ وَقَفُوا حَتَّى وَقَفْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِيَّ سَرَى

إلى أن يصرح باسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيت السابع عشر :

مُحَمَّدٌ، وَاسْتَنَارَتْ كُلُّ مُظْلِمَةٍ أَكُنْتُ تَنْثُرُ لِلْمُضْبَاحِ مَا نَثَرَا!

ومن هذه النماذج أيضاً قصيدة بسمه الغيب، ومطلعها⁽⁴⁾ :

خِذِي مِنَ الرُّوحِ أَعْيَادًا وَالْحَنَا وَبِعَثْرَتِي عَلَى الْأَوْرَاقِ أَوْزَانَا

ثم يلج الشاعر مباشرة في قصيدة المديح النبوي فيقول:

خِذِي مِنَ اللَّيْلِ نَجْمًا كِي يَطِيرَ جَوَادُ شِعْرِي نَحْوَ الْمُصْطَفَى الْآنَا

كما نصادف ضمن هذا النموذج مطلع قصيدة: مناجاة، ومطلعها في وصف الطيف،

وهو من المطالع التقليدية في الشعر العربي:⁽⁵⁾

(1) - زياد مقدادي مقدمات القصائد في العصر الجاهلي www.facebook.com/arabicmkku1 posts

(2) ينظر: إبراهيم حنفي، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧، ص 5.

(3) قصيدة علي الجودي . م . س

(4) زكريا الفاخري . م . س .

(5) علاء الأسطى . وينظر: زياد مقدادي . مقدمات القصائد في العصر الجاهلي م . س

طيف سرى فاستباح السهد والسهرا ما أعذب السهد إذ طيف الحبيب سرى
 ثم يخلص إلى المديح النبوي فيقول:
 كل النفوس إلى أحبابها اذكرت فكيف نفسي إذا خير الورى ذكرا
 كما كان ضمن هذا اللون قصيدة لمحمد المزوغي بدأها بهذا المطلع الوجداني الذي
 يقول فيه: (1)

في الأفق أبصرُ أسرابَ البشارات فكيف تصمُدُ يا ليل انكسارات
 ويخلص إلى البيت الأخير من القصيدة المكونة من ستة عشر بيتاً بقوله :

كل النبيين أقمارٌ إذا وُصِفُوا ووحداك الشمسُ في أفقِ النبوءات
 وفي قصيدة مولد النور نصادف هذا المطلع الاحتفائي (2)

الْكُونُ هَلَّلَ وَالْقُلُوبُ صَفَاءُ وَالشَّعْرُ غَرَدَ فَالْحُرُوفُ ضِيَاءُ
 وَلَيْدَ الَّذِي بِمَجِيئِهِ طَابَ الْهَوَى وَتَفَشَّعَتْ بِقُدُومِهِ الظُّلُمَاءُ
 وبدأت الشاعرة قصيدتها : يا مشرقا بالحسن، بمطلع يقول :

بِالدَّرِّ طَرَزْتُ الْقَصَائِدَ سَيِّدِي -عَبَثًا- ..، وَلَمْ أَبْلُغْ لَوْصِفِكَ شَيْئًا
 وتخلص في البيت الخامس إلى القول :

بُشْرَى -وَرَمَزُ الْمُعْجَزَاتِ مُنْبِئٌ أَكْرِمُ بِأَحْمَدٍ مُنْقِذًا وَنَبِيًّا
 وتقول في مطلع قصيدتها : من نفح طيبة:

أَذْكَى الْفِرَاقُ أَوَارَ الشَّوْقِ فَانْبَثَقَا سَيْلُ السَّعَادَةِ إِبْطَالًا لِمَا اتُّفِقَا
 ثم تخلص إلى القول بعد أبيات :

يَا غَادِيًا وَعُيُونُ اللَّهِ تَحْقِيقُ رُسُهِ أَبْلُغْ سَلَامِي إِلَى مَنْ وَعَدَهُ صَدَقًا
 وفي قصيدتها: في مدح طه، نصادف مطلعاً يقول :

(1) في الأفق أبصرُ أسرابَ البشارات . م . س ، وذكر أنه كتب معظم أبياتها في الحرم النبوي الشريف.

(2) فاطمة العويمري . م . س .

أَصْبُو لِقُرْبِكَ فِي صَحْوِي وَفِي حُلْمِي يَا مَالِكَ الْقَلْبِ أَذْكِي بُعْدَكُمْ أَلْمِي
ثم تقول بعد أبيات :

سَلَّمَ وَصَلَّ عَلَى الْهَادِي وَزِدْمَدَا بِقَدْرِ عَدَّ الْحَصَى وَالطَّيْرِ وَالنَّجْمِ
ويبدأ الشاعر عبد المولى البغدادي قصيدته بمطلع يتهل فيه إلى الله عَزَّجَلَّ فيقول⁽¹⁾:
مولاي عبدك بين اليأس والأمل يا خير مولى لعبد حائر السبل
ثم يخلص إلى القول:

مُصْلِيًّا بِصَلَاةِ اللَّهِ وَاصِلَةً مَوْصُولَةً بِشَفِيعِي أَشْرَفِ الرُّسُلِ

الثاني : نماذج جاءت بلا مقدمات ومنها :

1 - قصيدة: في طلعة النور، يقول مطلعها:⁽²⁾

شَدَوْتُ بِاسْمِكَ فِي شِعْرِي وَفِي نَعْمِي يَا «سَيِّدَ الْخَلْقِ» يَهْوَى مَدَحَكُمْ قَلْبِي
وجاءت قصيدة الرحمة المهداة في هذا الاتجاه أيضاً حيث بدأ الشاعر علاء الأسطى
قصيدته⁽³⁾:

تَشْتَاقُهُ الْأَرْكَانُ .. وَالْعَتَبَاتُ، وَلَهُ الْجِنَانُ تَحْقِيقُنْ ... وَالْعُرْفَاتُ

وكذلك جاءت قصيدة رضا جبران التي مطلعها:⁽⁴⁾

يَا رَبِّي صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ مَنْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ يَحُلُو تَرْتُّمِي

وقصيدة عمرو النامي أيضاً ومطلعها:⁽⁵⁾

أَهْمُ بِمَدْحِ شَخْصِكَ يَا حَبِيبَا فَيَمْنَعُنِي جَلَالُكَ وَالْبَهَاءُ
أَتَأْذَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي بَابَ الشُّوقِ يَحْدُونِي رَجَاءُ

(1) مولاي عبدك بين اليأس والأمل . م . س .

(2) فاطمة العويمري . م . س

(3) الرحمة المهداة . م . س

(4) مناجاة محمدية . م . س

(5) مولد النور . م . س

وقصيدة فاطمة العويمري التي بدأت بقولها⁽¹⁾

يَارَبِّ صَلِّ وَلَا تَقْطَعْ لَهُ مَدَدًا عَلَى الَّذِي فَضَّلَهُ قَدْ جَاوَزَ الْأَمَدَا

وفي قصيدة محمد المزوغي: يمضي إليك العاشقون:⁽²⁾

لَا شَيْءَ ... أَنْتَ وَتَبَدُّ الْأَشْيَاءَ يَصْحُو الْوُجُودُ وَتُرْتَدَى الْأَسْمَاءُ

وهكذا جاءت النماذج الشعرية متنوعة، بعضها التزم بمقدمات تقليدية وجدانية ثم ولج إلى موضوع المديح النبوي، وبعضها الآخر تجاوز موضوع المطالع ودخل موضوع المديح النبوي بلا مقدمات، وفي كلا الاتجاهين نلاحظ التزاماً بمستوي رفيع من الإبداع الشعري .

2 أنواعها (الأشكال الفنية):

أ المعارضات: المعارضة في اللغة تعني: المقابلة والمباراة والمحاكاة والمشابهة، يقال: عارضه في السير: سار حiale وحاذاه، وعارضه بمثل ماصنع، أي فعل مثل ما فعل، وعارض كتابه بكتابه: قابله، ومعارض الكلام ومعارضه: الكلام الذي يشبه بعضه بعضاً في المعاني⁽³⁾.

واصطلاحاً: أن ينظم الشاعر قصيدة شعرية في موضوع ما، ونتيجة لإعجاب شاعر آخر بهذه القصيدة وانبهاره بما فيها من «جماليات فنية، وصور بديعة، وإيقاعات مؤثرة، ودلالات عميقة»⁽⁴⁾، يقوم بنظم قصيدة أخرى مشابهة لها، ملتزماً التزاماً كلياً تاماً بموضوعها ووزنها وقافيتها، أو التزاماً جزئياً محدوداً مخالفاً لعنصر من هذه العناصر، ولكن «عدم اكمال عناصر المعارضة، يجعلها معارضة ناقصة وغير مكتملة، ولا يخرجها

(1) في حضرة المصطفى . م . س

(2) محمد المزوغي . م . س

(3) اللسان . عرض.

(4) رحمون بلقاسم . جماليات المعارضات الشعرية للقصيدة الشقراطية . دراسة أسلوية . اطروحة دكتوراه .

جامعة العربي بن مهيدي . الجزائر 2015 - 2016 . 42.

من مجال فن المعارضة»⁽¹⁾ وفي كلا الحالين يحرص الشاعر المتأخر على متابعة الشاعر السابق ومجاراته، ويجتهد في أن يظهر مقدرته الفنية ويحقق الإبداع والتجديد والتفوق؛ فغاية المعارضة بهذا المفهوم تتجاوز التقليد والمحاكاة إلى الابتكار والإبداع، حيث يضيف الشاعر على نصه من أصالة الماضي ورونق الحداثة.⁽²⁾ ولذلك فإن المعارضة «لا يمكن أن تكون محاكاة مطلقة، لأن المحاكاة المطلقة عملية مجردة من عنصر الإبداع... وليست المعارضة كذلك»⁽³⁾.

لقد اكتسب هذا الفن الشعري أهميته من أنه شجع على الانفتاح على الماضي والتفاعل معه والاطلاع على مظاهر العبقورية في صياغة النصوص الشعرية؛ مما حفز المبدعين من الشعراء «إلى أن يتسابقوا في هذا الميدان، لأنهم رأوا فيه ميداناً لعرض قدراتهم، وشاهداً على غزارة ينابيع ملكاتهم، ودليلاً على علو شأنهم، وبرهاناً على تفوقهم، فتنافس الفحول مع معاصريهم ومع سابقهم لتخصب رياض الأدب بالفرائد، والنفائس والروائع والأوابد، وليشيدوا للدارسين صرحاً أدبياً»⁽⁴⁾.

وكان للشعر الليبي من هذه المعارضة نصيب وافر، فقد نظم الشاعر عبد المولى البغدادي قصيدة لامية في المديح النبوي تشع بالجمال والجلال، وبلغ عدد أبياتها مائتين وواحداً وثلاثين (231) بيتاً ومطلعها: «البسيط»

يا خير مولى لعبد حائر السبل به عبودي من سابق الأزل

وختامها:

لا تحرموني عبد الله دعوتكم فإنني عبد مولى خاتم الرسل

(1) م. س. 45.

(2) انظر عبد الرؤوف زهدي مصطفى، وعمر الأسعد المعارضة الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي: (دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36)، ملحق، 2009 - 904.

(3) يونس طركي سلوم البجاري. المعارضة في الشعر الأندلسي دراسة نقدية موازنة. دار الكتب العلمية. بيروت. 2008. ص 47.

(4) عبد الرؤوف زهدي مصطفى، وعمر الأسعد - 904 م. س.

وبتحليل مضمون نص القصيدة يلاحظ أنها تجسدت في المحاور التالية :

- 1 - مقدمة : الحمد والتضرع والإشارة إلى دوافع النظم 1 - 13.
- 2 - إشادة ببردة البوصيري وأثرها : 14 - 47.
- 3 - مدحته وظروف نظمها: 48 - 63 .
- 4 - شكوى وتحسر من الساسة والحكام: 63 - 105.
- 5 - تهديد ووعيد: 106 - 115.
- 6 - شكوى من الانحراف والتنطع في الدين ودعوة إلى التوسط والحكمة: - 116 148.
- 7 - مديح نبوي: 149 - 158.
- 8 - توسل ورجاء: 159 - 189.
- 9 - تنبيه وتذكير: 190 - 206.
- 10 - مناجاة واستعطاف ودعاء : 207 - 231.

وذكر في قصيدته أنه جعلها معارضة لقصيدة شرف الدين أبي عبد الله البوصيري⁽¹⁾ الميمية المعروفة ب (البردة)، وقد وردت قصيدة البردة على الأرجح في مائة وستين بيتاً⁽²⁾.

(1) هو شرف الدين محمد ابن سعيد ابن هلال الصنهاجي البوصيري، ولد بقرية دلاص إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر، في نحو 608 هـ / 1213 م لأسرة ترجع أصولها إلى قبيلة صنهاجة إحدى المغرب الأقصى، نشأ بقرية بوصير، ثم انتقل إلى القاهرة. حفظ القرآن وتلمذ عدد من علماء عصره، شعره يمتاز بالرصانة والجزالة وجمال التعبير وقوة العاطفة، اشتهر بالمدايح النبوية. توفي نح 698 هـ / 1295 م. محمد بن شاعر الكتيبي. فوات الوفيات - بيروت: دار صادر، 1974م. 3/ 362 369. الزركلي. الأعلام. دار العلم للملايين. ط . 15. بيروت . 1995.

(2) اختلف العلماء في تحديد عدد أبياتها، فمنهم من قال أن عددها مائة واثنان وثمانون (182) بيتاً، ومن قال أنها مائة واثنان وستون (162) بيتاً، وبعضهم جعلها مائة واحداً وسبعين (171) بيتاً، ولكن معظم النسخ الصحيحة اتفقت على أن عدد أبياتها مائة وستون بيتاً (160) ويؤكد على ذلك قول بعضهم :
وهذه بردة المختار قد خُتمت والحمد لله في بدء وفي ختم

مطلعها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانِ بَذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

وختامها :

ما رنحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

وقد تجلت أبياتها في المحاور التالية :

1 - مقدمة غزلية تقليدية : 1 - 12 .

2 - التحذير من هوى النفس : 13 - 28 .

3 - مدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 29 - 58 .

4 - الحديث عن مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 59 - 71 .

5 - في الحديث عن معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 72-87.

6 - في شرف القرآن الكريم ومدحه 88 - 104.

7 - في الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج 105 - 117 .

8 - في جهاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزواته 118-139.

9 - في التوسل والتشفع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 140 - 151.

10 - في المناجاة والتضرع 152 - 160.

ومعارضة البغدادي ليست معارضة تامة ، فقد التزم فيها بوحدة الموضوع ووحدة البحر ووزنها دون القافية ، وكانت قافية البوصيري (الميم المكسورة)، واختار البغدادي

أبياتها قد أتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم
ينظر : محمد أبو الحسن . قصيدة البردة: دراسة أدبية . مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان.
العدد الرابع والعشرون، 2017م.

قافية (اللام المكسورة)، وهو ما جعل بعض النقاد⁽¹⁾ يظن أنَّ القصيدة معارضة للقصيدة الشقراطية التي نظمها أبو محمد عبد الله التوزري الشهير بالشقراطي: ⁽²⁾ في مائة وخمسة وثلاثين (135) بيتاً، ومطلعها:

الحمد لله منا باعث الرسل هدى بأحمد منا أحمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر وأكرم الخلق من حاف ومنتعل
وهذا رأي وجيه، ولكن البغدادي صرح بمعارضته لبردة البوصيري وتفاعله معها وتأثره بها في نحو أربعة وثلاثين بيتاً من قصيدته ⁽³⁾، يقول:

ماكنت احسب أني لا أزال على عهد البوصيري في ريعان مكتمل
كما يذكر أنه تعلق بها منذ طفولته وكانت مصدر إلهام وآمال وانتشاء، يرددها مع أقرانه وشيوخه:

منذ الطفولة والآمال تحفزني وتستحث ترانيمي وتعزف لي
سطرتها واجباً في اللوح منذ وعت كفي الحروف بريئات من الحيل
رددتها نغماً حلوّاً اقصدته مع المشايخ في الأعياد والعطل
ويصور في مشهد بديع إعجابه بها وقصوره عن إدراك مكانتها، يقول:

تعثرت خطواتي في اللحاق بها كما تعثر حاف خلف منتعل
ومما يعزز هذا الرأي؛ أن البغدادي أورد صدىً من أحد أبيات البردة ضمن أبيات قصيدته، حيث يقول في البيت العشرين:

(1) قال بهذا الرأي د. علاء الأسطى في رسالة خاصة .

(2) الشيخ أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي التوزري الشهير بالشقراطي، نسبة إلى قلعة قديمة، كانت بالقرب من «قفصة» جنوب تونس، وكان فقيهاً مالكياً وإماماً في الحديث وشاعراً وأديباً، أخذ عن أعلام القيروان، عاش في توزر، رحل إلى المشرق حاجاً وأخذ عن أعلام هناك التقى بهم، تسنة 466 هـ. وورد أن لقصيدته سبع عشر (17) معارضة، وقيل إنها كانت ملهمة للإمام البوصيري بعد قرنين في نظم البردة .

الزركلي . الأعلام 4 / 14، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ج3، ص204-205.

(3) الأبيات (14 47) مولاي عبدك بين الياس والأمل . 10 - 14

فالعاشقون وأهل الذكر لاح لهم (لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل)

وهذا الشطر ورد في صدر البيت الخامس من البردة في قوله :

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل ولا أرقّت لذكر البان والعلم

بل إنه يضمن بيتاً كاملاً في قصيدته من قصيدة البردة وهو قول البوصيري: (1)

يا لائي في الهوى العذريّ معذرة مئّي اليك ولو أنصفت لم تلمّ

كما يضمن بيتاً كاملاً من لامية العجم للطغرائي (2) وهو البيت الذي يقول فيه:

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لايعول في الدنيا على أحد (3)

وتضمن بعض الأبيات في نسيج قصائد المعارضات من التقاليد المتعارف عليها في

هذا اللون الشعري ، (4) ذلك أن الشاعر المعاصر يمكنه أن يوظف «النص التراثي توظيفاً

فنياً؛ بحيث يصبح لبنة في بناء قصيدته الحديثة تحمل جزءاً من معناها المعاصر ويسقط على

النص ملامح رؤيته المعاصرة، وذلك حين يحس بنوع من الاتحاد الكامل بين رؤيته والمدلول

التراثي لهذا النص» (5) ويأتي تضمين الشاعر لبيت الطغرائي من هذا القبيل .

(1) وهو البيت السابع والعشرون من قصيدة البغدادي. وقد وضع البيت وكل الاقتباسات بين قوسين تمييزاً لها. مولاي . 12. م. س.

(2) مؤيد الدين الحسين بن علي بن عبد الصمد الطغرائي الأصبهاني: (454 515هـ): شاعر صاحب ديوان الإنشاء للسلطان محمد بن ملكشاه، ألف كتاب: (مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة) و(حقائق الاستشهادات في الكيمياء)، وله ديوان شعر جيد، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة . معجم الأدباء: 10 / 56 79 ، وفيات الأعيان: 2 / 185 190
وأما القصيدة: فهي قصيدة (اللامية) المشتهرة بلامية العجم ، وتعد من أروع قصائده والتي مطلها:
أصالة الرأي صانتني عن الخطي وحليّة الفضل زانتني لدى العطل

(3) ينظر شرح لامية العجم لأبي البقاء العكبري .دراسة وتحقيق محمود محمد العامودي. مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول، ص 232 البيت 48

(4) محمد فتح الله مصباح، بردة البوصيري واثراها في الأدب العربي القديم. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 2011م . 346

(5) عصمت محمد أحمد رضوان. التفاعل الموسيقي في القصيدة العربية (ألوانه وملاحه الفنية). https://pdf470.jfga.journals.ekb.eg/article_5946_c4da01166c287dba26295ead44276bd4.pdf

كما يلاحظ المتتبع أن البغدادي ضمن في قصيدته شطراً من بيت ابن حيوس
الدمشقي⁽¹⁾ من قصيدة لامية له في المدح، يقول البغدادي:

كنا أعزاء بالإيمان في شرف (وسؤدد بنواصي النجم متصل)
ويقول ابن حيوس:⁽²⁾

وافن الزمان بعز غير منصرم وسؤدد بنواصي النجم متصل
والمعارف عليه أن التشطير يعد «لونا من ألوان التفاعل الموسيقي، يعتمد فيه الشاعر
إلى أبيات لغيره فيضيف إليها أبياتاً له، بحيث ينتج عن ذلك نص جديد يكون للشاعر
المتقدم نصفه وللمتأخر نصفه الآخر»⁽³⁾، ويسري هذا على تشطير البغدادي .

وعن ظروف نظم القصيدة يقول البغدادي:⁽⁴⁾

وشاء مولاي أن أحظى بمولدها في مرفأ بين موج البحر والجبل
بقلعة تحرس الأطلال تحضنها لعل بعض الهوى مازال في الطلل
كأن فيها أصولاً من طرابلس أو أنها في حمى (الشعاب) لم تزل⁽⁵⁾

والمعارضة غير التامة أو الجزئية تعني أن الشاعر المعارض لا يلتزم التزاماً تاماً بعناصر
النص الذي يعارضه، كأن تختلف في الموضوع جزئياً أو كلياً، أو في الوزن أو في حرف الروي
كما هو الحال في المعارضة التي بين أيدينا، ولهذا اللون من المعارضات كثير من النماذج في
التراث العربي، ومن ذلك معارضة الشريف الأصب المرواني⁽⁶⁾ للمتنبي في وصف صورة العدو

(1) الأمير محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوي الدمشقي (394هـ - 473هـ) ابن خلكان . وفيات الأعيان
دار صادر . بيروت . 1978 . 438 / 4

(2) ينظر الديوان . عني بنشره وتحقيقه خليل مردم بك . 2 / 455 . دار صادر . 1404 - 1984 . بيروت

(3) عصمت محمد أحمد رضوان . التفاعل الموسيقي في القصيدة العربية (ألوانه وملاحم الفنية) 464 . م . س

(4) عبد المولى البغدادي . مولاي . 15 م . س

(5) نظم الشاعر قصيدته بمالطا في 5 . 5 . 2005 ، كما هو مدون في ذيل القصيدة وفقاً للمطبوع .

(6) من شعراء الدولة الموحدية التي حكمت الأندلس - 542 - 646 هـ . ينظر: المعجب . 150 . 151 ، نفح الطيب

المهزوم: وقصيدة المتنبي يقول فيها: (بسيط)

لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق فليس تأكل إلا الميتة الضبع
وإنما عرض الله الجيوش بكم لكي يكونوا بلا فسل إذا رجعوا
عارضها الشريف الأصم بقوله :

ما للعدا جنة أوقى من الهرب أين المفر وخيل الله في الطلب ؟
وأين يهرب من في رأس شاهقة ييوقد رمته سماء الله بالشهب ؟

وبالموازنة بين النصين يتضح «أن المعارضة ناقصة، فقد أخل المرواني بركنين من أركان المعارضة التامة، الأول حرف الروي، إذ جاءت الباء رويًا لمقطوعة الأصم في حين كانت العين رويًا لقصيدة المتنبي، الثاني: حركة حرف الروي فهي الكسر عند الأصم والضم عند المتنبي»⁽¹⁾

ب - المولديات:

وتعني تلك القصائد الشعرية التي قيلت في المديح النبوي بمناسبة المولد، وتلتقي مع قصيدة المديح النبوي في جوانب كثيرة، منها: إن موضوعها يتعرض لمراحل من حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومدحه وتمجيده، وتختلف عنها في أنها اكتسبت تقاليد خاصة في إلقائها، وارتبطت بالموالد التي كانت تقام في أماكن خاصة وغلبت عليها الصبغة الاحتفالية .

وقد شكل هذا اللون ظاهرة واضحة في الأدب العربي عامة حيث نشأ في ظروف خاصة، وعملت على ازدهاره كثير من العوامل في المشرق والمغرب⁽²⁾، وحظي باهتمام الشعراء والنقاد لأنه شعر متجدد بتجدد المناسبة.

(1) يونس طركي سلوم. معارضات الأندلسيين للمشاركة والمغاربة في كتاب زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان التجيبي المرسى ت 598هـ دراسة موازنة مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية مجلد 14 . عدد 8 . ايلول 2007 . 357

(2) ينظر محمود علي مكي المدائح النبوية . مكتبة لبنان. الشركة المصرية العالمية للنشر 1991. 98 وما بعدها، محمود سالم محمد. المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي. دار الفكر الطبعة الأولى: 1417 هـ. 1/ 15

وكان المجتمع الليبي - كغيره من المجتمعات الإسلامية - يحتفل بذكرى المولد وفق التقاليد المتعارف عليها في المشرق والمغرب؛ فتقام الاحتفالات ويعد لها الإعداد اللائق بها، حيث تلقى فيها القصائد وتنشد الأشعار وتقرأ الأذكار⁽¹⁾، وثمة من يسمي هذا اللون من الشعر ب (النبيات) « لأنها تختلف عن المولديات الرسمية المتعارف عليها في الأدب العربي عامة، والأدب المغربي بخاصة ؛ فالمولديات يتخلص فيها الشاعر من مديح الرسول إلى مديح السلطان، وأما النبيات فهي خالصة للنبي دون غيره »⁽²⁾. ولكن ما يقع ضمن الأهداف التي حددها هذا البحث في هذه الفقرة هو ذكر نماذج من الشعر الليبي المعاصر الذي احتفى بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإحياء الذكرى السعيدة بتمجيده والتعبير عن أثر مولده وما أحدثه من بهجة والفرح في النفوس، والانتعاش والانتشاء في الحياة والأحياء، دون التعرض إلى الجانب الاحتفالي والارتباط بالموالد .

ويلاحظ أن المادة الشعرية التي تم رصدها في هذا الباب لم تأت في قصائد مستقلة، وإنما وردت ضمن قصيدة المديح النبوي بصفة عامة، وهذه المادة تعبر عن عاطفة مفعمة بصدق المشاعر ورقة الأحاسيس وسمو الوجدان، وتتسم بالوضوح والتلقائية والبساطة، وتبتعد في مجملها عن المبالغات والتهويلات، ولعل هذه الرؤيا كانت نتاجاً للنظرة الموضوعية والحس الديني العميق والفطرة السليمة، بعيداً عن الشطط، ومن ذلك قصيدة للشاعرة فاطمة العويمري⁽³⁾ تقول فيها :

وَالشَّعْرُ غَرَدَ فَالْحُرُوفُ ضِيَاءُ	الْكُونُ هَلَّلَ وَالْقُلُوبُ صَفَاءُ
وَتَقَشَّعَتْ بِقُدُومِهِ الظُّلُمَاءُ	وُلِدَ الَّذِي بِمَجِيئِهِ طَابَ الْهَوَى
أَنْتَ الشَّهِيدُ وَشَافِعُ وَشَفَاءُ	يَا مَوْكِباً لِلنُّورِ لَاحَ مُبَشَّرَا
وَتَكَادُ تَنْطِقُ بِأَسْمِكَ الصَّمَاءُ	فَالكَايِّنَاتُ اسْتَبَشَّرَتْ فِي غِبْطَةٍ

(1) راجع هامش 7 من هذا البحث

(2) محمد مفتاح . التشابه والاختلاف . نحو منهجية شمولية . . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . 1996 . 176

(3) مولد النور . س

لقد كان مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة وضياء وإشراقا في الكون، بدد ظلمة الجهل، وأزال

تسلط الظلم، ومحا كآبة الوحشة، تقول: (1)

بَدَدَتْ دَجُورَ التَّسْلُطِ وَالشَّقَا وَأَزَلَّتْ حُزْنَاً فَاسْتَحَقَّ ثَنَاءُ
وَبُعِثَتْ أَنْسَاءٌ فِي مَجَاهِلٍ وَحْشَةٍ فَأَنْزَاخَ عَنْ هَذَا الْوُجُودِ عَنَاءُ
يَابِذُ مَذْ حَفَلِ الْوُجُودُ بِمَقْدَمِ كُشِفَتْ خُطُوبُ وَنُكِّصَ السُّفَهَاءُ
يَاسِيدَ الْخَلْقِ اضْطَفِيتَ مِنَ الْوَرَى فَالْحَقُّ بِاسْمِكَ مُشْرِقٌ وَضَاءُ
وَالْيَوْمُ فِي ذِكْرَى انْبِلَاجِ النُّورِ كَمْ تَتَضَوَّعُ الْأَفَاقُ وَالْأَرْجَاءُ

وتصور في مشهد بهيج موكب الشعر وفرحة الشعراء بمقدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (2)

يَتَدَاوَقُ الشَّعْرُ الشَّجِي مُرْتِمًا بِمَحَبَّةٍ يَشْدُو بِهِ الشُّعْرَاءُ
وَبِبَهْجَةٍ تَزْهُو قَصَائِدُنَا كَمَا طَرِبَتْ يَوْمَ مَحْيَاهُ الْأَحْيَاءُ

كان ذلك الحدث السعيد في بيت من بيوت مكة، على مقربة من البيت الحرام، ويشيد

علاء الأسطى بمعالم ذلك الحدث فيقول: (3)

هِيَ لَيْلَةٌ غَرَاءُ مِنْهُ تَنَسَّمَتْ أَضْوَاؤُهَا، فَتَضَوَّعَتْ طُرُقَاتُ
بَيْتُ بُرْكَانِ الْبَيْتِ، أَشْرَقَ نُورُهُ فَاحْتَارَتِ الْأَقْمَارُ، وَالتَّجَمَّاتُ

وفي قصيدة لعمر النامي يصف فيها المولد السعيد بتلقائية وترسل، فيقول: (4)

أَهْلَ جَلالِ نوركِ فِي ربيع بِمكةِ واستفاض بها الضياء
فقرت عين شيبة بعد حزن بفقد أبيك إذ فيك العزاء

ج - المناجاة:

المناجاة مصطلح أدبي تعبري متعارف عليه في القديم والحديث، وهو خطاب هامس

(1) م. س

(2) م. س

(3) الرحمة المهداة م. س

(4) مولد النور م. س

خافت يفيض بالدلالات الوجدانية والرؤى السامية ويتصف بالصفاء والعفوية في التعبير، ويؤكد على النزعة التأملية العميقة، وقد ارتبطت المناجاة في الوجدان الإسلامي بالمفهوم الديني، واكتسبت في النقد الحديث دلالات أخرى، وترد أحياناً مقترنة بالنداء باستخدام بالياء، وتشمل مناجاة الخالق عزَّ وجلَّ، ومناجاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾.

وبنظرة فاحصة إلى النصوص الشعرية الواردة، ورصد المفردات والتعابير والسياقات التي تنتظمها؛ يتضح أن المناجاة بهذا المفهوم الواسع يمكن أن تتجلى في أغلب المادة الشعرية المنتخبة، وهي المادة التي وردت ضمن قصيدة المديح النبوي بشكل عام، وإن موضوع المناجاة وكل ما يؤديه من الدلالات الفسيحة والمعاني النبيلة والمفاهيم الجليلة، وما يفيضه المقام من التجليات الروحانية والنفحات الربانية وما ينضح به من الصفاء والصدق وما يشيعه من الطهر والنقاء، هو نتاج للنزعة التأملية العميقة التي من شأنها أن تبعث الإحساس بالجلال والجمال، وتنشأ من طمأنينة وصفاء في النفس وانتعاش في الروح.

وقد وردت الكثير من الشواهد التي تعزز هذا التوجه، وتجلت في أبيات تشع بالمحبة والركة والإشراق، ويصور حسن إدريس أنسه بالمقام الشريف وقد استحوذ حبه على قلبه، وملأ جوانحه بالسرور والحبور، فطفق يناجيه بأبيات يقول فيها:⁽²⁾

أَوَدَعْتُ قَلْبِي طَيْفًا مِنْكَ يُؤْنِسُنِي	سَيَّانَ عِنْدِي بِهِ مَنْ غَابَ أَوْ حَضَرَ
وَكَانَ حُبُّكَ لِي غَيْمًا يُظِلِّلُنِي	يَسْتَمْطِرُ الشَّوْقَ، لَا يَسْتَمْطِرُ الْمَطَرَ
فِي مَدْحِكَ الْيَوْمَ غِيَصَتْ كُلُّ قَافِيَةٍ	وَزَلَّ وَصْفُكَ بِالْجُودِيِّ مُنْتَظَرًا
مُحَمَّدٌ، وَاسْتَنَارَتْ كُلُّ مُظْلِمَةٍ	أَكُنْتَ تَنْثُرُ لِلْمُصْبَاحِ مَا نَثَرَا!
أَصَاءَ حُسْنًا، سَطَا جِلْمًا، يَذُوبُ حَيَا	أَشَعَ صِدْقًا، سَمَا طَهْرًا، يَفِيضُ قَرَى

(1) ينظر سعيد علوش . معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. 209

(2) على الجودي . م . س

إنه في نفوس المؤمنين الربيع الذي لا يزول، والشمس التي لا تغيب، والمعين الذي لا ينضب، هكذا وقف محمد المزوغي منبها عاجزا عن الإحاطة بمقامه المبارك، فقال: (1)

ربيعك لا يمرُّ به الخريفُ وشمسك لا يُكدِّرُها الكُسوفُ
ووصلك يا حياة الروح معنى عظيمٌ لا تحيطُ به الحروفُ

وفي قصيدته: وحدك الشمس في أفق النبوءات (2) تصادف هذه المناجاة الرقيقة لأكمل الخلق؛ النبي الخاتم صاحب الشفاعة والمقام المحمود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث يستغرق الشاعر في مناجاته مستخدماً التكرار فيقول :

وحيث أنت جمال جل عن شبه - يا أجمل الخلق - في ماضٍ وفي آتٍ
وحيث أنت حنان الله أغدقه ليجبر الخاطر المكسور بالذاتِ
وحيث أنت إذا ما الناس قد حشروا لم يُلَفَّ غيرُك أهلاً للشفاعاتِ
وحيث أنت رجاء لا يخيبُ ففي دعاء كفيك إقبال المسراتِ
كل الكمالات في بريدك قد جمعتُ وأنت يا نورها أصل الكمالاتِ
كل النبيين أقماراً إذا وُصفوا ووحدك الشمس في أفق النبوءاتِ

ومن النصوص الشعرية الرقيقة التي جمعت بين مناجاة الخالق عزَّ وجلَّ ومناجاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول الشاعر رضا جبران من قصيدة له بعنوان: مناجاة محمدية، يقول فيها (3) :

يَا رَبِّي صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ مَنْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ يَحْلُو تَرْنُمِي
مَنْ قَدْ أَضَاءَ بِنُورِهِ عَسَقَ الدُّجَى وَأَنَارَ نَفْسَ الْمُقْتَدِي بِتَعْلُمِي
يَا أَسْوَتِي يَا قُدُوتِي يَا مَنْ بِهِ زَانَتْ حَيَاتِي وَكَانَ مِنْهُ تَبَسُّمِي

(1) ربيعك لا يمر به الخريف. م. س

(2) محمد المزوغي 1 ابريل 2018 . <http://www.tieob.com>

(3) م. س

أَحْيَيْتَ فِي قَلْبِي الْمَحَبَّةَ كُلُّهَا فَهَجَرْتُ زَيْغِي وَاسْتَرَاخَ تَأْلَمِي
يَا مَنْ وَسَّعَتْ شِعَاغَ قَلْبِي بِهِجَةً مِنْ طَيْبِ ذِكْرِكَ فَاسْتَقَامَ تَكَلُّمِي
يَا نُورَ عَيْنِي مَنْ بِهِ عَرَفَ الْوَرَى مَعْنَى الْحَيَاةِ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ

ويعرض علاء الأسطى في مناجاة عميقة، جمعت بين التعبير عن المحبة ومكابدة الشوق والبكاء في نبرة صوفية خافتة، ويستغرق في مناجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بتكرار لفظ المناجاة بصيغ مختلفة في مواضع من قصيدة، يقول فيها⁽¹⁾:

يامن هواه يناغي في قافيتي النشوى م التي داعبت روحاً غدت وترا
يا من هواه يناجي في أوردتي إني أناجيك فجراً عانق السحرا
ناجيت طيفك حباً لا أبوح به حتى درى الدمع بالنجوى فما صبرا
كل النفوس إلى أحبابها اذكرت فكيف نفسي إذا خير الورى ذكرا

ولا خلاف في أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد بني آدم كما ورد في الأحاديث الصحيحة⁽²⁾، وتكررت مناجاته ب (سيد الكون) في عدد من المواضع من قصيدة لعلاء الأسطى، يقول:⁽³⁾

ياسيد الكون والأقمار شاهد من ذا يناجيك مثلي والهوى جأراً
ياسيد الكون كل الكون في أمل لما سرى نوركم بين الورى نشرأ
ياسيد الكون كم في الكون من عبر كرمى لعينيك جاءت توقظ البشرأ
في كل أرض وفي أعلى السماء ولو تدبر الناس كانوا أدركوا العبرا

(1) قصيدة مناجاة . م . س

(2) مسلم (2276)، وفي رواية البخاري (4712) ومسلم (194): (سيد الناس). قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الخلق عند الله، وأعلامهم درجة، وأقربهم زلفى، واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً» انتهى من «الشفأ» (213/1). «الشفأ» (213/1).

(3) قصيدة . مناجاة . م . س

وهو العالي القدر الصفي النقي المحمود ، يقول عمرو النامي :⁽¹⁾

علوت فليس يدركك الثناء فأنت النور يسطع و الضياء
وأنت الشمس ليس لها حجاب وأنت البدر ليس به خفاء
وأنت المصطفى مجلوك فيض من الأنوار جلله السناء
تباهي الأرض أن آوتك فخرا و تغطها لموضعك السماء

ويقول علاء الأسطى في أبيات تفيض بالمحبة وتنضح بالشوق :⁽²⁾

إِنِّي وَقَفْتُ عَلَيْكَ الْمَدْحَ أُرْسِلُهُ وَالشَّوْقَ وَالذَّمْعَ ، وَالتَّجْوَى بِكُلِّ سُرَى
نَاجَيْتُ يَثْرَبَ... لَمَّا ارْتَيْتُ حُلُلًا وَبَدْرُ وَجْهِكَ يُخْفِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
نَاجَيْتُ فِيكَ حَنِينًا كُنْتُ تُرْسِلُهُ إِلَى الرَّفِيقِ ... بِشَوْقٍ سَحَّ مِنْهُمْ رَا
يَا مَنْ أَحَبُّ... وَمَنْ أَهْوَاهُ مِنْ أَرْلٍ مِنِّي التَّحِيَّاتُ،... حُبًّا خَالِدًا عَطَرَ

ثانيا : المضامين:

1- حوادث السيرة النبوية: في هذا المحور نحاول أن نستكشف كيفية اشتغال الشعراء على توظيف حوادث السيرة النبوية، وما تحمله من مرجعيات زاخرة بالدلالات العميقة والمعاني الجليلة، في صياغة أعمال فنية إبداعية، تصور ثنائيات الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، والكفر والإيمان، وتلمس مواطن الإعجاز الإلهي الذي تجلّى في شخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجسد كل معاني الكمال الإنساني في كافة المواقف والأحداث، ثم محاولة تلمس النفحات الإيمانية التي كانت تحيطه بالرعاية والحماية، وتتبع انعكاساتها على نفوس الشعراء من خلال الأساليب اللغوية والبلاغية التي تم استخدامها لاستشراف هذه الآفاق الفسيحة من الجلال والكمال، ذلك أن « إشكالية المعنى الشعري هي الإشكالية الأهم والأخطر في فلسفة القصيدة على مستوى القراءة والتحليل والتأويل، حيث هي الهدف

(1) مولد النور م . س

(2) م . س

الأسْمى من أية فعالية شعرية»⁽¹⁾ ويذكر علاء الدين الأسطى صراحة كيف أن حوادث السيرة النبوية هي المنهل الذي نهل منه شعره، فيقول:⁽²⁾

ماذا أقول ؟ وعذب الشعر منهله ماكان في السيرة الغراء قد سطرأ

أ - شكلت إرهابات النبوة (قبل البعثة) مادة مهمة في إبداع الشعراء؛ حيث تضمنت النصوص المنتخبة عدداً من الحوادث؛ منها الإشارة إلى مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما سجلته كتب السيرة النبوية من كرامات وخوارق، ويشير زكريا الفاخري في مقدمة وجدانية إلى الملابس والإرهابات التي تقدمت المولد الشريف، يقول:⁽³⁾

يا خالَةَ الحُسْنِ في خِدِ الوجودِ، ويا أناملَ الفجرِ تلهو في مُحْيَانَا
يا زمزمَ النورِ في الدنيا ومنبعُهُ إِلَيْكَ حَجَّ جمالِ الكونِ مزدانا
ويا شتاءَ مِن الـ «تَسْنِيمِ» مُنْسَكِبًا كدهشة الغيثِ تسقي ثغرَ دنيانا
وبسمةٍ من شِفاهِ الفجرِ ساطعة ونظرةٍ من عيونِ الوردِ تهوانا
وموكبًا من سَرايا العشقِ مُحْتَشِدًا يمشي على ضفةِ الإحساسِ نشوانا
ويا تلهُفَ طفلٍ عادَ والدُهُ بعدَ التفرُّقِ .. أزمانا وأزمانا
تغفو على شُرْفَةِ البشري ملامحُهُ وجهاً صبوحةً حوى دُرّاً ومرجانا
من نفحةِ الخلدِ جاءَ الكونَ يُوقِظُهُ بعدَ التقهقرِ في الظلماءِ عُميانا

ويستعرض علاء الأسطى بعض الكرامات التي رافقت مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها قصة الفيل التي خلدها القرآن الكريم في سورة الفيل، وقصة خمود نار كسرى، والنور الذي رآته أمه حين مولده⁽⁴⁾

(1) محمد جواد علي، مسارات الخطاب الشعري التجربة والثقافة والروية. دار غيداء للنشر والتوزيع . عمان الأردن . 2016 . 15

(2) مناجاة . م . س

(3) قصيدة بسمة الغيب. م . س

(4) مناجاة م . س

في مصرع الفيل في طير تؤدبه في نار كسرى وإيوان الذي كسرا
في نور آمنة للشام ترسله إذ قيصر الروم من أحلامه ذعرا
في ضجة الجن والأرصاد تمنعهم عن السماوات لما لامسوا الخبرا

وتشير فاطمة العويمري إلى كرامات النبوة في قصيدة لها، فتقول: (1)

وَبَدَتْ كَرَامَاتُ النُّبُوَّةِ لِلْوَرَى مُذْ كُنْتُ طِفْلاً ..، يافِعاً ..، فَفَتِيّاً
بُشْرَى - وَرَمَزُ الْمُعْجَزَاتِ مُنْبِئٌ - أَكْرِمُ بِأَحْمَدٍ مُنْقِذًا وَنَبِيّاً
تَرْنُو لِإِدْرَاكِ الْيَقِينِ - تَدْبُرُ - فِي الْعَارِ تَلْتَمِسُ الضِّيَاءَ خَفِيّاً

وكان مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحوادث التي ألهمت الشعراء للحديث عنه، وذكر
ما صاحبه من أحداث ومعجزات تضمنتها كتب السيرة، وقد احتفى الشعراء بهذا الحدث
السعيد، ومن ذلك قول علاء الأسطى: (2)

هِيَ لَيْلَةُ غَرَاءٍ مِنْهُ تَنْسَمَتْ ..أَضْوَاؤُهَا، فَتَضَوَّعَتْ طُرُقَاتُ
بَيْتٌ بِرُكْنِ الْبَيْتِ، أَشْرَقَ نُورُهُ . .فَاحْتَارَتِ الْأَقْمَارُ، وَالتَّجَمَّاتُ..

وشهر ربيع الأول ذكرى خالدة في تاريخ البشرية، فيه أشرقت الأنوار احتفاء بمولده

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك مبعث فرح لأهله وعشيرته، يقول عمرو النامي: (3)

أهل جلال نورك في ربي بمكة و استفاض بها الضياء
فقرت عين شيبة بعد حزن لفقد أبيك إذ فيك العزاء
وأعلى من مقامك بين أهل و أولاد فكان لك العلاء
وسدت على بني سعد رضيعا فأنت لهم و قد سغبوا رخاء

لقد اقتضت حكمة الباري عَزَّجَلَّ أن يكون الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتيماً، وأشار

(1) people › ar-ar.facebook.com - يامشرفاً بالحسن .

(2) الرحمة المهداة، م. س

(3) مولد النور، م. س

إلى ذلك سبحانه في معرض الحديث عن مؤازرته ودعمه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) (١)، وهو الذي كان محفوظاً بالعناية والرعاية الإلهية في جميع أحواله، وما أروع التصوير الإلهي لهذا التعهد الرباني في قوله سبحانه حاثاً إياه على الصبر والثبات في مواجهة أذى قومه: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٢).

كان يتمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الموضوعات التي ردها الشعراء في مواضع من أشعارهم، يقول الأسطى: (٣)

يتمان فيك ولم يثنيك يتمها ؛ يتم اليتيم وألا تعبد الحجر
كانت تجربة اليتيم في حياته مبكرة، لقد توالى عليه الخطوب من حال إلى حال، ولم يزد ذلك إلا قوة وعنفواناً وصلابة في مواجهة مصاعب الحياة ومتطلبات نشر الدعوة، بل إن تلك النكبات لم تزده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا رحمة وشفقة وبراً وكرماً، يقول عمرو النامي (٤):

وكل للتراب وليس يغنى	لدى الموت المودة والفداء
ولم يكتب لجدك وهو بر	بشخصك كي يواسيك البقاء
أراك الله فيهم من قريب	بأن العيش غايته الفناء
وكل للتراب وليس يغنى	لدى الموت المودة والفداء
قضى جتد فقام عليك عم	حفي في مبرته الغناء
يحوطك ليقصر وهو أهل	لذاك الفضل وهو له كفاء
وكنت رفيقه في السعي حينا	وعونا حين أرهقه الشقاء
كفلت له (عليا) حين عضت	صروف العيش واشتد العناء
وكنت بهاشم برا وكانوا	بأمرك في الشدائد احفاء

(١) الضحى: ٦.

(٢) الطور: ٤٨.

(٣) مناجاة، م. س.

(٤) مولد النور. م. س.

لقد أهله تلك المعاناة ليتبوأ المكانة الرفيعة، وليكون فخر اليتامي ومبعث عزهم وهاديهم وقودتهم، ويصور ذلك علاء الأسطى في مشهد من قصيدة: الرحمة المهداة بقوله: (1)

قَمَرٌ .. عَلَى ثَغْرِ الزَّمَانِ تَبَسَّمَتْ ، قَسَمَاتُهُ... فَتَبَدَّدَتْ ظُلُمَاتُ
طِفْلٍ يَتِيمٍ، وَالْقُلُوبُ تَحْقُهُ ... بِحَنَانِهَا، وَتَضُمُّهُ النَّظَرَاتُ
فَخَرُّ الْيَتَامَى، عِزُّهُمْ، وَإِمَامُهُمْ، وَأَمِينُهُمْ، فَهُمْ بِهِ سَادَاتُ

كان هذا اليتيم المبارك هدية من الغيب للحياة والأحياء، حظي بالرعاية الإلهية في جميع شؤون، وذكرته كتب السيرة أن عدداً من الحوادث والإرهاصات رافقت مولده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأشار زكريا الفاخري إلى بعضها بقوله: (2)

هَذَا يَتِيمٌ قَرِيشٍ .. هَزَّ مَوْلِدُهُ قُصُورَ كَسْرَى وَأَجْنَادًا وَإِيوانًا (3)
هدية الغيب للعالم، وأغنية كنشوة الشوق تسري في خلايانا

وتعد حادثة الغمامة التي روي أنها كانت تظله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفره إلى الشام قبل نزول الوحي؛ من الإرهاصات التي ذكرها كتاب السيرة (4)، وأشار إليها علاء الأسطى في قصيدته بقوله: (5):

أَمَّا الغمامة !! كم كانت رعايتها تهدي بحيرة سرّاً كان منتظرا

لقد كان الكون على موعد مع مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإنقاذ البشرية بعدما طاشت العقول، وزاغت القلوب، وانحرفت الفطرة السليمة، وسجنت النفوس في متاهات الشرك والضلال، ويصور الفاخري هذه الفترة بقوله: (6):

(1) الرحمة المهداة م. س

(2) بسمة الغيب م. س

(3) تصدع إيوان كسرى. البيهقي. دلائل النبوة. تحقيق مساعد بن سليمان الراشد. دار العاصمة للنشر والتوزيع . . النشرة 1 / 1412. الرياض. 4. 1222

(4) البيهقي. دلائل النبوة. 1 / 381

(5) مناجاة م. س

(6) بسمة الغيب م. س

من نَفحةِ الخُلْدِ جاءَ الكَوْنُ يُوقِظُهُ بعدَ التَقَهُّرِ في الظُّلُماءِ عُميَّانا
فكم بكث - قبله - عينُ الزمانِ أَسَى ثكلٍ وتحمُّلٍ في الأعماقِ أحزانَا
في سَكْرَةِ التَّيِّهِ كم موءُودَةٍ دَفَنْتُ دونَ الأمومةِ كانَ القَبْرُ أحْضانَا
باعوا العقولَ إلى «لاتٍ» إلى «هبلٍ» «كانوا أسارى وكانَ الشُّرْكُ سَجَّانَا
هوامشٌ تحتَ سطرٍ الدهرِ قد نُيِّدُوا كلُّ الخلائقِ لم ترفعَ لهم شانا
ويتكرر تصوير أدراَنِ الجاهليةِ وعربدتها وضلالها أيضاً في شعر حسن إدريس؛
حيث يقول: (1)

كَانَتْ بِقَاعٍ مِنَ الْأَدْرَانِ غَارِقَةً وَالْعَيْشُ وَقَفَ عَلَى الْأَنْصَابِ وَالزَّلَمِ
وَأُذٌ وَسَلْبٌ وَتَفْرِيقٌ وَعَرَبِدَةٌ الْعَقْلُ صَلَّ كَأَعْمَى عَاشَ فِي صَمَمِ
مِنْ حُمُقِهِمْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ صَنَعْتَهُمْ وَالْوَهْمُ يُقْنِعُهُمْ بِالتَّفَجِّعِ مِنْ صَنَمِ
حَتَّى تَزَلْزَلَ عَرْشُ الظُّلَمِ مُتَّبِعاً إِيوَانَ بَغْيٍ عَلَى أَعْتَابٍ مُنْهَزِمِ
كانت الحياة الجاهلية مرتعا للطغيان والتباغض ومسرحة للردائل والآثام، وإلى ذلك أشارت فاطمة العويمري، بقولها: (2)

وَلَكُمْ إِلَى لُجَجِ الْجَهَالَةِ قَدْ هَوَتْ وَكَبَتْ عَلَى نَهْجِ الضَّلَالِ مَلِيَا
مَرَدَتْ عَلَى الْأَثَامِ تُدْمِنُ غَيَّهَا وَيَزِيدُهَا الْوَهْمُ الْمُوَلَّهُ غَيَا
تَمْتَّاحُ مِنْ بَرَكِ الرِّذِيلَةِ وَالْحَنَّا وَتَمُوجُ فِي وَحْلِ الْفُسُوقِ بَغْيَا
إِرْبَاءٌ يُمَرِّفُهَا الْعُتُو - تَبَاغُضًا - وَلَكُمْ أَنَاخَتْ لِلطُّغَاةِ مَطِيَا

ثم كانت نشأته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رعاية ربه؛ يكلاه بحفظه، ويصونه بعنايته، وهكذا كان اعتزاله متحنثاً وعابداً، هناك في غار حراء، حيث يأنس بمناجاته بعيداً عن صخب

(1) على الجودي . م . س

(2) يا مشرقاً بالحسن . م . س

الجاهلية وضلالها، وفي ذلك يقول عمرو النامي⁽¹⁾:

درجت بأرض مكة في نقاء سما طهرا شبابك والفتاء
وخصك من خديجة كل خير عناؤك والمودة والرفاء
تربي بنيك في داب وتعنى بشأنك حين وافاك النداء
تلم بدارها فتعيش فيضا من الأشواق ليس له انقضاء
ولم تأنس بقومك حين ضلوا فآنسك التعب والخلاء
تحن إلى الحقيقة في هيام ويشرك الهيام بها حراء
تبيت بخلوة في الغار تدعو وعند الله شوفك والدعاء

وهذا الغار الذي شكل مهد الدعوة، تشع من جوانبه أنوار الهداية، وإليه يأوي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصرفاً إلى ربه مناجياً له، كان سبحانه يعده لاستقبال الرسالة العظيمة، وبدا ذلك الأمر في بدايته غريباً ومفزعاً، وسرعان ما تلاشت هذه المخاوف وسكنت نفسه واطمأن قلبه، بدعم خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجته الحانية اللبينة وبمؤازرتها. هذه اللحظات كانت حاسمة في تاريخ الدعوة، حيث انطلقت بعدها قوية مؤثرة، إلى أن صارت رحمة غشيت الكون .

وحظي ذكر الغار باهتمام الشعراء، وتنافسوا في الحديث عنه، فكان مبعث إلهام لشعرهم، ويصوره الفاخري بقوله:⁽²⁾

يأوي إلى (الغار) حبُّ الله يؤنسُهُ من ظلمة الغارِ شَعَّ الكونَ إيماناً
ويرسل العقل في الآفاق أشعة سفائن الفكرِ أحييت فيه شُطاناً
جبريل نادى: حباك الله مُعجزةً (اقرأ ورتّل) فقد أوتيت فرقانا
فاحدودب اللُّغز في أعماقه فرعاً من ذا يريدُ من الأُمِّيِّ تبياناً ؟!

(1) مولد النور . م . س

(2) بسمة الغيب . م . س

عَيْنَا خديجة بَثَّتْ قَلْبَهُ أَمَلًا نافورة الحبّ تسقي الروح سلوانا
 أتت تضمدُ جرحَ الأرض - بعثته - برحمة من رفوف الغيب تغشانا

وإنَّ رحلة التعبد والتأمل والابتعاد عن الشواغل الدنيوية تدبير إلهي؛ لكي يتهيأ صاحب الرسالة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحملها ويضطلع بمشاق أعبائها، حيث ظهرت بشارة الوحي والأمر بالتكليف، ثم انطلقت الدعوة في مسارات جديدة، وفي سرد متدفق يعرض النامي هذه الحوادث مستخدماً أسلوب الخطاب فيقول (1) :

تحن إلى الحقيقة في هيام	ويشرك الهيام بها حراء
تبیت بخلوة في الغار تدعو	وعند الله شوقك والدعاء
فعند الأربعين جلاك نور	من الرحمن و انكشف الغطاء
وفاض الوحي حولك و استفاضت	هدايتك وتم الاصطفاء
وكننت بشارة في الوحي قبلا	فتمت واستقام بك البناء
وكان من النبوة فيض شوق	إليك ففزت وانتظم اللقاء
قرأت و لم تكن من قبل تدري	كتاباً خط حين أتى النداء
ولقنك الأمين الوحي صرفا	لتتلو ما حبتك به السماء
أتيت الناس بالقرآن نورا	وفي آياته لهم الشفاء
صدعت به فثاب إليك رهط	وكذبك الطغاة الأشقياء

وبصورة غنية بالإيحاء؛ يعرض علاء الأسطى حديث البعثة وحوادث الغار في مشهد مكثف فيقول (2):

ناجيت فيك سكون الغار تؤنسه (اقرأ) فعدت لنا بالنور مدثرا

شكل هذا الغار نقطة انطلاق للدعوة العالمية ؛ حيث العناية الربانية تعدّه للأمر

(1) مولد النور . س

(2) مناجاة . م . س

الجليل المرتقب، وتتكرر الإشارة إلى حوادث الغار في قصيدة أخرى للأسطى: (1):

فِي الْغَارِ، حَيْثُ اللَّهُ، إِذْ يَرْعَاهُ حَيْثُ الرُّوحُ، إِذْ نَادَاهُ: يَا ۞۞۞۞۞۞۞۞ مِشْكَاهُ

ولكن البداية كانت شاقة وقاسية، وواجهه قومه مواجهة عنيفة، فكان منه الصبر والثبات على أذى مشركي مكة، وقوة العزيمة في التمسك بالحق، وقد عبر النامي عن هذه المرحلة بصورة تقريرية وصفية، تلقائية متدفقة تعبر عن «الصدق والمناجاة الحميمة» (2)، وهي عوامل تعبر عن وجدانية رومانسية في القصيدة، وتوحي بمشاعر الشفقة والتعاطف والمحبة، يقول (3):

صبرت على الذي عاداك منهم	وآزرك الرجال الأصفاء
فما وهنوا و ما ضعفوا و كانوا	أباة لا يزعزعهم بلاء
وكنت لهم من الأهوال رداء	وعند الله عزمك و المضاء
عتت عن أمر خالقها و صدت	قريش و استبد بها الجفاء
وكنت على هدايتهم حريصا	ولج بهم عناد و افتراء
مضيت على سبيلك في ثبات	ولم تأبه بما مكروا و جاءوا
وإن يك بعض أهلِكَ ذو عناد	ففيهم رأفة و لهم ولاء
وكنت بهاشم برا و كانوا	بأمرِكَ في الشدائد أحياء
فما تركوك رهن الشعب نهبا	لقومك و استبان لهم وفاء

لقد تفاوتت رؤي الشعراء لمرحلة الغار، حيث تراوحت الأساليب التعبيرية بين التقريرية الوصفية والوجدانية العاطفية، وصورها حسن إدريس في مشهد يشارك في نسجه

(1) الرحمة المهداة. م. س

(2) شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الاسلوب، 1992. 106

pdf_956.html/11/https://www.lisanarb.com/2019

(3) مولد النور. م. س

الكون بأكمله، مع ما تفيده صيغ الخطاب من التودد والقرب، يقول (1) :

فِي هَذِهِ مِنْ سُكُونِ اللَّيْلِ تَسْأَلُنِي عَنْكَ الدُّرُوبُ: أُنُوراً كُنْتَ أَمْ بَشَرًا؟
يُجِيبُهَا الْكَوْنُ رَسْمًا فِيهِ سِيرَتُهُ: كَوَاكِبٌ، أَنْجُمٌ، قَدْ صَدَقْتَ قَمَرًا
((أَفْرَأُ...))، فَذَا الْغَارُ أَصْدَافٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَادَرَ الدُّرُ بِالْأَنْوَارِ مُدْثِرًا

كان مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة غشيت الكون، وانقذت البشرية من براثن الظلم و الضلال، وأعادت للإنسانية قيم الخير والفلاح، وفي بيت للفاخري يصور ذلك في مشهد يفيض بالرحمة والمحبة يقول:

أَتَتْ تَضْمُدُ جُرْحِ الْأَرْضِ - بَعَثَتْهُ - بِرَحْمَةٍ مِنْ رَفُوفِ الْغَيْبِ تَغْشَانَا

ب- الهجرة إلى المدينة: أثارت هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة قرائح الشعراء، وتفاوتت رؤاهم وأساليبهم في ذكر هذا الحدث الفاصل في تاريخ الدعوة، لقد افتقدته مكة موطن قبيلته وأرض آبائه وأجداده، ومدينته التي ولد فيها ونشأ وترعرع، وشهدت نفحات قدسية من معالم نبوته وآفاق رسالته الخالدة، وكان يعز عليه مغادرتها لولا تكالب قوى الشر والطغيان على الدعوة الوليدة، يقول الفاخري: (2)

بَكَّتْهُ « مَكَّةُ » مِنْ آثَارِ هَجْرَتِهِ عَلَى الْخُدُودِ يَفِيضُ الْمَاءُ وَدِيَانَا
لَوْلَا (تَبَوُّؤُ إِبْرَاهِيمَ) فِي أَرْزَلٍ لَهَاجَرَ الْبَيْتُ أَحْجَارًا وَأَرْكَانَا

وقال:

مَكَّةُ لَوْلَا أَنَّهُمْ مَكَّرُوا مَا اخْتَرْتُ غَيْرَكَ دُونَ الْخَلْقِ جِيرَانَا

والمادة الشعرية الواردة في الحديث عن الهجرة، تكاد تتفق في تصوير مظاهر الاحتفاء والاحتفال بمقدمه الشريف إلى المدينة المنورة التي تزينت بلقائه، فهبت لنصرته،

(1) على الجودي، م. س.

(2) بسمة الغيب. م. س.

يقول علاء الأسطى: (1)

نَاجَيْتُ يَثْرِبَ...لَمَّا ارْزَيْتَ حُلَاً وَبَدُرُ وَجْهَكَ يُخْفِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
يَا هِجْرَةَ نَصْرَتِ، يَا دَعْوَةَ ظَهَرَتْ يَا فِتْنَةَ بَطَرَتْ،...إِذْ عُذْتُ مُنْتَصِرَا

ويصور الفاخري كيف أن الله سبحانه هياً له فيها من يؤازره ويناصره، حتى بدت فيها

مقومات دولة إسلامية واضحة المعالم، قائمة على الإيمان وقيم العدالة والمساواة يقول: (2)

يمضي إلى «مأرز الإيمان» محتسباً إِذْ هَيَّأَ اللَّهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانَا
وَصَفَّقْتُ يَثْرِبَ يَوْمَ اللِّقَا - طربا - ضفائر الحسن منها؛ كلما دان
أُمسْتُ منورةً، بالشوقِ مُنْشِدة: بَدْرُ تَمَامٍ.. بَابِ الْحَيِّ نَاجَانَا
أَقَامَ - بالدين والإيمان - مملكة مِثَالُ الْعَدْلِ قَدْ أَثْمَرَ سُلْطَانَا

لقد تهيأت المدينة المنورة وتزينت للقاءه في هذا اليوم المشهود الذي سيخلد ذكرها،

يقول محمد المزوغي: (3)

تَحْنُ لَكَ الْمَدِينَةُ مِثْلَ أُمٍّ وَتُنْقَرُ عِنْدَ مَقْدَمِكَ الدَفُوفُ
لَأَنَّكَ سُرَّهَا الْأَبْهَى وَمَعْنَى قَدَّاسَتِهَا وَمَظْهَرُهَا الشَّرِيفُ

وهكذا كانت هذه الهجرة المباركة إيذاناً بنصرة الحق بعد معاناة قاسية مع الباطل،

حيث تحققت قيم المؤاخاة والمساواة، وتجسدت واقعاً حياً معاشاً، ويتبع عمرو النامي هذه

الأحداث في سرد متدفق فيقول: (4)

تتبه بذكر هجرتك القوافي ففيها كان فوزك و النجاء
تركت القوم في سر و سارت ركاب الحق يسترها الخفاء
وللأنصار شوق وانتظار لقربك واحتفال واختفاء

(1) مناجاة م. س

(2) بسمه الغيب. م. س

(3) ربيعك لا يمر به الخريف. م. س

(4) مولد النور، م. س

حللت بدارهم فحللت سهلاً وطاب بها مقامك والثواء
أطافوا حول ركبك من هيام وللقصواء من طرب رغاء
بأمر الله تم لها مسير وكان لها لمسجدك اهتداء
فعز بنصرهم لله دين وحق الحق وارتفع النداء
وخاب البغي وانقلبت بخزي عداتك واستتب لك الهناء
فحولك من جنود الله جمع مهاجرة وأنصار سواء
هم النصر المؤزر ليس فيهم نكوص حين يحتمد اللقاء

ج- الغزوات: وبرصد المادة الشعرية الخاصة بالغزوات نصادف بعض الإشارات الموجزة حيناً، وعرض التفاصيل الدقيقة أحياناً أخرى، حيث تفاوتت المادة وفقاً لأساليب الشعراء، والرؤى التي ينطلقون منها، ومن الإشارات الموجزة ذكر غزوات الإسلام الأولى، منها يوم بدر الذي كان في العام الثاني من الهجرة، وغزوة الأحزاب في السنة الخامسة، كما كانت غزوة أحد في العام الثالث للهجرة، وأما بيعة الرضوان هي البيعة التي بايع فيها الصحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحديبية على قتال قريش، وسُميت ببيعة الرضوان لأن الله سبحانه رضي عنهم بها، وكان عددهم نحو ألف وأربعمائة صحابي، وهذه البيعة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (1)، وقد أوجز علاء الأسطى هذه الحوادث في قوله: (2)

مِنْ يَوْمِ (بَدْرٍ) (3) إِلَى (الأَحْزَابِ) (4)، مِنْ (أُحُدٍ) (5) وَمِنْ (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ) (6) الَّذِي نَصَرَ
يَا بَيْعَةَ رَضِيَتْ، يَا صُحْبَةَ حَظِيَّتْ بالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ، وَالتَّحْنَانِ مُعْتَمَرًا

(1) الفتح: 18.

(2) مناجاة، م. س.

(3) البخاري. الصحيح المغازي / 971. السيرة لابن هشام: 2 / 833، الطبقات: 2 / 151

(4) البخاري. الصحيح. المغازي. غزوة الخندق، غزوة الأحزاب .. / 1007

(5) م. س. المغازي. غزوة أحد. / 992

(6) إشارة إلى سورة الفتح، الآيات: 18 24

ولما كانت غزوة حُنين في السنة الثامنة من الهجرة، بعد أن تم فتح مكة، خرج المسلمون في جموع كبيرة يملأهم الزهو بالعدة والعتاد في مواجهة هوازن، حيث كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجامها، فلما غشاهم الأعداء، واشتد الكرب، وتفرقت الجموع، نزل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأخذ يردد:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهي الغزوة التي أوردها القرآن الكريم في معرض الحديث عن نصره الله سبحانه لدينه وتأييده لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه، ليعلموا أن النصر من عند الله وحده، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۖ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۖ﴾⁽¹⁾، ويشير حسن إدريس إلى مشاهد من غزوة حنين بقوله:⁽²⁾

وَيَوْمَ كَانَتْ لِصَوْتِ الْكُفْرِ أَلْسِنَةٌ (أَنَا النَّبِيُّ)؛ قَوْلَى الْكَافِرِ الدُّبْرَا

ويستعرض عمرو النامي حوادث الغزوات مشيراً إلى ما حدث في بدر وفي الأحزاب وبيعة الرضوان، وكان صلح الحديبية مقدمة لفتح مكة؛ ففيه تم الاعتراف بكيان الدولة الجديدة، وكان فرصة أمام المسلمين لإعادة ترتيب صفوفهم والاستعداد لمعارك جديدة، وتحقيق انتصارات مؤزرة، يقول:⁽³⁾

ومزق صولة الكفار بدر وعز الدين وارتفع اللواء
وفي أحد دروس بينات نصرت به وكان بك الفناء
ولم يفلح من الأحزاب كيد فباءوا بالهزيمة حين جاءوا
وكان من اليهود عليك بني فتم القتل فيهم والجفاء

(1) التوبة: 25 - 26.

(2) على الجودي م. س.

(3) مولد النور م. س.

ورمت الحج فاعترضت قريش
فجاءت بيعة الرضوان فتحا
وفي أحد دروس بينات
ولم يفلح من الأحزاب كيد
وكان من اليهود عليك بغي
ورمت الحج فاعترضت قريش
فجاءت بيعة الرضوان فتحا
فسارت دعوة الإسلام تسري
وأما فتح مكة فقد شهد احتفاء واضحاً من طرف جميع الشعراء موضوع الدراسة،
وتضمنت أبيات الفاخري إشارات لكثير من حوادث السيرة المتعلقة بالفتح، يقول (1) :

هناك مكة شعت في خوافقه
حتى أتاه صباح الفتح منتصراً
قل جاءك الحق يا أصنام فانهدمي
ماذا تظنون أي فاعل بكُم
قالوا:

كريم، سحاب الصفح في يده
شقيق يوسف نادى القوم منطقته:
قد بلغ الدين للدنيا وأكملة
وأينع الوحي أثماراً وأغصانا

ويختزل علاء الأسطى هذا الحدث الجليل في أبيات مكثفة فيقول: (2)

نَاجَيْتُ مَكَّةَ...

(1) بسمة الغيب . م . س

(2) مناجاة . م . س

مِنْ بَعْدِ الْغِيَابِ وَقَدْ عَادَ الْحَيَبُ بِهَا بَرًّا وَمَا بَسْرًا
يَا ضَرْبَةً فَصَمْتُ، يَا صُحْبَةً غَنِمْتُ يَا دَمْعَةً رَحِمْتُ...مَنْ جَاءَ مُعْتَذِرًا

ويقول :

من ليلة نسمت فيها النفوس سمت ومكة ابتسمت إذ نوركم غمرا
لقد كان فتح مكة ايزانا بزوغ فجر جديد، والإعلان عن انتصار دولة الإسلام،
حيث استقرت الأمور بعده تحت راية الدستور السماوي الخالد، استعداداً لجولات أخرى
كانت تنتظر في الأفق، ويسترسل عمرو النامي ذلك بتفصيل فيقول: (1)

هناك مكة شَعَّتْ في خواقفه ذكرى تثير من الآهاتِ بركانا
حتى أتاها صباحُ الفتح منتصراً فاصدحُ بلالاً فإنَّ الفجرَ قد حاناً
قل جاءك الحقُّ يا أصنامُ فانهدمي ويا قريشُ .. نرى آثارَ قتلانا (2)
ماذا تظنون أني فاعلٌ بكُمُ هلاً أجبتم وقد كان الذي كانا !
قالوا: كريمٌ، سحبُ الصفعِ في يده هلا مننت -رسولُ الله -إحسانا
شقيقُ يوسفَ نادى القومَ منطقهُ: لَكُمْ مَنَحْتُ - مِدَادَ الْبَحْرِ - غفرانا
قد بَلَغَ الدينَ للدنيا وأكملهُ وأينعَ الوحيُ أثماراً وأغصانا

ثم كان الحديث عن خطبة الوداع في بيت ضمن أبيات لعلاء الأسطى يقول فيه: (3)
يَا خُطْبَةً وَسَعَتْ، كُلَّ الدُّرُوسِ وَعَتْ يَا مُهْجَةً دَمَعَتْ ...إِذْ دَيْنُهَا انْتَشَرَا

لقد تحقق لهذه الأمة من التاريخ المشرف والماضي المجيد والحضارة الوارفة؛ ما جعلها
تتبوأ مكانة مرموقة بين الأمم، ويعبر الفاخري عن ذلك بقوله: (4)

أقامَ - بالدين والإيمان- مملكة مشاتل العدل قد أثمرَ سلطانا

(1) مولد النور م . س

(2) البخاري . الصحيح ، المغازي . ح . 4287 ، ح . 2478

(3) مناجاة . م . س

(4) بسمه الغيب . م . س

ويقول: (1)

تركت أمتنا كالنجم شامخة تمشي على قامة الدنيا سرايانا
كان هذا الماضي المجيد ثمرة للتربية الإيمانية الصحيحة، والإرادة القوية والجهود
المتواصلة، وفي ذلك يقول محمد بن إدريس: (2)

عَنْ أُمَّةٍ جَاهَدَتْ فِي الْحَقِّ فَانْتَصَرَتْ تَسْمُو بِرَأْيَيْهَا الْغَرَاءَ لِلْقِمَمِ
لقد عززت هذه الحضارة في النفوس القيم الإنسانية في الجمال والحق والفكر، يقول
الفاخري (3):

حتى نزلت -رسول الله - دوحته لتبذر الفل .. أصنافا وألوانا
أوقدت في عجنة الصلصال شمعة حتى غدا - بعد نور الله - إنسانا
أتيت - يا أعذب الأنهار- أجوبة لم تُبق في قصة المجهول حيراناً
وهكذا احتفت منابر العز الإنسانية بالقيم الإسلامية النبيلة التي ملأ عبقها زوايا
الأرض، وتصور فاطمة العويمري مظاهر هذه الحضارة السنية مبرزة قيم الصفح والرحمة
والتسامح والعفو والمحبة فتقول: (4)

حَتَّى سَنَا نُورٌ ..، فَمَزَقَ عَتَمَهَا بَدْرٌ أَطْلَ عَلَى الْوُجُودِ بَهِيَا
فَيْضٌ تَصَوَّعَ بِالْفَضَائِلِ إِسْمُهُ يَامُشْرِقاً بِالْحُسْنِ طِبَتْ سَمِيَا
سَمَتِ الْجَزِيرَةَ حِينَمَا أَدْرَكَتَهَا فَعَدَتْ مُكْرَمَةً، وَلَمْ تَكُ شَيَا
وَمَنَابِرُ الثَّارِيخِ بِالْعِزِّ احْتَفَتْ مُذْ صِرَتْ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ حَفِيَا
جَاهَدَتْ شَرًّا فِي الثُّفُوسِ بِرَحْمَةٍ وَطَوَيْتَ عَصراً لِلضَّلَالَةِ طَيَا
وَهَزَزَتْ جِدْعًا لِلتَّسَامُحِ نَاضِراً فَاسَاقَطَ الْبِرُّ الْوَفِيرُ جَنِيَا

(1) م . س

(2) على الجودي م . س

(3) بسمة الغيب . م . س

(4) يامشرقاً بالحسن م . س

وَ اخْضَرَّ - وَ الْحِقْدُ الْمُعْتَقُ مَا وَنَى
وَدُ تَنَامَى فِي الْقُلُوبِ رَضِيَا
لَمَّا شَدَا الْفَتْحُ الْمُكْلَلُ بِالْمُنَى
وَ بِكَ اغْتَدَى عَهْدُ الْأَسَى مَنَسِيَا
نَجْمٌ لِقَلْبِ الطَّامِحِينَ إِلَى الثَّقَى
رَجْمٌ لِمَنْ رَامَ الصَّلَالَ أَيْيَا
ظَهَرَتْ أَفْكَارًا تَنْزُرُ سَفَاهَةً
وَ أَنْتَ أَفْنِدَةً غِلَظَ عَصِيَا
وَرَصَفْتَ دَرْبًا لِلْفَلَاحِ .. زَرَعْتُهُ
عَفْوًا وَ خَيْرًا وَارِفًا وَ سَخِيَا
فَجَنَائِنُ الْحَقِّ الْمُبِينِ تَبَسَّمَتْ
مَا إِنَّ عَدَا أَمْرُ الْهُدَى مَقْضِيَا

ثم نصادف تصوير الشعراء لمراحل الانكسار والتراجع التي حلت بالأمة، ومن ذلك قول الفاخري: (1)

واليومَ بعدكَ أَسْيَافٌ لَنَا كُسِرَتْ؛
تَشْكُو إِلَى اللَّهِ بَغْدَادًا وَأَقْصَانَا
مَاتَ النَّخِيلُ بِمَجُورِ الْمَاءِ - لَا سَعْفُ
يُهْدِي الظِّلَالَ - وَأُضْحَالْتُمْ صُؤَانَا

كما تصف فاطمة العويمري الحاضر البائس لهذه الأمة، بعدما رسم الإسلام لها طريق الهداية فسيحا واضحا: (2)

وَالآنَ فِي غَفْلَةٍ لِلنَّاسِ قَدْ غَرُبَتْ
شَمْسُ الْفَضِيلَةِ فَالْأَخْلَاقُ فِي رَدَمٍ
تَاهَ السَّفِينُ .. كَأَنَّ مَا تَمَّ بَوَصْلَةً
تَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ..، فَالْأَمْجَادُ لَمْ تَدُمِ
يَا أُمَّةً خَالَفَتْ أَخْلَاقَ سَيِّدِهَا
عَادَتْ لِعَهْدِ هَوَى بِالْإِفْكِ لِلظُّلَمِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ وَطَدَ الْإِسْلَامُ مِنْعَتَهَا
صَارَتْ يَفْعِلُ الْخَنَا تَمْضِي إِلَى الْعَدَمِ
تَشْعَلُبُوا بَيْنَهُمْ مُذْ أَنْكَرُوا سَلَفًا
كَانُوا أَسُودًا بِوَجْهِ الطَّامِعِ النَّهْمِ
يَا رِحْلَةَ الْفُلْكِ هَاجَ الْمَوْجُ مُتْعِضًا
وَالْبَحْرُ مَاجَ فَلَمْ يَهْدَأْ لِمُخْتَصِمِ
مِنْ لَعْنَةٍ لِلْآنَا شَجَّتْ أُخُوَّتُنَا
قَالَفَهُ الْقَوْمُ قَدْ شَطَّتْ مِنَ اللُّؤْمِ
عَمَّ الْبَلَاءُ وَصَارَ الْمَكْرُ شَرَعَتْنَا
مُذْ أَهْمَلَ الْقَوْمُ جَهْلًا أَشْرَفَ الشَّيْمِ

(1) بسمه الغيب . م . س

(2) في طلعة النور . م . س

مَاتَتْ صَمَائِرُنَا... بَانَتْ مَطَايِحُنَا..
 خَارَتْ عَزَائِمُنَا مِنْ سَطَوَةِ النَّقَمِ
 رَاحَتْ تَنَاهَشُنَا الْأَحْقَادُ مَاحِقَةً
 وَالْوَعْدُ مِنْ نَسْلِنَا يَدْعُو لِسْفِكَ دَمٍ
 بَتْنَا مِنَ الْبُغْضِ وَالْآثَامِ فِي وَهْنٍ
 نَرِي كَرَامَتَنَا وَالْعَقْلُ فِي وَجَمٍ
 صَارَتْ دِيَانَتُنَا خَتْمًا يُصَنِّفُنَا
 فِي رُتَبَةِ الدَّيْلِ مُنْقَادِينَ كَالْغَنَمِ

لقد عم البلاء وهجرت القيم وخارت العزائم وماتت الضمائر وشاعت الأحقاد،
 ولكن الشاعرة وهي تستحث العزائم وتحرك النفوس الراكدة؛ لازال يراودها الأمل في أن
 تعود الأمة إلى رشدها وتسترجع مكانتها⁽¹⁾:

يَا رِحْلَةَ الْفُلْكِ هَلْ تَرَسُّو سَفِينَتُنَا
 فِي مَرَفٍ الدِّينِ كَيْ تَرُقَّ إِلَى التُّجْمِ ؟..
 كُنَّا بِهَدْيِ حَبِيبِ اللَّهِ فِي دَعَةٍ
 صَارَتْ تُسَيِّرُنَا الْأَطْمَاعُ كَالْبُكْمِ
 أَشَتَّانَا جَحَدُوا مُحَقًّا مَبَادِئَنَا
 يَا خَيْبَةَ السَّعْيِ فِي دَوَامَةِ النَّهَمِ
 لَأَخِيرَ فِي عَيْشِنَا مُذْ زَاغَ مَسْلُكُنَا
 عَنْ نَهْجِ قِدَوَاتِنَا «الْمُخْتَارِ» ذِي الْقِيَمِ

2 - التشوق إلى البقاع المقدسة:

شعر التشوق إلى الديار المقدسة فن شعري ارتبط بقصيدة المديح النبوي، وصار «
 ذكر الأماكن المقدسة تقليداً ثابتاً في مقدمة المدحة النبوية، تثير لدى الشعراء والمتلقين
 معاً مشاعر الوجد الديني، والحنين إلى مهبط الوحي، وتشيع في حنايا نفوسهم دفء الطمأنينة
 والقداسة»⁽²⁾ لقد انتشر هذا اللون الشعري وازدهر ضمن قصيدة المدحة النبوية، واستقل
 أحياناً بقصائد خاصة، وهو شعر يصدر عن عاطفة دينية متأججة وشعور فياض بالإخلاص
 الصدق، وقد اقترن بالتعبير عن مشاعر الشوق والحنين عند الذين لم يتمكنوا من أداء شعيرة
 الحج وزيارة الأماكن المقدسة؛ حيث تهفو نفوسهم وتنطلق أفئدتهم وترحل أرواحهم مع
 الراحلين، وتبقى الأجساد التي أنهكها الشوق وبرحها الوجد .

(1) م . س

(2) محمود سالم محمد . المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي . دار الفكر: 1417 هـ . 318

وفي قصيدة المديح نصادف نماذج مختلفة في هذا الباب ، ومن ذلك قصيدة للشاعر محمد المزوغي يصور فيها قوافل العاشقين، وهم يتوافدون على الحرم النبوي، رجاء استجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم، فيلتفت إلى نفسه، ويظهر حنينه ويبث شوقه لزيارة المقام الشريف، لقدسيته ومكانته في قلبه، ويأمل أن يكون في ركبهم ليغفر جبينه في تلك الرحاب، وتنسكب دموعه غزيرة رهبة ورغبة في أن ينضوي تحت لوائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيدعوه ويظفر بشفاعته ويفوز بصحبته، فيغفر ذنبه ويتحقق رجاؤه، هكذا خلعت عليه هذه المحبة والشوق نفحة من الحبور والسرور ويستخدم لغة الخطاب المباشرة فيقول: (1)

يَمْضِي إِلَيْكَ الْعَاشِقُونَ يَقُودُهُمْ شَوْقٌ تَضِيقُ بِوَصْفِهِ الشُّعْرَاءُ
رَحَلُوا إِلَيْكَ وَلَيْتَنِي فِي رَكْبِهِمْ لِأَزُورَ؛ قُرْبُكَ يَا حَبِيبُ شِفَاءُ
الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ مَا لَاحَتْ لَهُمْ إِلَّا وَأَثْبَتُ مَنْ يُرَى بَكَاءُ
يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عِنْدَ نَبِيِّهِمْ وَلَهُمْ عَلَى قَدَرِ الذَّنْبِ رَجَاءُ

ويستعطفه بدموع غزار لعله يظفر بتوبة ومغفرة؛ تمحو ماصدر عنه من ذنوب

وخطايا: (2)

أَذْرِي بِأَنَّ الدَّنْبَ قَاصِمٌ رَحَلْتِي فَأَنَا الْغَرِيبُ وَحَظِّي الْإِقْصَاءُ
إِنْ كُنْتَ صَخْرًا أَبْهَى الْقَلْبُ الَّذِي يَقْسُو عَنِّي فَإِنِّي الْخُنْسَاءُ
لِي دَمْعَةٌ إِلَّا عَلَيْكَ عَصِيَّةٌ وَمِنَ الدُّمُوعِ (حَرَائِرُ وَإِمَاءُ)
قَدْ يُظْهِرُ الْحُزْنَ الْعَظِيمَ تَبَسُّمٌ وَيَدُلُّ عَنْ غَيْرِ الْبُكَاءِ بُكَاءُ
أَهْدَرْتُ عُمْرًا فِي الْغَوَايَةِ لَا أَرَى دَرْبَ الْهَدَايَةِ وَالذُّنُوبُ غِطَاءُ
حَتَّى إِذَا مَا الْبُرُّ جَفَّ مَاؤُهَا وَبُوْعِدَ هَذَا الْعُمْرُ حَانَ وَقَاءُ
أَمَلْتُ مِنْ عَفْوِ الْكَرِيمِ وَفَضْلِهِ مَا يَرْتَجِي الْعَبَادُ وَالْقُرَاءُ

(1) يمضي اليك العاشقون م . س

(2) م . س

أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ هَلْ مِنْ نَفْحَةٍ فَيَكُونُ لِي فِي الْوَارِدِينَ سِقَاءُ
بُشْرَايَ إِنْ رَفَعَ الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ كَفَيْهِ يَدْعُو لِي وَطَابَ دُعَاءُ
يَا ذَنْبُ لِي رَبُّ كَرِيمٌ غَافِرٌ مَا خَابَ فِيهِ وَلَنْ يَخِيبَ رَجَاءُ

وتعبر فاطمة العويمري عن مشاعر الشوق والحنين وقد أزف وقت الرحيل ، وغادر
الركب إلى طيبة مدينة النور، مخلفاً قلباً مليئاً بالحسرة وألم الوجد يشناق لمرافقتهم، وقد
حالت الحوائل دون ذلك، فتقول (1):

أَذَكِّي الْفِرَاقُ أَوَّارَ الشَّوْقِ فَانْبَثَقَا سَيْلُ السَّعَادَةِ إِبْطَالاً لِمَا انْتَفَقَا
وَفَارَقَ الشَّجْوُ نَبْضَ الْقَلْبِ مُنْذُ نَدَا لِلْحُبِّ وَصَلٌ وَحُزْنُ الْوَالِهِ انْمَحَا
فَالسَّعْدُ أَدْرَكَ مَنْ تَأَقَّتْ جَوَارِحُهُ حَتَّى يَوْمَ دِيَارًا عَشَقْتُهَا خَفَقَا
حِينَ الرَّحِيلِ شَذَى مِنْ رَكْبِهِ نَسَمٌ مِنْ نَفْحِ طَيْبَةِ أَهْمَى الشَّوْقِ فَانْعَدَقَا
قَلْبِي غَدَا رِفْقَةَ الْأَحْبَابِ مُعْتَمِراً مَا سَاءَ لِي أَنْ يَأْثُرَ الرَّاحِلِ انْطَلَقَا

والرسائل الشعرية إلى الأماكن المقدسة تقليد متعارف عليه خاصة في الأدب
الأندلسي، وانتشرت على عهد ملوك الطوائف، واتخذت شكلاً خاصاً (2)، ويلاحظ أن
ثمة أبياتاً وردت في هذا الموضوع عند بعض الشعراء، وتشكل رسالة إلى المقام النبوي وإلى
الأماكن المقدسة، منهم فاطمة العويمري التي تبعث برسالتها إلى الجنب النبوي، تحملها
السلام الغامر والشوق السرمدي والحنين الدافق، حيث تنوب الزيارة القلبية فتخترق
الآفاق البعيدة إذا تعذر الوصول، تقول (3):

يَا غَادِيَا وَعُيُونُ اللَّهِ تَحْرُسُهُ أَبْلُغْ سَلَامِي إِلَى مَنْ وَعَدَهُ صَدَقَا
أَخْبِرْهُ أَنَّ بِنَا رَغَمَ التَّوَيَّ شَغَفَا لِّلْثَمِ أَرْضَ بِهَا الْإِسْلَامُ كَمْ سَمَقَا

(1) من نفح طيبة م . س

(2) ينظر عمر ابراهيم توفيق . فنية شعر المدح النبوي في الأندلس . مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية العدد

1 / م 5 / السنة الخامسة . 2010 . ص 30 . www.iasj.net > iasj > func=article

(3) من نفح طيبة م . س

وَبِالضُّلُوعِ حَنِيناً دَافِقاً وَجَوًى لِسَاكِنِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ قَدْ عَبَقَا ...

لقد كانت معاناة الشوق والحنين لزيارة المقام الشريف دائمة ومستمرة، لا تكاد تخفت حتى ينتفض أوارها، يذكّيها فراق الأحباب الراحلين، تاركاً في القلب لوعة وحزناً، تقول فاطمة العويمري⁽¹⁾:

أَصْبُو لِقُرْبِكَ فِي صَحْوِي وَفِي حُلْمِي يَا مَالِكَ الْقَلْبِ أَذْكَى بُعْدُكُمْ أَلَمِي
أَتَوْقُ شَوْقاً إِذَا مَا فَاحَ ذِكْرُكُمْ وَالذِّكْرُ لِلشَّوْقِ مِثْلُ الرِّيحِ لِلضَّرَمِ
رُوحِي كَوَاهَا فِرَاقُ الرَّاحِلِينَ فَلَمْ تَهْنَأُ بِعَيْشٍ وَلَمْ تَبْرَأْ مِنَ السَّقَمِ
إِنْ عَنَّا طَيْفٌ لِمَنْ نَهْوَى وَسَاوَرْنَا تَمَلَّكَ الْقَلْبَ حُزْنٌ غَيْرُ مُنْصَرِمِ
يَا مَنْ أَطَّلَ وَمَا نَدْرِي أَدْرَكْنَا نُورٌ مِنَ اللَّهِ أَمْ فَيْضٌ مِنَ النَّعَمِ !!!؟.

3 - ذكر آل البيت والصحابة:

بدأ مدح آل البيت في فترة مبكرة عند الشعراء⁽²⁾، وورد ذكر الصحابة وآل البيت ضمن المادة الشعرية للشعراء الليبيين بصفة محملة ومفصلة أحياناً، ومن ذلك قول الفاخري⁽³⁾:

يمضي إلى «مأرز الإيمان» محتسباً إِذْ هَيَّاَ اللَّهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانَا

وسلك محمد المزوغي المسلك نفسه في ذكر الصحابة بشكل مجمل، فقال⁽⁴⁾:

ضَاءَتْ بِصَائِرُ تَابِعِيكَ فَخَطُوهُمْ فِي إِثْرِ خَطْوِكَ مُبْصِرٌ وَضَاءٌ

وأما فاطمة العويمري فقد فصلت القول في ذكر الصحابة ودورهم في نصره الدين

(1) في مدح طه . م . س

(2) الكميت في هاشمياته، ودعليل الخزاعي، والشريف الرضي وغيرهم، ينظر محمود سالم محمد. المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي. 1 / 128

(3) بسمة الغيب . م . س

(4) يمضي إليك العاشقون . م . س

الجديد واستبسأهم في الدفاع عنه، فقالت: (1)

عَنْ ثُلَّةٍ بَايَعُوا فِي اللَّهِ سَيِّدَهُمْ مَا خَالَفُوا الْعَهْدَ أَوْ حَادُوا عَنِ الذَّمِّ
فَعَنْ «خَدِيجَةَ» حِينَ الْوَحْيِ أَرْهَقَكُمْ كَانَتْ رُؤُومًا لِقَلْبِ الْمُرْهَقِ الْوَجِمِ
وَعَنْ وَلَاءِ أَبِي بَكْرٍ... وَصُحْبَتِكُمْ فِي هَجْرَةٍ حَطَمَتْ آمَالَ مُنْتَقِمِ
نِعَمِ الْمَازِرِ وَالصَّدِيقِ مُنْذُ سَنَا نُورِ الْهِدَايَةِ إِعْزَازًا لِمُعْتَزِمِ
وَعَنْ رِفَاقٍ - وَحَيْثُ الْقَوْمُ قَدْ عَزَمُوا مَحْوًا لِذِكْرِكُمْ- أَبْلَاوَا فِي صَرَمِ
فَاسْتَبَسَّلُوا دُونَكُمْ لَمْ يَأْبَهُوا بِأَذَى وَالْحَيْفُ فِي نَيْلِهِمْ سَاعٍ وَلَمْ يَصُمْ
وَعَنْ رِجَالٍ تَرَبَّوْا فِي رِحَابِكُمْ صَارُوا نُجُومًا لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْأُمَمِ

ويتكرر من آل البيت ذكر «خديجة» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، السيدة الملهمة القوية الحكيمة، يقول

الفاخري: (2)

عَيْنَا خَدِيجَةٌ بَثَّتْ قَلْبَهُ أَمَلًا نَافُورَةُ الْحَبِّ تَسْقِي الرُّوحَ سَلَوَانَا

4- دلائل النبوة (المعجزات): المعجزة اسم فاعل من أعجز يعجز إعجازاً،

يقال: عَجَزَ عن الشيء: ضَعُفَ ولم يقدر عليه، والتاء للنقل من الوصفية إلى الإسمية،

وقيل للمبالغة (3).

اصطلاح على تعريف المعجزة بأنها:

أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد نبي تأييداً له (4)، وقيل لآيات الرسل

معجزات «لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها» (5).

وقد عبر القرآن الكريم عن مصطلح خوارق الأنبياء المؤيدة لهم بصيغ أخرى مثل:

(1) في طلعة النور م . س

(2) م . س

(3) ميزان النبوة : 17. سبل الهدى.

(4) المعجم الوسيط. مادة عجز.

(5) البغدادي. أصول الدين: 170. وينظر تحاف السادة المتقين . 309 / 8.

الحق⁽¹⁾، البينات⁽²⁾، الآيات⁽³⁾، الفرقان⁽⁴⁾، البرهان⁽⁵⁾، السلطان⁽⁶⁾.

المعجزة في ذاتها تنقسم إلى قسمين: المعجزة العقلية: وهي الواقعة في نطاق العقل يدركها ويتفاعل معها، ويخلق في آفاقها، ويبقى مع ذلك قاصراً عن الإحاطة بها وتفسير كنهها، والقرآن الكريم هو المعجزة العقلية الفريدة الخالدة المنزهة عن التحريف والتبديل، وهو «أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة»⁽⁷⁾، وقد تحدى الله سبحانه الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، بل بسورة من مثله فعجزوا قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁽⁸⁾، وقد أفردت في وجوه إعجاز القرآن مصنفات كثيرة⁽⁹⁾، يشير الفاخري إلى معجزة القرآن و بداية نزول الوحي بقوله:

جبريلُ نادى: حباك الله مُعجزة (اقرأ و رتل) فقد أوتيت فرقانا
فاحدودب اللُغزُ في أعماقه فرعاً من ذا يريدُ من الأُمِّي تبياناً !

هذا القرآن هو النور الذي يهدي الحيارى، وفي آياته شفاء للمؤمنين، وفي ذلك يقول

عمرو النامي:⁽¹⁰⁾

أتيت الناس بالقرآن نورا وفي آياته لهم شفاء
صدعت به فثاب إليك رهط وكذبك الطغاة الأشقياء

(1) يونس: 76، 77، الحق: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره (التعريفات. 120).

(2) الروم: 47، جمع بينة: الدلالة الواضحة والحجة (أساس البلاغة: 1/ 79).

(3) الإسراء: 101. الآيات: جمع آية، العلامة والمعجزة والحارقة للعادة (الإحكام. 3).

(4) البقرة: 53، الفرقان: الحجة (اللسان. فرق)

(5) القصص: 32. البرهان: بيان الحجة، وهو اوكد الأدلة. (المفردات. 45)

(6) الذاريات: 3. السلطان: الحجة. (المفردات. 238)

(7) ابن خلدون. المقدمة

(8) الإسراء: 88.

(9) الحسن الرهوني. نظم الدرر في ترجيز كتاب الإحكام لابن القطان. تحقيق خديجة البدوي. منشورات وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية. 2010. 51

(10) مولد النور م. س

المعجزات الحسية: هي التي تدركها الحواس فترى وتلمس وتسمع، وقد ظهر منها على يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع مختلفة بعضها رواه العدد الكثير⁽¹⁾، وبعضها رواه الواحد والاثنان «والحجج في تثبيت خبر الواحد كثيرة»⁽²⁾.

وحادثة الإسراء والمعراج هي اعظم آية حسية، فقد أُسْرِيَ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرِجَ به إلى السماوات في رحلة معجزة، صعد فيها إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفُرِضَتْ عليه الصلوات، ورجع إلى مكة في ليلته . وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى في مطلع سورة الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِنَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾⁽⁴⁾.

وقد احتفى الشعراء الليبيون بهذه المعجزة، وورد ذكرها بصيغ متفاوتة بين الإيجاز والتفصيل، وبين استخدام صيغ الخطاب وضمائر الغيبة، فذكرها المزوغي بصيغة الخطاب في سياق الإشادة بسمو قدره وعلو منزلته عند ربه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ⁽⁵⁾

لَمَّا سَرَيْتَ سَرَى الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ فَتَحَ خُطَاكَ وَمِنَّةً وَعَظَاءً
أَهْدَيْتَ أَعْظَمَ مَا بِهِ يَسْمُو امْرُؤٌ قَدَمٌ تُصَفُّ وَحَضْرَةٌ وَلِقَاءُ

وقال :

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

(1) فتح الباري 582/6/6، الشفاء 1/ 493، 494

(2) الدلائل للبيهقي 1/ 27، الكفاية 432.

(3) الإسراء: 1.

(4) النجم: 1 - 9.

(5) يمضي اليك العاشقون م . س

وبست ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم تُرم

والفاخري يسطر حوادث الإسراء والمعراج بترسل وتقريرية فيقول: ⁽¹⁾

أسرى به الله للأقصى على قبس يطوى الفيافي وأحات وكثبانا
فوق النجوم إلى السبع العلا ارتفعت به البراق، وأحيا الليل أذانا
صلى -ومن خلفه الأطهار قد سجّدوا- ورتل الوحي تحت العرش قرآنا
صلوا جميعا صلاة الحب ما افترقوا فالدين ينسج بين الخلق أوطانا

وأما عمرو النامي فيذكر أن فيه مظهراً من مظاهر الرعاية والعناية التي أولاهها الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ، بعدما لاقاه من آلام وأحزان، وما واجهه من مصائب ومكائد، يقول: ⁽²⁾

وأنت بحفظ ربك في أمان يحوطك من عنايته وقاء
وعام الحزن جاءك منه فيض من الرحمات ليس له انقضاء
فكان لليلة الإسراء أنس ومعراج بشخصك وارتقاء
تعاين من كبار الآي أمرا تضيق بوصفه الصحف الملاء
وزرت المسجد الأقصى و صلى وراءك في حماء الأنبياء
وكذب قومك الآيات زورا فهم قوم جفاء اغوياء
وتم هناك للصديق قول تباركه البسيطة والسماء
أراد القوم قتلك ضل قوم أرادوا قتل سيدهم وساءوا
حرصت على الهدى منهم وصدوا وكان البغي منهم والبذاء
فشاهت تلك اشباح وضلت اضر بها اللجاجة والعداء

لقد كانت هذه الرحلة المباركة إيذاناً بانتصار الدعوة وبسط لوائها على كافة الارحاء،

(1) بسمه الغيب. م. س

(2) مولد النور. م. س

وقد أشارت فاطمة العويمري إلى ذلك في قصيدتها بقولها: ⁽¹⁾

عَلَى الْبُرَاقِ عُرُوجاً تِلْكَ رِحْلَتُهُ فَأَشْرَفَ الدَّيْنُ بَرَّاقاً عَلَى الْأُمَمِ
أَمَّ النَّبِيِّينَ مَرْهُوًّا بِقَرَبِهِمْ كَالْبَدْرِ مُغْتَبِطاً فِي حَضْرَةِ الثُّجَمِ

ومن المعجزات الحسية التي حظيت باهتمام الشعراء معجزة حنين الجذع: ⁽²⁾

فيوردها حسن إدريس في سياق المقارنة بين الجذع والإنسان فيقول: ⁽³⁾

جَذْعٌ يَنْنُ، وَلَوْ لَا صَمَّةٌ لَفَضَى، فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ بِالطَّيْنِ قَدْ نُثِرَا!

وعلاء الأسطى يشير إلى أَنَّ حنين الجذع كان شوقاً له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ⁽⁴⁾

وتلكم الجذع !! أشواق يرتلها عذب الأنين إذا ما صوتك ادكرا

ويتكرر الشوق عند الفاخري أيضاً ⁽⁵⁾:

وَحَنَّ جَذْعٌ لِأَقْدَامٍ لَهُ وَقَفْتُ تَشْكُو إِلَيْهِ - مِنَ الْأَشْوَاقِ - هَجْرَانَا

ويشير إليها محمد المزوغي في سياق عرضه لعدد من المعجزات الحسية بصيغة

استفهامية تقريرية، يقول: ⁽⁶⁾

أَوْ مَا عَرْتُ أَحْداً يُحِبُّكَ هِزَّةً ⁽⁷⁾ وَالْجَذْعُ حَنَّ وَسَبَّحَتْ حَصْبَاءٌ؟! ⁽⁸⁾

أَوْ مَا بِيَابِ الْغَارِ شَادَتْ عَشَّهَا خَوْفاً عَلَيْكَ حَمَامَةٌ وَرُقَاءٌ؟!

(1) في مدح طه . م . س

(2) حنين الجذع ، المعجزة متواترة . ينظر: البخاري. الصحيح (4/ 237 - 238)، كلهم من حديث جابر وبالفاظ مختلفة.

(3) علي الجودي . م . س

(4) مناجاة . م . س

(5) بسم الغيب . م . س

(6) يمضي اليك العاشقون . م . س

(7) حديث أثبت أحد . أخرجه البخاري . الفضائل . ح 3675

(8) تسبيح الحصى . البيهقي . الدلائل 6 / 65 ، صححه الألباني في تخريج كتاب «السنة» ح (1146). كتاب السنة

لالحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني تحقيق ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي. 1400 هـ - 1980

وَالْعَنْكَبُوتُ أَمَا أَقَامَتْ بَيْتَهَا ⁽¹⁾ وَتَأَهَّبَتْ لِلنُّصْرَةِ السَّودَاءُ؟
يَأْمَنْ رَوَى الْجَيْشَ الْخَمِيسَ بِكَفِّهِ ⁽²⁾ عَلَا فطابَ الْوَرْدُ وَالْإِرْوَاءُ

ويكرر الشاعر الفاخري الإشارة إلى معجزة نبع الماء من بين أصابعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي من المعجزات الثابتة التي تكررت في مواضع مختلفة ⁽³⁾ :

تَفِيضٌ - عَذْبًا زَلَالًا مِنْ أَصَابِعِهِ - أَنهَارُ طَهْرٍ سَقَتْ صَحْبًا وَخُلَانَا
وَأَمَّا حَدِيثُ أُمِّ مَعْبَدٍ ⁽⁴⁾ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ الْمَرْوُغِيُّ ⁽⁵⁾
يَا أُمَّ مَعْبَدَ كَرَّرِي أَوْصَافَهُ فَالضَّرْعُ جَفَّ وَشَاتْنَا عَجْفَاءُ

4 - الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الصلاة من الله تعالى ثابتة في النص الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ⁽⁶⁾، وهي شرف عظيم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان لمنزلته عند ربه، ويذكر المفسرون أنَّ الصلاة من الله تعالى تعني الرحمة والثناء والصلاة من الملائكة تعني الدعاء، والملائكة يصلون عليه، والمؤمنون مأمورون بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع وأوقات مختلفة؛ في التشهد الأخير في الصلاة بصيغة الصلاة الإبراهيمية، كما يشرع لنا ويتأكد الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وإذا مر ذكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن نصلي عليه لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رغم أنف امرئٍ ذُكِرْتُ عنده

(1) رواية العنكبوت والحمامة، أوردها ابن كثير في السيرة (239/2) وقال اسناده حسن، البيهقي. الدلائل 2 / 482، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم: 1189. وقد نقل في الكفاية عن الإمام أحمد قوله: إذا روينا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكمًا أو يرفعه تساهلنا في الأسانيد. انتهى.

(2) نبع الماء من بين أصابعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورد بطرق متعددة في مواقف مختلفة. ينظر مثلاً البخاري الصحيح. ك 61 ح 3576،

(3) بسملة الغيب. م. م. س

(4) رواية أم معبد وردت الدلائل لأبي نعيم. ح 338

(5) رسالة خاصة من الشاعر. م. م. س

(6) الأحزاب: 56.

فلم يصلِ عليٍّ⁽¹⁾، وهكذا بعد الآذان - إذا فرغ المؤذن لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل عما يقوله حين يسمع المؤذن، قال: قولوا كما يقول المؤذن، ثم صلوا عليٍّ، فإنه من صلى عليٍّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة⁽²⁾.

ولذلك ينبغي للمؤمن والمؤمنة الإكثار من الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليل والنهار، «وكان القاضي عياض خصص في الشفاء باباً كاملاً لتعديد حكم الصلاة على رسول الله وذكر فضلها وتبيين كیفيتها وتعديد بعض صيغها»⁽³⁾ ووردت في الصلاة عليه كثير من المؤلفات المستقلة، وقد اشتهر منها مؤلف للجزولي⁽⁴⁾ هو: كتاب دلائل الخيرات . ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوجدان الليبي مكانة خاصة، حيث تبت الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأي صيغة في النفوس روحانية خاصة مفعمة بالطمأنينة والسكينة والسلام، ويكرر الشعراء المعاصرون في الشعر الليبي الأمر بالصلاة عليه مرفقة بذكر مآثره ومزاياه ومحاسنه تقول فاطمة العويمري:⁽⁵⁾

صَلُّوا عَلَى مَنْ عَلَا بِالنَّاسِ مِنْ دَرَكٍ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الْأَكْوَانِ ذِي الْقِيَمِ
وتقول :

صَلُّوا عَلَى مَنْ شَدَا مِنْ ذِكْرِهِ رَشْدٌ «مَاجِي» الدُّنُوبَ وَشَافِي الْقَلْبَ مِنْ أَضَمٍ
ظِلُّ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْبَعْثِ نَنْشُدُهُ لِنَسْتَظِلَّ بِهِ مِنْ لَفْحَةِ النَّدَمِ

وتختلف صيغة الصلاة عند رضا جبران ، حيث يقول⁽⁶⁾

(1) أخرجه مسلم (2551) والترمذي (3545) وأحمد (7444).

(2) رواه مسلم حديث 612.

(3) ابن الصالح الشرفي محمد المعطي . ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج. ت د . محمد بن شريفة. منشورات وزارة الأوقاف . المغرب ، 5.

(4) الجزولي : محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870 هـ. الأعلام . 6 / 151.

(5) في طلعة النور . م . س.

(6) مناجاة محمدية . م . س.

يَا رَبِّي صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ مَنْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ يَحْلُو تَرْنُمِي
مَنْ قَدْ أَضَاءَ بِنُورِهِ غَسَقَ الدُّجَى وَأَنَارَ نَفْسَ الْمُقْتَدِي بِتَعْلُمِ

وقد تعددت صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع مختلفة من شعر فاطمة العويمري، تقول في إحدى قصائدها: (1).

يَا رَبِّ صَلِّ وَلَا تَقْطَعْ لَهُ مَدَدَا عَلَى الَّذِي فَضَّلَهُ قَدْ جَاوَزَ الْأَمَدَا
هَذَا الْحَبِيبُ عَلَيْهِ الرُّوحُ وَالْهَيَّةُ وَقَفَّ عَلَى حُبِّهِ قَلْبِي وَقَدْ عَقَدَا
ثم تقول أيضاً: (2) :

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا وَسَّعَ الْمَدَى يَا نَفَحَ طَيْبٍ خَالِدًا وَزَكِيَا
وتقول أيضاً: (3) :

مِسْكُ الْحِتَامِ صَلَاةُ اللَّهِ لَا زِبَّةُ ثُمَّ السَّلَامُ عَلَى مَنْ لِلْأَنَامِ هُدَى
وتقول في قصيدة أخرى (4) :

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمَحْبُوبِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَضَوَّعَتِ الْأَزْهَارُ مِنْ نِسِمِ
سَلَّمَ وَصَلَّ عَلَى الْهَادِي وَرَدَّ مَدَدَا بِقَدْرِ عَدَدِ الْحَصَى وَالطَّيْرِ وَالثُّجُمِ
«مُحَمَّدٌ» طَيْبِ الْأَنْسَابِ حِينَ بَدَا سُرَّ الْقَرِيبُ وَطَارَ الْمَدْحُ لِلْقِمَمِ
وتقول في قصيدة (5) :

صَلُّوا عَلَى الْهَادِي الشَّفِيعِ الْمُصْطَفَى مَا ظَلَّ نَبْضٌ وَاسْتَمَرَ بَقَاءُ

هكذا استخدمت الشاعرة أكثر من عشر صيغ من صيغ الصلاة والتسليم بتركيب

مختلفة .

(1) في حضرة المصطفى . م . س

(2) يامشرقاً بالحسن . م . س

(3) في حضرة المصطفى . م . س

(4) في مدح طه . م . س

(5) مولد النور . م . س

ثالثاً: التناسـ ومصادره في المدحة النبوية الليبية المعاصرة:

شغلت قضية الإبداع الشعري كثيراً من النقاد واللغويين والباحثين قديماً وحديثاً، وبحثوا عن أسرار هذا الإبداع والقوي النفسية والمحفزات التي تغذيه وتحرك مكانه العميقة، فتجعل القول يتدفق بشكل يأسر السامعين ويأخذ بالبابهم، وتوصلوا إلى آراء مختلفة تلتقي في أنه مزيج ناتج عن التداخل والتفاعل بين المكونات الجزئية المتشابكة من العقل والطبع (الموهبة) والرواية والدربة والممارسة والفتنة⁽¹⁾، هو «نشاط تأملي تخيلي في الذات والكون، وقراءة في الأنساق الثقافية والتجارب الفنية الفريدة، إنه عبارة أخرى فعل توليدي وحوار بين النصوص»⁽²⁾.

والتفاعل بين النصوص تأثيراً وتأثراً ظاهرة متعارف عليها، وقد فصلها التراث النقدي العربي في كثير من المصطلحات النقدية كالأخذ والسلخ والسرقة وغيرها،⁽³⁾ وتقوم في النقد الأدبي الحديث على علاقة تفاعلية واضحة أو خفية مع نصوص أخرى، وقد اصطلح على تسميته بالتناسـ، وهو أبسط تعريفاته: «مجموع العلاقات التي تربط نصاً ما بمجموعة من النصوص الأخرى، وتتجلى من خلاله»⁽⁴⁾، وهذه العلاقات تؤدي إلى «عمل تحويل وتشرب لعدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى»⁽⁵⁾، وتتجلى آلياته في التضمين أو الاقتباس، والامتصاص والحوار، والإشارة وقد تتداخل فيما بينها.

وتتجسد وظيفة التناسـ في أنه يثري «النص ويمنحه عمقاً ويشحنه بطاقة رمزية

(1) ينظر ابن رشيـ. العمدة في محاسن الشعر وآدابه . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجليل . بيروت . ط 4 . 1972 . 1 / 122 ، القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1969م، 15.

(2) عبد العزيز الحويدق. شعرية التناسـ في قصيدة بانت سعاد للشاعر اسماعيل زويريق . (اسماعيل زويريق . على النهج . 107 / 2 . المطبعة والوراقة الوطنية . مراكش . 2015)

(3) ابن رشيـ. العمدة . 280 / 2 . م . س

(4) حصـ البادي ، التناسـ في الشعر العربي الحديث . البرغوثي نموذجاً ، عمان : دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع . 2009 . 21 .

(5) عبد العزيز لحويدق . شعرية التناسـ في قصيدة بانت سعاد للشاعر إسماعيل زويريق . على النهج . 2 / 108

لا حدود له ويكون بؤرة مشعة لجملة من الأبحاث تتعدد فيها الأصوات والقراءات»⁽¹⁾ ونظراً لكون النص الجديد نصاً مفتوحاً على الشعر والنثر فإن معيار التفاضل بين الشعراء في هذا المجال يظهر في قدرة النص الجديد على تحقيق الوحدة والانسجام بين مكوناته، كما تكمن وظيفته أيضاً في «تحويل الشعري إلى شعري ضمن الأنواع الشعرية، وتحويل اللا شعري إلى شعري»⁽²⁾ وعملية التحويل هذه ينبغي أن تتم «بصورة وظيفية متداخلة مع أجزاء النص متحولة في نسيجه حيث لا نكاد نميزها»⁽³⁾.

إنَّ الباحث في مضامين النص الشعري العربي الحديث يلاحظ إنَّ «الثقافة التراثية بكل ما فيها من تنوع تمثل رافداً من أهم الروافد الخصبية للتجارب الشعرية المعاصرة»⁽⁴⁾، وفي محاولة لرصد مضامين المادة الشعرية التي أبدعها الشعراء الليبيون في المديح النبوي يلاحظ أنَّ أهم مصادر التأثير في النص الشعري:

القرآن الكريم: إنَّ استحضار النصوص القرآنية في البناء الشعري يُعد قيمة سامية مضافة للعمل الإبداعي، لأنَّ النص القرآني يُعدُّ «مصدراً غنياً للتناسل وللإلهام الشعري على مستوى الدلالة والرؤية»⁽⁵⁾، ومع ذلك فإن من الضروري الاحتراس والحذر عند الاستعانة بالنص القرآني واستخدامه لغايات لا تمس قداسته وسموه. ونلاحظ أن استحضار الشعراء للنص القرآني يظهر في صورتين: فيقتبسون ألفاظاً بنصها القرآني لتؤدي وظيفة ما في سياق جديد منسجم مع النسيج العام للقصيدة، وقد يستدعون مفردات فقط في بناء مختلف لتؤدي وظيفتها في سياقها الجديد على سبيل التضمين، وتشكل جميعها عناصر منسجمة في البناء العام بحيث يتبلور النص في صورة جديدة ويتشكل وفقاً للسياق العامة للنظم.

(1) حصة البادي. التناسل في الشعر 23

(2) م. س. 23..

(3) م. س. 24.

(4) جدوع. عزة محمد. قراءات تحليلية في النص الشعري ط. 3. 1433/2012 مكتبة المثني. الدمام. ص 7

(5) علي سليمي. عبد الصاحب طهماسي، التناسل القرآني في الشعر العراقي؛ دراسة ونقد. مجلة اضاءات نقدية.

(فصلية محكمة) السنة الثانية العدد السادس صيف 1391 ش / حزيران 2012

ومن المصادر الأخرى: الحديث الشريف بمروياته المختلفة، ثم مرويات السيرة النبوية. ونظراً لتداخل جميع المصادر في النص الواحد أحياناً، رأينا أن نشير إلى جميع الأنواع في مواضعها. ومن النصوص الواردة بهذا الخصوص قول علاء الأسطى: (1)

مِنْ يَوْمٍ قَالَ اللَّهُ: (إِنِّي جَاعِلٌ ...) جبريلُ قَدْ حَيَّاهُ .. . وَالْكَلِمَاتُ

قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾، ويحيل إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ٣٠ ﴾ (2)، ومن بين ماورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ٣٠ ﴾ قول قتادة: «فكان في علم الله أنه سيكون في تلك الخليقة أنبياء ورسول وقوم صالحون وساكنو الجنة»، (3) وقد تم استدعاء النص القرآني على سبيل الاقتباس، إشارة إلى مرحلة ما قبل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. لتعزز الفكرة التي يشير إليها، وهي مكانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربه.

وقوله أيضاً: (4)

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) وَاصْفَحِ (الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) فَأَنْتَ فِينَا.... (الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ)

استحضاراً لقوله تعالى: ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٨٨ ﴾ (5)، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ١٦٥ ﴾ (6).

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝ ٨٥ ﴾ (7).

(1) الرحمة المهداة: م. س

(2) البقرة: 30.

(3) تفسير ابن كثير. البقرة / 30 <http://www.quran7m.com/searchResults/026215.html>

(4) الرحمة المهداة م. س

(5) الحجر: 88.

(6) الشعراء: 215.

(7) الحجر: 85.

المقصود بالأمر بخفض الجناح أي: «بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحبيبك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم»⁽¹⁾ والصفح الجميل معناه: «الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية»⁽²⁾ وهكذا كانت أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد أضاف استحضار النص القرآني دلالات فسيحة للنص الشعري، وكساه طاقة إيحائية عميقة مؤثرة، وقوله الرحمة المهداة: استحضر الشاعر قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إنما أنا رحمة مهداة»⁽³⁾ لتجسيد معاني الرحمة وتعميق أداء الفكرة، ويبدو التناص منسجماً مع الفكرة التي أرادها الشاعر.

وفي قصيدة لفاطمة العويمري: تقول فيها:⁽⁴⁾

وَأَتَاكَ أَمْرُ اللَّهِ بَعْدَ تَكْتُمٍ: «فَاصْدَعْ...» وَ أَعْرَضُ .. «.... مَا خَشِيتُ شَقِيًّا

فقولها: «فاصدع»، «وأعرض»: إشارة إلى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾.

لقد أدى استحضار النص الكريم إلى إيجاد قوة في نسج الأسلوب في السياق الشعري، كما أدى إلى إحداث حيوية في أداء الفكرة والتأثير بها، وتكثيف مضمون البيت، وهو الأمر بتبليغ الرسالة والجهربها وعدم الالتفات إلى سفاهات المشركين.

وفي قول الأسطى:⁽⁶⁾

سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى.. وَمَنْ أَعْنَى، وَمَنْ آوَى وَتَمَّتْ بِأَسْمِهِ الْكَلِمَاتُ...

استحضر لقول الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(1) تفسير السعدي . الشعراء - 215http://www.quran7m.com/searchResults/026215.html

(2) تفسير السعدي . الحجر . 58 . م . س

(3) تخريج مشكاة المصابيح 5737 . الموسوعة الحديثية - الدرر السنية sharh › hadith › www.dorar.net

(4) يامشرقاً بالحسن م . س

(5) الحجر: 94 - 95.

(6) الرحمة المهداة م . س

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴿١﴾، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًا فَاَعْنَى﴾ ﴿٢﴾، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ﴿٣﴾.

وهذه الإشارات القرآنية وردت في مطلع القصيدة، وقد بدأت باستحضار قصة الإسراء بتفصيلاتها، ثم بسورة الضحى، وأدت التسيبحات المتتالية في النسيج الشعري إلى تكثيف الإيحاء بدلالات النصوص، وتعزيز شحنة التأثير باستعراض بعض المنح الربانية والعطايا الإلهية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحدثت تفاعلاً بين القارئ والنص، حيث تركت له فرصة التأمل والتفكير، ثم يتابع قائلاً:

وَحَبَاكَ نَافِلَةَ الضُّحَى .. مُتَقَلِّبًا فِي السَّاجِدِينَ .. وَشُكْرُكَ السَّجْدَاتِ ..

استحضاراً لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿٤﴾.

قيل في تفسيرها: «أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راکعاً وساجداً خصها بالذكر، لفضلها وشرفها» ^(٥)، وقد عزز التناص في هذا البناء الشعري القيم الجمالية الأسلوبية، كما عمق دلالات الفكرة في سياق التذكير بمكانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربه.

وفي قوله أيضاً: ^(٦)

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ) (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ) فَاهْتَدَى فِي الْعَالِينَ هُدَاهُ

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ^(٧)، ويتوافق هذا النص الكريم من حيث الموضوع مع موضعه في السياق الجديد؛

(1) الإسراء: 1.

(2) الضحى: 8.

(3) الضحى: 6.

(4) الشعراء: 219.

(5) تفسير السعدي. الشعراء: 219. م. س

(6) الرحمة المهداة. م. س

(7) العلق: 3 - 5.

لأنَّ «أول ما نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم»⁽¹⁾، ويستحضر القارئ في ذهنه الأجواء التي رافقت نزول الآيات الأولى من القرآن الكريم، وما سبقها وما رافقها من أساليب التهيئة والإعداد لتحمل أعباء التبليغ بها والاضطلاع بنشرها، وعمل النسيج الشعري على توسيع الدلالة وتعزيز فكرة تكليفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة في مراحلها الأولى.

ويتجسد التناسل أحياناً في الإشارة إلى بعض مفردات النص القرآني في كثير من النصوص، مثال ذلك قول الفاخري:

لولا (تبوء إبراهيم) في أزلٍ لهاجر البيت أحجاراً و أركاناً
مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝﴾⁽²⁾، وأما الوظيفة التي أداها النص القرآني فهي التكليف بالرسالة وتحميل المسؤولية، وتم استدعاء مفردات تشير إلى النص القرآني في سياق الفكرة التي أرادها الشاعر؛ وهي أثر اتخاذ قرار هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مكة والمؤمنين من أهلها، وجاءت المفردات القرآنية منسجمة في البناء الشعري مع ما أدته من تعزيز للدلالة، وإضفاء كثير من الإيحاء باستحضار الأجواء المرافقة لقصة بناء الكعبة وما رافقها من تجليات في كثير من المواضع من شعره، منها قوله:

وَالْفُلُكُ، وَالْجُودِي .. يَحْتَضِنَانِ مَنْ فِي صُلْبِ (نُوحٍ) إِنَّهَا الْبَرَكَاتُ
وَالْفُلُكُ، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ۝﴾⁽³⁾،
والجودي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۝﴾⁽⁴⁾.

من في صلب نوح، يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفكرة هي إِنَّ الله سبحانه

(1) quran.ksu.edu.sa › tafseer › katheer › sura96-aya1 - تفسير ابن كثير - سورة العلق

(2) الحج: 26.

(3) يس: 41.

(4) هود: 44.

أختار بشراً من بني آدم، من أطهر الأنساب، وأنقى الأصلاب، واستخدام الشاعر المفردات القرآنية في هذا الموضع يدل على انفتاح النص الشعري على آفاق فسيحة تحيل إلى دلالات وتراكيب من شأنها أن تسهم في إنتاج صياغة جديدة للنص منحتة شحنة من الطاقات الإيحائية والفكرية.

ونصادف توجهاً آخر في التناص؛ يتجلى في توظيف بعض المفردات القرآنية بصورة مكثفة، مع تصرف في تراكيبها، ومن ذلك قصيدة حسن إدريس: (1) في سياق رحلة روحية حشد فيها بعض المفردات القرآنية في سياق شعري يحمل كثيراً من الدلالات والإيحاءات يقول:

أَنْسَابُ شِعْرًا كَمَا لَوْ لَمْ أَكُنْ بَشَرًا، أَلْقِي عَصَايَ؛ لَعَلِّي إِنْ فَعَلْتُ أَرَى
فجملته: (ألقي عصاي) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (2).
وقوله بعد أبيات:

لَمَّا نَزَعْتُ يَدًا بَيَضَاءَ سِرْتُ بِهَا، طَوْعًا تَكْشَفَ لِي مَا كَانَ مُسْتَتِرًا
نزع يدا بيضاء: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيَضَاءٌ لِلتَّظْهِينِ﴾ (3).
وقوله:

أَسْرِي وَأَجْحُ فِي أَلْوَجٍ مَنْ وَقَفُوا، حَتَّى وَقَفْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِي سَرَى
استحضاراً لقوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (4).
أَكْمَلْتُ دَرْبِي وَزَادِي أَنِّي كَلِّفُ؛ حَمَلْتُ فِي صَدْرِي الْآيَاتِ وَالسُّورَا
بِهَا مَشَيْتُ؛ فَمَا أَخْشَى؟! وَقُلْتُ: بِهَا سَافَرْتُ الْبَحْرَ أَسْتَسْقِي بِهَا الْحَجَرَ

(1) على الجودي: م . س

(2) الأعراف: 107.

(3) الأعراف: 108.

(4) الأعراف: 145.

يستحضر قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ط فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ط كُؤًا وَّاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١﴾﴾.

وقوله :

فِي مَدْحِكَ الْيَوْمَ غِيضَتْ كُلُّ قَافِيَةٍ، وَظَلَّ وَصْفُكَ بِالْجُودِيِّ مُنْتَظِرًا

ويشير اللفظان: غيضت، الجودي إلى وجود تناص قرآني مستند إلى قوله جلَّ وعَلَا: ﴿وَقِيلَ يَا اَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ اَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ط وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾﴾.

ولكن السؤال هو: ما العلاقة بين النصوص الغائبة والنصوص الحاضرة في أبيات القصيدة؟ وفيم وظف الشاعر هذه النصوص؟ إنَّ السياق العام للنصوص القرآنية تتحدث عن قصة سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، ويستعرض فيها الآيات التي أيده الله سبحانه بها، كما وردت الإشارة إلى قصة سيدنا نوح مع السفينة وكيف كان الجودي نهاية المطاف، ومع أنَّ حيثيات القصص جاءت مبنوثة في عدد من السور القرآنية: (البقرة، الأعراف، هود)؛ فإن الشاعر وظفها في سياق جديد مترابط، ويفهم من الأبيات الأخيرة أنَّه يعرض الأبيات في سياق الحديث عن إرهابات نبوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك من قوله :

أَسْرِي وَأَبْحَثُ فِي أَلْوَا حِ مَنْ وَقَفُوا، حَتَّى وَقَفْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِي سَرَى
أَكْمَلْتُ دَرْبِي وَرَا دِي أَنَّنِي كَلَّفُ؛ حَمَلْتُ فِي صَدْرِي الْآيَاتِ وَالسُّوْرَا
بِهَا مَشَيْتُ؛ فَمَا أَحْشَى؟! وَقُلْتُ: بِهَا سَافَرْتُ الْبَحْرَ اسْتَسْقَى بِهَا الْحَجْرَا

ولأن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والشرائع التي جاءوا بها كانت سابقة من حيث الزمن للشريعة الإسلامية؛ فقد جعل الشاعر الرموز المرتبطة بذلك في المطالع على أنها تقديم

(1) البقرة: 60.

(2) هود: 44.

للقصيدة، وهي كذلك إرهابات للدعوة الإسلامية، ولذلك استخدم الشاعر رموزاً إسلامية: (الآيات والسور)، واستخدم ضمير الخطاب (منك، مدحك، وصفك) مخاطباً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيت الذي خلص فيه إلى المديح النبوي:

في قوله :

أَسْرِي وَأَجْتُ فِي أَلْوَجٍ مَنْ وَقُفُوا، حَتَّى وَقَفْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِي سَرَى
فِي مَدْحِكَ الْيَوْمَ غِيَصَتْ كُلُّ قَافِيَةٍ، وَظَلَّ وَصْفُكَ بِالْجُودِيِّ مُنْتَظَرًا

وهذا الاستحضار للنصوص القرآنية بهذا التكثيف؛ يمنح النص الشعري دلالات عميقة ومعاني سامية وإجاءات مؤثرة باستدعاء مشاهد متنوعة من القصص القرآني، كما يدل على مقدرة واضحة على الإبداع الشعري وصلة عميقة بالقرآن الكريم .

وقد وردت شواهد متعددة لتناص الحديث النبوي وبعض مرويات السيرة، ومن ذلك قول رضا جبران:

قَدْ قُلْتُ : أَقْرَبُكُمْ لِنَفْسِي مَجْلِسًا حَسَنُ الْخَلَائِقِ مَنْ يَفُوزُ بِأَنْعَمِ

قوله: أقربكم لنفسي مجلساً تناص مع قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا...) (1) والحديث الشريف يدعو إلى الالتزام بمكارم الأخلاق والتحلي بالفضائل وحسن المعاملة؛ فقد تم استدعاء بعض مفردات النص الشريف بهدف إثراء التجربة الشعرية ومنح دلالات وآفاق فسيحة للنص الجديد بمؤثرات فنية جمالية ومقومات فكرية موضوعية .

وفي قول محمد المزوغي: (2)

وَلِكُلِّ ذِي كِبِدٍ أَمَرْتُ بِرَحْمَةٍ فَشَمَلَتْ خَلْقًا مَا لَهُمْ إِحْصَاءٌ

الرحمة مقصد مهم في الشريعة الإسلامية، ولذلك تكررت الدعوة إليها في كثير

(1) المكتبة الإسلامية. الجامع الكبير (سنن الترمذي) كتاب البر والصلة، رقم 2018 .

(2) يمضي اليك العاشقون م . س

من النصوص القرآنية وفي الأحاديث النبوية، وهذا النص يستحضر قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «في كل كبد رطبة أجر»⁽¹⁾ وهذا الحديث فيه دعوة إلى الإحسان إلى الضعفاء، ومنهم الحيوان، وقد وظفه الشاعر هنا في سياق الحديث عن مدح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإشادة بالقيم والمبادئ التي يجسدها والأخلاق التي يدعو إليها، وقد عمل على تأدية غرضه في إثراء المضمون وقوة التأثير.

المبحث الثاني: الخصائص الفنية للنصوص المختارة:

حينما يتصدى الدارس لتحليل نص ما، والتفاعل معه واكتشاف جمالياته من خلال البحث عن سياقاته النفسية والأنساق التي تحقق مدى ترابطه وانسجامه؛ فإنَّ من المهم «أن يستجمع أدواته التي تتكشف في طرائق فهمه ومناهج تفسيره وبها يقترب من مرحلة الإبداع، وإلا عد اقتحام النص بمثابة جنائية يجنيها عليه»⁽²⁾، ومن هنا يشرع في التحليل الجزئي للأنساق اللغوية والتراكيب النحوية؛ وذلك بالبحث عن اللغة الشعرية من حيث استخدام الجمل والأفعال ودلالاتها، والضمائر وتلويناتها ومقاصدها، وألوان التكرار للجمل والمفردات، والحروف ودلالات كل منها، ومن شأن هذه الوقفة النقدية المتأنية أن تجلي مدى تفاعل المبدع مع موضوعه.

وسوف لن يتم اقتحام هذا التحليل لبعض مضامين النصوص إلا بالقدر الذي يؤدي إلى إلقاء نظرة شاملة على النماذج والاختيارات الشعرية الواردة، ورصد بعض من خصائصها الفكرية واللغوية والبلاغية والإيقاعية؛ لأنَّ المادة الشعرية الواردة في هذا الباب من الضخامة بحيث يشكل جمعها وتوثيقها ديواناً قائماً بذاته .

أولاً: التجربة الشعرية:

تعرف التجربة الشعرية بأنها «الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها

(1) من حديث أبي هريرة . صحيح البخاري: 21

(2) عبد الله التطاوي، المعارضات الشعرية . م . س . ص 55

الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم⁽¹⁾ وهي مزيج من الفكر والعاطفة والخيال .

لقد تعددت تجارب الشعراء في قصائدهم، ولكنها تمتح جميعاً من منبع واحد، هي إنهم جميعاً يستحضرون شخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبي الرسول، ويعبرون عن الانبهار بالكمال الإنساني المتجسد في شخصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتحدثون عن طفولته ودلائل نبوته ومعجزاته وإرهاصات ما قبل النبوة، ويصورون شمائله ومآثره وخصاله وأعماله الجليلة، وما كابده في سبيل نصرته الدعوة، كما بث شعرهم نفحات من محبته والتشوق إلى زيارته وطلب شفاعته؛ ومع ذلك فقد تفاوتت تجارب الشعراء في أساليب التعبير والتصوير والبناء الفني، ولكن الذي ينبغي الإشارة إليه، أنَّ التجارب الشعرية كانت ثرية وعميقة وصادقة، هي إنعكاس لخلجات نفوسهم الشفافة المرفهة ولقدرة إبداعية متمكنة ومتميزة على مستوى الرؤي والتصورات، وعلى مستوى الصياغة الفنية والشعرية، واستطاعت الكشف عن القيم الجمالية البانية في موضوعات السيرة النبوية الغراء وتقديمها بصورة تشع بالجمال والجلال، وذلك بالرغم من صعوبة الخوض في هذا المجال المتعلق بالشعر الديني بوجه عام، وقد شهد بذلك ابن خلدون (808هـ) حينما قال: «ان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب، ولا يحدق فيه إلا الفحول»⁽²⁾ .

إنَّ من أبرز مقومات نجاح النص الشعري عامة الإحاطة بالموضوع أو ما يُعرف بثقافة الشاعر، فمن خلال هذه المرجعية يستطيع أن يرتفع بنصه الشعري بحيث يسهم في توجيه الرأي العام وإحداث التفاعل بين النص والمتلقي، ومن المقومات أيضاً الرؤى

(1) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، القاهرة، دار نهضة مصر. 1997، ص 363.

(2) ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون المجلد الأول الجزء السادس عشر الفصل الخامس والخمسون. في صناعة الشعر ووجه تعلمه . 2009/6966/blog-post_07/kameltarikh.blogspot.com

والتصورات وصفاء الوجدان واستقامة المسلك، (فالثقافة والرؤية مصدران أصيلان من مصادر تموين النص الشعري بالكثير من مقوماته الفنية والفكرية والحضارية، ومن دونهما يبقى النص الشعري نصاً ارتجالياً لا يمكن له أن يدوم طويلاً في مجتمع التلقي على مختلف طبقاته⁽¹⁾ خاصة في هذا العصر المليء بالتحديات الزاخر بألوان الثقافات البارعة في أساليب إنتاجها المتقن لأساليب عرضها، و«كلما كانت الثقافة والرؤية عند الشاعر على أعلى درجاتها فإن ذلك ينعكس على القيمة الإبداعية والفنية والجمالية والثقافية للنص الشعري، فبالثقافة يرتفع مقام النص الشعري نحو أعلى مستوى ممكن بوصفها مرجعية لا غنى عنها، وبالرؤية يتحول النص الشعري إلى نص يحتوي على مقولة وقضية ولا يعمل في حدود الفراغ»⁽²⁾ وتختلف تجارب الشعراء باختلاف مصادرهم، وتتفاوت تبعاً لثقافتهم ومعارفهم وما يمتلكون من طاقات إبداعية معرفية ووجدانية .

ثانياً: المعجم الشعري وحقول الدلالة:

«المعجم هو مجموع الكلمات التي تضعه لغة ما في متناول المتكلمين»⁽³⁾ ويكتسب دوراً مهماً في الأعمال الشعرية لأنه يُعدُّ «وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب وبين لغات الشعراء والعصور»⁽⁴⁾، كما أنه يشكل (لحمة أي نص كان، ويحتل مكاناً مركزياً في أي خطاب، ولذلك اهتمت به الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً وجعلته مركز الدراسات التركيبية والدلالية)⁽⁵⁾، والمعجم الشعري ومفردات المعجم الشعري (هي مفاتيح النص أو محاوره التي يدور عليها)⁽⁶⁾.

(1) ساجدة عبد الكريم خلف التجربة الشعرية من الرؤية إلى الموضوع بحث في نماذج شعرية منتخبة. 155
pdf.1452868472-1621/http://oaji.net/articles/2016

(2) ساجدة عبد الكريم خلف التجربة الشعرية من الرؤية إلى الموضوع بحث في نماذج شعرية منتخبة. 155 م. س.

(3) عزوز أحمد. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق 2002. 9.

(4) محمد مفتاح، استراتيجية التناص 58.

(5) م. س. 61.

(6) م. س. الصفحة نفسها.

ويستمد الشعراء معجمهم الشعري من تجاربهم اليومية وثقافتهم الإنسانية، ويجسد تصوراتهم ورؤاهم الفنية وطاقاتهم الإبداعية والفكرية الوجدانية، حيث يستثمرون طاقات اللغة وإمكانياتها ومفرداتها في صياغة تجاربهم الشعرية .

ويتكون معجم أي لغة من مجموعة مدلولات تنتظم في حقول دلالية . «والحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى، لأنَّ الكلمة لا معنى لها بمفردها، بل إنَّ معناها يتحدد ببحثها مع أقرب الكلمات في إطار مجموعة واحدة» ⁽¹⁾، ويرى اصحاب هذه النظرية «أنَّ المعاني لا توجد منعزلة الواحدة تلو الأخرى في الذهن، ولإدراكها لا بد من ربط كل معنى منها بمعنى أو بمعان أخرى» ⁽²⁾، ولقد عرفت الحقول الدلالية في الدراسات العربية «تطبيقاً وأجراً في أكثر من مصدر وعبر قرون متعاقبة» ⁽³⁾.

الحقول الدلالية في المادة الشعرية :

أولاً: الحقل الوجداني :

1 - التعبير عن محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد جعل الله سبحانه من رسوله صلى الله عليه قدوة للمؤمنين؛ بما حباه من جميل الخصال وكريم السجايا، أدَّبَهُ ربه واصطفاه ومدحه وأكرمه، وأثنى على خلقه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ ⁽⁴⁾، وزكى عقله فقال: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝﴾ ⁽⁵⁾، وزكى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝﴾ ⁽⁶⁾،

(1) عزوز أحمد. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية . منشورات اتحاد الكتاب، دمشق. 2002. ص 13

(2) م . س . 13.

(3) م . س . 12.

(4) القلم: 4.

(5) القلم: 2.

(6) النجم: 17.

وزكى فؤاده فقال: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (١١) (١)، وأقسم بحياته فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٧٥) (٢)، وخاطبه بالطف ما خاطب به الأنبياء، ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ (٣) ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ (٤)، وأرسله رحمة للناس كافة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) (٥). كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته تطبيقاً للمنهج الرباني، وتجسيدا للإنسان الكامل، وإن محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مقومات الإيمان في نفوس المؤمنين، إنها المحبة التي تقتضي الإيمان بنبوته وبعثته ومتابعة هديه وسنته بالرضا والتسليم. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجسدون محبته واقعاً معاشاً، لقد خالطت محبته بشاشة قلوبهم، وتشبعت بها أرواحهم وياقنوا أن محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيل إلى محبة الله تعالى.

والمتبوع للمادة الشعرية الواردة في الحديث عن محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يلاحظ أن هذه المحبة كانت مصدر إلهام للشعراء، كأنهم أحسوا أن اهتداءهم إلى مدح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والثناء عليه والتعبير عن محبتهم له لون من التوفيق والاصطفاء والاهتداء؛ يتقربون إلى الله سبحانه بها لأن «مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جملة الطاعات والعبادات فيحتاج للتوفيق من الله تعالى للعبد حتى يتيسر له فعله» (٦)، ولعل هذا سر من أسرار المتعة الروحية التي يشعر بها القارئ حينما يتفاعل مع التجارب الشعرية التي تنم عن شعور عميق يرجع إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني لا إلى مجرد مهارة في صياغة القول.

ومن النماذج الواردة في التعبير عن محبته وتبجيله وتكريمه ومناجاته والتعبير عن في الشوق إلى زيارته، قول محمد المزوغي في قصيدته البشارات يقول فيها (٧)

(1) النجم: 11.

(2) الحجر: 72.

(3) الأنفال: 64.

(4) المائدة: 41.

(5) الأنبياء: 107.

(6) يوسف بن إسماعيل النبهاني . المجموعة النبهانية 18 / 1 ، دار الفكر

(7) في الأفق أبصر اسراب البشارات . م . س

إِنِّي لِحُبِّكَ مَنْذُورٌ .. تَحَيَّرَنِي من لثغة الرُّوحِ حتى شهقة الدَّاتِ
 حيثُ اتَّجَهْتُ يَظُلُّ الوردُ يتبعني لا عطر يشبهُ عطرًا في اتجاهاتي
 حيثُ اتَّجَهْتُ يَظُلُّ الوردُ يتبعني لا عطر يشبهُ عطرًا في اتجاهاتي
 وإن تبسَّمتُ ضوءُ الشَّمْسِ يغبطني يدري بأنَّكَ أسبابُ ابتساماتي
 يدري بأنَّكَ مشواري الأخيرُ إلى حيثُ العباراتُ سكرى بالمجازات
 وحيثُ معنَاكَ فوقِ الفوقِ ليس يُرى في الكونِ منه سوى بعضِ الإشارات
 وحيثُ أنتُ جَمَالٌ جَلَّ عن شَبِّهِ يا أجملَ الخلقِ - في ماضٍ وفي آتِ

إِنَّ محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المقدسات ومن علامات الإيمان التي لا غني عنها لكل مؤمن، يقول⁽¹⁾:

وحُبُّكَ - حين دار الحبُّ - كأسٌ مقدسةٌ وإيمانٌ يطوفُ
 ولا يحيي بغير الحبِّ قلبٌ إذا ما الطينُ أحياه الرغيفُ

لقد امتزجت هذه المحبة بمشاعره ووجدانه، وحركت كوامن الشوق إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو منه في حال دائم في جميع أحواله من القرب والبعد يقول: ⁽²⁾

أحُبُّكَ كم أحبك رغم ذنبي وتقصيري فلي قَلْبٌ شغوفُ
 ولي الشَّوْقُ التليدُ وأنت أدرى به مني ولي الشَّوْقُ الطريفُ
 ولي شوقٌ يزيد على التنائي ويقوى إن دَنَا الحرم الشريف
 على الحالين من نأى وقربٍ رأيت القلب يعروه الرفيف

إنه الرحمة التي نشرت المحبة في ربوع الدنيا، وهو البشري المنتظرة التي أخبرت بها الكتب السماوية، وكانت سيرته مليئة بالأحداث الجسيمة والحكم البليغة التي يعجز الشعر عن الإحاطة بها وتعبر الشاعرة فاطمة العويمري عن ذلك فتقول⁽³⁾:

(1) ربيعك لا يمر به الخريف. م. س

(2) م. س

(3) في طلعة النور. م. س

يَا رَحْمَةً نَزَلَتْ لِلْعَالَمِينَ سَقَتْ زَرَعَ الْمَوَدَّةَ إِخْمَاداً لِمُحْتَدِمِ
قَدْ بَشَّرْتُ بِكَ أَدِيَانُ لِتُخْتِمَهَا فَالْحَمْدُ فِي اسْمِكَ يَا رِيحَانَةَ الْكَلِمِ
يَا نِعْمَةً وَهَبْتَ لِلنَّاسِ تَرْكِيبَةً يَهْفُو إِلَيْكَ الْوَرَى يَا خَيْرَ مُخْتِمِ
فِي نَفْحِ سَيْرَتِكُمْ هَدْيٍ وَمَوْعِظَةٍ هَلْ يُدْرِكُ الشَّعْرُ مَا كَابَدْتَ مِنْ أَلَمِ ١٩١٢.

ومع عجز الشعر؛ فإن الشاعرة تأمل أن يسعفها قلبها المحب في التعبير عن شوقها الدائم، بل وتتقرب إلى الخالق عَزَّوَجَلَّ طالبة الرحمة والعفو، تقول في القصيدة نفسها في بيتين يجمعان بين التقرير والإنشاء:

هَذَا قَصِيدِي عَنِ الْمَحْبُوبِ رَنَمُهُ قَلْبٌ يَرُومُ وَصَالاً غَيْرَ ذِي سَأَمِ
يَا رَبِّ فَارْحَمْ إِذَا مَا الْحَشْرُ آزَفَنَا وَاغْمُرْ بِعَفْوِكَ قَلْبَ الْبَائِسِ السَّقَمِ

هكذا امتزجت معاني الحب وتباريح الشوق بالوجدان، حتى أن اللسان يعجز عن الوصف، ويتوقف العقل عن التفسير، تقول فاطمة العويمري: (1)

شَدَوْتُ بِاسْمِكَ فِي شِعْرِي وَفِي نَعْيِي يَا «سَيِّدَ الْخَلْقِ» يَهْوَى مَدْحَكُمْ قَلْبِي
إِنْ يَعْجَزِ الْحَرْفُ عَنْ إِحْصَاءِ مَكْرَمَةٍ فَالْقَلْبُ فِي مَا نَوَى مَا ضِ وَفِي قُدَمِ
لِمَدْحِ «أَحْمَدٍ» رِيحُ الشَّوْقِ يَحْمِلُنِي أَبْلَى الشَّغَافِ غَرَامٌ غَيْرَ مُنْكَتِمِ
تَحْيَرُ الْعَقْلُ فِي تَفْسِيرِ أُحْجِيَةٍ هُذِي مَنَاقِبُكُمْ نُورٌ عَلَى عِلْمِ

وتنسب الكلمات صادقة تنضح بالجمال وترشح بالعدوبة في مخاطبة رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ السيد الأبهي منقذ الظامئين وهادي الحيارى، يقول المزوغي: (2)

يَأْيُهَا الْأَبْهَى الَّذِي كَلِمَاتُهُ فِي دَرْبِ شَوْقِ الظَّامِئِينَ الْمَاءِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ أَوْقَدَ زَيْتُهُ لَمْ تَعْرِفِ الْكَلِمَاتُ كَيْفَ نُضَاءِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِي الْجِهَاتُ مَعَابِرِ اتَّفَضِي إِلَيْكَ فَكُلْهُنَّ وَرَاءِ

(1) م. س

(2) يمضي إليك العاشقون. م. س

وهكذا تتدفق الكلمات رقراقة عذبة؛ تحرك الوجدان وتلمس المشاعر معبرة عن

المحبة الخالصة في قول الأسطى: (1)

طيف سرى فاستباح السهد والسهرا	ما أعذب السهد إذ طيف الحبيب سرى
تعتق الدمع في عيني منتشيا	وما دريت على الخدين كيف جرى
ودوحة القلب بالأشواق يانعة	تساقط الحب أحسو كاسه عطرا
وكرمة العقل حياها الهيام فما	أمسى حبيب بها إلا وقد سkra
يامن هواه يناغي في قافيتي النشوى	التي داعبت روحاً غدت وترا
يامن هواه يناجي في أوردتي	إني أناجيك فجراً عانق السحرا
ناجيت طيفك حباً لا أبوح به	حتى درى الدمع بالنجوى فما صبرا
كل النفوس إلى أحبابها اذكرت	فكيف نفسي إذا خير الورى ذكرا
وكيف نفسي وما ذاقت ولا عرفت	لولا هواك الهوى والله والسورا
لولا هواك لما ربا دريت ولا	سحراً تلوت ولا ناجيت لي قمرا
ياسيد الكون كل الكون في أمل	لما سرى نوركم بين الورى نشرا
ياسيد الكون كم في الكون من عبر	كرمى لعينيك جاءت توقظ البشرا
في كل أرض وفي أعلى السماء ولو	تدبر الناس كانوا أدركو العبرا

لقد كانت المحبة الصادقة مصدر إلهام لتجود القريحة بشعر غزير، يرشح بالعدوبة

والجمال في شعر علاء الأسطى: (2)

وقف عليك الهوى والحب ماهملت	سحائب الوجد في أعماقنا مطرا
وقف عليك الهوى والشعر ماسجعت	قصائد الروح سحترت فيك قد سحرا
إِنِّي وَقَفْتُ عَلَيْكَ الْمَدْحَ أُرْسِلُهُ	وَالشَّوْقَ وَالْدَّمْعَ، وَالتَّجْوَى بِكُلِّ سُرَى

(1) مناجاة . م . س

(2) م . س

2- أثر المديح النبوي على الشاعر، والتعبير عن العجز في الإحاطة بمقامه ومكانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عرض الشعراء تجاربهم في مديحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعر صادق يعبر عن إحساسهم بالقدسية والجلال لهذا الجنب العطر، مديحه بالنسبة لهم تعبير عن أعظم ما في النفوس من مشاعر المحبة والإخلاص، دافعها الإيمان الصادق بعيداً عن مشاعر التزلف والرياء، معبرين عن شرف مدحه والتحدث عن سيرته وكريم خصاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نكاد نجد شاعراً نظم في هذا الباب إلا عبر عن شعوره بالعجز عن الإحاطة به ⁽¹⁾، وماذا عسى قائل أن يضيف إلى وصفه والثناء عليه وقد مدحه ربه سبحانه مخاطباً إياه بقوله عزَّوَجَلَّ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ ⁽²⁾، وكيف لمن أراد ذلك أن يستحضر أسرار هذه العظمة، وبأي لغة وأي معيار؟ و«إِنَّ الثناء على نبينا ورسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هو أهله؛ ليس في قدرة أحد من الخلق أبداً على طول المدى، ولو نسخت له الفصاحة حروفاً، وقسمت له البلاغة أقساماً وصنوفاً» ⁽³⁾، ومع ذلك فإنَّ مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاع في كل العصور، واستمع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى قصائد في مدحه، ويشكل ديوان المديح النبوي- في الأدب العربي - أغزر مادة على الإطلاق، ولسان حال القائلين يقول «إِنَّ القلوب تنظر بعيون الإيمان على مقدار غروبها وشروقها، والآنية تنضح بما فيها»، ومن المعلوم أن الهدايا على مقدار مهديها، وحيث لا يمكن الوصف على قدر الموصوف بل على قدر الواصف ⁽⁴⁾، ولذلك فقد عبروا في مديحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صدق مشاعرهم وعميق انفعالاتهم، ونبل أحاسيسهم، واعترفوا بعجزهم عن الإحاطة بسمو قدره، وأعربوا عن شعورهم بالضالة، ومن ذلك مثلاً قول الفاخري: ⁽⁵⁾

(1) ينظر: يوسف بن اسماعيل النبهاني. المدائح النبهانية . دار الكتب العلمية. بيروت. 1/ 23، 24، 25.

(2) القلم: 4.

(3) م . س . 26.

(4) م . س . الصفحة نفسها

(5) بسملة الغيب . م . س

يا صفوة الخلق، خجلي أحرفي بفمي فالشعرُ يعجزُ أن يُوفيكَ ميزانا
نسجتُ رمشي أوتاراً لتعزفكم فمُ القصائدِ أشواقاً وتحنانا
أيمدحُ المدحُ ! ما الأقلامُ قائله؟! وأنتَ للمدحِ قد عُنونَتِ عُنوانا
ويتكرر المعنى في شعر عمرو النامي في التعبير عن رفعة قدره وعلو شأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وإظهار عجزه وشعوره بالقصور يقول: (1)

نبي الله قدرك فوق قولي بما لا يستطيع له اجتلاء
وشأنك لا يحيط به مقال وهذا النزر ليس به وفاء
ببابك حوم الشعراء قبلي فجئت ولي على الأثر اقتفاء
فإن أخفق فقد حاولت جهدي وحسبي في هواك الاقتداء
وإن أحسن ففضلك قد حباني وأنت البحر شيمتك السخا
أما الشاعر عبد المولى البغدادي فيقف عاجزاً عن وصفه وتعداد خصاله، وقد
عقدت الهيبة لسانه، وعقل العجز قريحته، وقد عبر عن ذلك بقوله: (2)

يا صاحب الخلق الأعلى وسيده وباسط الشرعة السمحاء والمثل
أيام عمرك أعمار مخلدة يسمو بها كل عمر راكد حمل
جلت صفاتك عن شعر يعددها فكيف بي ولساني شبه معتقل
إن الهمم لتتقاصر عن وصف قدره، لقد جلّت مكارمه عن فصاحة البلغاء ومدح
المداحين، يقول محمد المزوغي (3)

ليس المديحُ ببعضِ وَصْفِكَ بِالْغَا مَا تَسْتَحِقُّ وَيَشْهَدُ الْبُلْغَاءُ
وَسِوَاكَ يَغْلُو بِالْمَدِيحِ وَإِنَّمَا لَوْلَاكَ مَا زَانَ الْمَدِيحُ عِلَاءُ

(1) مولد النور . م . س

(2) مولاي . م . س

(3) يمضي اليك العاشقون . م . س

وما يتصف به من الجلال والبهاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحول دون قدرة الشاعر عمرو
النامي على مدحه؛ فيقف عاجزاً ويعود أدراجه منكسراً عيياً: (1)

أهم بمدح شخصك يا حبيباً فيمنعني جلالك والبهاء
وحسبك مدحة قرآن ربي وما اجتمعت عليه الأنبياء
رسول الله لست بذي بيان فليس لما أكابده عناء
جلالك معجز وأنا عي وإن حاولت يصرفني الحياء
ويعتذر عن عجزه وضعف أدواته قائلاً :

أحوم حول ذاك النور جهدي فيبهرني بروعته الضياء
وأبلغ منه ما أرجو وتأتي روائع فيك يبدعها الوفاء
فإن أخفق فقد حاولت جهدي وحسي في هواك الإقتداء
وإن أحسن ففضلك قد حباني وأنت البحر شيمتك السخاء

ويغلب على الشعراء استخدام ضمائر الخطاب في تعبيرهم عن الاعتذار والعجز
في بلوغ مرادهم في مدحه، ويؤدي ذلك الأسلوب إلى تأكيد خطاب المناجاة وتعزيز شعور
القرب والحميمية. ويقرر الشاعر المزوغي إن قصائده هي التي اكتسبت شرفاً وسمت مكانةً
بمدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو، يقول (2):

أنا ما مدحتك بالقصائد إنما بجميل وصفك قد مدحت قصائدي

ويعتذر الفاخري عن قصور بيانه ويعبر عن عجز قوافيه وصغر قدره وضعف قدراته
عن أن يحيط بوصفه ويفي بحقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يا صفوة الخلق، خجلي أحرفي بفمي فالشعرُ يعجزُ أن يُوفيك ميزانا
نسجتُ رمشي أوتاراً لتعزفكم فمُ القصائدِ أشواقا وتحنانا

(1) مولد النور . م . س

(2) رسالة خاصة : 28 / 10 / 2019

أيمدح المدح ! ما الأقلامُ قائلةً؟! وأنتَ للمدح قد غُنُونَتِ غُنوانا
ومع ذلك نصادف اتجاهًا آخر لدى الشعراء يتجلى في إظهار مشاعر الغبطة والفرح
وهم يوسمون قصائدهم بمدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان ذلك مبعث سلوى وأنس في نفس
فاطمة العويمري وهي تقول :

تَشْدُو الحُرُوفُ بِالْحَانَ مُرْتَمَةً كَطَائِرٍ قَدْ غَدَا مِنْ غِبْطَةٍ غَرْدًا
فِي مَدَحِ طَه نَمِيرُ الشَّعْرِ مُنْدَفِقٌ إِذْ فَاحَ مِنْهُ أَرِيحُ السَّرِّ حِينَ بَدَا
«مَيْمٌ» مُنِيرٌ لِدَرْبِ الْحَقِّ أَشْرَعُهُ «حَاءٌ» حَلِيمٌ أَيْادِي الْجَهْلِ قَدْ صَفَدَا
«مَيْمٌ» مُحِبٌّ أَحَالَ الْحَقْدَ مَرَحْمَةً «دَالٌ» دَلِيلٌ عَلَى الْخَلَاقِ مُذْ وُلِدَا

ويعبر عن ذلك الفاخري أيضاً حيث يقول: إن أشعاره في المديح النبوي فجرت ينباع
من الصفاء في نفسه، وحركت فيها مشاعر تعبق بالبهجة والبهاء: (1)

خِذِي مِنَ الرُّوحِ أَعْيَادًا وَالْحَنَا وَبِعَثْرِي نِي عَلَى الْأَوْرَاقِ أَوْزَانَا
خِذِي مِنَ اللَّيْلِ نَجْمًا كِي يَطِيرَ بِهِ جَوَادُ شِعْرِي نَحْوِ الْمُصْطَفَى الْآنَا
جُودِي عَلَيَّ - حُرُوفُ الشَّعْرِ - عَلَّ هَوَى سَبَى فَوَادِي يُعَوِّدُ إِلَيَّ جَدَلَانَا
جُودِي مِنَ الْحَبِّ إِنْ الشَّعْرَ قَافِيَةٌ إِذَا انْتَشَتْ؛ أَنْطَقْتُ فِي الرُّوحِ: سُبْحَانَا

ويسترسل في وصف ما أحس به من مشاعر الغبطة والسرور وهو يتوج شعره
بالحديث عن سيرته وذكر فضائله ومكارمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: (2)

خَضَبْتُ حَرْفِي مِنْ جِنَاءِ سِيرَتِهِ فَاغْشَوْشَبَ الْبُوحُ فِي كَفِّي وَلَهَانَا
وَصَغْتُ ضَلْعِي قِيثَارًا لِأَغْنِيَتِي لِأَسْكَبَ الشَّعْرَ نَايَاتٍ وَالْحَنَا
فَالشَّعْرُ عِنْدِي عَصَا بُوْحٍ أَهْشُ بِهِ لَيْلَ الْحَنِينِ إِذَا اشْتَاقْتُ حَنَايَانَا

وبالرغم من تلك المشاعر الزاهية بالفرح والفياضة بالغبطة، فقد عادت الشاعرة

(1) بسمة الغيب . م . س

(2) م . س

فاطمة العويمري أدراجها في قصيدة أخرى؛ عندما وقفت عاجزة دون بلوغ مُناها في الإحاطة بمقامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتقول: (1)

بِالذَّرِّ طَرَزْتُ الْقَصَائِدَ سَيِّدِي - عَبَثًا - .. وَ لَمْ أَبْلُغْ لَوْصِفِكَ شَيْئًا
فَالْأَبْجَدِيَّةُ - إِذْ خَبِرْتُ - كَلِيلَةٌ - حَاشَا مَقَامَكَ - أَنْ تَطَالَ سَنِيًّا

واستشعاراً لمقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحفوف بالهيبة المكسو بالجلال؛ فإنَّ الشاعر يستأذنه للشروع في مدحه تعبيراً عن شوقه ومحبته، واستجابة لشعوره الغامر ورغبته الصادقة في الظفر بشرف الانضمام إلى قوافل المحبين يقول النامي: (2)

أَتَأْذَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي - بَابُ الشُّوقِ يَحْدُونِي رَجَاءُ
أَحُومٌ حَوْلَ ذَاكَ النُّورِ جَهْدِي - فَيُبْهِرُنِي بَرُوعَتُهُ الضِّيَاءُ
فَإِنْ تَأْذَنَ بَفِيضِ مَنْكَ نُحْوِي - فَأُشْرِعَ فِي مَدِيحِكَ مَا أَشَاءُ
وَابْلُغْ مِنْهُ مَنْ أَرْجُو وَتَأْتِي - رَوَائِعُ فِيكَ يَبْدِعُهَا الْوَفَاءُ
وَيُظْهِرُ حُسْنَهَا حُبُّ وَشُوقٌ - وَتَجْلُوهَا الْمَهَابَةُ وَالْوُضَاءُ
وَيَنْشُرُ عَطْرَهَا فِي الْكَوْنِ حَادٍ - لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ دَعَاءُ

ويعبر الشاعر عما يحدثه استحضار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومدحه من طمأنينة وأمن، وما يشعره به من أنس في غربته وقوة في نفسه وتخفيف لما يقاسيه من شعور بالألم والغبن، وما يعانیه من إحساس بالانكسار والمذلة داخل سجنه ويثته شكواه ، وهو السلوى للحزاني والمواساة للمكروبين والبلسم للمتألمين: (3)

أَتَأْذَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي - أَضُرُّ بِبِي التَّوَجُّعِ وَ الْبُكَاءِ
وَحِيدٌ لَيْسَ يُوْنَسُنِي رَفِيقٌ - وَمَا جَهْدِي وَقَدْ حَكَمَ الْقَضَاءُ
أَهْيَمُ صَبَابَةً وَ أَذُوبُ شَوْقًا - وَمَدْحُكَ لِلْمُحِبِّينَ الشِّفَاءُ

(1) يا مشرقاً بالحسن . م . س

(2) مولد النور . م . س

(3) م . س

فان تأذن بفيض منك نحوي ومن كفيك يلتمس العطاء
أكن من آل فضلك لا أبالي أناخ علي ضيق أم رجاء
وهكذا نصادف بعض القصائد تخرج أبياتها إلى التوسل وإظهار الضعف، لأنها
قيلت «بباعث الشكوى وبث الهم، وهو دعاء مصروف إلى الله باطناً، واستشفاع في
هذا المقام بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهراً»⁽¹⁾، وتعكس سياقات بعض النصوص المعاناة
النفسية للقائل والتعبير عما يحيط به من ظروف نفسية صعبة فرضتها ملابسات
وظروف خارجية مختلفة أحاطت به، سياسية أو غيرها في وقته، وتعبر عما يكابده
من مآسي وآلام، ويلاحظ العلاقة الوثيقة بين السياق العام للنص ونفسية قائله، كل
هذا يطالعنا في نصوص النامي وقد أنهكته معاناة السجن والغربة، وهو يشكو الضنك
والضيق ويتأمل أن يحظى بفرج قريب:⁽²⁾

نبي الله ضقت هنا وأنى ليرهقني بذا الحبس العناء
شكوت إليك من ضنك وضيق لتغمري البشاشة والهناء
رسول الله جئتك من بعيد يرافقني مديحك والثناء
ببابك قد وضعت اليوم رحلي وعندك راحتي وبك الشفاء
أؤمل فيك إفراجاً سريعاً وفوزاً لا يكدره شقاء
وعونا عند ضيق الحشر يغني ويشملني وداك والحباء

ثانياً: حقل الصفات:

الصفات الخلقية والخلقية: اتصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشمائل متفردة، هي نتاج
متكامل منسجم من خصائص النبوة، ومقومات الرسالة، وصفات الإنسانية الكاملة. لقد

(1) محمد الطبراني، الرسائل المغربية إلى الحجرة النبوية: بواعث وقضايا. ص 63 ضمن أشغال الملتقى الوطني الأول
للنصرة. 1431 2010 . سلا. المغرب

(2) مولد النور. م. س

أخص الله النبوة والرسالة «بأشرف أفراد النوع الإنساني من: كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي»⁽¹⁾، واقتضت حكمة الباري عزوجل ألا يختار من الرسل إلا «المزين بكل المناقب، ولهذا لم يوجد نبي قط به عاهة في بدنه، أو اختلال في عقله، أو دناءة في نسبه، أو رداءة في خلقه»⁽²⁾، كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القدوة الحسنة للمؤمنين، والصورة الحية لتعاليم الإسلام، وبالرغم من أن الهيبة من أبرز الصفات التي منحها الله له الهيبة التي تعني الإجلال والتي مبعثها الحب والاحترام والتقدير فإنَّ أقرب الصحابة إليه أكثرهم هيبة له، ولم تكن هذه الهيبة لتمنع الآخرين من التعامل معه والتحدث إليه، فقد اتصف معها بالرحمة والشفقة، وعُرف بالرفقة ولين الجانب ورقة القلب، وكان مثلاً أعلى في التسامح والعفو، والرفق في الأمور كلها، مثلاً أعلى في الخلق العظيم، الخلق الرفيع في أكمل معانيه.

إنَّ مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهج رباني، فقد مدحه الله سبحانه في مواضع مختلفة من كتابه العزيز، وأثنى عليه وذكر شمائله وزكى مكارمه وأشاد بخصاله،⁽³⁾ هذه المكارم التي احتفى ببعضها الشعراء، وتوشحت بها قصائدهم، ويطالعنا منها قول المزوغي معبراً عن سمو مكانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلو قدره وما اتسم به من كمالات وأمجاد:⁽⁴⁾

لأشياء ... أَنْتَ وَتَبْدَأُ الْأَشْيَاءَ يَصْحُو الْوُجُودُ وَتُرْتَدَى الْأَسْمَاءُ
الآنَ أَوْقَدَتِ الْحُرُوفُ كَلَامَهَا أَلْفُ أَصَاءٍ وَأَتَّبَعَتْهُ الْبَاءُ
الآنَ أَعْلَنَتِ السَّمَاءُ بِأَنَّهَا أَرْضٌ وَخَطُوكَ فِي السَّمَاءِ سَمَاءُ
الْحُسْنِ - حَيْثُ يَلُوحُ - ظِلُّ مَدَّةٍ لِيَتَّهَمَ نَحْنُ - جِهَالُكَ الْإِلَاءُ
وَالْعِظْرُ أَنْفَاسٌ مَنَنْتَ بِهَا عَلَى وَرَدَ الرَّبِّيعُ فَضَجَّتِ الْأَشْدَاءُ

هو المتسامح اللطيف، والأمين العادل المحمود، الذي كان مبعثه ايذاناً بتغيير وجه

(1) البيهقي، دلائل النبوة 1 / 49.

(2) م. س. 1 / 50.

(3) تنظر: التوبة/ 128، القلم/ 4، الأحزاب/ 46، الضحى / - 11، الانشراح / - 14 الأحزاب / 71 وغيرها.

(4) يمضي اليك العاشقون . م . س

الحياة، تقول فاطمة العويمري: (1)

بَدْرٌ أَظْلَلْ أَزَالَ الْعَتَمَ عَنْ مِلَلٍ غَيْرَ الْجَهَالَةِ لَمْ تَقْبَلْ وَلَمْ تُقِمِ
بَتَّ التَّسَامُحِ بَيْنَ الضَّاعِغِينَ وَقَدْ أَلْقَى التُّرَابَ عَلَى ثَارٍ وَلَمْ يَلْمِ
هُوَ الضُّحُوكُ إِذَا مَا افْتَرَّ مَبَسْمُهُ اخْضَرَّتِ الْأَرْضُ فَازْدَانَتْ لِمِبْتَسِمِ
وَهُوَ «الْأَمِينُ» عَلَى الْإِنْسَانِ مُنْذُ أَتَى لِيَنْشُرَ الْعَفْوَ فِينَا طَيْبُ النَّسَمِ
«مَحْمُودٌ» قَوْلٍ وَفِعْلٍ مِنْ مَقَاصِدِهِ رَمُ التَّزَاكِ وَالْبَسْطِ الْوَدِّ وَالسَّلَامِ
أَرَسَى الْعَدَالََةَ بَيْنَ النَّاسِ وَظَنَهَا لِلْحَقِّ يَدْعُو فَلَمْ يَأْثُمَ وَلَمْ يَضْمِ

لقد كان المثل الأعلى في تطبيق العدالة ونشر القيم الرفيعة والأخلاق الكريمة؛ بما يمتلك من حكمة وهو النبي الرسول المؤيد من ربه بنشر الرسالة، تقول الشاعرة :

فَازْهَرَ السَّعْدُ بَعْدَ الْعَمِّ مُحْتَفِيًّا وَأَطْرَقَ الْيَأْسُ مَذْلُولًا وَلَمْ يَقُمْ
نُورٌ أَهْلٌ عَلَى الدُّنْيَا فَتَوَجَّهَهَا بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْقِيمِ
فَالنَّاسُ فِي لُجْجِ الْإِجْحَافِ غَارِقَةٌ لَوْلَا ابْنِثَاقُ السَّنَا مِنْ صَاحِبِ الْحِكَمِ

وتتكرر معاني الرحمة والعفو والصفح ولين الجانب ورقة القلب، باستخدام أسلوب

الخطاب: (2)

يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِأَسْرِهِمْ عَمَّتْ فَلَيْسَ هُنَالِكَ اسْتِثْنَاءُ
حَتَّى الْإِلَى آذُوكَ حِينَ أَسْرَتْهُمْ أَطْلَقْتَهُمْ فَتَعَجَّبَ الطُّلَقَاءُ
الْعَفْوَ شِيمَتِكَ الَّتِي مَافَرَقْتُ فَالْكُلُّ فِي عَفْوِ الْكَرِيمِ سَوَاءُ
وَحَنَانُ قَلْبِكَ مَدَّ ظِلًّا وَارِفًا لَا يَسْتَظِلُّ بِغَيْرِهِ الضُّعَفَاءُ

إنَّه داعية المحبة ورسول الرحمة الرفيق الرحيم: (3)

(1) في طلعة النور . م . س

(2) يمضي اليك العاشقون . م . س

(3) م . س

وَالْحُبُّ دَعْوَتُكَ الَّتِي جَهَرَتْ بِهَا
مَاجِئَتْ تَنْتَرَعُ الْحَيَاةَ كَمَا ادَّعَوْا
الرَّفْقُ شَأْنُكَ كُلُّهُ حَاشَاكَ أَنْ
وَلِكُلِّ ذِي كِبِدٍ أَمَرَتْ بِرَحْمَةٍ
يَهْوَاكَ إِنْسَانٌ وَطَيْرٌ مِثْلَمَا
إِنَّهُ الْمَهِيبُ الْكَرِيمُ الْحَيُّ الْبَهِيُّ :

بِكَ آدَمٌ يَزْهَوُ وَتَزْهَوُ أَتْنَهَا
وَالْأَرْضُ حِينَ مَشَيْتِ فَوْقَ أَدِيمِهَا
تَمْشِي يَقُولُ الْيَاسَمِينُ أَظُنُّنِي
تَمْشِي فَيَزْتَاغُ الظَّلَامُ كَانَمَا
لَا التَّهَرُّ يُدْرِكُ جُودَ كَفِّكَ لَا وَلَا
تُعْطِي وَيَكْسُوكَ الْحَيَاءُ مَهَابَةً
وَلَدَتِكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى حَوَاءُ
عَلَتِ السَّمَاءُ لَهَا بِكَ الْخِيَلَاءُ
أَتَرَّ الرَّسُولِ فَلَئِي شَدَى وَبَهَاءُ
تَصْحُو إِذَا سَمِعْتَ خُطَاكَ ذُكَاءُ
تَحْيِي نَدَاكَ الْغَيْمَةُ الْوُطْقَاءُ
وَأَجَلُ مَا زَانَ الْكَرِيمَ حَيَاءُ

وهو داعية السلام؛ منحه ربه سماحة القلب والمحبة والحكمة والنباهة وكمال

العقل والرشد، يقول المزونغي: (1)

أَمَّا السَّلَامُ فَفِي يَمِينِكَ سِفْرُهُ
مَا كُنْتَ دَاعِيَةً الْخُرُوبِ وَهَذِهِ
لَكِنْ وَلَجْتَ عَلَى الْكَرَاهَةِ بَابَهَا
كَيْ يَنْهَضَ الْإِنْسَانُ مِنْ غَفْلَاتِهِ
إِنَّ الدَّوَاءَ عَلَى مَرَارَةِ طَعْمِهِ
لَا يَسْتَنْبِرُ بَعِيرُهُ السُّفَرَاءُ
كَلِمَاتُ قَلْبِكَ سَمْحَةٌ بَيْضَاءُ
كَيْ يُعْبَدَ الرَّحْمَنُ لَا الْأَهْوَاءُ
وَيَلُوحُ فِي دَرْبِ الْكَسِيرِ رَجَاءُ
قَدْ يُسْتَسَاعُ لَكِي يَزُولَ الدَّاءُ

لقد جاء ليقيم العدل، وينشر الهداية، وينصر المظلومين، ويهدي الحيارى،
مؤيداً بكتاب ربه بعدما ضاقت الإنسانية ذرعاً بضلالات الجهل والظلم، تقول

فاطمة العويمري: (1)

عَوْتُ أَظَلَّ لِيَشْفِي النَّاسَ مِنْ سَقَمٍ عَيْتٌ هَمَى خَيْرُهُ يَسْرِي كَمَا وَعَدَا
فَالْكُونُ يَشْهَدُ .. وَالْآيَاتُ مُحِيرَةٌ إِذِ اسْتَمَدَّ السَّنَا مِنْ حُسْنِهِ مَدَدَا
وَالْأَرْضُ مِنْ عَدْلِهِ تَزْهُو بِوَاطِئِهَا وَقَدْ أَضَرَّ بِهَا الْإِجْحَافُ مُذْ عَمَدَا
غَصَّتْ بِمَا وَجَدَتْ .. صَافَتْ بِمَا رَجَبَتْ هَامَتْ بِمَنْ وَهَبَتْ ..؛ إِذْ جَاءَهَا رَفَدَا
كُلُّ الْمَحَاسِنِ قَدْ حَاكَتْ مَنَاقِبُهُ رَمَزُ الْكَمَالِ وَنَهْرُ الْخَيْرِ حَيْثُ نَدَا

وتتردد معاني الرأفة الحلم، وقيم العفو والصفح واللين، ومبادئ العدل والمساواة، في

موضع آخر من شعر فاطمة العويمري: (2)

يَا مَنْ أَسَرْتَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَمْ كُنْتَ الرَّؤُوفَ عَلَى الْأَسْرَى فَلَمْ تَضِمَّ
يَا بَلَسَمًا أَبْهَجَ الْأَكْوَانَ مَقْدَمُهُ يَهْفُو إِلَيْكَ السَّنَا يَا خَيْرَ مُعْتَصِمٍ
أَنْتَ «التَّذِيرُ» فِي الْإِنْدَارِ تَذِكْرَةٌ أَنْتَ الْبَشِيرُ بِدَارِ الْخُلْدِ وَالنَّعَمِ
أَنْتَ الْحَلِيمُ فَكَّفَ الْعَفْوِ تَبَسُّطُهَا رَغَمَ اجْتِرَاعِكَ كَأْسَ الظُّلَمِ لَمْ تَلَمْ
دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فِي لَيْنٍ وَقَدْ نَضَحَتْ مِنْكَ الْمَحَبَّةُ يَا شَافٍ مِنَ النَّقَمِ
جَرَدَتْ سَيْفَكَ لِلْإِنْصَافِ مُتَطَيًّا سَرَجَ الْعَفَافِ فَلَمْ تَحْفَلْ بِمُضْطَرِمٍ
مُذْ أَشْهَرَ الْكُفْرَ إِزْمَاعًا مَكَايِدُهُ يَسْعَى لِيُطْفِئَ نَوْرَ اللَّهِ فِي رَعَمٍ
سَاوَيْتَ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ يَا سَنَدًا أَقَامَ صِرْحًا بِوَجْهِ الظَّالِمِ الْأَيْمِ
طِيبُ الشَّمَائِلِ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَيْقٌ قَدْ خَبَرْتُ عَنْهُ آيُ الثُّونِ وَالْقَلَمِ

هكذا استقطبت دعوته قوافل الطائعين، وأثار هديه دروب المذنبين التائبين، وسما

بالعقول والأفهام، فلهجت الألسن بمدحه، وهتفت الحناجر بالثناء عليه، وابتهجت

القلوب بمحبته، واستحق بذلك هذه المكانة التي تبوأها في نفوس المؤمنين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) في حضرة المصطفى . م . س

(2) في مدح طه/ فاطمة حميد العويمري - صحيفة المنبر 2018 ، 24/03/almenbr.org

وبارك عليه، وفي ذلك تقول فاطمة العويمري : (1)

هُوَ «الْمُنِيرُ» لِدَرْبِ الثَّائِبِينَ صَفَا مِنْ نَبْعِهِ مَوْرِدُ الْإِحْسَانِ وَالْحِكَمِ
رُوحٌ وَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ فَمَا بَرَحْتُ تَرْنُو إِلَيْهِ ثُقَاةُ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
فَإِنْ تَكَلَّمَ حَاكِي الْفِعْلِ مَنَظِقُهُ وَالصَّدْقُ وَقَفَ عَلَى الْأَفْعَالِ لَا الْكَلِمِ
فِكْرٌ سَمَا بِعُقُولِ النَّاسِ أَنْجَدَهَا مِنْ جَاهِلِيَّتِهَا الْمَسْبُوكَةِ الْعَتَمِ
طَابَ الثَّنَا لِحُرُوفِ الضَّادِ فابْتَهَجَتْ فِي وَصْفِ طَه سَخِيَّ الْعَطْفِ وَالنَّعَمِ

انه الجامع لكل الفضائل والمكارم، كريم عطوف، يغيث المكروبين، ويخفف عن المتعبين، ويشير المزوغي إلى ذلك بقوله : (2)

إِلَى بُرْدَيْكَ يَا زُرُّ كُلِّ فَضْلٍ تَضِيفُ لَهُ الْجَمِيلَ وَلَا يُضِيفُ
وَفِي كَفِيكَ فَيْضٌ مِنْ عَطَاءٍ تَمْرُ بِهِ - فَتَمْتَارُ - الْأُلُوفُ
وَفِي عَيْنِكَ كَوْنٌ مِنْ حَنَانٍ يَضُمُّ الْمَتْعَبِينَ وَيَسْتَضِيفُ

وقد جاءت بعض النصوص الشعرية متضمنة وصفاً لبعض من ملامحه الحسية الشريفة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها خلعت عليه من صفات الجمال والجلال، ومن ذلك قول زكريا الفاخري (3) :

تَغْفُو عَلَى شُرْفَةِ الْبَشْرِ مَلَامِحُهُ وَجْهًا صَبُوحًا حَوَى دُرًّا وَمَرْجَانًا
وهو الجميل المحيا، جميل السمائل، القلوب هامت بمحبته، والأفئدة تعلقت بكماله، تقول أيضاً : (4)

كُلُّ الْخَلَائِقِ حِينَ الْأَمْنِ ظَلَّلَهَا هَامَتْ بِعِشْقِ جَمِيلِ الْوَجْهِ وَالشَّيْمِ

(1) م . س

(2) ربيعك لا يمر به الخريف . م . س

(3) بسمة الغيب . م . س

(4) في مدح طه . م . س

وتتكرر الإشارة إلى جمال الوجه وجلال الشيم في نص آخر عند فاطمة العويمري: (1):

وَجْهٌ تَفْتَقُّ مِنْهُ الْمِسْكُ فِي عَبَقٍ يَا مُحَضَّ حُسْنَيْنِ حُسْنِ الْوَجْهِ وَالشَّيْمِ

ثالثاً: حقل الصراع بين الخير والشر:

وفي سياق تحليل مضمون المادة الشعرية الواردة في البحث؛ يطالعنا موضوع الصراع بين محوري الخير والشر، وهي مادة مهمة نجد لها شواهد مختلفة يوردها الشعراء ضمن قصائدهم، وباستقصاء هذه المادة يتبين أن الشعراء تحدثوا عن الصراع بين الإسلام والكفر منذ أن بدأت الدعوة، ويعرض الشاعر عمرو النامي مشاهد مختلفة للصراع، منها الصراع بين الإسلام وكفار قريش والقبائل المتحالفة معها، حيث ظهر على أشده في الغزوات التي بدأت بغزوة بدر، ثم بقية الغزوات، وكان النصر حليفاً للمسلمين في أغلب المرات، والشاعر يعرض هذا الصراع بصورة مفصلة بأسلوبه الخبري المتدفق، فيقول: (2)

ومزق صولة الكفار بدر وعز الدين وارتفع اللواء
وفي أحد دروس بينات نصرت به وكان بك الفناء
ولم يفلح من الأحزاب كيد فباءوا بالهزيمة حين جاءوا
وكان من اليهود عليك بغي فتم القتل فيهم والجفاء
ورمت الحج فاعترضت قريش وذاك بهم عناد واعتداء

لم يقتصر الصراع على الالتحام في الغزوات؛ وإنما اتخذ وجوهاً أخرى متعددة، من بينها عزم كفار قريش قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفشلهم في ذلك يقول النامي: (3)

أراد القوم قتلك ، ضل قوم أرادوا قتل سيدهم وساءوا
حرصت على الهدى منهم وصدوا وكان البغي منهم والبداء

(1) في طلعة النور. م. س

(2) مولد النور. م. س

(3) م. س

فشاهت تلك أشباح وضلت أضر بها اللجاجة والعداء
ونطالع مشهداً آخر للصراع، ولكنه ورد بشكل مجمل وبصورة مكثفة تختزل الكثير
من الأحداث، وفي كل مرة كانت النهايات حاسمة، كما وظف الشاعر ياء النداء في مواضع
متعددة، إمعاناً في تحقيق لون من الإيحاء داخل السياق الشعري يقول علا الأسطى: (1)

يا أمة ولدت من بعدما وئدت يا جدوة وقدت والباطل انحسرا
يا هِجْرَةً نَصَرْتُ، يا دَعْوَةً ظَهَرْتُ يا فِتْنَةً بَطَرْتُ...إِذْ عُذْتُ مُنْتَصِرَ
يا ضَرْبَةً قَصَمْتُ، يا صُحْبَةً غَنِمْتُ يا دَمْعَةً رَحِمْتُ...مَنْ جَاءَ مُعْتَذِرًا

ومن أوجه الصراع التي أوردها الشعراء ما حدث في غزوة حنين، حيث كشفت
أحداث هذه الغزوة عن نصره الله سبحانه لدينه وتأييده لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه
ليعلموا أن النصر من عند الله وحده، ويعبر حسن إدريس عن ذلك بقوله: (2)

وَيَوْمَ كَانَتْ لِصَوْتِ الْكُفْرِ أَلْسِنَةٌ، (أَنَا النَّبِيُّ ...)؛ فَوَلَّى الْكَافِرُ الدُّبْرَا

وإن من مظاهر الصراع استبسال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الدفاع عن رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومناصرتهم له، هذا ما عبرت عنه فاطمة العويمري في قولها: (3)

وَعَنْ رِفَاقٍ -وَحَيْثُ الْقَوْمُ قَدْ عَزَمُوا مَحَوًّا لِذِكْرِكُمْ- أَبْلَوْا وَفِي ضَرِمٍ
فَاسْتَبَسَلُوا دُونَكُمْ لَمْ يَأْبَهُوا بِأَذَى وَالْحَيْفُ فِي نَيْلِهِمْ سَاعٍ وَلَمْ يَصُمْ

لقد كان انتصار الإسلام ساحقاً، حيث علت راياته في الآفاق البعيدة، وقامت على
انقاضها دولة الإسلام، بعد أن تزلزلت عروش الظلم والطغيان، تقول: (4)

عَنْ أُمَّةٍ جَاهَدَتْ فِي الْحَقِّ فَانْتَصَرَتْ تَسْمُو بِرَأْيَيْهَا الْغَرَاءَ لِلْقَمَمِ
حَتَّى تَزَلْزَلَ عَرْشُ الظُّلَمِ مُتْبِعًا إِيوَانَ بَغْيٍ عَلَى أَعْتَابٍ مُنْهَزِمِ

(1) مناجاة . م . س

(2) ينظر ص 17 من هذا البحث

(3) في طلعة النور . م . س

(4) م . س

ثالثاً : التركيب النحوي:

اللغة الشعرية:

لقد فهم العرب الشعر أنه «أرق أساليب التعبير البياني والجمالي عن الفكر والنفس»⁽¹⁾، ولذلك فإن الانبهار والعجز الذي أحس به مشركو مكة أمام تحدي آيات القرآن الكريم لأقوى ما يمتلكون من ملكة في الفصاحة والبلاغة، وبراعة في تصريف أساليب البيان، كان مردّه إلى فهمهم بأنّ « كل كلام تستجيب له النفس بالأريحية، فتدعن له وتقع في أسرهِ على نحو تلقائي هو شعر، بغض النظر عن بنيته الشكلية »⁽²⁾؛ ولذلك فإنّ من بين الأوصاف التي وصفوا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه شاعر⁽³⁾، بمعنى أن ثمة قوة غيبية تلهمه من القدرات والملكات الفائقة ما تجعله يأتي بما يحدث في نفوس السامعين ما يعجز الإنسان العادي عنه .

ثم إنّ المفاهيم التي طرأت على الممارسات النقدية فيما بعد، جعلت النقاد ينظرون إلى الشعر على أنّه «ممارسة لغوية، أي فعل لغوي إنساني»⁽⁴⁾، وإنّ «اللغة الشعرية تمثل جوهر الشعر، وهي في الوقت نفسه جوهر اللغة»⁽⁵⁾، وهذا يعني أنّ العمل الشعري « وُضع ضمن حدود معرفة مضبوطة وممارسة خاضعة للدراسة النقدية »⁽⁶⁾ ، ولذلك لم يعد الذوق وحده كافياً لإصدار الحكم عليه.

ولأنّ لغة الشعر من أبرز مقومات النظم الشعري؛ فإنّ المبدع هو الذي يعتمد على امتلاك أقصى درجات القدرة على نظم المعاني وفق نسق خاص من خلال «عملية ذهنية

(1) حسب حسين ، مسلم الشعرية العربية اصولها ومفاهيمها 76 منشورات صفاف. دار الفكر للنشر والتوزيع. 2013. البصرة

(2) م . س . الصفحة نفسها

(3) الأنبياء / 5

(4) جمال الدين بن الشيخ . الشعرية العربية . 12

(5) محمد بنيس ، الشعر العربي 1 / 46

(6) جمال الدين بن الشيخ 13

تستدعي ضم المفردات ضمن علاقات دلالية معينة يحكمها نظام عقلي لتؤدي المعاني التي يتوخى المتكلم توصيلها» ⁽¹⁾، مدرّكاً في نفس الوقت أنّ (اللغة الشعرية لا تنحصر وظيفتها في الغاية النفعية الإفهامية فحسب ، وإنما تتعداه إلى الغاية الجمالية الإمتاعية) ⁽²⁾.

ونظراً لأهمية اللغة في النص الشعري؛ فقد تم ملاحظة الظواهر اللغوية الأكثر حضوراً في الصياغة الشعرية، ومن هذه الظواهر الأسلوبية استخدام بنية الضمير بإمكانياتها التعبيرية المختلفة، ولا نكاد نجد شاعراً من الشعراء لا يوظف هذه الضمائر، ولكنهم يتفاوتون فيها؛ فقد وردت كاف الخطاب بصورة مكثفة، وأدت دلالات تعبيرية عند أغلب الشعراء، يستحضرونه ويخاطبونه بصيغة الخطاب ، ويشير ذلك إلى حضوره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجدان الشعراء بصورة مكثفة، دائمة ومستمرة، لقد استخدم الضمير في أبيات مشحونة بالمحبة الصادقة ، وتعابير تنضح بالوجد والانبهار، إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الربيع الذي لا يزول، والشمس التي لا تغيب، وهو للأرواح الحياة التي تعجز الحروف عن الإحاطة بها، يقول محمد المزوغي ⁽³⁾ :

ربيعك لا يمرُّ به الخريفُ وشمسك لا يُكدِّرُها الكُسوفُ
ووصلك يا حياة الروح معني عظيم لا تحيطُ به الحروفُ

ويلاحظ كثرة استعمال الخطاب باستخدام التاء والكاف، وأكثر ما يلاحظ ذلك في شعر المزوغي: يتكرر كاف الخطاب: بك، ولدتك، خطاك، كفك، نداك، يكسوك في قوله: ⁽⁴⁾

بك آدمٌ يزهو وتزهو أنْهَها ولدتك يا خيرَ الورى حواءُ
والأرض حينَ مَشيتَ فوقَ أديمِها علتِ السَّمَاءُ لها بكَ الحِيلاءُ
تَمشي يَقولُ اليَاسمينُ أَظُنُّني أَرَّ الرُّسولِ فليَ شَدَيَّ وبَهَاءُ

(1) مسلم حسب حسين ، الشعرية العربية . 205

(2) م . س . 195

(3) ربيعك لا يمر به الخريف . م . س

(4) يمضي إليك العاشقون . م . س

تَمْشِي فَيَرْتَاغُ الظَّلَامُ كَانِمَا تصحو إذا سمعتُ خُطَاكَ دُكَاؤُ
لَا التَّهْرُ يُدْرِكُ جُودَ كَفِّكَ لَا وَلَا تحي نَدَاكَ الْغَيْمَةُ الْوُطْقَاءُ
نُعْطِي وَيَكْسُوكَ الْحَيَاءُ مَهَابَةً وَأَجَلُ مَا زَانَ الْكَرِيمَ حَيَاءُ

والضامات من الإحالات المعنية بالروابط الدلالية التي تؤدي مهمة ربط الجمل، وتحقيق التماسك النصي (الربط النحوي) والانسجام (الترباط الدلالي)؛ لأن «الوظيفة لإحالة الضمير ليست شكلية فقط، بل دلالية كذلك، لأن الدلالة في كثير من الأحيان تبقى غامضة، وكذلك تبقى الجمل متناثرة لا رابط يربطها، وبالطبع هذه الجمل تحمل دلالات متناثرة، إلى أن تظهر الضامات لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل بين هذه المتناثرات ويربط بينها»⁽¹⁾، وهذا يؤكد أهمية الضامات في تحقيق الربط بين الجمل والفقرات، بما يؤدي إلى عدم تكرار استخدام الاسم الظاهر، كما أنه يعد عاملاً من عوامل الاقتصاد اللغوي.

ونصادف هذه الضامات أيضاً في أبيات مترعة بالوجدانية والعذوبة والمحبة الصادقة، في أبيات لمحمد المزوغي:⁽²⁾

إِنِّي لِحُبِّكَ مَنْذُورٌ .. تَحَيَّرَنِي من لثغة الرُّوحِ حتى شهقةِ الدَّاتِ
حيثُ اتَّجَهْتُ يَظُلُّ الْوَرْدُ يَتَبَعَنِي لا عطر يشبهُ عطرًا في اتجاهاَتِي
وإن تبسَّمتُ ضوءُ الشَّمْسِ يَغْطِني يدري بأنَّكَ أسبابُ ابتساماتي
يدري بأنَّكَ مشواري الأخيرُ إلى حيثُ العباراتُ سكرى بالمجازاتِ

وهذا التعبير باستخدام الضمير يؤدي فضلاً عن مهمة الربط إلى تحقيق مهمة أخرى تواصلية، فإن «إحالة الضمير هي فعل تداولي يتعاون فيه المتكلم والمخاطب ضمن بنية تواصلية معينة ترتبط بمخزون المخاطب كما يتصوره المتكلم في أثناء التخاطب. وهذا ما

(1) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي: 164/1

(2) في الأفق أبصر. م. س

يجعل للضمير دوراً بارزاً في تماسك النص وتحقيق الفهم عند المتلقي⁽¹⁾، وفي أبيات لحسن إدريس نلاحظ أيضاً تكرار ضمائر المتكلم الدالة على انفعال المتكلم: أسري، أبحث، وقفت، في، واستخدام ضمائر الخطاب: الكاف والهاء والتاء في مشهد يجمع بين المناجاة والانبهار، في حوار مكتنز بالروعة والجلال، وتكثيف بالغ ورمزية واضحة في البيت الأخير: قاب قوسين، المأوى، صريف أقلام، يقول: (2)

أَسْرِي وَأَبْحَثُ فِي أَلْوَا حٍ مَنْ وَقَفُوا، حَتَّى وَقَفْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِي سَرَى
فِي هَذَاهُ مِنْ سُكُونِ اللَّيْلِ، تَسْأَلُنِي عَنْكَ الدُّرُوبُ أَنْوَرًا كُنْتُ أَمْ بَشْرًا؟
يُجِيبُهَا الْكَوْنُ رَسْمًا فِيهِ سَيْرُهُ :كَوَائِبُ، أَنْجُمٌ، قَدْ صَدَقْتُ قَمَرًا
فَقَابَ قَوْسَيْنِ، فَالْمَأْوَى، وَأَسْمَعُهُ صَرِيفَ أَقْلَامٍ رَقٍّ فِيهِ مَا قُدِرَا

ويتبلور المشهد منفصلاً بمشاعر المتكلم ليصل إلى نهايته؛ حقيقة ناصعة مشرقة، وجميعها يتساءل في دهشة وتعجب:

مُحَمَّدٌ، وَاسْتَنَارَتْ كُلُّ مُظْلِمَةٍ؛ أَكُنْتُ تَنْثُرُ لِلْمُصْبَاحِ مَا نَثَرَا!
أَضَاءَ حُسْنًا، سَطَا جِلْمًا، يَذُوبُ حَيًّا، أَشَعَ صِدْقًا، سَمَا طُهْرًا، يَفِيضُ قَرَى

وهذا الحشد التقريبي الذي شكله توظيف الأفعال: أضاء، سطا، يذوب، أشع، سما، يفيض، في سياق يمنح دلالة الأبيات تجددًا وتفاعلاً واستمرارية، من شأنها أن تحرك في السامع مشاعر مختلفة، وتحقيق نوعاً من المشاركة الوجدانية بين القائل والمتلقي. ومن الظواهر التي تردت في النصوص الواردة أسلوب التكرار، وهو ظاهرة أدبية فنية وردت في كثير من النصوص الشعرية العربية قديمها وحديثها، ويرى أغلب النقاد المحدثين أن التكرار «جواهر الخطاب الشعري»⁽³⁾؛ لأنه يعبر عن «دلالات

(1) النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص: مثل من كتاب سيبويه . يوسف عليان . 201. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (7) العدد (1) المحرم 1432هـ/ كانون الثاني 2011م).

(2) قصيدته: علي الجودي . م . س

(3) محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم 27.

نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق، ويعد وسيلة من وسائل تشكيل الموسيقى الداخلية»⁽¹⁾، كما أن وجوده في الأساليب يؤدي إلى «تقوية ناحية الإنشاء كالتعجب والحنين والاستغراب»⁽²⁾، وهو لا يختص بجانب ما في النص الشعري، وإنما «يكون على مستوى الأصوات، وعلى مستوى الوزن والقافية وعلى مستوى التركيب النحوي، وفي المعنى»⁽³⁾، ونظراً لكثافة المادة الشعرية الواردة في هذا الباب وأهميتها في تشكيل الإيقاع الشعري فقد أدرجت ضمن هذا السياق.

من السهولة بمكان كشف مواضع التكرار أو أنواعه في النص الشعري؛ ولكن الأمر العسير هو معرفة «بواعثه لدى الشاعر، وقيمه الفنية التي تتجسد في التعرف على الخصائص الأسلوبية التي يتفرد بها، وعلى معجمه الشعري المتميز، يضاف إلى ذلك إسهامه في الكشف عن بعض الدلالات النفسية والموضوعية والفنية للنص وصاحبه»⁽⁴⁾، ويعني هذا (أن للتكرار، كل تكرار، فائدة إيجابية تذهب إلى أبعد من مجرد تحلية)⁽⁵⁾.

ويأتي التكرار في النص الشعري بصور مختلفة؛ فيتكرر الحرف، أو الأداة أو الكلمة أو التركيب، ومن المهم أن يكون هذا التكرار على صلة وثيقة بمضمون النص، وأن يؤدي كل لون من هذه الألوان مهمته في إظهار القيم الدلالية أو الفنية أو الجمالية له في بنية النص، ذلك أن «القاعدة الأساسية في التكرار؛ أنّ اللفظ المكرّر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام؛ وإلا كان لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها. كما أنّه لا بدّ أن يخضع لكل ما يخضع له النصّ عموماً من قواعد ذوقية وجمالية»⁽⁶⁾.

(1) ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنية في شعر الدكتور علي مجيد البديري د. رسول بلاوي، صحيفة المثقف. العدد:

4883 المصادف: السبت 18 - 01 - 2020 م. م. س

(2) عبد الله الطيب، المرشد في فهم أشعار العرب 1/ 595. م. س

(3) محمد مفتاح في سيمياء الشعر القديم. 27. م. س

(4) جماليات التكرار ودينامية المعنى في الخطاب الشعري نماذج من شعر محمد بلقاسم خمار عبد القادر علي زروقي.

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. وحدة ورقلة. الجزائر. 25 يونيو 2016

(5) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1983، 274

(6) م. س 321.

ونصادف هذه الظاهرة بكل أشكالها في النصوص الشعرية الواردة، لقد تفنن الشعراء في هذا الفن تفنناً بالغاً، وذلك بتكرار الحروف، وتكرار الكلمات، ثم بتكرار العبارات. فقد تكررت ياء النداء في مواضع من شعر جبران؛ تأكيداً على استثنائه بذكره وإظهار محبته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والتعبير عن شعوره بالبهجة والغبطة بمناجاته، فهو الأسوة ومصدر البهجة ونور العيون ومصدر الهداية، في قوله: (1)

يَا أُسْوَيَ يَا قُدُوتِي يَا مَنْ بِهِ زَانَتْ حَيَاتِي وَكَانَ مِنْهُ تَبَسُّمِي
أَحْيَيْتَ فِي قَلْبِي الْمَحَبَّةَ كُلُّهَا فَهَجَرْتُ زَيْغِي وَاسْتَرَحْ تَأْلِي
يَا مَنْ وَسَّعَتْ شِعَافَ قَلْبِي بِهِجَةً مِنْ طِيبِ ذِكْرِكَ فَاسْتَقَامَ تَكَلُّمِي
يَا نُورَ عَيْنِي مَنْ بِهِ عَرَفَ الْوَرَى مَعْنَى الْحَيَاةِ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ

وفي شعر الفاخري أيضاً ترد الياء بقوة في مواضع متنوعة يقول: (2)

يا صفوة الخلق، خجلي أحر في بفي فالشعرُ يعجزُ أن يُوفيكَ ميزانا

ثم تتكرر النداءات في حشد من التعابير الرقيقة: خالة الحسن، أنامل الفجر، وزمزم النور، وشتاء التسنيم، وبسمة الفجر، وموكب سرايا العشق، وتلهف الطفل، لتنسج مشهداً بديعاً من الاحتفاء والاحتفال: (3)

يا خالة- الحُسنِ في خدِ الوجودِ، ويا أناملَ الفجرِ تلهو في مُحْيَانَا
يا زمزمَ النورِ في الدنيا ومنبعهُ إِلَيْكَ حَجَّ جَمَالِ الكونِ مزدانا
ويا شتاءً مِن الـ «تَسْنِيمِ» مُنْسَكِبَا كدهشة الغيثِ تسقي ثغرَ دنيانا
وموكبًا من سَرايا العشقِ مُحْتَشِدَا يمشي على ضفةِ الإحساسِ نشوانا
و يا تلهُفَ طفلٍ عادَ والدُهُ بعدَ التفرُّقِ .. أزمانا وأزمانا

وتتكرر مفردات: حيث أنت، كل الكمالات، كل النبيين. كما تتكرر مفردات:

(1) مناجاة م. س

(2) بسمة الغيب م. س

(3) م. س

جمال، أجمل، حنان، الخاطر، نور، كمالات، معبرة عن استغراق الشاعر في تجربة روحانية في مناجاته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منبهراً مأخوذاً، في أبيات تشع بالجلال والجمال والكمال يقول: (1)

وحيثُ معنَاكَ فوقَ الفوقِ ليس يُرى	في الكونِ منه سوى بعضِ الإشاراتِ
وحيثُ أنتِ بجمالٍ جَلَّ عن شَبهِه	يا أجملَ الخلقِ - في ماضٍ وفي آتٍ
وحيثُ أنتِ حنانَ اللهِ أغدقه	لِيَجْبِرَ الخاطرَ المكسورَ بالذاتِ
وحيثُ أنتِ إذا ما الناسُ قد حُشِرُوا	لم يُلَفَّ غيرُكَ أهلاً للشفاعاتِ
كلَ الكمالاتِ في برديكِ قد جُمِعَتْ	وأنتِ يا نورها أصلُ الكمالاتِ
كلَ النبيينَ أقماراً إذا وُصِفُوا	ووحداً الشمسُ في أفقِ النبوءاتِ

وهكذا يتضح أنَّ أبرز مقومات اللغة الشعرية للشعراء تتجلى في جودة السبك، وحسن الصياغة، ورصانة الأساليب، وثراء المفردات وتنوعها، وجزالة المفردات، بما يوافق جلال الموضوع.

وعلى مستوى التركيب اللغوي يتفاوت الشعراء في استخدام التراكيب، ومن الظاهر الأسلوبية استخدام الجمل الفعلية، حيث يستخدمها بعضهم بصورة واضحة، ولا نكاد نجد بيتاً إلا تضمن فعلاً أو فعلين أو أكثر؛ ففي قصيدة لمحمد المزوغي مثلاً وردت الأفعال: يزهو، وتزهو، ولدتك في البيت الأول، ومشيت، وعلت في البيت الثاني، تمشي، يقول، أَظُنُّنِي البيت الثالث، تمشي، يرتاع، تصحو، سمعت البيت الرابع، يدرك تحكي، البيت الخامس، تعطي، يكسوك، زان، في البيت السادس،(2):

بِكَ آدمُ يزهو وتزهو أَتَهَا	ولدتك يا خيرَ الورى حواءَ
والأرض حينَ مَشَيْتِ فَوْقَ أَدِيمِهَا	علتِ السَّمَاءَ لَهَا بِكَ الحِيَلُ

(1) في الأفق ابصر م. س

(2) يمضي اليك العاشقون م. س

تَمْشِي يَقُولُ الْيَاسَمِينُ أَظُنُّنِي أَثَرُ الرَّسُولِ فَلَ شَدَى وَبَهَاءِ
تَمْشِي فَيَزْتَاغُ الظَّلَامُ كَانَمَا تصحو إذا سمعتُ خُطَاكَ دُكَاؤُ
لَا التَّهْرُ يُدْرِكُ جُودَ كَفِّكَ لَا وَلَا تحي نَدَاكَ الْعَيْمَةُ الْوُطْقَاءُ
تُعْطِي وَيَكْسُوكَ الْحَيَاءُ مَهَابَةً وَأَجَلُ مَا زَانَ الْكَرِيمَ حَيَاءُ

لقد تكرر الفعل سبع عشرة مرة في ستة أبيات، ومعلوم أن الجمل الفعلية تفيد التوتر والانفعال والتجدد والحركة.

وفي مواضع أخرى نصادف استخدام الجمل الاسمية التي تفيد الثبوت والتوكيد، كما يلونون أساليبهم بين الخبرية التقريرية والإنشائية في التبليغ والايحاء .

رابعاً التركيب البلاغي:

الصورة الشعرية: وهي مكون من أهم مكونات النص الشعري، فيها تنصهر كل مقوماته التركيبية والدلالية، وبالرغم من عدم وجود اتفاق في تعريفها بشكل محدد بين القدماء والمحدثين؛ فإنه يمكن أن تعرف بمعناها العام الواسع بأنها: «الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة، والتركيب والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني»⁽¹⁾، وبهذا المعنى فإن الفنون البلاغية: البيان والبدیع والمعاني هي جزء من هذا المفهوم العام.

وتقوم وظيفة الصورة الشعرية ببلورة رؤية الشاعر ونقل تجربته الشعرية بصورة مكثفة ومشحونة بدلالات جديدة، وبأسلوب فني مؤثر، يحدث لونا من التفاعل في الأفكار والأحاسيس بين الشاعر والمتلقي، كما تتجلى وظيفتها أيضاً «في قدرتها على تشكيل صور المعاني على نحو غير معهود من الدقة واللطافة، ذلك أن الآليات الشعرية ليست مجرد انزياح

(1) عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر . ص 391 . بيروت دار النهضة العربية . ط 2

عن الاستخدام اللغوي للغة، أو عدول عن اللغة المعيارية، وإنما هي تقنية بالغة الأهمية في تعميق المعاني وتشكيلها في هياكل وصور تنوع بها لغة الخطاب اليومي، وهذا هو مدار الشعرية التي يتفاوت فيها الشعراء على وفق قدراتهم وملكاتهم الإبداعية»⁽¹⁾، كما أن «طبيعة الرؤية الشعرية هي التي تحدد طبيعة الإطار الفني الملائم»⁽²⁾.

فعندما أراد الشاعر محمد المزوغي مثلاً أن يعبر عن القيم الإسلامية الداعية إلى السلام والسماحة ونبد العنف والكرهية، وكيف أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان داعية سلام وناصرًا للضعفاء والمكروبين، وأما لجوؤه للحرب فلم يكن إلا للضرورة، كمن يستخدم الدواء مع مرارة طعمه للاستشفاء، صور هذه القيمة الأخلاقية بصورة أكثر عمقاً وأوسع دلالة والطف مأخذاً، باستخدام الكنايات في قوله: في يمينتك سفره، كلمات قلبك سمحة بيضاء، ولجت على الكراهة بابها، وذلك في قوله: ⁽³⁾

أَمَّا السَّلَامُ فَفِي يَمِينِكَ سَفْرُهُ لَا يَسْتَنْبِرُ بَعِيرُهُ السُّفْرَاءُ
مَا كُنْتَ دَاعِيَةً الْحُرُوبِ وَهَذِهِ كَلِمَاتُ قَلْبِكَ سَمْحَةٌ بَيْضَاءُ
لَكِنْ وَلَجْتَ عَلَى الْكَرَاهَةِ بَابَهَا كَيْ يُعْبَدَ الرَّحْمَنُ لَا الْأَهْوَاءُ
كَيْ يَنْهَضَ الْإِنْسَانُ مِنْ غَفَلَاتِهِ وَيَلُوحَ فِي دَرْبِ الْكَسِيرِ رَجَاءُ

ويختتم أبياته بالتشبيه الضمني في قوله:

إِنَّ الدَّوَاءَ عَلَى مَرَارَةِ طَعْمِهِ قَدْ يُسْتَسَاغُ لِكَيْ يَزُولَ الدَّاءُ

ولأن رسالة الشعر لا تؤدي بصورة مباشرة محددة وواضحة تعتمد على النقل الحرفي للأفكار والمعاني؛ «وإنما تقدم مضمونها بطريقة إيجائية توحى بالمشاعر والأحاسيس والأفكار ولا تحددها أو تسميها»⁽⁴⁾، ولذلك فإنَّ للقارئ دوراً مهماً في التفاعل مع النصوص الإبداعية

(1) مسلم حسب حسين، الشعرية العربية اصولها ومفاهيمها واتجاهاتها. منشورات ضفاف. 2013. ص 215

(2) علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة. 26. م. س

(3) يمضي إليك العاشقون. م. س

(4) علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة. 35. م. س

وتمثلها، وتعميق الفهم والتأليف بين الإيحاءات، واستخراج دلالات جديدة تنمو وتتوسع. ويتفاوت القراء في هذا التفاعل تبعاً لاختلاف أفهامهم ومداركهم ومشاعرهم، وهذه من أبرز سمات الفنون الحقيقية .

من المهم أن ندرك الدور المهم الذي يقوم به الخيال «في تشكيل الصورة الشعرية وصياغتها، فهو الذي يلتقط عناصرها من الواقع المادي الحسي، وهو الذي يعيد التأليف بين هذه العناصر والمكونات، لتصبح صورة للعالم الشعري الخاص بالشاعر بكل ما فيه من مكونات شعورية ونفسية وفكرية» ⁽¹⁾، ويمكننا أن نلاحظ هذه الصورة الشعرية التي يعرضها زكريا الفاخري، معبراً عن تجربته في المديح النبوي، وتخيل لها مفردات تفيض بالجمال والعذوبة، وكيف زرعت في نفسه أزاهير الفرح فانتشت بالسرور والحبور، يقول: ⁽²⁾

خَضَبْتُ حَرَفِي مِنْ جَنَاءِ سِيرَتِهِ فاعشوشَبَ البوحُ في كَفِّيَ ولهانا
وصغْتُ ضلعي قيثاراً لأغنيتي لأسكب الشُّعْرَ نايَاتٍ وألحانا
فالشعرُ عندي عصا بوحٍ أهشُّ بها ليلَ الحنينِ إذا اشتاقتُ حنايانا

وتحتشد صور الاستعارة: خالة الحسن، خد الوجود، أنامل الفجر، حج جمال الكون؛

في تلقائية ورقة معبرة عن مشهد الجمال والتسامح والرحمة في قوله: ⁽³⁾

يا خالَةَ الحُسْنِ في خَدِ الوجودِ، ويا أناملَ الفجرِ تلهو في مُحْيَانَا
يا زمزمَ النورِ في الدنيا ومنبعُهُ إليك حجَّ جمالِ الكونِ مزدانا
صلوا جميعاً صلاةَ الحبِّ ما افترقوا فالدينُ ينسجُ بينَ الخلقِ أوطانا
بكتُهُ «مكة» من آثارِ هجرته على الحدودِ يفيضُ الماءُ وُديانا

وفي مسيرة البحث نصادف صوراً بارعة عميقة؛ يرسمها حسن إدريس في قوله ⁽⁴⁾:

(1) م. س. 74، 75

(2) بسمة الغيب. م. س

(3) م. س

(4) على الجودي. م. س

بَرْقُ يُبَاغِتْ جُنَحَ اللَّيْلِ، يَصْرَعُهُ، حَتَّى أَضَاءَ الْمَدَى فِي دَرْبِ مَنْ عَبَّرَا
لَمَّا نَزَعْتُ يَدًا بَيَضَاءَ سِرْتِ بِهَا، طَوْعًا تَكْشَفُ لِي مَا كَانَ مُسْتَتِرًا
وتزدحم الصور في تشكّل بديع عند الفاخري: يرسل العقل، سفائن الفكر، أحيت
شطاناً، في قوله :

ويرسلُ العقلَ في الآفاقِ أشرعةٍ سفائنُ الفكرِ أحيت فيه شُطانا
ويبدو التشخيص في: شفاه الفجر، عيون الورد في قوله :

وبسمةٍ من شفاهِ الفجرِ ساطعةً ونظرةٍ من عيونِ الوردِ تهوانا
ومن الصور التلقائية المحتشدة البديعة: أوقدت الحروف كلامها، ألف أضاء،
أعلنت السماء، خطوك في السماء سماء، العطر أنفاس، ضجت الأشضاء، في قول المزوغي: (1)
الآنْ أَوْقَدَتِ الحُرُوفُ كَلَامَهَا أَلْفُ أَضَاءٍ وَأَتَّبَعَتْهُ الْبَاءُ
الآنْ أَعْلَنَتِ السَّمَاءُ بِأَتَّهَا أَرْضٌ وَحَطُّوكَ فِي السَّمَاءِ سَمَاءُ
وَالْعِظْرُ أَنْفَاسٌ مَنَنْتَ بِهَا عَلَى وَرْدِ الرَّبِيعِ فَضَجَّتِ الْأَشْدَاءُ

لقد شاركت مظاهر الطبيعة المحيطة في رسم الصور المعبرة عن سمو مكانته
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإظهار هيئته التي تجلت في زهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأبوته، وخيلاء الأرض
بخطوه وفخر الياسمين بشداه، وارتياح الظلام من هيئته، وصحوة الشمس لذكره، ثم في
تصوير جوده وحيائه. وقد استخدم الشاعر أسلوب السرد الخبري في قوله مخاطباً رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (2)

بِكَ أَدَمٌ يَزْهُو وَتَزْهُو أَتَّهَا وَلَدْتُكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى حَوَّاءُ
وَالْأَرْضُ حِينَ مَشَيْتَ فَوْقَ أَدِيمِهَا عَلَتِ السَّمَاءُ لَهَا بِكَ الْخِيَلَاءُ
تَمْشِي يَقُولُ الْيَاسْمِينُ أَظُنُّنِي أَثَرُ الرُّسُولِ فَلَ شَذَى وَبَهَاءُ

(1) يمضي اليك العاشقون . م . س

(2) م . س

تَمْشِي فَيَرْتَاعُ الظَّلَامُ كَانَمَا تصحو إذا سمعتُ خُطَاكَ دُكَاةً
لَا التَّهْرُ يُدْرِكُ جُودَ كَفِّكَ لَا وَلَا تحي نَدَاكَ الْعَيْمَةُ الْوُطْقَاءُ
تُعْطِي وَيَكْسُوكَ الْحَيَاءُ مَهَابَةً وَأَجَلُ مَا زَانَ الْكَرِيمَ حَيَاءُ
وتطالعنا بعض الصور التي ترسم مشهداً قاتماً من مشاهد الإنكسار والهزيمة
يوردها الفاخري بقوله: (1)

واليوم بعدك أسيافٌ لنا كُسِرَتْ؛ تشكو إلى الله بغداداً وأقصانا
مات النخيلُ بجورِ الماءِ - لا سَعَفٌ يُهدي الظلالَ - وأضحى التمرُ صُواناً
أما في الأساليب ؛ فقد تنوعت لدى الشعراء بين الخبر والإنشاء؛ ففي قصيدة رضا
جبران يغلب الأسلوب الإنشائي الأمر: وفقني، واصلح، واجعل، واغفر، وارفع، واحفظ،
واجعل، واكتب، وانزع، هذا السيل المتدفق من الأساليب الإنشائية تفيد الدعاة والتوسل ،
وذلك في قوله : (2)

يَا رَبِّي وَفَّقْنِي لِهَدْيِ مُحَمَّدٍ وَاصْلِحْ بَنِيَّ وَآلَ بَيْتِي وَمَطْعَمِي
وَاجْعَلْ لِحُبِّكَ نُبَّ حُبِّ مُحَمَّدٍ غَايَ الْمُنَى عَنْ حُبِّ أَيِّ مُتَيْمٍ
وَاغْفِرْ دُنُوبِي مَا جَنَّتُهُ جَوَارِحِي وَارْفَعْ بِفَضْلِكَ كُلَّ هَمٍّ مُحْكَمٍ
وَاحْفَظْ لِسَانِي يَا إِلَهِي إِنِّي أَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْ لِسَانِ مُنَمِّمٍ
وَاجْعَلْ رِضَاكَ إِلَى الْجِنَانِ مَالَهُ وَمَعَ الرِّضَى بِمُحَمَّدٍ طَهَّرَ فَمِي
وَاجْعَلْ صَلاَحَ الْعَالَمِينَ بِأَرْضِنَا وَانْزِعْ سِلَاحَ الظَّالِمِ الْمُتَغَشِّمِ

التقديم والتأخير: يشكل بناء الجملة في اللغة العربية أهمية خاصة؛ حيث يخضع هذا
البناء إلى معايير محددة في علم النحو، ولكن الشعر قد يخرق التراكيب التي تعرف عليها
النحويون؛ فيقع التقديم والتأخير، ولكنه يؤدي إلى تشكيل تراكيب خاصة بالنظم الشعري؛

(1) بسمة الغيب . م . س

(2) مناجاة محمدية . م . س

لذلك يتم «تغيير الألفاظ في الجملة، تغييراً يخالف الترتيب النحوي لغرض بلاغي»⁽¹⁾، ويؤدي هذا التغيير إلى تحقيق مهمتين، الأولى: تبليغية تداولية وتتعلق بصحة تركيب الجملة وبنائها، والثانية جمالية أسلوبية ترتبط بالأثر الجمالي والانفعالي الذي تحدثه في تحريك مشاعر السامعين والتأثير في نفوسهم، وهاتان المهمتان ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بحيث «لا تنفي الواحدة منهما الأخرى، بل هما متكاملتان»⁽²⁾.

لقد حظيت بنية التقديم والتأخير بعناية البلاغيين واللغويين والمفسرين في القديم والحديث، وأجمعوا على أهميته في العمل الأدبي؛ لأنه يؤدي إلى نقل دلالات وفوائد زائدة عن المعنى الأصلي، كما أنه يجعل العبارة أكثر جمالاً ورونقاً، فهو في نظر البلاغيين القدماء: «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان»⁽³⁾، وقد نال عناية وافرة من اللغويين المحدثين حيث «طوره منظرو النحو الوظيفي والتداوليون»⁽⁴⁾، كما حظي باهتمام العروضيين والأسلوبيين، وهو عندهم «مبحث أسلوب»⁽⁵⁾.

وشعراء هذه الفترة يوظفونه في كثير من النصوص؛ نذكر منها قول حسن إدريس مقدماً الجار والمجرور (عنك) على الفاعل (الدروب) وذلك لتحقيق غرض خاص؛ وهو التخصيص والتكريم في قوله:

فِي هَذِهِ مِنْ سُكُونِ اللَّيْلِ، تَسْأَلُنِي عَنْكَ الدُّرُوبُ أُنُوراً كُنْتُ أَمْ بَشِراً؟

ونصادفه في تأخير الجار والمجرور (بك) على الفعل والفاعل (يزهو)، وتأخير

(1) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. عرض وتقديم وترجمة. دار الكتاب اللبناني. بيروت .

سوشيريس. دار البيضاء. 1985. 174

(2) علي المتقي، القصيدة العربية المعاصرة ...، المطبعة والوراقة الوطنية. مراكش . 2009 . 156

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز

(4) علي المتقي، القصيدة العربية المعاصرة . 156

(5) م . س . الصفحة نفسها

الفاعل (حواء) على الفعل (تزهو)، والفاعل والجار والمجرور (بك) في قول المزوي: (1)
 بِكَ آدَمُ يَزْهَوُ وَتَزْهَوُ أَتَّهَّا وَلَدَتِكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى حَوَّاءُ
 وَالْأَرْضَ حِينَ مَشَيْتَ فَوْقَ أَدِيمِهَا عَلَتِ السَّمَاءُ لَهَا بِكَ الْحِيَلُ
 تَمْشِي يَقُولُ الْيَاسَمِينُ أَظُنُّنِي أَثَرُ الرَّسُولِ فَلَئِي شَدَى وَبَهَاءُ
 تَمْشِي فَيَرْتَاعُ الظَّلَامُ كَانِمَا تَصْحُو إِذَا سَمِعَتْ خُطَاكَ دُكَّاءُ
 وفي قول زكريا الفاخري نلاحظ تقديم الجار والمجرور (على شرفة البشرى)، على
 الفاعل (ملاحه): (2)

تَغْفُو عَلَى شُرْفَةِ الْبَشْرِ مَلَايْحُهُ وَجْهًا صَبُوحًا حَوَى دُرًّا وَمَرْجَانًا
 وقوله أيضاً مقدماً المفعول به (جرح الأرض)؛ على الفاعل (بعثته) في قوله: (3)
 أَتَتْ تَضْمُدُ جُرْحَ الْأَرْضِ - بَعْثَتُهُ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَفُوفِ الْغَيْبِ تَغْشَانَا
 وقول المزوي مؤخراً الفاعل: حمامة، ومقدماً الفعل، شادت في قوله: (4)
 أَوْ مَا بِيَابِ الْغَارِ شَادَتْ عُشَّهَا خَوْفًا عَلَيْكَ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ؟
 وكل هذه التراكيب تؤدي إلى تحقيق أغراض دلالية وبلاغية وجمالية لا يؤديها
 التركيب بالصورة المألوفة.

خامساً البنية الإيقاعية:

الأوزان والقوافي: كثر استخدام مصطلح الإيقاع حديثاً بمعنى الوزن وبمعنى الجرس
 الصوتي، وأطلق أحياناً على العروض الخليلي بكل مكوناته، (5) وورد في تعريف الإيقاع

(1) يمضي اليك العاشقون م . س

(2) بسمة الغيب م . س.

(3) م . س.

(4) يمضي اليك العاشقون م . س.

(5) عمر خليفة بن إدريس ، البنية الإيقاعية في شعر البحري . منشورات جامعة بنغازي. 2003 . 38

بالمفهوم الحديث بأنه «المجموع المركب لجميع عناصر الخطاب»⁽¹⁾، حيث أوضحت القصيدة المعاصرة، تستمد شعريتها «من عناصر شعرية متعددة، يسعى الشاعر إلى تحريكها بطريقة حية وبكثافة استثنائية»⁽²⁾.

والناظر في التراث النقدي العربي؛ يلاحظ أن الشعراء حرصوا على توفير التوازن الإيقاعي بكل أشكاله في الدلالات والأصوات، لكي يحققوا أكبر قدر من مقومات الجمال في شعرهم، كما أن النقاد كانوا يحرصون على كشف قوانين الإيقاع التي حققت جمال الصورة في الآثار الأدبية المختلفة بالصورة المثالية، ثم أخذوا يطبقونها في إصدار أحكامهم على الإنتاج الأدبي على أنها قوانين إيقاعية، ومن ثم كانت مطالبتهم للشعراء بتنسيق الفاظهم على نحو ما، واختيار مفرداتهم وفقاً لما يتطلبه توازن الأبيات بما يوافق قواعد الصنعة⁽³⁾، ولكن اهتمامهم لم يقتصر على جمال المفردة وحدها، فقد لاحظوا أيضاً أثر العلاقات بين الألفاظ في إحداث الجمال الفني، فدرسوا مواضع الكلمات في سياقها؛ فقد تؤدي لفظة في سياق ما، مالا تؤديه في سياق آخر، وشبهوا الكلمات بالآلئ، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: «... ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ماثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»⁽⁴⁾.

لقد تقيد شعراء هذه الفترة بالبحور الشعرية المألوفة، وبكيفية النظم المعروفة، وبالأوزان الخليلية التقليدية، فاستخدموا من البحور: البسيط، وهومن البحور «الثقال الرزان»⁽⁵⁾ كما أن فيه «سبابة وطلاوة»⁽⁶⁾، ويعد أكثر البحور حضوراً في النصوص الواردة، والكامل وهو من البحور الحيوية «فيه لون خاص من الموسيقى يجعله ... فخماً جليلاً مع

(1) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث. 229/1

(2) علي جعفر العلق، في حداثة النص الشعري، وزارة الثقافة والإعلام. بغداد. 1990. 7

(3) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي. 1992. القاهرة. 119

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. 40/1. ar.lib.eshia.ir

(5) عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها 1/ 159

(6) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء 269

عنصر ترنمي ظاهر»⁽¹⁾، كما أنه من البحور التي لها «جزالة وحسن اطراد»⁽²⁾ والوافر وهو من البحور المتدفقة الخفيفة القوية «مسرع النغمات متلاحقها»⁽³⁾ يصلح للأساليب الخطابية «والتفخيم في معرض المدح»⁽⁴⁾ كما وردت نصوص في بحر الرجز الذي قيل عنه إنه «من الأوزان العذبة ... ويصلح للقطع وما بمجراها»⁽⁵⁾. وقد ساعد هذا التنوع في أن يستوعب ابداعات الشعراء في جميع المراحل و«اتسع الشكل الموسيقي للقصيدة العربية الموروثة لأبعاد تجربة الشاعر العربي»⁽⁶⁾ حيث استطاع «أن يبدع في إطار هذا الشكل أروع القصائد وأبقاها»⁽⁷⁾.

إنَّ النظم وفق نظرية الشعر العمودية لا ينافي الإحاطة بالخصائص التعبيرية المعاصرة، ومتطلبات الحداثة، ويمكن للشاعر المتمكن من أدواته الإبداعية الفكرية والفنية أن يبدع في مختلف الموضوعات، وينسجم مع كافة التيارات الفكرية والحضارية .

وعُني العلماء والنقاد بالقوافي وأهميتها؛ باعتبارها ركناً من أركان الشعر، ومجالاً للمفاضلة بين الشعراء، وأكدوا «على ضرورة الحرص على تناسبها وانتظامها»⁽⁸⁾، ووضعوا لها شروطاً وقواعد⁽⁹⁾، والملاحظ أنَّ الشعراء موضوع الدراسة؛ استخدموا عدداً من القوافي منها: الميم واللام، وقد قيل فيهما إنَّهما «أحلى القوافي، لسهولة مخارجهما، وكثرة أصولهما في الكلام من غير إسراف، وروائعهما كثيرة»⁽¹⁰⁾، كما استخدمت القاف المفتوحة «والقاف

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها 1/ 302

(2) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء . 269

(3) عبد الله الطيب، المرشد المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها 1/ 407

(4) م . س الصفحة نفسها

(5) م . س 301

(6) علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة 167

(7) م . س الصفحة نفسها

(8) محمد الأزهرى، مصطلح القافية من الأخفش لى حازم القرطاجني، دراسة مصطلحية . 333. إصدارات

جامعة مولاي سليمان . كلية الآداب والعلوم الإنسانية. بني ملال . 2014

(9) ينظر المرجع السابق 334 - 335

(10) عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها . 60

حرف متحامى عنه، وجياده ليست كثيرة ... ومقطوعات القاف الجيدة أكثر من طواها الجيدة»⁽¹⁾، كما وردت الهمزة المضمومة بعد ألف ممدودة، «وأكثر ما تجيء الهمزة سهلة إذا كانت بعد ألف ممدودة»⁽²⁾، ويدل استخدام المدّ صوتياً «على نداء أو تعجب أو استغاثة أو توجع»⁽³⁾، ويصدق هذا الحكم على قصيدة عمرو النامي الهمزية، حيث نظمت القصيدة في ظروف خاصة أحاطت بالشاعر.

كما يلاحظ أنّ القوافي وردت بكل الحركات الممكنة، فجاءت قوافي الهمزة والناء مضمومة، وورد عن الضمة أنها: «حركة تشعر بالأبهة والفخامة»⁽⁴⁾، ولذلك فإنّ «شعراء الفخامة يميلون إلى الضم»⁽⁵⁾، والناء مع الإطلاق، والنون من القوافي الذلل، وهي «في غير التشديد أسهلها جميعاً»⁽⁶⁾ والراء المفتوحة والميم المكسورة والdal المشبعة، وجاء بعضها مكسوراً، وأرق قصائد الشعر العربي «مكسورات الروي في الغالب»⁽⁷⁾، كما كان من أهم مقومات الموسيقى الداخلية في النصوص استخدام بعض الألوان كالتصريع في قول الفاخري مثلاً:

خِذِي مِنَ الرُّوحِ أَعْيَادًا وَالْحَنَا وَبِعَثْرِيْنِي عَلَى الْأَوْرَاقِ أَوْزَانَا
وتتكرر مفردات: اليتم واليتيم ويتمان يتمهما لتحديث لونا من الإيقاع الذي يشنف الآذان، مع ما يحدثه من إيجاء وتأثير على سبيل الجناس الناقص في قول الأسطى:⁽⁸⁾ -
يَتِمَانُ فَيْكَ وَلَمْ يَثْنِيْكَ يَتِمُّهُمَا ؛ يَتِمُّ الْيَتِيْمُ وَأَلَا تَعْبُدُ الْحَجْرَا

(1) م . س 62

(2) م . س 81

(3) شكري محمد عياد ، مدخل إلى علم الاسلوب ، 1992 . 77

pdf_956.html/11/https://www.lisanarb.com/2019

(4) عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها 88

(5) م . س . الصفحة نفسها

(6) م . س . 58

(7) م . س . 88

(8) مناجاة . م . س

كما تبدو المجانسة في تكرار: ايمدح المدح، الأقلام قائلة، عنونت عنواناً،
في بيت الفاخري: (1)

أيمدح المدح ! ما الأقلامُ قائلةٌ ؟! وأنتَ للمدح قد عنونتَ عنواننا

ومن الظواهر الإيقاعية التي أسهمت في ثراء الإيقاع والتوازن الصوتي داخل النص؛
تكرار الحروف، ومن ذلك مثلاً تكرار حرف السين في سياق الحديث عن قيم السلام
لديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت المزوغي: (2)

أَمَّا السَّلَامُ فَفِي يَمِينِكَ سِفْرُهُ لَا يَسْتَنْيرُ بِغَيْرِهِ السُّفَرَاءُ

وهكذا يتضح أنَّ قصيدة المديح النبوي سارت وفق نظام الشعر العمودي القائم على
نظام الشطرين ووحدة القافية وحرف الروي، وجاء الإيقاع منسجماً متناغماً مع الأجواء
الروحانية للمديح النبوي، وعمل على استيعاب تجارب شعرية بمستوى رفيع من الإبداع
وحسن الأداء .



(1) بسمه الغيب . م . س

(2) يمضي اليك العاشقون . م . س

الخاتمة

إنَّ الكتابة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاشتغال بسيرته فيها من النفحات الطيبة والتجليات السامية، ما يجعل الباحث يتمنى أن يكون معها في اشتغال دائم، وبعد هذه الرفقة البحثية الشيقة، يمكن تلخيص نتائجها فيما يلي :

كشف البحث عن تجارب غزيرة وعميقة، ومادة شعرية متدفقة وصادقة، جديرة بالدراسة، كما أبانت الدراسة التحليلية للنصوص عن مقومات جمالية فائقة، على مستوى الرؤى والتجارب الشعرية، وعن لغة فاخرة وديباجة مشرقة، وتمكن من آليات الإبداع الشعري، ولعل بعض أسباب ازدهار هذه الظاهرة الأدبية في هذه البقعة من العالم الإسلامي، يعود إلى عوامل مختلفة؛ فإنَّ محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متجذرة في الوجدان الليبي على مستوى العامة والخاصة، كما أنَّ الشعور بالحمية والنخوة للأذى الذي لحق بكل مسلم جراء الحملات الإعلامية الشعواء على المقدسات الإسلامية، بما فيها مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان من بين أهم العوامل، وإنَّ شخصه الكريم في صورته المثالية الكاملة بجميع صفاته وشمائله وخصاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان وما زال وسيبقى ملهماً للمبدعين على مر العصور .

هكذا فإنَّ الشعراء الليبيين المعاصرين برعوا في هذا اللون الشعري على مستوى الأشكال والمضامين، وبذلوا جهوداً محمودة، لقد كان «لهم في منازل الأمداح النبوية مقيم وتعريس»، كما قال المقرئ عن الشعراء المغاربة ⁽¹⁾. وإنَّ إنتاجهم الشعري في هذا الموضوع؛ يشكل مادة جديرة بالجمع والتصنيف والتوثيق والتحقيق .

والحمد لله رب العالمين

(1) المقرئ. نفع الطيب. 7 / 438.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

أولاً المصادر الدينية والتاريخية والأدبية :

- 1 - ابن حجر ، فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر .
- 2 - إبراهيم حنفي، مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، الهيئة المصرية للكتاب، 1987.
- 3 - ابن الصالح الشرفي محمد المعطي، ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج . تحقيق د . محمد بن شريفة رَحْمَةُ اللَّهِ . إصدارات وزارة الأوقاف . المغرب . 2009 .
- 4 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، دار صادر . بيروت . 1978 م .
- 5 - ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل . بيروت . ط 4 . 1972 .
- 6 - ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، بيروت: دار صادر، 1974 م .
- 7 - ابن غلبون ابو عبد الله محمد بن خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، عني بنشره الطاهر احمد الزاوي. المطبعة السلفية . 1349 . القاهرة .
- 8 - ابن كثير ابو الفداء، البداية والنهاية، 3. مكتبة المعارف، دار ابن حزم . بيروت .
- 9 - ابن كثير ابو الفداء، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة . بيروت . 1976 .
- 10 - ابن منظور، لسان العرب، اعداد يوسف الخياط وزميله .
- 11 - ابن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزملاؤه . دار الكتب العلمية . بيروت .

- 12 - أبو البقاء العكبري، شرح لامية العجم، دراسة وتحقيق محمود محمد العامودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول.
- 13 - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- 14 - أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ت 287، كتاب السنة، تحقيق ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي 1400 هـ - 1980.
- 15 - أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد رواس قلعه جي وزميله، دار النفائس . بيروت . ط 2 . 1986م.
- 16 - أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب . د . ت .
- 17 - أحمد بن حنبل، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2650).
- 18 - الأزرق. أبو الوليد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مطبعة المدرسة المحروسة، 1375 هـ.
- 19 - البخاري. محمد بن إسماعيل، الصحيح، دار ابن كثير . 2002 . دمشق . بيروت .
- 20 - البغدادي أبو منصور عبد القاهر، أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت . ط 3 . 1981 .
- 21 - البيهقي أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية . بيروت . 1985 .
- 22 - جدوع، عزة محمد، قراءات تحليلية في النص الشعري، ط 3 . 1433 / 2012 مكتبة المثني. الدمام.

- 23 - جمال الحسيني أبو فرحة، ميزان النبوة، دار الكتاب اللبناني، القاهرة . 1998 .
- 24 - جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط2 . 2008 .
- 25 - الحاكم محمد بن عبد الله، المستدرك، وبذيله تلخيص المستدرك، للذهبي، دار الفكر . بيروت . 1978 .
- 26 - حسب حسين، مسلم، الشعرية العربية أصولها ومفاهيمها، 76 منشورات ضفاف، دار الفكر للنشر والتوزيع . 2013 . البصرة .
- 27 - الحسن الرهوني، نظم الدرر في ترجيز كتاب الأحكام لابن القطان، تحقيق خديجة البدوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المملكة المغربية . 2010 .
- 28 - حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نموذجاً، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع 2009 ط . عمان .
- 29 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15 . دار العلم للملايين، بيروت . 1995 .
- 30 - ديوان ابن حيوس، عني بنشره وتحقيقه خليل مردم بك، 2 / 455 . دار صادر . 1404 - 1984 . بيروت .
- 31 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة . بيروت .
- 32 - رحمون بلقاسم، جماليات المعارضات الشعرية للقصيدة الشقراطية، دراسة أسلوبية، أطروحة دكتوراه . جامعة العربي بن مهيدي . الجزائر 2015 - 2016 .
- 33 - الزمخشري جار الله محمود، اساس البلاغة، كتب العلمية . بيروت . 1998 .
- 34 - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي الشامي محمد بن يوسف، تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت . 1993 م .

- 35 - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة . دار الكتاب اللبناني. بيروت . سوشيريس . الدار البيضاء. 1985.
- 36 - السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- (1387هـ = 1967).
- 37 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء . 2000.
- 38 - الطبراني أبو القاسم سليمان، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، مطبعة الزهراء الحديثة . الموصل . ط 2 . 1984 .
- 39 - الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، دار الفكر . بيروت . 1978 .
- 40 - عبد العزيز لحويديق، شعرية التناص في قصيدة بانت سعاد للشاعر إسماعيل زويريق: على النهج، المطبعة والوراقة الوطنية . مراكش . 2015 .
- 41 - عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، بيروت دار النهضة العربية . ط 2 .
- 42 - عبد القادر علي زروقي، جماليات التكرار ودينامية المعنى في الخطاب الشعري نماذج من شعر محمد بلقاسم خمار، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية . وحدة ورقلة . الجزائر . 25 يونيو 2016.
- 43 - عبد الله التطاوي، المعارضات الشعرية . أنماط وتجارب، دار قباء للطباعة والنشر . القاهرة . 1998
- 44 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة . 1963.

- 45 - عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي . القاهرة . 1992
- 46 - عزوز أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية منشورات اتحاد الكتاب دمشق 2002.
- 47 - علي المتقي، القصيدة العربية المعاصرة.....، المطبعة والوراقة الوطنية.مراكش. 2009.
- 48 - علي جعفر العلاق، في حادثة النص الشعري، وزارة الثقافة والإعلام .بغداد. 1990.
- 49 - علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا. ط 4. 2002.
- 50 - عمر خليفة بن ادريس، البنية الإيقاعية في شعر البحري، منشورات جامعة بنغازي. 2003.
- 51 - فرج بن ونيس بن الساعدي بن الصيد، نسمات القبول على ديوان البهلول . ج/1. دار الكتب الوطنية . بنغازي . 2009
- 52 - القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1969م
- 53 - محمد الأزهرى، مصطلح القافية من الأخفش إلى حازم القرطاجني . دراسة مصطلحية، 333. إصدارات جامعة مولاي سليمان . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . بني ملال . 2014.
- 54 - محمد الطبراني، الرسائل المغربية الى الحجرة النبوية: بواعث وقضايا، ضمن أشغال الملتقى الوطني الأول للنصرة . 1431 - 2010 . سلا . المغرب .
- 55 - محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت (1393هـ = 1973م).

- 56 - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث. بنياته وإبدالاته. مسائلة الحداثة، دار توبقال . ط 3 . 2014 .
- 57 - محمد جواد علي، مسارات الخطاب الشعري التجربة والثقافة والروية، دار غيداء للنشر والتوزيع . عمان الأردن . 2016 .
- 58 - محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، كلية الدعوة الاسلامية. طرابلس . ط 3 . 1994 . طرابلس .
- 59 - محمد فتح الله مصباح، بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 2011م .
- 60 - محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية والإطلالة على مدار الرعب، الدار التونسية للنشر . تونس . 1992 .
- 61 - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج3.
- 62 - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناس، دار التنوير للطباعة والنشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب . 1985 .
- 63 - محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهجية شمولية، 176 . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . 1996 .
- 64 - محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة للنشر والتوزيع . الدار البيضاء . 1989 .
- 65 - محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، 1417هـ.
- 66 - محمود علي مكي، المدائح النبوية، مكتبة لبنان. الشركة المصرية العالمية للنشر. لوانجمان . 1991 .

- 67 - مرتضى الزبيدي ، تحاف السادة المتقين ، دار الكتب العلمية . بيروت. 1989
- 68 - مسلم بن الحجاج، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار الكتب العلمية. بيروت. 1991
- 69 - مسلم حسب حسين، الشعرية العربية أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها. منشورات ضفاف. 2013 .
- 70 - المقرئ شهاب الدين احمد، نفح الطيب، تحقيق . إحسان عباس . دار صادر. بيروت . 1968
- 71 - نازك الملائكة . قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 7 ، 1983
- 72 - الواقدي محمد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسدين جونز، عالم الكتب . 1984 .
- 73 - يوسف بن إسماعيل النبهاني، المجموعة النبهانية، دار الفكر .
- 74 - يوسف عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص: مثل من كتاب سيويوه. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (7) العدد (1) المحرم 1432هـ / كانون الثاني 2011م .
- 75 - يونس طركي سلوم، معارضات الأندلسيين للمشاركة والمغاربة في كتاب زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان التجيب المرسي ت 598هـ دراسة موازنة - مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية مجلد 14 . عدد 8 . ايلول 2007 .
- ثانياً: المصادر الإلكترونية :**
- 76 - مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، 33 أطروحة دكتوراه مرقونة . جامعة وهران . 2013 - 2014 . PDF

77 - السعدي، التفسير.

<http://www.quran7m.com/searchResults/026215.html>

78 - ابن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم .

quran.ksu.edu.sa › tafseer › katheer › sura96-aya1

79 - القرطبي، تفسير القرآن.

<http://www.quran7m.com/searchResults/026215.html>

80 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز . ar.lib.eshia.ir

81 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الأول، الجزء السادس عشر، الفصل الخامس والخمسون . في صناعة الشعر ووجه تعلمه .

82 - [blog-post_6966_200907/ kameltarikh.blogspot.com](http://blog-post_6966_200907/kameltarikh.blogspot.com)

83 - ساجدة عبد الكريم خلف ، التجربة الشعرية من الرؤية إلى الموضوع : نماذج شعرية منتخبة.

84 - <http://oaji.net/articles/20161452868472-1621/.pdf>

85 - زياد مقدادي، مقدمات القصائد في العصر الجاهلي

www.facebook.com › arabicmkku1 › posts

86 - القاضي أبي الفضل عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

سلسلة دراسات السيرة النبوية، جائزة دبي الدولية. www.noor-book.com

87 - رسول بلاوي، ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنية في شعر الدكتور علي مجيد

البديري، صحيفة المثقف . العدد: 4883 - 2020

88 - www.almothaqaf.com

89 - عصمت محمد أحمد رضوان ، التفاعل الموسيقي في القصيدة العربية (ألوانه وملاحمه الفنية)

https://jfga.journals.ekb.eg/article_5946_c4da01166c287dba26295ead44276bd4.pdf

90 - عمر إبراهيم توفيق ، فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية العدد 1 / م 5 / السنة الخامسة . 2010 .

www.iasj.net › iasj › func=article

91 - عبد الرؤوف زهدي مصطفى وعمر الأسعد، المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، ملحق، 2009. رياض العلم riyadhalelm.com › researches › 153_moardat

92 - عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها.

<https://www.noor-book.com>

93 - شكري محمد عياد ، مدخل الى علم الأسلوب ، 1992

94 - https://www.lisanarb.com/201911/pdf_956.html

95 - محمد أبو الحسن . قصيدة البردة : دراسة أدبية . مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان. العدد الرابع والعشرون، 2017م.

96 - pu.edu.pk › images › journal › arabic › PDF

97 - الموسوعة الحديثية ، الدرر السنية تخريج مشكاة المصابيح

www.dorar.net › hadith › sharh

98 - علي سليمي، عبد الصاحب طهماسي، التناص القرآني في الشعر العراقي؛ دراسة ونقد . مجلة إضاءات نقدية. (فصلية محكمة) السنة الثانية العدد السادس صيف 1391

ش/ حزيران 2012 > article > download 2012 - ensani.ir - جماليات التكرار ودينامية المعنى في الخطاب الشعري: نماذج من شعر محمد بلقاسم خمار عبد القادر علي زروقي، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية . وحدة ورقلة . الجزائر . 25 يونيو 2016

99 - revues.univ-ouargla.dz > 32242-33-08-29-11-2016-

100 - ثالثاً: النصوص الشعرية :

101 - ابن حيوس ، ديوان، عني بنشره وتحقيقه خليل مردم بك، دار صادر . 1404 -

1984 . بيروت

102 - حسن إدريس على الجودي ، رسالة خاصة يناير (2018) .

103 - رضا جبران ، قصيدة مناجاة محمدية، رسالة خاصة بتاريخ (7 يوليو 2018) .

104 - زكريا الفاخري ، بسمه الغيب، شبكة الألوكة . 26 . 4 . 2016 .

105 - https://www.alukah.net/literature_language/0102197/

106 - . عبد المولى البغدادي، مولاى عبدك بين اليأس والأمل، دار الفكر العربي . 2005

107 - https://ghazaaalroohwalfekr.blogspot.com/201711//blog-post_1.htm

108 - - علا الأسطى (ابن عائشة الأندلسي)، مناجاة، رسالة خاصة بتاريخ (25 .

3 . 2019) .

109 - علا الأسطى (ابن عائشة الأندلسي)، الرحمة المهداة، رسالة خاصة بتاريخ (25 .

3 . 2019) .

110 - عمرو النامي، مولد النور، سلسلة من الأعمال الشعرية اعتنت بنشرها كريمته

سمية النامي . دار الكتب الوطنية . بنغازي . 2018

- 111 - فاطمة العويمري، في طلعة النور - صحيفة المنبر، 20 . 2018 > 1/almenbr.org
- 112 - فاطمة العويمري، في مدح طه، صحيفة المنبر. 24 مارس 2018 > almenbr.org
- 113 - فاطمة العويمري، مولد النور. 10. 12. 2016 > people . ar-ar.facebook.com
- 114 - فاطمة العويمري، في حضرة المصطفى مجلة غذاء _ الروح _ والفكر _
وفرسان _ الشعر
- 115 - فاطمة العويمري، من نفح طيبة 29/10/2017
- ar - ar.facebook.com > people ...
- 116 - فاطمة العويمري، يا مشرقاً بالحسن . (المجلة الإلكترونية) مجلة الرابطة
الشعرية العربية
- 12019/9/https://alrabetaalarabia.blogspot.com/201909//blog-post_1.html
- 117 - زكريا الفاخري، بسمه الغيب. _ literature //www.alukah.net/ixzz6RmtORAFx#/ 102197/language/0
- 118 - محمد المزوغي ، ربيعك لا يمر به الخريف، رسالة خاصة / 28 / 10 / 2019
- 119 - محمد المزوغي، يمضي اليك العاشقون. 15 . 12 . 2018
- www.facebook.com > photos.
- 120 - محمد المزوغي، في الأفق ابصر أسراب البشارات 4 . 3 . 2018
- http://www.tieob.com

أعلام وتاريخ ثقافي

مكتبة الأوقاف بمدينة طرابلس
الأصول الوقفية / والتأسيس / والتحوُّلات
(1404.1316هـ / 1898.1984م)

أ. عمار محمد جحيدر

(مجمع اللغة العربية)

الحمد لله حقَّ حمده، وصلى الله وسلَّم على خير خلقه.

يمكنني القول إنَّ صلتي برصيد مكتبة الأوقاف من المخطوطات - على وجه الخصوص - قد انبثقت في واقع الأمر، من خلال عنايتي بجمع (مصادر دراسة الحياة الفكرية في العهد القرمانلي) التي قُدِّمت إلى (مؤتمر الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني)، [تونس 1988، ونُشرت أعماله سنة 1990]، ثم نُشرت الدراسة في كتابٍ مستقل سنة 2003، وفي هذا الكتاب كانت مكتبة الأوقاف أكثر المكتبات ذكراً وفق (فهرس المؤسسات) ⁽¹⁾. وقد اختيرت طرابلس عاصمة للثقافة الإسلامية (لسنة 2007)، وكان من بين الفعاليات التي قُدِّمت في تلك السنة الثقافية كتابٌ جماعيٌّ بعنوان: (معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا)، وفي هذا السياق كانت مشاركتي البحثية في الكتاب بالفصل السابع / الأخير عن: (المخطوطات العربية في ليبيا). وقد أشرتُ هناك بإيجازٍ ظاهر إلى (مكتبة الأوقاف) لصلتها الجليَّة بموضوع الدراسة ⁽²⁾. ثم واليتُ العناية بهذه الدراسة؛ مستهدفاً

(1) عمار جحيدر، مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي (1123 - 1251هـ / 1711 - 1835م)، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003، ص 221.

(2) عمار محمد جحيدر، «المخطوطات العربية في ليبيا بين: المصادر الوصفية / والنصوص التوثيقية / والوضعية الحالية»، ضمن: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، عمل جماعي، إشراف اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، طرابلس 2008، ص 325 - 428، وخاصة ص 391 - 392.

إعدادها للنشر في كتابٍ مستقل؛ ومن هنا حرصتُ على جمع ما وقفتُ عليه من المعطيات المريدة عن مكتبة الأوقاف، كما اغتنمتُ الفرصة في سياقٍ بحثيٍّ لاحقٍ للتنويه بهذه المكتبة الرسميّة العامّة، كأبرز معلمٍ ثقافيٍّ بمدينة طرابلس في (أواسط القرن العشرين)، فكانت أطول الحواشي التي ألحقته بكتاب أستاذي المؤرخ الجليل علي الصادق الحُسَين - رحمه الله تعالى - عن (محلة كوشة الصفار) ⁽¹⁾.

ولا يفوتني في هذا المقام أيضاً التنويه، من زاويةٍ أخرى، بتجدّد العناية الواسعة بدراسة المؤسّسات الوقفية التي قدّمت من خلالها جُلّ الخدمات العامّة في الحضارة العربية الإسلاميّة، مع ضرورة التأكيد في هذا السياق على خصوصية (الوقف الثقافي) الجليل ⁽²⁾. لذلك آثرتُ تحرير هذه المقاربة البحثيّة المتواضعة لإدراجها في (الباب الثالث من مجلة المجمع: أعلام وتاريخ ثقافي)؛ حرصاً على إبلاغ المحتوى بمعطياته التوثيقية إلى المعنيين بتاريخ ليبيا الثقافي، وتاريخ المكتبات التراثية - على وجه الخصوص. وقد قدّرتُ أن أعاش عن كُتُب بعض تحوُّلات مكتبة الأوقاف في سنواتها الأخيرة، وإنّي لأرجو ظهور المزيد من الإفادات والمعطيات الوثائقيّة حول هذه المكتبة الوقفية الكبرى بمدينة طرابلس التي شاركت - دون شكّ - في تكوين عدّة أجيالٍ من العلماء والأدباء والباحثين والقراء على امتداد عقودها المتتالية. وقد آثرتُ أخيراً توزيع ما اجتمع لديّ من المعطيات المتفاوتة على العناوين الفرعيّة التالية، مدرّجةً على سياقها التراتبي، كما حرصت على نشر نصوص هذه الوثائق كاملةً (على ما بين بعضها من تكرارٍ خفيف)، وأرجو أن أتمكن لاحقاً / أو

(1) علي الصادق الحُسَين، محلة كوشة الصفار بين ذاكرتين في أواسط القرن العشرين: (سردٌ طبوغرافي، مهني، سكاني)، تنسيق وتعليق عمار محمد جحيدر، طرابلس: مجمع اللغة العربية، 2019، ص 243 - 247.

(2) عن الوقف الثقافي، انظر العمل الثريّ القيم: يحيى محمود بن جنيد، الوقف وبنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافي، ط 2، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، 1430هـ / 2009م، (371 ص). وهنا أودُّ أن أسجل شكري الجزيل للأخ الكريم الفاضل الدكتور حمد العنقري (من السعودية) الذي آثرني بنسخته الشخصية من هذا الكتاب القيم، والشكر موصولٌ أيضاً لأخي العزيز الأستاذ الفرجاني سالم الشريف [رحمه الله تعالى] الذي بلغني الهدية اللطيفة على يديه الكريمتين، مساء الاثنين (2 - 6 - 2014).

يتمكن أحد الباحثين الشباب من سدّ ما يظللُّ بها من الثغرات.



[خلاصة عن مكتبة الأوقاف]

- 1 - أصولها الوقفية (عثمان باشا / أحمد باشا / مصطفى خوجه): رصيدها الباقي من المخطوطات.
- 2 - محمد كامل بن مصطفى (1244 - 1315هـ / 1828 - 1897م): رصيد مكتبته من المخطوطات / والمطبوعات.
- 3 - تأسيس مكتبة الأوقاف (1316هـ / 1898م) وبوادر التحديث الثقافي.
- 4 - المقرّ الأول للمكتبة في أواخر العهد العثماني (1898 - 1911).
- 5 - المكتبة في عهد الاحتلال الإيطالي / والمقرّ الوقفي الجديد (1936).
- 6 - مكتبة الأوقاف بقلم مديرها أحمد الفقيه حسن (1940).
- 7 - تخزين رصيد المكتبة خلال الحرب العالمية الثانية (1941 - 1944).
- 8 - مكتبة الأوقاف في إفادتين بعد الاستقلال (1953).
- 9 - عدسة اليونسكو في مكتبة الأوقاف (1962).
- 10 - هدم المقرّ / والتحوّل إلى مقرّها الثالث بباب الحرية (1978).
- 11 - ضمّ المكتبة إلى مركز جهاد الليبيّن للدراسات التاريخية (1984).
- 12 - التحوّل الأخير في مكتبة الأوقاف (أواسط العشرية الأولى).





[نال المؤلف عن كتابه القيم جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية سنة (1418هـ / 1998م)، مناصفة مع أستاذه الدكتور عبد الستار الحلوجي].

(1)

أصولها الوقفية (عثمان باشا / أحمد باشا / مصطفى خوجه) [رصيدا الباقي من المخطوطات]

لا نعلم على وجه اليقين مبلغ الخراب والدمار الذي لحق بالتراث الثقافي (المخطوط) لمدينة طرابلس خلال فترة الاحتلال الإسباني / ومنظمة فرسان مالطة (916 - 958هـ / 1510 - 1551م)⁽¹⁾؟ فقد هُجرت المدينة المحتلة وغادرها الكثير من سكانها إلى الضواحي والأطراف

(1) حول تلك الفترة انظر:

- إتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، طرابلس:

مؤسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر، 1969.

- عمر الباروني، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، طرابلس: مطبعة ماجي، 1952.

القريبة. وما إن استردّت المدينة عافيتها وحيويتها وهويتها الإسلامية السليبة في العهد العثماني الأول (958 - 1123هـ / 1551 - 1711م) حتى دبّ في أوصالها شيءٌ من الحراك الثقافي من جديد، وشيّدت بها بعض المؤسسات الدينية / الثقافية المعتادة في العالم الإسلامي آنذاك من المساجد الجامعة والمدارس ونحوها. ويهمُّنا منها - على وجه الخصوص - مدرسة عثمان باشا التي أسّست في العهد العثماني الأول⁽¹⁾، ومدرسة أحمد باشا القرماني التي أسّست في أوائل العهد القرماني⁽²⁾، ومدرسة مصطفى خوجه التي أسّست في أواسط ذلك العهد⁽³⁾. وقد صاحب هذا التقليد المدرسيّ السائد في أدبيات التعليم آنذاك إلحاق كلّ مدرسةٍ بما تيسّر من الكتب (المخطوطة) لتكون (الخزانة) في خدمة الأساتذة والطلاب وغيرهم من أبناء المدينة. ومن الجليّ في هذا المقام أنّ مجموعة مصطفى خوجه من المخطوطات الموقوفة على مدرسته تُعدّ أكبر المجموعات وأهمّها في رصيد مكتبة الأوقاف العامة، وقد خصّصتها ببعض العناية ضمن مصادر الحياة الفكرية في العهد القرماني⁽⁴⁾، كما أفردتها بدراسة لاحقة⁽⁵⁾. ويبدو أنّ هذه المدارس ومكتباتها الثلاثة قد شكّلت داخل أسوار المدينة العتيقة (المرجعية المدرسيّة / والثقافيّة) العامّة خلال تلك الفترة الطويلة، وذلك فضلاً عن المكتبات الأسريّة الخاصّة التي برزت منها - على وجه الخصوص - (مكتبة أسرة المكني)⁽⁶⁾.

- محمد مصطفى بازامة، ليبيا في عشرين سنة من حكم الإسبان (1510 - 1530)، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1965.

- (1) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، (ط 3) طرابلس: مكتبة الفرجاني (د.ت)، ص 239: «وأسّس مسجداً ومدرسةً لتعليم العلوم وأوقف عليها أوقافاً جمّة».
- (2) المصدر نفسه، ص 294: «وبنى المدرسة التي باتصاله [المسجد] وأوقف عليها أوقافاً كثيرة».
- (3) المصدر نفسه، ص 313: «وأسّس المسجد الكائن بداخل الثغر بقرب سوره الشرقي والكتّاب والمدرسة المتصلين به وخزانة كتب قيّمة، وأوقف على ذلك أوقافاً جمّة».
- (4) مصادر دراسة الحياة الفكرية في العهد القرماني، ص 77 - 94.
- (5) عمار محمد جحيدر، «الوزير الكاتب الليبي مصطفى خوجه أكبر ناشر للمعرفة في العهد القرماني»، دراسة نشرت في خمس حلقات بصحيفة الدعوة الإسلامية الأسبوعية (طرابلس)، العدد 1426 (12 جمادى الآخرة 1436هـ / 1 أبريل 2015م)، والأعداد الأربعة التالية (1427 - 1430).
- (6) مكتبة أسرة المكني: أشار إليها عبد السلام العالم التاجوري في ترجمة أول شيوخه أحمد بن محمد المكني (ت 1101هـ / 1689م) بقوله: «واجتمعت كتبهم كلّهم عند سيدي محمد والد سيدي أحمد - وكان عالماً عارفاً بالنحو -

في العهد العثماني الأول، و(مكتبة أسرة العسوسي / النائب) في العهد العثماني الثاني. غير أنَّ الظاهرة البارزة التي ينبغي التنويه بها في هذا المقام، من خلال معطيات عديدة، هي أنَّ الحياة التعليميّة / الثقافية في (ليبيا) لم يستأثر بها (المركز) وحده دون (الأطراف) غالباً - على غرار الزيتونة في تونس، والأزهر في مصر - وإنما توزّعت فعاليتها التعليميّة الأوليّة، ونشاطها الفكريّ بآثاره المعروفة حتى اليوم - وخاصّةً في العصر الحديث - بين عددٍ من (البيئات) المتقاربة. ولذلك يمكن القول إجمالاً إنَّ طرابلس (المدينة) لم تستقطبَ جُلَّ العلماء وطلابهم، ولم تنفردْ كذلك بحفظ رصيدنا المقدّر من التراث العربي المخطوط، من خلال النشاط التعليمي المعتاد، والاقتناء والتأليف والنسخ / والوراقة. وقد شكّلت مجموعة (الكتّاب، والمسجد / الجامع، والمدرسة، والزاوية)، فضلاً عن الرحلة العلمية غرباً وشرقاً، ورحلات الحجيج المغاربي ذهاباً وإياباً عبر الأراضي الليبية، مجمل (النسيج الثقافي) على امتداد القرون، إلى أنَّ شهد المجتمع الليبيّ خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الخطوات الأولى (للتحديث الثقافي)؛ مع ظهور المدرسة الحديثة، والمطبعة، والصحيفة، والمجلة والكتاب... الخ.

(2)

محمد كامل بن مصطفى (1244.1315هـ / 1828.1897م)

[رصيد مكتبته من المخطوطات / والمطبوعات]

يمكن القول ابتداءً إنَّ إقدام الوالي نامق باشا على تأسيس مكتبة الأوقاف قد جمع - كما يلي أدناه - بين ثلاثة روافد:

= والفقهاء والحديث والتفسير والسير وغير ذلك - فزاد عليها إلى أن اجتمعت [كلّها] عند سيدي أحمد، وزاد عليها [كثيراً جداً]؛ فحزانتهم الآن لا نظير لها بطرابلس». عمار محمد جحيدر، عبد السلام العالم التاجوري (1058 - 1139هـ / 1648 - 1727م) الفقيه الصوفي المؤرخ / وتراجم شيوخه (سيرة علمية: نصّ ودراسة وملاحق)، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2021، ص 106.

أ - ضم الأصول الوقفية السابقة بمدينة طرابلس.

ب - وشراء مكتبة الشيخ المفتي محمد كامل بن مصطفى عقب وفاته.

ج - وتبرّع الوالي وغيره بالمزيد من المطبوعات.

ومثل ما تقدّم التنويه أعلاه بمجموعة مصطفى خوجه من (المخطوطات)، ينبغي التوقف أيضاً عند علمٍ لاحقٍ من أبرز أعلام الحياة الثقافية في تلك الفترة. وهو أستاذ الجيل العلامة الجليل محمد كامل بن مصطفى الذي جمعت مكتبته بحكم السياق الزمني - دون شك - بين (المخطوطات / والمطبوعات). وقد ولد بمدينة الزاوية، وتلقّى مبادئ تعليمه بها وبمدينة طرابلس، ثم أوفدته أسرته إلى الدراسة بالأزهر سنة (1263هـ / 1846م) في التاسعة عشر من عمره للتفقه في المذهب الحنفي الذي قلّ العارفون به في القطر. وقد كانت مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر تشهد حركة علميّة متجدّدة بإحياء القديم، وظهور الطباعة والصحافة، والمدارس الحديثة، والإيفاد إلى أوروبا. وعاد إلى بلاده سنة (1270هـ / 1853م)، وقد أجاز به بعض العلماء من المشرق والمغرب. وفضلاً عن رحلته الدراسية إلى مصر التي عاد إليها ثانية في طريقه إلى أداء الفريضة، زار أيضاً استانبول وتونس (ثلاث مرّات) جمعت بين المهمة الرسميّة والرحلة العلميّة. ومن الجليّ أنّ هذه الرحلات المتعدّدة قد ساهمت في تكوينه العلمي ونمو شخصيته وآفاق تفكيره. واشتغل بالتدريس وبثّ العلم وتعدّد طلابه الذين نجب عددٌ منهم في حياته وبعد وفاته؛ فكان (أستاذ جيله) متصدّراً للحياة العلمية آنذاك، ووصفته صحيفة الترقّي «بمحيي العلوم في هذه الولاية»، كما وصفه الرّحالة التونسي محمد بن عثمان الحشائشي بأنّه «أول مشهور بالعلم هناك». وتولّى منصب الإفتاء رسمياً سنة (1311هـ / 1894م)، كما ساهم بالتأليف في العلوم العربية الإسلامية ووصلتنا بعض آثاره في الفقه / الفتاوى، والتفسير، والصرف، فضلاً عن (كُنْاشه) الذي يُعدّ من أهمّ مصادره الذاتية في التعريف به، مع ما به من مؤشّراتٍ دالّة على معطيات الحياة الثقافية في عصره.

وقد طُبِع في أواخر حياته كتابه (الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية) بمصر

سنة 1313هـ (1896م)، وهو يُعَدُّ من أوائل الكتب [الليبية] المطبوعة التي نشرت في أواخر القرن التاسع عشر. ومع تصدُّره للحياة العلميَّة في مدارسها العتيقة وأجوائها التراثية، فإنَّ (سالنامة ولاية طرابلس)، وهي أهمُّ مصدرٍ جامعٍ للتشكيلات الإدارية في الولاية، تقدَّمه معلِّماً (بالمدرسة الرشدية)، وعضواً منتخِباً في (مجلس الإدارة) بمركز الولاية، ثم عضواً طبيعياً بحكم منصبه الرسمي في الإفتاء فيما بعد، وعضواً منتخِباً (بمجلس المعارف) الذي تشير صحيفة الترقِّي إلى أنَّه أصبح رئيساً ثانياً له قبيل وفاته، وكان يتولَّى رئاسته الوالي نامق باشا نفسه. وهكذا نرى أنَّ هذا العالم المصلح قد ساهم بعطاءه في بعض المؤسَّسات الحديثة الطارئة على المجتمع آنذاك، ولكنَّه استنكر تحديث القضاء. وتُعَدُّ حياة هذا العالم وجهوده الإصلاحية أبرز مثالٍ لاستمرار عطاء المدرسة التراثية التقليدية بقدرٍ ملحوظٍ من التفاعل والحيويَّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي كان (منعطف اللقاء) بين القديم والجديد في ولاية طرابلس الغرب بما أفرزه من مظاهر التحديث آنذاك⁽¹⁾.

رحم الله العلامة الجليل، فقد أبقى بعده: (تلاميذه / وكتبه / ومكتبته)؛ وهم - وهي أطيارٌ كريمةٌ من تاريخنا الثقافي الحديث.

(3)

تأسيس مكتبة الأوقاف (1316هـ / 1898م)

وبوادر التحديث الثقافي

شهدت ولاية طرابلس الغرب عموماً، ومدينة طرابلس خصوصاً في السنوات

(1) مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بمدينة طرابلس في مائة عام (1898 - 1998): كتاب توثيقي، شارك في تأليف فصوله: محمود الصديق أبو حامد، د. عبد الكريم أبوشويرب، علي الصادق حسنين، سالم سالم شلابي، م. بدر الدين خلفه الشح، سالم محمود أبو سالم؛ أشرف على تحريره ونشره وقَدَّم له عمار جعيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / والإدارة العامة لمدارس الفنون والصنائع الإسلامية، 2000، ص 22 - 23 (من التقديم). وانظر المزيد من التفاصيل: الدكتور محمد مسعود جبران، الشيخ محمد كامل بن مصطفى (1828 - 1897) وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، ط 3، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية، 2009، (352 ص).

الأخيرة من القرن التاسع عشر، بعض الوقائع البارزة في تاريخها الثقافي الحديث، إذ صدرت صحيفة الترقى سنة (1315هـ / 1897م) وهي أول صحيفة لبيّة أهليّة، كما صدرت مجلة الفنون سنة (1316هـ / 1898م) وهي أول مجلة تصدر في ليبيا وكانت مجلّة علميّة، وأسّست في السنة نفسها مكتبة الأوقاف، وهي أول مكتبة عامة حديثة في ولاية طرابلس الغرب. وذلك فضلاً عن الشروع في تأسيس مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية التي تُعدّ اليوم أعرق المؤسسات التعليميّة الحديثة القائمة في ليبيا.

وقد شكّلت النواة التأسيسية لمكتبة الأوقاف من مجموعاتٍ من المخطوطات والمطبوعات؛ إذ جمع الوالي نامق باشا⁽¹⁾ في هذه الخطوة الأولى - كما سبقت الإشارة أعلاه - بين شراء مكتبة المفتي السابق محمد كامل بن مصطفى (1244 - 1315هـ / 1828 - 1897م) عقب وفاته / وضمّ الكتب الموقوفة على مدارس المدينة / مع التبرّع لها أيضاً عند افتتاحها، وهو ما أشادت به صحيفة (الترقي) الأهليّة في أكثر من عددٍ من أعدادها: «ذكرنا في العدد الماضي ما كان من الاحتفال بافتتاح المكتبة العمومية التي توفّق لإنشائها حضرة ملجأ ولايتنا السامي بما بذله من الهمة والحزم حيث اشترى لها كتب المرحوم المفتي السابق، وضمّ لها جميع الكتب الموقوفة بمدارس الولاية حفظاً لها من الضياع. وقد رأى - حفظه الله تعالى - أن يزيد في أهمية هذه المكتبة ويوصلها إلى أعلا درجات الكمال، فتبرّع عند افتتاحها هو وحضرة المشير باشا؛ كلّ منهما بمائة مجلّدٍ من نفائس الكتب قيّداً أسماءها لأجل أن يجلبها من دار

(1) نامق باشا: عُيّن والياً على طرابلس في مستهل سنة (1313هـ / 1895م). وبهذه المناسبة نشرت ترجمته وصورته الفوتوغرافية بجريدة (معلومات) المصوّرة التي كانت تصدر باستانبول (العدد 43 // 20 محرم 1314هـ / 20 حزيران 1312 مالية / 1896م)، ومن الجليّ أنّها أخذت من أرشيف لجنة سجل الأحوال (سجل أحوال قوميّون) التي أسّست في أوائل عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة (1296هـ / 1879م) لتدوين (تراجم الموظفين) في الدولة العثمانية. وقد كانت ولاية نامق باشا على طرابلس الأولى في سلّمه الوظيفي الذي غلب عليه التخصص في الشؤون المالية. كما شرّع في عهده أيضاً في تأسيس مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية. انظر النصّ الكامل لترجمة الوالي نامق باشا الرسمية: مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بمدينة طرابلس في مائة عام، ص 20 - 21 (من التقديم).

السعادة العليّة حيث لا توجد هنا. وقد اقتدى بهما في هذا السبيل الخيريّ كثيرٌ من حضرات العلماء الأعلام والأمرء الكرام والوجهاء والأعيان، ولا غرو فالتناس على دين ملوكهم. وقد رأينا أن نزيّن أعمدة هذه الصحيفة بذكر أسماء المتبرّعين ونشر أسماء الكتب التي قدّمها كلّ منهم، وسننشر أسماء الكتب التي أهداها حضرة المشار إليهما عند ورودها، ونبدأ الآن بمن جاءت إلينا قائمة كتبهم حسبما يأتي:

- من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن أفندي البوصيري (جزء: 20).

- من حضرة السريّ الوجيه حسن بك قورجي (مجلّد: 20).

- من حضرة ذي الفضيلة مفتي الولاية (مجلّد: 11) ⁽¹⁾.

ويُستشَفُّ من هذا الإجراء الحضيف أنّ هذه المكتبة الجديدة العامة مؤسّسةٌ وريثةٌ لمجمل المكتبات المدرسية / الدينية الوقفية السابقة بمدينة طرابلس، وفي مقدمتها تلك المدارس الثلاثة المشار إليها أعلاه.

(4)

المقرّ الأول للمكتبة في أواخر العهد العثماني (1898. 1911)

استُهلّت الإفادة السابقة في صحيفة الترقّي بالإشارة التالية: «ذكرنا في العدد الماضي ما كان من الاحتفال بافتتاح المكتبة العمومية... الخ». ومن المؤسف في هذا المقام حقاً أنّ العدد السابق (63) من الصحيفة مفقود غائب عن مجموعتها الباقية ⁽²⁾. وأغلب الظن أن يكون فيه قدرٌ ما من المعطيات الوصفية عن المقرّ الذي تمّ اختياره / أو تأسيسه لهذه المكتبة الجديدة العامة. ومع أنّ مجموعة مصطفى خوجه من المخطوطات كانت من أهمّ الروافد

(1) صحيفة الترقّي، العدد 64 (12 رجب 1316 هـ): ويبدو جلياً أنّها من (المطبوعات)؛ لذا اكتفيت بهذه الإشارة العامة لدعم المكتبة في هذا السياق التوثيقي، دون إثبات (العناوين) المذكورة في الصحيفة، وقد كنت آنذاك

معنياً بمتابعة البحث عن (المخطوطات)؛ لذا تركت - مع الأسف - اقتباس هذه القوائم.

(2) قمت خلال سنة (2007) بقراءةٍ توثيقيةٍ لكل أعداد الصحيفة، في بضعة أسابيع متتالية.

التأسيسية لمكتبة الأوقاف العامة، فإنّه لا يلزم من ذلك أن تكون مدرسته الصغيرة (المعروفة: مدرسة الكاتب) المقرّ التأسيسيّ للمكتبة أيضاً. ومن المرجّح في هذا السياق أن يتمّ اختيار مقرّ آخر لها [عند التأسيس / أو بعده]. وقد وقفت في أحد الأعمال الصادرة في أواخر العهد العثماني على لوحة (للمكتبة العثمانية) بمدينة طرابلس القديمة (عثمانلي كتابخانه سي) ⁽¹⁾، فهل يمكن الاستئناس بهذه اللوحة وغيرها إلى وجود مقرّ تأسيسيّ لمكتبة الأوقاف العامة؟ وإني لأرجو حقاً وصدقاً أن يواصل بعض الباحثين الشباب متابعة مثل هذه التفاصيل الجزئية التي لم أتمكن من الوقوف عندها ملياً. ومن المؤمل أن يكون في ملفات الوثائق وسجلات المحكمة الشرعية قدرٌ من (المعطيات الطبوغرافية) التي نتطلع إليها في هذا السياق.



(المكتبة العثمانية)

(1) علي فخري، أمل يولنده، ايكنجي طبع، استانبول 1328، ص 360. ومن الملاحظ أنّ هذه الطبعة الثانية للكتاب، ومؤلفه من المنفيين إلى طرابلس.

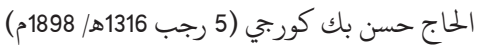
نماذج من وقفيات الكتب المطبوعة على مكتبة الأوقاف العامة في أواخر العهد العثماني



مصطفى أفندي زيازة محاسبجي الأوقاف (5 رجب 1316هـ / 1898م)



حسن بيك حفيد يوسف باشا (28 جمادى الثاني 1316هـ / 1898م)





الشيخ عمر أفندي المسلاقي (9 رجب 1316هـ / 1898م)



وقف المرحوم الميلاي بن مصطفى الشلي

(30 محرم 1329هـ/ 1911م)

(5)

المكتبة في عهد الاحتلال الإيطالي / والمقر الوقي الجديد (1936)

في أواخر العقد الأول من عهد الاحتلال الإيطالي ضُمَّتْ إلى رصيد مكتبة الأوقاف العامة مكتبة أسرة العسوسي / النائب في (فبراير 1920) ⁽¹⁾. وفي الشهر التالي من السنة نفسها صدر (القانون الأساسي لمدارس الأوقاف) عن (مجلس الأوقاف بطرابلس) بتاريخ (21 مارس 1920)؛ اهتماماً (بالتعليم الأهلي) تحت وطأة الاحتلال، وحرصاً على حقّ استغلال أموال الوقف. ويبدو جلياً من سياق النصّ أنّ تلك الوقفيات التأسيسية القديمة للمدارس الثلاثة المشار إليها أعلاه، كانت مصدراً أولياً معتمداً لصياغة هذا القانون الوقفي المدرسي الجديد. وقد خُصّصت منه المادتان (10 - 11) للمكتبة بالنصّ التالي تحت عنوان: «محافظة الكتبخانه):

10 - كتبخانه الأوقاف هي تحت إدارة الناظر الذي يعتني بحفظ موجودها بواسطة محافظ يعيّنه مجلس الأوقاف بكفالة مناسبة.

11 - يعتني الناظر بتجريد الكتب سنوياً ⁽²⁾، وينهي لمجلس الأوقاف ما يعثر عليه من الخلل لإجراء ما يجب في ذلك» ⁽³⁾.

(1) محمد إسماعيل الطوير ود. عبد الله الشريف «مكتبة أحمد النائب الأنصاري في نهاية العهد العثماني الثاني» مجلة الناشر العربي (طرابلس) العدد التاسع عشر (1991). ص 100 117.

(2) تقدم في (وقفية مصطفى خوجه) مثل هذا النصّ على إجراء (المجرد السنوي) أعلاه: «وشرط أيضاً - ضاعف الله تعالى أجره - في كل رأس عام أن يحضر الشيخ المدرس بها والناظر ويتفقوا الكتب المذكورة وتحتسب وتنفض وترجع في خزائنها ومحله». مصادر دراسة الحياة الفكرية في العهد القرمانلي، ص 83.

(3) عمار جحيدر، «مدارس الأوقاف في عهد الاحتلال الإيطالي»، مجلة الشهيد، العدد الثاني (1981)، ضُمَّتْ المقالة الوثائقية إلى كتاب: [آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، 1991، ص 157 172].



صفحة من قانون مدارس الأوقاف (1920)

وفي العقد الأخير من عهد الاحتلال الإيطالي نُقلت مكتبة الأوقاف إلى مقرّها الجديد ضمن المبنى المعروف (الملاصق لجامع سيدي حمودة) الذي أُسّس في عهد مدير الأوقاف آنذاك السيد إسماعيل كمالي (1883 - 1936)، وهو ذو نزعةٍ حريصةٍ جادّةٍ، وقد كان أيضاً باحثاً مؤرخاً مرموقاً⁽¹⁾. وينبغي التذكير في هذا المقام أيضاً بتلك الإشارة

(1) وقفت على ترجمته الرسمية بأرشفيف رئاسة الوزراء في استانبول، وفيها موجز سيرته الوظيفية. وقد أتاح له عمره المخضرم بين أواخر العهد العثماني / وأوائل الاحتلال الإيطالي في شطرين متقاربين أن يكون - اتفاقاً في -

الموجزة إلى مكتبة الأوقاف التي اختتم بها المؤرخ المستشرق الإيطالي إتوري روسي (1894 - 1954)، المعروف بمساهماته المتعددة في التاريخ الليبي (مادة طرابلس)، في دائرة المعارف الإسلامية: «وتقتني بعض الأسر الخاصة مجموعاتٍ صغيرةً من الكتب، تشمل أيضاً بعض المخطوطات، ولكنَّ أهمَّ المكتبات جميعاً هي تلك المكتبة التي يقال لها مكتبة (كتبخانة) الأوقاف؛ وقد أنشأ نواة هذه المجموعة مصطفى خوجه المصري، الكاتب الأول في عهد علي باشا قرمانلي، أمَّا حجة الوقفية التي أوقفت بها المدرسة والكتاب والمكتبة الملحقة بهما، علاوةً على مزارٍ صغير، فتاريخها هو غرّة جمادى الآخرة سنة 1183هـ (أكتوبر 1769م). [كذا ؟] وقد ترك المسلمون المتعاقبون على اختلافهم كتباً أوقفوها على المكتبة، وازدادت المكتبة قيمةً بما ضُمَّ إليها من بعض الكتب التي تركها المؤرخ الطرابلسي أحمد النائب الأنصاري، وبالكتب المطبوعة التي أهداها سنة (1922) حاكم البلاد الكونت ج. فولبي. Count G. Volpi؛ ولم يُعدَّ بعد فهرسٌ منتظمٌ لهذه المكتبة، ولكن يوجد فهرسٌ عربيٌّ منظمٌ، وقد رُتبت الكتب وفقاً لموضوعاتها حسب التصنيف الإسلامي التقليدي، ولم تُفصل الكتب المطبوعة عن الكتب المخطوطة، وجميع الكتب بالعربية فيما عدا بعض الكتب التركية»⁽¹⁾. ومن الجليّ أنّه يعني فهرسها الداخلي غير المطبوع.

وبعد تحوُّل مكتبة الأوقاف إلى مقرّها الكبير الجديد بقليل، زارها في أواخر الاحتلال الإيطالي سنة (1357هـ / 1938م) الرحالة ماء العينين العتيق بن محمد الشنقيطي (1307 - 1376هـ / 1887 - 1957م)، في طريقه بجزراً في رحلة حجّه، إذ نزل مع الحجيج إلى مدينة طرابلس ودوّن عنها بضع صفحاتٍ ذكر فيها عدداً من علمائها وأعيانها، ومساجدها ومزاراتها، ومن أبرزهم الشاعران أحمد الشارف، وأحمد الفقيه حسن (مدير

= سياقه المرحلي - رائد المؤرخين الليبيين المعاصرين في (الأفق اللغوي الثلاثي: ع.ع. غ) الجامع بين (العربية / التركية العثمانية / وإحدى اللغات الغربية). انظر أيضاً: الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط 3 بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004، ص 127 130.

(1) دائرة المعارف الإسلامية، النشرة العربية الأولى، القاهرة (منذ 1933)، ج 15 ص 116.

المكتبة آنذاك). وفي اليوم الثالث لوصولهم إلى طرابلس: «فلما كان بالغد يوم الجمعة نزل أكثر الركب إلى المدينة لصلاة الجمعة، وفيهم الشيخ محمد الإمام [رئيس الرحلة]، وجامعه [المؤلف]، فصلّيناها في جامع الباشا المتقدّم ذكره، والتقينا هناك مع سادة علماء أجلاء من أهل المدينة، فتذاكرنا معهم في بعض الفنون العقلية والنقلية، فإذا هم في غاية الأدب والمعرفة بالعلوم، فأطلعونا على مكتبتهم فوجدناها مشتملة على كثير من الكتب المعتمدة، وبالغوا في إكرامنا والإحسان علينا، ولهم أخلاق طيبة وآداب جمّة وكرم زائد... الخ». وقد أنشدهم الشاعر أحمد الفقيه حسن بضعة أبيات في تحية الحبيب⁽¹⁾.

(1) الرحلة المعينية، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط (ميكروفلم 80) ص 51 - 58. وقد وقفت على مخطوطة الرحلة في زيارتي الأولى للمغرب سنة (1989)، بالخزانة العامة (ميكروفلم 80)، ونسخت في الكُنّاش هذه الصفحات المتعلقة بطرابلس. عمار محمد جحيدر، يوميات مغربية (1989): يوميات رحلة بحثية في الخزائن العلمية بالمغرب الشقيق، طرابلس: منشورات مجلة شؤون ثقافية، 2010، ص 118 - 121. والأبيات المشار إليها أعلاه منشورة في ديوان الشاعر أحمد الفقيه حسن. وجاء في الرحلة أيضاً: «وأخبرنا أنّه بعث لنا أبياتاً يحاطبنا بها وفد الشناجطة [كذا]، ولعلها لم تصل إلى الباخرة إلا بعدنا، فأنشدنا إيّاها ومطلعها:

أحجّاج بيت الله، بالله بلّغوا تحية صبّ للنبيّ محمّد
إلى أن قال:

فأنتم بني شنجيط لا شكّ سادّة
طرابلس لا زال يشهد أهلها
لقد أخصبت لّما نزلتم بأرضها
فلما سمعها جامعها ماء العينين - عفا الله عنه - كتب له في جوابها حالاً:
زففت إلينا أحمد بن محمّد
تحمّلنا فيها تحية شقيّ
إلى أن قلت:

لقد دلّنا ما أنت مسديه جودة
وأنتك خنذيذ البلاد وتذبّها
على أنك الحامي خلى كلّ جيّد
وأنّ العلى تلقى إليك بمقوّد
إلى آخره. فوقع الاستحسان من الجميع، ودعونا وتوادعنا وركبنا نحو الباخرة....».

وفي (المعجم الوسيط): «الخنذيذ من الشعراء: الشاعر المجيد المنقح، والخطيب البليغ المُفوّه. والتذبُّ: السريع الخفيف عند الحاجة، والظريف النجيب». وقد صدرت هذه الرحلة وفق البيانات التالية: ماء العينين بن العتيق، الرحلة المعينية (1938)، حقّقها وقَدّم لها د. محمد الظريف، أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع / بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004. ويقع النصّ المتعلّق بطرابلس في الصفحات التالية (115 - 123).

(6)

مكتبة الأوقاف بقلم مديرها أحمد الفقيه حسن (1940)

يُعدُّ الأستاذ أحمد الفقيه حسن - الحفيد (1895 - 1975) من أبرز الأدباء والمثقفين الذين تولّوا إدارة مكتبة الأوقاف في أواسط القرن العشرين، وقد شغل هذا الموقع الثقافي المرموق بعد التحوّل إلى مقرّها الجديد سنة (1936)، ثم رُقّي إلى رئاسة مجلس الأوقاف سنة (1949). ومن الجليّ أنّه استفاد من هذه المكتبة الغنيّة العامة في إثراء تكوينه الأدبي والثقافي من جهة، كما أفادها بمجده وتنظيمه وعمله من جهة أخرى⁽¹⁾. وقد زوّدي (خلفه اللاحق) الأخ الفاضل الكاتب الباحث الأستاذ محمد عبد السلام الجفائري (1936 - 1997)⁽²⁾ - رحمه الله تعالى - بنسخة من أربع صفحات حرّرها الأستاذ أحمد الفقيه حسن عن مكتبة الأوقاف بتاريخ (6 مايو 1940)، ولأهمية الوثيقة في هذا السياق التوثيقي آثرتُ طبعتها وإدراجها كاملةً، بدلاً من الاكتفاء بالإشارة إليها / أو الاقتباس المبتور منها؛ وذلك حفظاً لنصّها بهذا الموضع؛ مراعاةً للتسلسل الزمني لمسيرة المكتبة⁽³⁾. وهذا النصُّ شهادةٌ / وإفادةٌ قيّمة من مديرها العارف بها في تلك الفترة الحرجة ما بين (أواخر الاحتلال الإيطالي، والحرب العالمية الثانية، والسنوات التالية)، وتجمع هذه النبذة التاريخية بين أصول المكتبة، وتطورها ونظام عملها، وفهارسها القديمة، ومعطيات رصيدها الكميّة بدقّة ظاهرة؛ وهي أكبر المؤسسات حفظاً للتراث العربي المخطوط في مدينة طرابلس، منذ تأسيسها إلى أواخر القرن العشرين⁽⁴⁾.

(1) عن هذا الأديب وصلته بمكتبة الأوقاف، انظر المزيد من التفاصيل: الدكتور محمد مسعود جبران، أحمد الفقيه حسن - الحفيد (1895 - 1975): حياته وأدبه، ط 2 طرابلس: مركز جهاد الليبيّ للدراسات التاريخية، 2000، ص 79، ص 112، ومواضع أخرى.

(2) كان آخر مدير لمكتبة الأوقاف قبل ضمّها إلى مركز جهاد الليبيّ للدراسات التاريخية سنة 1984.

(3) ولكنّي اكتفيت، في واقع الأمر، بنشرها دون تحرير ما يلزم من الحواشي في بعض المواضع.

(4) علّقت آنذاك على النسخة المصوّرة التي لديّ بالعبارة التالية: «استلمه الأستاذ محمد الجفائري من المرحوم الأستاذ أحمد الفقيه حسن (مخطوطاً) خلال سنة 1968م، وقام بكتابته على الآلة الراقنة في نطاق اهتمامه بإدارة الأوقاف التي كان موظفاً بها آنذاك، والمكتبة ملحقة بها».

نبذة تاريخية عن مكتبة الأوقاف

إعداد الأستاذ أحمد الفقيه حسن

المرحوم مصطفى خوجه الكاتب:

ولد بطرابلس الغرب ونشأ بها وتلقّى العلوم على مشايخ عصره حتى تجلّى نبوغه وبدا فضله بذكائه العجيب وفطنته النقّادة وقريحته الوقّادة، وقد كان معاصراً لعلي باشا القرمانلي حيث استخلصه المذكور لنفسه وخدمته، واتّخذة مستشاراً لمهام أموره التي تخصّ مملكته، وأسند إليه منصب كبير الكتّاب في وقته، وقد كان من الرجال الذين حسنت سيرتهم، وبحسن سيرته نال حظاً وافراً لدى علي باشا القرمانلي وإقبالاً تاماً من الناس. هذا وكان مع اشتغاله في منصبه المكلف به معتنياً اعتناءً خاصاً بالمسائل العلمية والمشاريع الخيرية، فقد ذكر أحمد بك النائب مؤرخ طرابلس تأليفاً [له] وهو كتاب (المسائل المهمّة والفوائد الجمّة فيما يطلبه المرء لما أهمّه). ولاهتمامه بالمشاريع العامة أسّس مدرسة ومسجداً وأوقف عليهما أوقافاً جمّة لصرف ريعها عليهما. وفي هذه المدرسة أسّس مكتبة قيّمة جمعت أصنافاً من الكتب العلمية والتاريخية والأدبية. وكتب هذه المكتبة أكثرها من الكتب النفيسة المخطوطة التي لها قيمتها الأثرية العلمية، وتأسّس المدرسة والمسجد يرجع إلى سنة 1183 هجرية حسبما هو منقوش على مدخليهما، فإذا اعتبرنا هذا نجد أنّ المكتبة أسّست في تلك السنة أو بعدها ببضع سنين، وأنّها أول أساس بُنيت عليه مكتبة الأوقاف الحالية حسبما نذكره بعد. وذكر المرحوم النائب أنّ مصطفى خوجه الكاتب توفي سنة (1213⁽¹⁾)، وقد خلف بعده هذا الأثر الذي شهر باسمه حتى اليوم وولد ... (2) بعد موته.

أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميتٌ وهو يمشي على الثرى يُعدُّ من الأحياء وهو عديم

(1) تبين لي أن تاريخ وفاته المتداول المذكور غير صحيح، فقد وقفت في أحد سجلات المحكمة الشرعية على إحدى الوثائق المتعلقة بابنه عمورة، ويؤخذ منها أنّ الأب (المرحوم) مصطفى خوجه توفي قبيل سنة 1217 هـ/ أو خلاها؟

(2) بياض - أو كلمة غائبة؟

مكتبة الكاتب أو مكتبة الأوقاف:

اسمان يشتركان في معنى واحدٍ لا ينفصلان عن بعضهما؛ فمكتبة الأوقاف أُسِّست على قواعد مكتبة الكاتب حيث هي الأساس الذي بُنيت عليه المكتبة الحاضرة، فقد ذكرنا أنَّ مصطفى خوجه الكاتب أسَّس مكتبة بمدرسته المسماة باسمه اليوم، وقد جمعت من نوادر الكتب المخطوطة ما جعلها تُسمَّى مكتبة بحق، وطال العهد على هذه المكتبة منذ وفاة المرحوم صاحبها سنة 1213 حسبما ذكرنا سابقاً، وتقلَّبت الأحوال بمرور السنين الطوال، إلى أن جاءت سنة 1316 أيام الوالي التركي ⁽¹⁾ نامق باشا، ففي هذه السنة حثَّ والي طرابلس المذكور الأهالي الطرابلسيين على إهداء وتوقيف بعض الكتب لثُصِّمَ إلى مكتبة مصطفى الكاتب، فلبَّى طلبه الطرابلسيون في ذلك الوقت وقَدَّموا إلى مكتبة الأوقاف كتباً قيَّمة أُضيفت إلى المكتبة المذكورة، ومن ذلك التاريخ اعتبرت هذه المكتبة مكتبة الأوقاف بحق إشراف الأوقاف على جميع المساجد والمدارس ومن ضمنها مدرسة مصطفى خوجه الكاتب التي تضمُّ مكتبته المذكورة.

مكتبة الأوقاف في عهد الحكومة التركية:

قلنا إنَّ الوالي التركي [العثماني] نامق باشا قد اعتنى بهذه المكتبة وذلك سنة 1316، إذ شَوَّق الأهالي بإهداء كتب وتوقيفها عليها، فلبَّى دعوته جُمٌّ غفيرٌ من الوطنيين الطرابلسيين وقَدَّموا كتباً قيَّمة إلى مكتبة الأوقاف، وسُجِّلَت تلك الكتب في سجلات المكتبة بأسماء موقفيها، والكتب التي أهداها أصحابها متنوِّعة تحتوي على فنونٍ شتَّى، منها التفسير، الحديث، النحو، البلاغة، التصوُّف، الفقه، التاريخ، الأدب وغير ذلك. وأكثر هذه الكتب من الكتب المطبوعة، ومنها شيءٌ من المخطوطات القديمة. وبهذه الهدايا التي سارع في تقديمها الطرابلسيون في ذلك العهد تطوَّرت المكتبة وأصبحت جامعة بين المخطوطات القديمة والمطبوعات الحديثة.

(1) شاع التعبير آنذاك أخيراً بالعهد التركي / والوالي التركي؛ وصوابه: العثماني.

في عهد الحكومة الإيطالية:

استمرّت المكتبة إلى ما بعد الاحتلال الإيطالي لطرابلس على حالها القديم، ثم إنَّ المرحوم إسماعيل كمال بك مدير الأوقاف أظهر نشاطاً في الاعتناء بها من جديد، وبذل جهده في إصلاحها ورقبها فاشترى من مال الوقف الخاص كتباً جديدة وضمّها إلى المكتبة⁽¹⁾. وفي سنة (2) 1340 زارها الكونت فولبي والي طرابلس في ذلك الأوان بترغيب من المرحوم إسماعيل كمال، وعند زيارته لها تبرّع باسم الحكومة الإيطالية بمبلغ من المال لمشتري كتبٍ جديدةٍ تُضمُّ إلى مكتبة الأوقاف هدية من الحكومة الإيطالية، وقد استلمت إدارة الأوقاف المال وجلبت به كتباً قيّمة من مصر أُضيفت إلى كتب المكتبة، وسُجّلت في سجلاتها باسم هدية من الحكومة، وهذه الكتب قد رفعت مستوى المكتبة العلمي وعمرّت فراغ خزائنها، وهي من الأمهات التي يُرجع إليها في حلّ المشكلات العلميّة العويصة.

الأمانات:

في المكتبة كتبٌ غير ما ذكر؛ وضعها أصحابها أمانة لانتفاع القرّاء والمطالعين بها، وهي قسمان: قسم وُضع فيها من قبل أي قبل نقل المكتبة إلى محلها الجديد، وقسم وضع أخيراً في المكتبة الجديدة. فالقسم الأول هو أمانة وقف المرحوم أحمد بك النائب⁽³⁾؛ ومجموعه (368) كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط، وهذا القسم يحتوي

(1) لقد استوقفني في هذا السياق الزمني - على سبيل المثال - أنَّ نسخة مكتبة الأوقاف من (رحلة التجاني: ناسخها مجهول، وتاريخ نسخها 1339هـ / 1920م)، قد جاءت في بدايتها على ورقة بيضاء عبارةً جانبيةً بخط حسن: «إنَّ مجلس الأوقاف للقطر الطرابلسي قرّر في جلسته المنعقدة بتاريخ 12 شعبان 1339هـ [= 1921م]، عدد 4 / 7 اشتراء هذه النسخة لرحلة التجاني وتوقيفها على مكتبة الأوقاف خدمة للمنفعة العامة، والله الموفق». ومن المؤكّد أنَّ رحلة التجاني أهمُّ المصادر عن تاريخ ليبيا الثقافي خلال القرون الإسلامية الأولى إلى مطلع القرن الثامن. عمار محمد جحيدر، تراجم علماء طرابلس وصلحاتها في رحلة التجاني (مطلع القرن 8 هـ / 14م): محاولة نحو إعادة بناء النص، طرابلس: وزارة الثقافة والتنمية المعرفية، 2019، ص 24 - 26.

(2) 1340هـ: (1922م).

(3) لعل الصواب أن يُقال: (وقف أسرة العسوسي / النائب)، ومع أنَّ المؤرخ أحمد النائب الأنصاري أبرز أعلام الأسرة، وآخرهم عهداً (ت 1316هـ / 1918م)، فإنَّ نشأة هذه المكتبة الأسرية تعود إلى فترةٍ أسبق من جهة، كما تمَّ

على كتبٍ قيِّمة متنوّعة الفنون مسجّلة بفهرس خاص بها. ثم إنَّ المكتبة لَمَّا⁽¹⁾ نُقلت سنة 1936م (هـ)⁽²⁾ إلى محلّها الجديد بميدان إيطاليا⁽³⁾ بعمارة الأوقاف تقدّم مدير الأوقاف الحالي محمود بك المنتصر⁽⁴⁾ بوضع كتب والده⁽⁵⁾ أمانة في مكتبة الأوقاف لنفع المطالعين وروّاد المكتبة. وهذه الكتب هي كتب قيِّمة جليّة وعدتها (1716) سفرّاً فيها من كلّ فنٍّ موردٌ لا يُستهان به، ومن الأمهات ما يسدُّ رغبة العلماء والأدباء عند (مراجعاتهم).

محتويات المكتبة:

مجموع الكتب التي هي وقف على مكتبة الأوقاف هو (2493) سفرّاً ما بين مطبوع ومخطوط، وهذه الكتب متنوّعة تشتمل على فنونٍ عدّة منها المخطوطات الثمينة التي يرجع تاريخ نسخها إلى أواسط القرن الثامن أحياناً والتاسع والعاشر

ضمُّها إلى مكتبة الأوقاف، سنة (1920م)، أي بعد وفاته من جهةٍ أخرى. انظر أيضاً: إبراهيم سالم الشريف، «مكتبة أسرة النائب العسوسي / النائب في بقايا آثارها المخطوطة»، ضمن: المؤرخ أحمد النائب الأنصاري = (1264 - 1336 هـ / 1848 - 1918 م): حياته وآثاره وعصره في الذكرى المئوية لصدر كتابه مع نهاية القرن (1899 - 1999)، أعمال ندوة علمية، تحرير عمار جحيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيّين للدراسات التاريخية، 2008، ص 137 - 175.

- (1) في الأصل المرقون: لم (سهو أو خطأ طباعي).
- (2) كذا في الأصل المرقون بياض بين قوسين، وتقابلها السنتان (1354 - 1355 هـ).
- (3) ميدان إيطاليا: ميدان الشهداء فيما بعد.
- (4) محمود المنتصر (1903 - 1970)، من رجال الدولة في ليبيا في أواسط القرن العشرين، وكان أول رئيس للحكومة المؤقتة بعد الاستقلال. انظر المزيد من التفاصيل العديدة عنه - على سبيل المثال: محمد يوسف المقرّيف، ليبيا بين الماضي والحاضر: صفحات من التاريخ السياسي / دولة الاستقلال، المجلد الثاني: الحقبة غير النفطية (1951 - 1957)، ط 2، أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، 2017، الفصل الثاني: حكومة محمود المنتصر والاتفاقية المؤقتة مع أمريكا، ص 107 - 223.
- (5) والده: أحمد ضياء الدين بن عمر المنتصر، ولد بمصر سنة 1294 هـ [1877م]، وتوفي بطرابلس سنة 1929م. اختتم الشيخ الطاهر الزاوي ترجمته الموجزة جداً بقوله: «سمعتُ أنّه ألّف تاريخاً في ثلاث مجلدات لم يُطبع في حياته». الزاوي، أعلام ليبيا، ص 86 - 87. وقد سمعتُ [إن لم تخفي الذاكرة] الأستاذ خليفة التليسي - رحمه الله تعالى - يستنكر هذا الخبر أيضاً، ويشير إليه بما مؤداه: التأليف بالإشاعة.

فما فوق، وهي من كتب المرحوم مصطفى خوجه الكاتب مؤسس المكتبة القديمة، فقد كان - رحمه الله - مهتماً باستنساخ الكتب لمكتبته، وأحياناً بنسخها بقلمه حيث توجد كتب في هذه المكتبة بخطه. ومجموع هذه المخطوطات (729) سفرًا، ثم يُضاف إلى هذه ما فيها من كتب مطبوعة قدره (1764) فيكون مجموع ما للوقف (2493) كتاباً؛ فإذا أضفنا أمانة وقف المرحوم أحمد بك النائب وهي (368) سفرًا، وأمانة المرحوم أحمد ضياء الدين بك المنتصر وهي (1716) سفرًا، فيكون محتوى المكتبة اليوم (4577) سفرًا، وذلك ما بين مطبوع، ومخطوط، ووقف، وأمانة، وهو قدرٌ فيه فائدة لطلاب العلم ورؤاد المكتبة عند اللزوم.

تنظيم المكتبة وإجراء العمل:

مدّة العمل في المكتبة ستُّ ساعاتٍ كل يوم، فثلاث صباحاً، ومثلها مساءً، وتُعطل المكتبة تبعاً لإدارة الأوقاف يوم الجمعة من كل أسبوع، ونصف يوم الأحد مساءً، عدا الأعياد والموسم.

فهارس المكتبة:

يضمُّ كتب المكتبة سجلان فهرس⁽¹⁾، وهو الذي تُسجَّل فيه الكتب حسب ورودها على المكتبة تبعاً للرقم المتسلسل العمومي، مع قيد الرقم الخاص به، واسمه⁽²⁾، واسم مؤلّفه، ولغته (عربي، أو تركي، أو فارسي)، وذكر تاريخ طبعه إن كان مطبوعاً، أو نسخه إن كان مخطوطاً، وتاريخ شرائه أو إهدائه، واسم الموقوف، وتاريخ توقيفه، وذكر الفنّ الذي يتكلّم عليه الكتاب، وعن هذا السجل تُنقل الكتب إلى السجل الثاني، وهو سجل الفنون المخصوص بها والمحتوي على (27) باباً أو فتنًا، وفي هذا السجل يُقَيّد كلُّ كتابٍ في فنّه تحت

(1) سجلان فهرس: هذه أقرب قراءة للكلمة غير الواضحة في النسخة المصورة، وصوابها غالباً: سجلا فهرس، بحذف النون للإضافة، وبها يستقيم السياق.

(2) اسمه: مراده: عنوانه.

رقمٍ خصوصيٍّ متسلسل، مع وضع الرقم العمومي بجانبه، والفنون التي تُوزَّع عليها الكتب هي: القرآن الكريم، القراءات والتجويد، التفسير الشريف، مصطلح الحديث، الحديث الشريف، أصول الفقه، الفقه الحنفي، الفتاوى الحنفية، الفقه المالكي، الفتاوى المالكية، الفرائض، التوحيد، التصوف والأخلاق، المديح والصلوات، النحو، الصرف، البلاغة، العروض والقوافي، الرياضة، الطب، شتى كتب افرنجية (كذا)، المنطق⁽¹⁾، الحكمة وآداب البحث والوضع، اللغة، الأدب، التاريخ.

ولما نُقلت المكتبة من محلّها القديم إلى محلّها الجديد الكائن بميدان إيطاليا رقم (5) بعمارة الوقف، أُجْرِيَ إصلاحٌ جديدٌ فيها ورُتِّبَت كتبها ترتيباً يختلف نوعاً ما عن الترتيب الأول؛ فقد نُظِّمَت فهارس جديدة تستقلُّ بكل فنٍّ من الفنون المذكورة في كراريس خاصّة بها، ووضعت الكتب في خزائن خاصّة بها، وأُشير إلى كل خزانة بحرف خاص⁽²⁾ من الحروف الأبجدية، وألصقت في أسفل كعب الكتاب بطاقة فيها: حرف الخزانة، ورقم الرف، والرقم الخاص للكتاب.

كيفية المطالعة وصورة استعارة الكتب لها داخل المكتبة:

إذا أردنا أن نبحث عن خصائص الكتب التي تضمُّها خزائن مكتبة الأوقاف فإنَّنا نحتاج إلى بحثٍ عميقٍ وقولٍ طويل الذيل يحتاج إلى كراريس من الأوراق، ولكن لا بأس أن نلَمَّ ببعض خصائص كتب منها فنقول:

من الأمهات التي في المكتبة من فنِّ التفسير المسمّى جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري؛ وهو تفسير جليل جامع، يقول في حقه السيوطي إنَّه أجلُّ التفاسير وأعظمها، فإنَّه يتعرَّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، إلى آخر ما قال. وهذا التفسير مطبوع بمصر

(1) المنطق وما يليه أضيف بالقلم، ويبدو أنَّه سقط سهواً عند الرقن.

(2) يبدو على هذه الكلمة ما يشبه الشطب، وربما أحسَّ الكاتب أو غيره بأنَّها زائدة في هذا السياق.

في ثلاثين جزءاً، والنسخة التي في المكتبة طبعت سنة 1310 هجرية بمصر، وهي من الكتب التي أهدتها الحكومة إلى المكتبة⁽¹⁾.

ومن كتب التفسير المخطوطة التي توجد بالمكتبة جزآن في مجلدين من حاشية العلامة الحسن بن محمد الطيبي على الكشّاف للزمخشري، وهذه الحاشية من أجلّ حواشي الكشّاف حسبما ذكره صاحب كشف الظنون عند كلامه عليه، وتُسمّى فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وقد توفي مؤلفها سنة 743 هجرية، والمجلدان اللذان في المكتبة الآن تحت رقم 71 و 17 من علم التفسير، ويبدأ أحدهما من سورة آل عمران، والآخر من سورة الأعراف إلى فاطر.

ومن الكتب المخطوطة في فن التفسير الموجودة بالمكتبة مجموعة العبد الذليل على ربيع أنوار التنزيل، للمرحوم العالم العلامة مفتي طرابلس الغرب السابق الشيخ محمد كامل بن مصطفى بن محمود الطرابلسي، وهذه المجموعة كتبها - رحمه الله تعالى - على ربيع تفسير القاضي البيضاوي المسمّى أنوار التنزيل، والجزء الأول الموجود بالمكتبة يحتوي على تفسير يس، والصافات، و ص، والزمر، وقد كتب في آخره أنّه انتهى من كتابته في الليلة الحادية عشر من شهر رمضان المعظم سنة 1299، وقد نبّه في آخر هذه المجموعة المكتوبة بخطه - رحمه الله تعالى - أنّه انتهى من الجزء الأول يليه الثاني وأوله سورة غافر. والمجلد الأول يوجد بالمكتبة تحت رقم 12 من فن التفسير، وهو ضخّم الحجم مفيد يدلّ على غزارة علم مؤلفه، ويؤيد لنا شهرته وانتشار ذكره وعلو كعبه العلمي الذي كان له في عصره، ويبرهن على مآثره التي يرونها الخلف عن السلف من الطرابلسيين.

ومن كتب الحديث الشريف التي تُعدّ مرجعاً يُرجع إليه، وتوجد منه نسخة كاملة في المكتبة كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري، وهو كتاب ضخّم الحجم لمؤلفه العلامة بدر الدين محمد بن أحمد العيني، شرح به البخاري شرحاً وافياً وجمع فيه من الفوائد ما لا

(1) مراده: من الكتب التي تمّ شراؤها من مصر بالمبلغ المالي الذي قدّمته حكومة الاحتلال الإيطالي بعد زيارة الوالي الكونت فولبي للمكتبة، المشار إليها أعلاه.

يُحصى كثرة، طبع باستانبول سنة 1308 في أحد عشر مجلداً ضخماً، وتوجد منه نسخة قيّمة تامة بالمكتبة أهدها المحترم مصطفى بك بن قدارة سنة 1316. ومن الكتب الأثرية التي تضمها هذه المكتبة كتاب يرجع تاريخ نسخه إلى سنة 671 إحدى وسبعين وستمئة، في مجلد متوسط الحجم، مخطوط بخط مشرقى واضح يُقرأ، غير أنّ بعض أوراقه سرى فيها بعض الفساد من القدم. وهذا الكتاب هو كتاب الاغفال؟ فيما أغفله الزجاج من المعاني (أي معاني القرآن)، ومؤلفه هو أبو علي الحسني؟ بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي، حسبما ذكره القاضي بن خلكان في تاريخه وصاحب كشف الظنون في كتابه. والشيخ أبو علي هذا ولد سنة 288، وتوفي سنة 377، والكتاب المذكور يوجد في المكتبة تحت رقم 94 من علم التفسير.

ومن الكتب المخطوطة الموجودة بهذه المكتبة حاشية العالم أبي العباس سيدي أحمد زروق الطرابلسي⁽¹⁾ على صحيح الإمام البخاري، وهي حاشية مهمّة ومفيدة جداً قدّمها بترجمة الإمام البخاري وتكلّم فيها على الأحاديث المسوقة في صحيحه، وهذه الحاشية بخطّ واضح مضبوط، يقول مؤلّفها في آخرها إنّهُ فرغ من تأليفها⁽²⁾ يوم الخميس خامس عشر شعبان سنة إحدى وثمانين وثمانمئة، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة 1187 على يد ناسخها مصطفى بن إبراهيم برسم المرحوم مصطفى خوجه الكاتب، وهي من كتبه التي حبّسها على مدرسته المعروفة باسمه لليوم.

(توقيع أحمد الفقيه حسن)

طرابلس الغرب

تحريراً في 6 مايو 1940م.



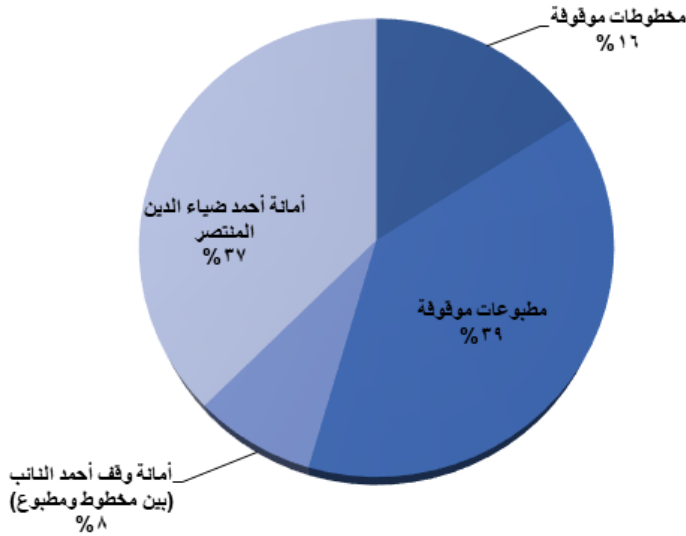
(1) صوابه: الفاسي / نزيل طرابلس، أو مصراة ودفينها.

(2) في النسخة المرقونة: كتابتها، ثم شطب عليها، وصوبت إلى (تأليفها) بالقلم فوقها.

توزيع رصيد مكتبة الأوقاف وفقاً لإفادة مديرها سنة 1940

النسبة المئوية	العدد	الفئة
16 %	729	مخطوطات موقوفة
39 %	1764	مطبوعات موقوفة
8 %	368	أمانة وقف أحمد النائب (خليط)
37 %	1716	أمانة أحمد ضياء الدين المنتصر
100 %	4577	المجموع

توزيع رصيد مكتبة الأوقاف سنة ١٩٤٠



(7)

تخزين رصيد المكتبة خلال الحرب العالمية الثانية (1941 - 1944)

في مساهمةٍ بحثيةٍ سابقةٍ أفادني الأستاذ الفاضل محمد محمد صبحي - رحمه الله تعالى - بأنه قد التحق بمكتبة الأوقاف خلال سنة (1940)، مساعداً لأمين المكتبة الأستاذ أحمد الفقيه حسن، وظلَّ بها حتى سنة (1944)، وخلال هذه الفترة تباحث الرجلان مع مدير الأوقاف آنذاك السيّد محمود المنتصر بشأن ضرورة الحفاظ على محتويات المكتبة، وحفظها وتخزينها بعيداً عن مدى القصف (في الحرب العالمية الثانية)؛ فعبّئت المجموعات (من المخطوطات والكتب والمجلات) في صناديق من حجم كبير (100 × 100 سم تقريباً)، وحُزّنت بحجرةٍ سفليةٍ بمبنى جامع سيدي حمودة، وقد ظلَّت مخزّنةً ما بين سنتي (1941 - 1944)⁽¹⁾. ويُستشفُّ من هذا الإجراء الوقائي الحصيف مدى حرص ذلك الرعيل من جيل المؤسسين الأوائل على هذه الثروة الثقافية التي تراكت - على تواضعها الكميّ نسبياً - عبر القرون، وآلت إلى مكتبة الأوقاف العامة، خلال ذلك الظرف الحربي القلق، قبل أن تبلغ البلاد عافيتها وتنال استقلالها. ويُلفت النظر حقاً أنَّ هذا الإجراء الوجيه قد اتخذ أيضاً لحماية مكتبة الأوقاف في مدينة بنغازي⁽²⁾.

(1) إفادة شفوية في جلسةٍ بمكتبي صباح الأربعاء (22 - 10 - 1986). عمار جحيدر، «من وثائق الحياة الثقافية في ليبيا: ثلاث رسائل من الطاهر أحمد الزاوي إلى أحمد الفقيه حسن»، مجلة الناشر العربي (طرابلس)، العدد السادس عشر (1990).

(2) عمار محمد جحيدر، «المخطوطات العربية في ليبيا»، ضمن: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، ص 397.



مكتبة الأوقاف: أبرز معلم ثقافي بمدينة طرابلس في أواسط القرن العشرين



(8)

مكتبة الأوقاف في إفادتين بعد الاستقلال (1953)

في أوائل يناير سنة (1953) خَصَّ الأستاذ المؤرخ الجليل علي مصطفى المصراقي (مكتبة الأوقاف) بإحدى (جولاته الأسبوعية) التي كان ينشرها بصحيفة (طرابلس الغرب)، وحرَّرَ عنها مقالة ضافية، والتقى خلالها بمديرها، ونوَّه أيضاً بتقريره المدرج أعلاه: «وتشرف على المكتبة إدارة الأوقاف، ويرأس هذه الإدارة السيد أحمد الفقيه حسن، وهو أديب من المدرسة القديمة، ، وكان قبل سنة (49) مديراً لمكتبة الأوقاف؛ ومن هنا استطعنا أن نعلم على معلوماته فيما يتعلَّق بتاريخ المكتبة وسيرها وتنظيمها. والحق أنَّ السيد أحمد نَظَّم مكتبة الأوقاف تنظيمًا لا بأس به، ووضع لها فهرس مكتوبة بخط جيِّد في كراساتٍ مستطيلة، وهو يعرف بحكم مهنته هذه مواضع الكتب وعددها، وقد وضع سنة (1940) تقريراً ضافياً عن مكتبة الأوقاف وتطوُّرها منذ أن أُنشئت إلى ذلك الحين، وقد أطلعني على هذا التقرير فأعجبت به ورأيت فيه بعض الفوائد التاريخية، ومقالنا اليوم مرجعه إلى هذا التقرير بجانب فحصنا وملاحظاتنا الخاصة». كما أشار في ثنايا جولته الصحفية إلى أنَّ في المكتبة أميناً هو السيد محمد علي زغوان، وعمره 57 سنة، ومساعدته السيد محمود أبورقية، وعمره 60 سنة. واختتم هذه الجولة ببضع ملاحظاتٍ من أهمِّها الملاحظة القيِّمة التالية: «سجلات المكتبة كُتبت على الطريقة القديمة، ولكن الأحسن لو كُتبت على الطريقة الجديدة في فهرس المكاتب، أدراج صغيرة بها بطاقات، كل بطاقة على حدة تحمل اسم الكتاب والمؤلف ورقمه الخ، يكون مفيداً أسهل وأسرع من كراسات مطوَّلة»⁽¹⁾. وقد تمَّ الأخذ بهذه الملاحظة المبكرة نسبياً، في وقتٍ لاحق، وتحوَّلت فهرس المكتبة إلى نظام البطاقات المعروفة.

(1) صحيفة طرابلس الغرب (12 يناير 1953).



الجولة الأسبوعية للأستاذ علي مصطفى المصراحي

عن (مكتبة الأوقاف)، صحيفة طرابلس الغرب

وفي السنة نفسها (1953) أورد الأستاذ المؤرخ الجليل محمد مسعود فشيكة - رحمه الله تعالى - إشارةً أخرى موجزة إلى مكتبة الأوقاف، في سياقٍ مقارنٍ مع بعض المؤسسات المشابهة في كتابه (كأنك معي في طرابلس وتونس): «وفي مدينة طرابلس مكتبة للأوقاف مفتوحة للقراءة العامة دائماً عدا أيام العطلة الرسمية، وتمتاز عن مكتبة العطارين [بتونس] بوجودها في أجمل عمارات الأوقاف الطرابلسية، وهي عمارة سيدي حمودة المطلّة على الميدان الرئيسي، وأنّ محلّها وُضع تصميمه في خارطة البناء قبل الشروع في تشييد العمارة، لذلك جاءت أحسن نموذجٍ للمكتبات العامة الأنيقة، وأنّ كتبها نُسقت في خزاناتٍ فاخرة على أقوم نظامٍ مكتبيّ حديث، وفيها أزيد من أربعة آلاف مجلد باللغة العربية، وطائفة من الكتب التركية، وقليل من الافرنجية»⁽¹⁾.



(1) محمد مسعود فشيكة، كأنك معي في طرابلس وتونس، طرابلس: مطبعة ماجي، 1372هـ/1953م، ص 81 - 82، وانظر المزيد عن عمارتي الأوقاف، ومديرها إسماعيل كمال، ص 122 - 123.

(9)

عدسة اليونسكو في مكتبة الأوقاف (1962)

ينبغي التنويه في هذا السياق أيضاً بزيارة خبير اليونسكو إلى ليبيا سنة (1962) التي تمّ خلالها تصوير نحو (112) مخطوطاً من مكتبة الأوقاف، وعددٍ من المطبوعات، مع ما صوّرتَه من الوثائق والمخطوطات من دار المحفوظات التاريخية (بالسراي الحمراء) على الميكرو فلم⁽¹⁾. وقد آثرتُ في هذا السياق (العاجل) نشر (القسم الثاني المتعلّق بمكتبة الأوقاف) من هذا التقرير الذي وقفتُ عليه بمصلحة الآثار⁽²⁾، وكانت المخطوطة المعروفة لناشر المعرفة في العهد القرمانلي، الوزير الكاتب مصطفى خوجه: (المسائل المهمّة والفوائد الجمّة فيما يطلبه المرءُ لما أهمّه) من المصادر التي يؤرّقني الوصول إليها عند انشغالي بالبحث في أواسط الثمانينات، فقد اختفت / أو ضاعت النسخة الأصليّة للمخطوطة التي كانت بمكتبة الأوقاف منذ سنواتٍ في ظرفٍ غير معروف، وسُررت بوجود نسختها المصوّرة بين المجموعة التي صوّرتها بعثة اليونسكو على الميكرو فلم (1962)، واطلعت عليها فور الوصول إليها (28 - 5 - 1986)، إلا أنّني أصبت بخيبة أملٍ في الكتاب، وكنت أتوقّع أن أجد فيه بعض النقول الجيدة المتصلة بالحياة الفكرية، وبلقائه ببعض العلماء، ولكنّ ذلك قليل جداً⁽³⁾.



(1) مصادر دراسة الحياة الفكرية في العهد القرمانلي، ص 39.

(2) وأرجو أن أنشر بقية التقرير المتعلقة (بدار المحفوظات التاريخية) في مقاربة لاحقة - بإذن الله تعالى.

(3) المصدر نفسه، ص 91، حاشية 3.

المملكة الليبية المتحدة

اليونسكو

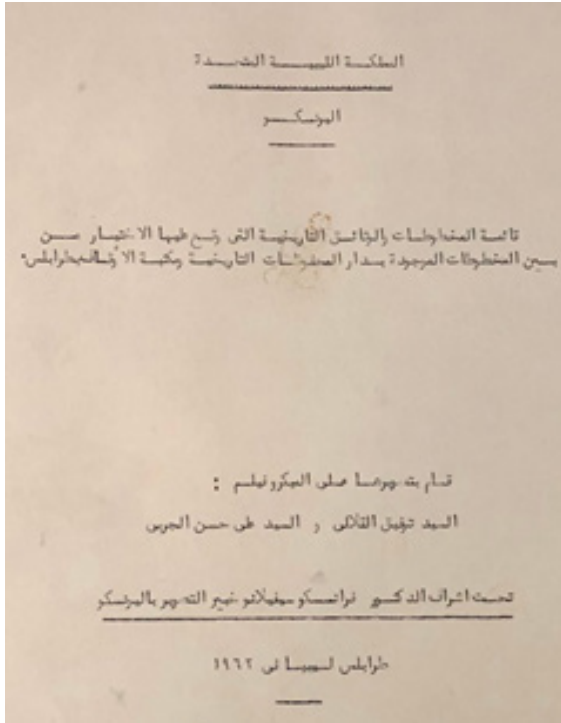
قائمة المخطوطات والوثائق التاريخية التي وقع عليها الاختيار من
بين المخطوطات الموجودة بدار المحفوظات التاريخية ومكتبة الأوقاف بطرابلس

قام بتصويرها على الميكروفيلم:

السيد توفيق القلاي و السيد علي حسن الجري

تحت إشراف الدكتور فرانسيسكو سيفيلانو خبير التصوير باليونسكو

طرابلس ليبيا في 1962



الأصل المرقون على الآلة الكاتبة

مكتبة الأوقاف

المكتبة مدرسة تغذي العقل بنور العلم، وتزوّد أفراد الشعب بالوعي والنضوج الفكري، وتساعد الإنسان على البحث العلمي الصحيح، والدراسة الواسعة العميقة بما تحويه من مصادر ومراجع علمية يحتاج إليها الأدباء والباحثون والعلماء والطلاب. ولذلك تعتبر مكتبة الأوقاف من أهم المصادر العلمية التي يحتاج إليها كل هؤلاء.

وهذه المكتبة أسست سنة 1316هـ الموافق سنة 1898م، بالمكان المشهور بمدرسة الكاتب⁽¹⁾ بباب البحر، ولما احتضنتها إدارة الأوقاف أضافت إليها كتباً أخرى جمعتها من مسجد أحمد باشا وعثمان باشا تبرّع بها ذوو البر والإحسان، ولقد تولّى إدارتها في هذه الفترة الأستاذ محمود زكيو، ثم جاء من بعده الأستاذ أحمد الفقيه حسن الذي بقي في إدارتها حتى نُقلت إلى موقعها الحالي في عمارة الأوقاف بميدان الشهداء رقم (5)، وقد تمّ ذلك عام 1358هـ الموافق 1939م⁽²⁾، وبعد انتقال الأستاذ أحمد الفقيه حسن إلى رئاسة إدارة الأوقاف سنة 1955 جاء من بعده الأستاذ أحمد قنابة⁽³⁾ (المدير الحالي للمكتبة).

وتحتوي مكتبة الأوقاف على أربعة آلاف مجلّد في مختلف العلوم مثل التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، والأدب، والتصوف، وغير ذلك عدا المجلات والجرائد المحلية والأجنبية. وفي هذه المكتبة ما هو مخطوط وما هو مطبوع، وغالبيتها من الكتب القديمة، وفي المدة الأخيرة استطاعت إدارة الأوقاف أن تزوّد المكتبة بكمية من الكتب الحديثة، ولقد خصّصت من ميزانيتها العامة رصيماً يضمن تزويد المكتبة كل عام بعشرات من الكتب العلمية والفنية على اختلاف أنواعها، وللمكتبة رواد⁽⁴⁾ يأتون إليها للمطالعة وللإستفادة

(1) قارن بما تقدم أعلاه عن المقرّر التأسيسي لمكتبة الأوقاف؟

(2) تقدمت الإشارة أعلاه إلى سنة (1936)؟ وأرجو أن يتمّ المزيد من التقصي عن مثل هذه المعطيات الجزئية لاحقاً.

(3) أحمد قنابة: من أبرز الأدباء الشعراء (1898 - 1968) في تلك الفترة. وهو أحد الأحمدين الذين جمعهم ذلك

الحبل، عصائي التكوين، مشارك في الحراك الثقافي. الزاوي، أعلام ليبيا، ص 121 - 124.

(4) في الأصل المرقون: روادا.

منها كمراجع، وليس في الإمكان استعارة ⁽¹⁾ كتبها إلا بأمرٍ خاصٍّ من إدارة الأوقاف. ولَمَّا انتدبت وزارة المعارف الدكتور فرانسكو سيفيلانو خبير التصوير (مكروفلم) لتصوير الكتب والمستندات والوثائق التاريخية (لإحياء هذا التراث القديم)، فلقد [كذا] قامت مكتبة الأوقاف بتحقيق هذه الغرض حيث قامت بتزويده بالكتب التالية التي قام بتصويرها السيّد توفيق القلاي من قسم الوسائل التعليمية التابعة لإدارة المعارف بطرابلس.

مكتبة الأوقاف بطرابلس		
للمصنعة		
التصنيف		
مدرج	ب ١	١٦ - الشيخ محمد بن مصطفى - ممدود : مجموعة العمة الدليل على روح انوار التنزيل الجزء الأول (خدا ١١ رمضان ١٢٩٩)
		٢٢ - الجزء الأول من تفسير الدكتور محمد الرازي (طبع في سنة ١٣٠٨) (طبع في سنة ١٣٠٨)
	ب ٢	٢٣ - الجزء الثاني من تفسير الدكتور الرازي
		٢٤ - الجزء الثالث من تفسير الدكتور الرازي
	ب ٣	٢٥ - الجزء الرابع من تفسير الدكتور
		٢٦ - الجزء الخامس من تفسير الدكتور
	ب ٤	٢٧ - الجزء السادس من تفسير الدكتور (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٢٨ - الجزء السابع من تفسير الدكتور (طبع في سنة ١٣٠٨)
	ب ٥	٢٨ - الجزء الثامن من تفسير الدكتور
		٢٩ - شرح البسطة للشيخ احمد عبد الحق المنطاطي (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٠ - كتاب الخطاب في تفسير فاتحة الكتاب (طبع في سنة ١٣٠٨)
		السيد الشريف محمد ابن عبد الله ابن عبد الطيل
مدرج	ب ٦	٣١ - تفسير آيات من القرآن الكريم : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٢ - رسالة في تفسير البسطة للشيخ ابو سعيد محمد الفاضل (طبع في سنة ١٣٠٨)
	ب ٧	٣٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٣٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤١ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٢ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٤٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥١ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٢ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٥٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦١ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٢ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٦٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧١ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٢ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٧٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨١ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٢ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٨٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩١ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٢ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٣ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٤ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٥ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٦ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٧ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٨ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		٩٩ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)
		١٠٠ - رسالة في تفسير القرآن : للشيخ عبد الله (طبع في سنة ١٣٠٨)

الأصل المرقون لقائمة مصوّرات البيونسكو من مكتبة الأوقاف

(1) في الأصل المرقون: استعارت.

مكتبة الأوقاف بطرابلس - ليبيا

التفسير⁽¹⁾

مدرج ب 1

12 - الشيخ محمد بن مصطفى محمود: مجموعة العبد الذليل⁽²⁾ على ربع أنوار التنزيل. الجزء الأول (خط 11 رمضان 1299).

22 - الجزء الأول من تفسير الفخر لمحمد الرازي (طبع في سنة 1308)⁽³⁾.

ب 2

23 - الجزء الثاني من تفسير الفخر الرازي.

24 - الجزء الثالث من تفسير الفخر الرازي.

ب 3

25 - الجزء الرابع من تفسير الرازي.

26 - الجزء الخامس من تفسير الرازي.

ب 4

27 - الجزء السادس من تفسير الرازي.

(طبع سنة 1308)

(1) لقد حرصت قدر الإمكان على طباعة نص القائمة وفق أصلها المرقون، بما فيه من تمييز بين مواضع الرموز والأرقام. وكنت أودُّ أن أحرّر بعض الحواشي لإضاءة بعض المواضع التي تحتاج إلى بيان، ولكن تعذر ذلك في واقع الأمر.

(2) في الأصل المرقون: العبة الدليل (بالمهملة).

(3) في الأصل المرقون: كررت العبارة (طبع 1308).

28 - الجزء السابع من تفسير الرازي).

ب 5

28 - الجزء السابع من تفسير الرازي.

63 - شرح البسمللة للشيخ أحمد عبد الحق السنباطي (خط بلا تاريخ).

64 - قراب [كذا] الخطاب في تفسير فاتحة الكتاب، السيد الشريف محمد

ابن عبد الغني ابن عبد الجليل (خط سنة 45 ..؟)⁽¹⁾.

مدرج ب 6

65 - تفسير آيات من القرآن الكريم، للشيخ عبد الله بن محمد البيضاوي.

66 - حاشية على تفسير البيضاوي، للشيخ حمزة القرمالي جمال الدين إسحاق

(خط ربيع الآخر سنة 956).

67 - رسالة البسمللة للشيخ أبو سعيد محمد الخادمي (طبع شوال 1261).

مدرج ب 7

68 - هدية الإخوان في تفسير القرآن، للسيد مصطفى الاسيل (طبع سنة

1309).

69 - لباب التأويل في معاني التنزيل، للشيخ علاء الدين بن محمد الخازن

(خط في ذو الحجة سنة 1104).

75 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي

(خط بلا تاريخ).

(1) الرقم في خانة المئات غائب في النسخة المرقونة المصورة، قد يكون: 945 / أو 1045 ؟

70 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين بن محمد البيضاوي (خط في 19 جماد الثاني سنة 1130).

مدرج ب 8

80 - التمييز لما أودع الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز، للشيخ عمر بن محمد السوكني [كذا] (خط بلا تاريخ).

74 - نفائس المرجان في جمع قصص القرآن، لعبد الوهاب الحسيني (خط 1051).

90 - الأسئلة الحسنة المنتخبة والأجوبة المستحسنة الملتقطة، لأبو محمد عبد الوهاب النيسابوري (خط بلا تاريخ).

91 - تفسير من سورة البروج إلى الآخر، للشيخ أبو سعيد الحنفي (خط بلا تاريخ).

مدرج ب 9

الاغفال في إعراب القرآن، للشيخ أبو علي الفارسي (خط جماد الأول سنة 671).

القراءات والتجويد

3 - غيث النفع في القراءات السبع، للشيخ علي النوري⁽¹⁾ الصفاقسي (خط في 19 جماد الأول سنة 1168).

6 - زبدة الحسان في اختصار كتاب التبيان، للشيخ حامد بن الحاج بالري [كذا] (طبع سنة 1283).

(1) في الأصل المرقون: النور.

7- الدرر⁽¹⁾ الحسان في اختصار كتاب التبيان، للشيخ محمد الشريش الخراز (خط شوال 1153).

وكذلك كتاب الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله المولد⁽²⁾ الظمان للشيخ عبد الرحمن بن القاضي الفاس [؟] (خط شوال 1152).

18- البدور الطوالع، محمد بن شرف الدين الشريشي (خط بلا تاريخ).

في التفسير تابع

- 155- تفسير سورة الفاتحة، للشيخ محمد قاجه (خط بلا تاريخ).
- 156- تفسير سورة الواقعة بالتركي [كذا] للشيخ محمد قاجه (خط « »).

الفقه

مدرج ب 10

242- الجزء الأول / المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب، للشيخ أبي العباس بن يحيى بن محمد عبد الواحد (طبع بلا تاريخ).

” ” ” ” ” ” ” ”

243- الجزء الثاني

” ” ” ” ” ” ” ”

244- ” الثالث

245- ” الرابع

” ” ” ” ” ” ” ”

246- ” الخامس

(1) في الأصل المرقون: الدر.

(2) كذا، لعله: المورد.

مدرج ب (11) 47

- ” ” ” ” ” ” ” ” 247 - ” السادس
- ” ” ” ” ” ” ” ” 248 - ” السابع
- ” ” ” ” ” ” ” ” 249 - ” الثامن
- ” ” ” ” ” ” ” ” 250 - ” التاسع
- ” ” ” ” ” ” ” ” 251 - ” العاشر
- ” ” ” ” ” ” ” ” 252 - ” الحادي عشر

الكتب المتنوعة

مدرج ب 12

- 13 - كتاب في علم الخيل، للشيخ ناصر الدين محمد معلم الخيل الشهير بالجري (خط في سنة 885).
- 14 - كتاب الفلاحة للشيخ أبو زكريا يحيى ابن محمد العوام (خط بلا تاريخ).
- 44 - كتاب فال هارون الرشيد، تأليف عبيد الله بن عبيد الأنسي المنجم (خط سنة 1000).
- 230 - رسالة على البسملة للشيخ سليمان العريزي الزيات (خط سنة 1216).
- 40 - تحفة العروس ونزهة النفوس، للشيخ عبد التيجاني التونسي (خط سنة 1209).

في التصوف

34 - نظم العناية الربانية في الطريقة الشعبانية، للشيخ زين الدين شعبان بن محمد الانادي (خط بلا تاريخ).

35 - على رسالة الأنوار، للشيخ محي الدين ابن عربي (خط سنة 1067).

مدرج ب 13

47 - بستان العارفين للشيخ نصر بن محمد السمرقندي (طبع سنة 1315).

86 - شجرة اليقين. (مجهول سنة 1135).

97 - نصاب الاحتساب، للشيخ عمر بن عون الشامي (خط بلا تاريخ).

102 - روض العلماء ونزهة الفضلاء، للشيخ أبو علي حسين بن يحيى البخاري (خط في 19 شعبان سنة 1074).

106 - نبذة من شرح الرسالة في قواعد الإسلام، للشيخ محي الدين ابن العربي (خط سنة 747).

155 - الطريقة المحمدية، للشيخ محمد البركوي (خط سنة 1046).

الحديث الشريف

21 - الخصائص الكبرى، للشيخ جلال الدين السيوطي (خط بلا تاريخ).

مدرج 14

22 - الخصائص ” ” ” ”

23 - ” ” ” ”

مدرج ب 15

- 62 - الجزء الأول والثاني = الفوائد الجلية البهية على الشمائل المحمدية وبهامشه لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري، للشيخ محمد بن أحمد بنيسي (طبع في رجب سنة 1296).
- 243 - جواهر الكلام في الحكم والأحكام، للشيخ عبد الواحد بن محمد الامدي (خط سنة 987).
- 147 - الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير، للشيخ شمس الدين محمد العلقمي (خط في سنة 1001).
- 162 - شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم مع الألفية العراقية في سيرة خير البرية، ويليهِ قصيدة الهمزة للشيخ محمد الترمذي وعبد الرحمن العراقي والبوصيري (خط سنة 1250).

في الحديث

- 164 - (حاشية) على صحيح البخاري لسيدى أحمد الزروق (خط بشعبان 1187).
- 168 - كتاب في تفسير غريب الحديث، للشيخ أبو سليمان أحمد الخطابي البستي (خط بلا تاريخ).
- 169 - الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، للشيخ نجم الدين الفيسطي [كذا] (خط بمحرم سنة 1168).
- 185 - (حاشية) على صحيح البخاري، لسيدى أحمد بن أحمد الزروق (خط سنة 1026).

مدرج ب 17

عقائد

35 - إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين، للشيخ أحمد بن عبد الله الغدامسي (خط سنة 1135).

36 - الجوهر الشحين [كذا] لأم البراهين، للشيخ محمد بن عبد الرحيم (خط سنة 1134).

37 - حاشية على السنوسية، للشيخ أحمد محمد الفقيقي (خط في 1183).

38 - شرح العقائد النفسية [كذا] للشيخ بدر الدين بن الفرسي (خط سنة 1179).

22 - رسالة في الكسب والجزاء الاختياري، للشيخ علي بن محمد الميلي (خط بلا تاريخ).

1 - شعب الإيمان، للشيخ عبد الجليل الكتامي (خط بلا تاريخ).

من كتب النائب (في الفقه)

مدرج ب 18

60 - الفائق في معرفة الأحكام والوثائق، للشيخ أحمد بن يحيى الوشرسي (خط بلا تاريخ).

68 - معين الحكام على القضاء والأحكام، للشيخ إبراهيم بن عبد الرفيع (خط بلا تاريخ).

81 - رسالة في الفقه، للشيخ الخطاب المغربي (خط بلا تاريخ).

95 - كتاب التفریع، للشیخ عبد الله ابن الجلاب (خط بلا تاریخ).

مدرج ب 19

113 - منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، للشيخ محمد ابن أحمد العيني (خط بلا تاریخ).

من كتب النائب

125 - مسائل منتخبة من كتاب البرزلي، للشيخ أحمد حلولو الزليطني (خط بلا تاریخ).

من كتب النائب (في التصوف)

151 - تحفة السير والسلوك إلى ملك الملوك، للعارف بالله تعالى أبي البركات أحمد الدردير⁽¹⁾ (طبع بلا تاریخ).

152 - الفوائد اللطيفة في شرح الوظيفة، للشيخ محمد قاجه الطرابلسي (خط بلا تاریخ).

157 - السير والسلوك إلى ملك الملوك، للعارف بالله تعالى أحمد الدردير⁽²⁾ (خط بلا تاریخ).

159 - عقود الجان [كذا] في إثبات نبوة الخضر عليه السلام ومعه مسائل.

160 - نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير ومعه مسائل، للشيخ محمد بن يوسف السنوسي (خط بلا تاریخ).

(1) في الأصل المرقون: الدروير؟

(2) في الأصل المرقون: الدروير؟

مدرج ب 20

- 161 - شرح على الحكم، للشيخ أحمد الزروق (خط بلا تاريخ).
- 165 - إرشاد السالكين ونصرة الذاكرين، للشيخ حسين بن محمد العسوسي الطرابلسي (خط بلا تاريخ).
- 166 - شرح ألفاظ الأجرومية بعبارة العقائد التوحيدية، للشيخ علي بن ميمون الإدريسي المغربي (خط بلا تاريخ).
- 167 - وسائل مهمل الحج يكفر الكبائر أم لا، للشيخ محمد أمين البخاري (خط بلا تاريخ).
- 175 - اجماعلت [كذا؟] الإمام السهروردي للعارف بالله تعالى محي الدين العربي (بلا تاريخ وهو خط).

تابع لمدرج ب 20

- 177 - مفتاح الفلاح، للشيخ العارف بالله تعالى ابن عطاء الله (خط بلا تاريخ).
- 178 - شرح الكبير، للشيخ أبي الحسن الشاذلي، ومعه مسائل للشيخ محمد بن عبد السلام البناني المغربي.

مختارات من كتب النائب

- 320 - مجموعة رسائل في الفرائض والحساب والمواقيت لعدة مؤلفين (خط سنة 984هـ).

مدرج ب 21

- 335 - الجزء الثاني من رحلة العياشي، للشيخ محمد (خط سنة 1137).

344 - الجزء الأول من معالم الإيمان في رجال القيروان (خط بلا تاريخ).

186 - المسائل المهمة والفوائد الجمّة فيما يطلبه المرء لما أهمّه⁽¹⁾، للكاتب مصطفى الخوجه المصري (خط بلا تاريخ).

193 - خواص الأسماء، للعارف بالله تعالى سيدي أحمد الزروق (خط بلا تاريخ).

205 - مجموعة في الدعوات، للشيخ سليمان حقي (طبع عربي وتركي = بلا تاريخ).

مدرج ب 22

223 - شرح كتاب بن عرفه، للشيخ محمد السنوسي (خط بلا تاريخ).

233 - شرح الكافية، لمحمد قاجه الطرابلسي (خط بلا تاريخ).

أصول الفقه

1 - حاشية ادرار الشروق على أنوار البروق على الشرح المسمّى أنوار البروق في أنوار الفروق، والحاشية للشيخ أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري بن الشاطر. الشرح لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (خط سفر [كذا] سنة 1100).

11 - إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار، للشيخ عبد الله بن الجليل [كذا] (خط في ذي القعدة سنة 780).

مدرج ب 23

13 - الجزء الأول حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع، للشيخ محمد البناني (خط بلا تاريخ).

(1) في الأصل المرقون: أهم.

14 - الجزء الثاني حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع، للشيخ محمد البناي (خط بلا تاريخ).

15 - حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع، للشيخ علي ابن أحمد البخاري (خط سنة 1152).

21 - شرح المنار للنسفي، للشيخ عبد اللطيف بن فرشه بن الملك (خط بلا تاريخ).

22 - حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع، للشيخ الناصر اللقاني (خط برجب سنة 1152).

مدرج ب 24

23 - شرح التنقيح لصدر الشريعة المحبوب، للشيخ منلا مسكين⁽¹⁾ خسرو [كذا] (خط في سنة 937).

24 - شرح المنار للنسفي، للشيخ عبد اللطيف بن فرشة بن الملك (خط برجب سنة 1124).

25 - شرح على جمع الجوامع، للشيخ جلال الدين السيوطي (خط بلا تاريخ).

في الفقه المالكي

64 - الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق بن عرفة الوافية، للشيخ أبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع (خط بربيع الثاني سنة 984).

65 - الجزء الأول من الشرح والتقريب وإيضاح ما أشكل من مسائل

(1) في الأصل المرقون: متلاسين.

التهذيب، للشيخ أبي سعيد خلف البرادعي. والشرح للشيخ أبي سعيد خلف ابن محمد معافري (خط صفر سنة 765، والثاني رقم (66) بلا تاريخ).

مدرج ب 25

67 - الجزء الأول تحقيق المباني على رسالة بن أبي زيد القيرواني، للشيخ أبي الحسن علي (خط بلا تاريخ).

68 - الجزء الثاني من كتاب تحقيق المباني على رسالة بن أبي زيد القيرواني لأبي الحسن علي (خط رجب سنة 1044).

100 - الجزء الأول مفيد الحكام في نوازل الأحكام، للشيخ أبي الوليد هشام ابن عبد الله الأزهري (خط بلا تاريخ).

124 - رسالة في تبيان أراضى الخراجية والعشرية والمملكة، للشيخ أحمد الرومي الأقيصاري⁽¹⁾ (خط بلا تاريخ).

مدرج ب 26

125 - رسالة في بيان مسائل الأبنية في الجدار، للشيخ المعلم محمد (خط بلا تاريخ).

129 - تحرير الكلام في مسائل الالتزام، للشيخ أبي عبد الله محمد الخطاب المغربي (خط في ربيع الأول سنة 1154).

133 - الحيوانات والطيور والسّمك، وتليه منظومة في إنزال صور [كذا] القرآن لمكة والمدينة، للشيخ شهاب الدين الاقفاهي [كذا] (خط سنة 919).

(1) في الأصل المرقون: الاقيصاري

فقه حنفي

11- الجزء الأول حاشية نتائج النظر على الدرر الغرر، للشيخ نوح بن مصطفى (خط بلا تاريخ).

مدرج ب 27

12 - الجزء الثاني حاشية نتائج النظر على الدرر الغرر، للشيخ نوح بن مصطفى (خط بلا تاريخ).

مدرج ب 28

13 - الجزء الثالث حاشية نتائج النظر على الدرر الغرر، للشيخ نوح بن مصطفى (خط بلا تاريخ).

36 - ملقط من علم الفقه، للشيخ أبو القاسم يوسف السمرقندي⁽¹⁾ (خط بلا تاريخ).

37 - الضياء المعنوي على مقدمة الغزنوي⁽²⁾، للشيخ أبو البقاء أحمد بن أبي الضياء المقدسي (خط بلا تاريخ).

38 - الضياء المعنوي على مقدمة الفزنوي، للشيخ أبو البقاء أحمد بن أبي الضياء المقدسي (خط بلا تاريخ).

مدرج ب 29

40 - درر الحكم في شرح غرر الأحكام، للشيخ محمد بن فراموز الشهير بمنلا خسرو (خط في جماد الآخر سنة 992).

41 - شرح الوقاية في مسائل الهداية، للشيخ عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة (خط بلا تاريخ).

(1) في الأصل المرقون: السمرقندي، يسقط الميم سهواً، خطأ مطبعي.

(2) في الأصل المرقون: الفزنوي، بالفاء.

مدرج ب 30

- 46 - المحيط بالفقه، للشيخ برهان الدين محمد ابن مازة (خط بلا تاريخ).
- 56 - ايضاح الحقائق على كنز الدقائق، للشيخ يحيى القوجحصاري⁽¹⁾ (خط سنة 731).
- 57 - من ملتقى الأبحر، للشيخ إبراهيم بن محمد الحلبي (خط سنة 671).

كتب متنوعة

- 179 - شرح المقدمة الوغليسية، للشيخ أحمد بن أحمد الزروق (خط في سنة 959).
- 92 - ترجم البينات، للشيخ غانم ابن محمد البغدادي (خط بلا تاريخ).
- 80 - كتاب الصلاة والعوايد، للعلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الشرجي (طبع بلا تاريخ).
- 75 - رسالة روح القدس، للشيخ محمد بن علي بن العربي الطائي (طبع سنة 1282).

مدرج ب 31

- 135 - حاشية على مختصر الشيخ خليل، للشيخ الفيش [كذا] (خط سنة 1061).
- 312 - الجزء الثالث ارشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين، للشيخ علي بن عبد الصادق⁽²⁾ (خط سنة 1229).
- 142 - الكواكب السيارة في ميارة (فقيه فاس أبي عبد الله ميارة)، للشيخ

(1) في الأصل المرقون: القوجحصاري.

(2) في الأصل المرقون: علي بن الصادق.

يعيش ابن الدنمالي الشاوي (خط سنة 1182).

145 - كتاب تنبيه الغافلين، للفقيه الزاهد العامل والاستاذ المحدث المتقن،
للشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، وبحاشيته بستان العارفين للمؤلف
أيضاً (طبع في 20 ذو الحجة سنة 1344).

(10)

هدم المقرّ/ والتحوّل إلى مقرّها الثالث بباب الحرية (1978)

ظَلَّت مكتبة الأوقاف بهذا المقرّ الجديد الذي بُنيَ بأموال الوقف بضعة عقود (ما
بين أواخر الثلاثينيات 1936 / وأواخر السبعينيات 1978) إلى أن هُدم مبنى عمارة الأوقاف
وما حولها توسعةً للساحة العامة هناك (ميدان الشهداء)، ففقدت المكتبة بهذا الهدم ...
مقرّها الفسيح، وذهب معه ما كان يازائه من المباني الجميلة، وتُقلّت المكتبة إلى أحد المباني
القريبة في حيّ (باب الحرية) قرب جامع السنوسية، وواصلت مسيرتها في مقرّها المستقلّ
الآخر عدّة سنواتٍ لاحقة.

وقد وقفتُ لدى الأستاذ الفاضل الطاهر النعّاس (أحد العاملين بمكتبة الأوقاف في
سنواتها الأخيرة) على إفادةٍ توثيقيةٍ مهمّةٍ في هذا السياق⁽¹⁾، عند تعليقه على عملية توسيع
ميدان الشهداء وهدم العمارتين: عمارة سيدي حمودة والعمارة الكبيرة الشرقية. يقول «إنّ
هدم جامع سيدي حمودة بما معه [كذا] من مكتبة الأوقاف والجانب السكني بالعمارة
كان بتاريخ (1 - 8 - 1389هـ / الموافق 9 - 7 - 1978م)، ونقل رفات (سيدي حمودة) في نفس
التاريخ إلى مقبرة سيدي منيذر، ووضعت على قبره لوحة من رخام نُقش عليها تاريخ النقل
إلى المقبرة، ومنها أخذت نفس التاريخ».

(1) ضمن كتاب (وميض الذكريات) الجزء الثاني، ص 34 الخطية.

ولديّ من الأستاذ النعاس أيضاً إفادةً سابقة، ذكر فيها أنّ نقل المكتبة قبيل الهدم المذكور كان مفاجئاً؛ لذا انتقلوا إلى مبنى قرب الكنيسة الواقعة بشارع عمر المختار التي حوّلت إلى مكتبة ...، وظلّوا بها فترة ما / إلى أن تحوّلوا إلى المقرّ الأخير المعروف لمكتبة الأوقاف في باب الحرية قرب جامع السنوسية. وأودّ حقاً في هذا المقام أن يتابع بعض الباحثين الشباب جمع المزيد من المعطيات الوثائقية حول هذه الفترة وظروفها القلقة من خلال الوثائق والدوريات.

(11)

ضمُّ المكتبة إلى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (1984)

ما إن غادر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية مقرّه التأسيسي الأول بحيّ الأندلس (1977 - 1984)، حتى ضُمَّت إليه مكتبة الأوقاف في مقرّه الجديد (إزاء مقبرة سيدي منيدر) سنة (1984) ⁽¹⁾. وقد كنتُ آنذاك بين أعضاء اللجنة التي شكّلت (لجرتها)، وقمت مع الزميل الفاضل الأستاذ إبراهيم سالم الشريف بحصر (مجموعة المخطوطات) التي بالمكتبة، وهي تزيد على (1300 مخطوط)، وكنت أُملي على زميلي من الرفوف عناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين، مع التركيز على المخطوطات الموقوفة من قبل مصطفى خوجه، والإشارة إليها في خانة الملاحظات ⁽²⁾.

(1) تنبغي الإشارة هنا إلى أنّ أربعة من العاملين الأفاضل بمكتبة الأوقاف قد انتقلوا أيضاً (عند نقل المكتبة) إلى مواصلة عملهم بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، وهم:

1 - الأستاذ الكاتب الباحث محمد عبد السلام الجفاري، آخر مديري مكتبة الأوقاف.

2 - الأستاذ الأديب الشاعر محمد ميلاد مبارك.

3 - الأستاذ الكاتب الصحفي الطاهر النعّاس.

4 - الأستاذ الشيخ المبروك فضل.

(رحم الله الراحلين منهم، مع أطيب الأمنيات للأستاذ الطاهر النعاس بدوام العافية والعطاء والسودد).

(2) مصادر دراسة الحياة الفكرية في العهد القرمانلي، ص 86 - 87.

وكان المركز قد سعى منذ شروعه في العمل المؤسسي المجدّد في مستهل سنة (1978) إلى تخصيص (شعبةٍ للوثائق والمخطوطات) في هيكله التنظيمي، وحرص من خلالها على تكوين رصيده (منها) الذي ظلّ ينمو شيئاً فشيئاً باطّراد العمل الميداني، والاقتناء والتصوير من مختلف البيئات والأسر والأفراد في الداخل، وبعض المكتبات العامة في الخارج، وذلك فضلاً عن مبادرته إلى تنظيم (جائزة ابن الإجدابي للوثائق والمخطوطات) التي كانت مثمرةً في دوراتها المتتالية: (طرابلس 1989، غدامس 1999، زويلة 2005).

ويبلغ رصيد الشعبة من المخطوطات اليوم [2007] نحو (6330) مخطوطة مورّعة بين الفئات التالية:

- مخطوطات أصلية تمّ جمعها محلياً 1670
- مجموعة مكتبة الأوقاف 1510
- مخطوطات مصوّرة 3150

وقد دُعم برنامج الشعبة أيضاً بإصدار حوليتها المتخصصة (مجلة الوثائق والمخطوطات) منذ سنة 1986، وتنظيم (المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا: واقعها وآفاق العمل حولها) خلال سنة 1988، وإصدار عددٍ من (الفهارس) العامة والجزئية على امتداد السنوات السابقة، وهذا ما يبعث على القول حقاً بأنّ المركز يواصل ويرسّخ في هذا الحقل ما تقدّم من المبادرات التوثيقية بمدينة طرابلس مركز القطر منذ العهد العثماني حتى اليوم، وأكتفي في الختام بعرض المحتوى الموضوعي لفهرس المخطوطات بالمركز في أجزائه الثلاثة، وهو لا يشمل بالوصف كلّ الرصيد المذكور أعلاه⁽¹⁾.

(1) إبراهيم سالم الشريف، فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيّن للدراسات التاريخية: ج 1 (1989)، في 239 ص؛ ج 2 (2000)، في 476 ص؛ ج 3 (؟) في 442 ص.

فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيّن للدراسات التاريخية

الجزء الأول	العدد	الجزء الثاني	العدد	الجزء الثالث	العدد
القرآن الكريم	23	القرآن الكريم	18	النحو	246
علوم القرآن	43	علوم القرآن	10	الصرف	42
التفسير	56	التفسير	25	اللغة	32
أصول الفقه	38	أصول الفقه	9	السياسة	5
الفقه المالكي	319	الفقه المالكي	111	التربية	19
الفقه الحنفي	157	الفقه الحنفي	26	الفلسفة	14
الفرائض	41	الفقه الاباضي	7	المنطق	83
		فقه المذاهب	4	الموسيقى	3
		الفرائض	16	الأدب	128
		الأديان	3	البلاغة والبيان	84
		الحديث	225	الحساب والهندسة	22
		الإجازات	5	الفلك	98
		السيرة	27	الكيمياء	3
		التوحيد	203	علم الحيوان	6
		التصوف	152	الطب	35
		المناقب	8	الصناعة	8
		سر الحرف	27	الاقتصاد	4
		التاريخ والأنساب	76	علوم شتى	35
		وعظ وأدعية	62		
		الجغرافيا والرحلات	8		
المجاميع	677		1019		867

في حين اضطلعت بهذا العبء في الجهات الشرقية من ليبيا (المكتبة المركزية لجامعة بنغازي) التي ضُمَّت إليها بقايا (مكتبة الجغبوب) حاضرة الزوايا السنوسية، بعد تضرُّرها الكبير خلال الغزو الإيطالي. أي أنَّ هاتين المؤسَّستين (المركز / والمكتبة المركزية) تواصلان اليوم وترسَّخان ما شهدته بعض البيئات العلميَّة بالأُمس البعيد والقريب من المبادرات التوثيقية، ممثلةً في حركة النسخ والوراقة والمكتبات الوقفية في المدارس والزوايا ونحوها. وذلك فضلاً عن بقايا (المجموعات الخاصَّة) لدى الأسر والأفراد التي لا سبيل إلى الوقوف عليها إلاَّ من خلال (العمل الميداني) المباشر، أو (المسابقات ذات الجوائز التشجيعية) المعتادة.



وقد ظلَّ هذا التراث العربيُّ المخطوط الذي احتضنته ليبيا حتى الأُمس القريب محدود الانتشار وغائباً عن الباحثين، وخاصةً في تلك الأعمال الموسوعية الكبرى التي استهدفت توثيق التراث العربي الإسلامي بشمولٍ وإحاطة، واعتمدت في الغالب على الفهارس المنشورة وما إليها من الدوريات العلمية وأدوات العرض والإشهار على جمهور الباحثين. وآية ذلك ما نلاحظه - على سبيل المثال - من غيابٍ ظاهرٍ للتراث العربي الإسلامي المخطوط في ليبيا عن موسوعة المستشرق كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)؛ وقد يؤكِّد ذلك قوله في مقدمة كتابه: «على أنَّ أهمَّ مصادر الكتب العربية هي فهارس المخطوطات التي يحسن أن نذكرها هنا - بقدر اطلاعنا - مرتبة على حروف المعجم». وقد عدَّد عشرات الفهارس المنشورة التي لم يكن من بينها فهرسٌ واحدٌ من هذا القطر العربي الأوسط، خلافاً لعددٍ من أقطار المشرق والمغرب⁽¹⁾.



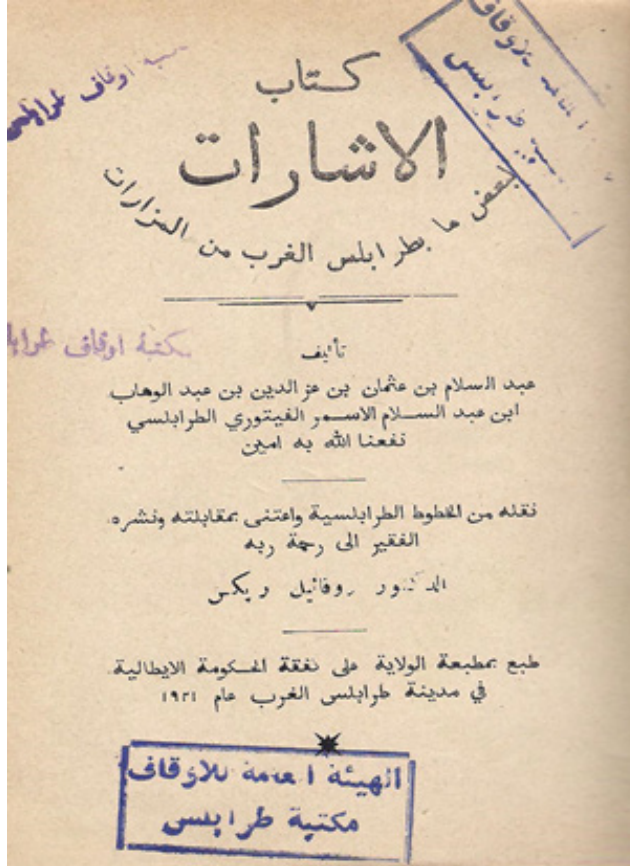
(1) مصادر دراسة الحياة الفكرية في العهد القرمانلي، ص 39.

(12)

التحوّل الأخير في مكتبة الأوقاف (أواسط العشرية الأولى)

مثل ما شهدت في أواسط الثمانينات ضمّ مكتبة الأوقاف إلى مركز جهاد الليبيّين للدراسات التاريخية سنة (1984)، وشاركت في جرد مخطوطاتها - كما تقدّمت الإشارة أعلاه - فقد قدّرت لي أن أشهد بالمركز أيضاً إصرار إدارة الأوقاف في (أواسط العشرية الأولى - تقريباً) على المطالبة بأخذ (مجموعة المطبوعات) من رصيد مكتبة الأوقاف التي ضُمَّت إلى المركز / إلى أن نُقلت المجموعة إلى إحدى القاعات الصغيرة بمكتب إدارة الأوقاف في مدينة طرابلس، الواقع إزاء الطريق السريع. وكنت قبل عدّة سنوات منشغل الذهن حقّاً بالبحث عن الطبعة الأصلية لكتاب (الإشارات لبعض ما بطرابلس من المزارات) التي عُنيَ بتحقيقها ونشرها الباحث المستشرق الإيطالي روفائيل رابكس، و« طُبعت بمطبعة الولاية على نفقة الحكومة الإيطالية في مدينة طرابلس الغرب عام 1921 ». وقد وقفتُ عليها - بحمد الله تعالى - صباح الثلاثاء (13 - 3 - 2012) في (مكتبة الأوقاف) بمقرها الجديد الذي نقلت إليه أخيراً⁽¹⁾. وهناك جلستُ في أكثر من زيارة إلى هذه المكتبة؛ لفحص بعض محتوياتها، وتصوير بعض نصوص الوقف القصيرة على المطبوعات العتيقة. وأسأل الله تعالى أن يحفظ هذه البقيّة من رصيد مكتبة الأوقاف من العبث والإهمال.

(1) عمار محمد جحيدر، عبد السلام العالم التاجوري...، ص 385 - 386.



(الطبعة الأصلية لكتاب الإشارات، طرابلس: مطبعة الولاية، 1921)

(نسخة بمكتبة الأوقاف)

وهذا ما تيسّر جمعه من المعطيات التوثيقة عن مكتبة الأوقاف العامة بمدينة طرابلس، انطلاقاً من أصولها الوقفية الأولى / إلى التأسيس الرسمي من طرف إدارة الولاية في أواخر العهد العثماني / إلى ما شهدته من التحولات في العهود اللاحقة. وأسأل الله تعالى أن يكون في هذه المقاربة المتواضعة بعض النفع والفائدة، راجياً ظهور المزيد من الوثائق عنها والإشارات إليها، وإلى غيرها من مؤسساتنا الثقافية الأخرى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. الفقير إلى رحمته تعالى



خمس دوائر متكاملة لحرك مجّمع اللّغة العربيّة

